كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦م

تحقيق

الدكتور إحسان عبّاس

الدكتور إبراهيم السعافين

الأستاذ بكر عبّاس

المجلّد السّادس عشر

دار صادر

بيروت

الطبعَة الأولى

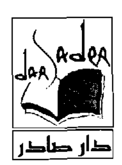
1423هـ -2002 م

الطبعة الثانية

1426هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429هـ - 2008م



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[308] ـ أخبار شارية

[نسبها]

قال أبو الفرج علي بن الحسين : كانت شارية مولدة من مولدات البصرة ، يقال إنّ أباها كان رجلاً من بني سامةَ بن لؤي المعروفين ببني ناجية ، وأنّه جحدها ، وكانت أمّها أَمَة ، فدخلت في الرقّ . وقيل بل سُرقت فبيعت ، فاشترتها امرأة من بني هاشم ، فأدّبتها ، وعلّمتها الغناء ؛ ثم اشتراها إبراهيم بن المهدي ، فأخذت غناءها كلّه أو أكثره عنه ؛ وبذلك يحتجّ من يقدّمها على عَريب ، ويقول : إنّ إبراهيم خرَّجها ، وكان يأخذها بصحة الأداء لنفسه ، وبمعرفة ما يأخذها به . ولم تكن هذه حال عريب ، لأنّ المراكبي لم يكن يقارب إبراهيم في العلم ، ولا يقاس به في بعضه ، فضلاً عن سائره .

[كتاب ابن المعتزّ في أخبارها]

أَخبرني بخبرها محمد بن إبراهيم قُريص : أنّ ابن المعتزّ دفع إليه كتابه الذي ألّفه في أخبارها ، وقال له أن يروِيه عنه . فنسختُ منه ما كان يصلح لهذا الكتاب على شرطي فيه ، وأضفت إليه ما وجدته من أخبارها عن غيره في الكتب ، وسمعته أنا عمّن رويته عنه .

قال ابن المعتزّ : حدَّثني عيسى بن هارون المنصوري : أنّ شارية كانت لامرأة من الهاشميات بصرية ، من ولد جعفر بن سليمان . فحملتها لتبيعها ببغداد ، فعرضت على إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، فأعطى بها ثلثمائة دينار ، ثم استغلاها بذلك ولم يُرِدْها . فجيء بها إلى إبراهيم بن المهدي ، فعرضت عليه ، فساوم بها . فقالت له مولاتها : قد بذلتها لإسحاق بن إبراهيم بثلثمائة دينار ، وأنت أيها الأمير ، أعزّك الله ، بها أحقّ[1] . فقال : زنوا لها ما قالت . فوُزن لها ، ثم دعا بقَيِّمته ، فقال : خذي هذه الجارية ولا ترينيها سنة ، وقولي للجواري يطرحن عليها ، فلمّا كان بعد سنة أخرجت إليه ، فنظر إليها وسمعها . فأرسل إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي فدعاه ، وأراه إياها ، وأسمعه غناءها . وقال : هذه جارية تباع ، فبكم تأخذها لنفسك ؟ قال إسحاق : آخذها بثلاثة آلاف دينار ، وهي رخيصة بها . قال له إبراهيم : أتعرفها ؟ قال : لا . قال : هذه الجارية التي عَرَضْتَها عليك الهاشمية بثلثمائة دينار ، فلم تقبل . فبقي إسحاق متحيراً ، يعجب من حالها وما انقلبت إليه .

وقال ابن المعتزّ : حدّثني الهشامي عن محمد بن راشد : أنّ شارية كانت مولدة بالبصرة ،

1 ل : أولى بها .

وكانت لها أمّ خبيثة منكرة ، تدّعي أنّها بنت محمد بن زيد ، من بني سامة بن لؤي .

قال ابن المعتزّ : وحدَّثني غيره ، أنّها كانت تدّعي أنّها من بني زُهْرة .

قال الهشامي : فجيء بها إلى بغداد ، وعُرضت على إبراهيم بن المهدي ، فأعجب بها إعجاباً شديداً ؛ فلم يزل يعطِي بها ، حتى بلغت ثمانية آلاف درهم . فقال لي هبة الله بن إبراهيم بن المهدي : إنّه لم يكن عند أبي درهم ولا دانق ، فقال لي : ويحك ! قد أعجبتني والله هذه الجارية إعجاباً شديداً ، وليس عندنا شيء . فقلت له : نبيع ما نملكه حتى الخزَف[1] ، ونجمع ثمنها . فقال لي : قد فكرت في شيء ؛ اذهب إلى علي بن هشام ، فأقرئه منّي السلام ، وقل له : جعلني الله فداءك ! قد عرضت علي جارية قد أخذت بمجامع قلبي ، وليس عندي ثمنها ، فأحبّ أن تقرضني عشرة آلاف درهم . فقلت له : إنّ ثمنها ثمانية آلاف درهم ، فلم تُكثر على الرجل بعشرة آلاف درهم ؟ فقال : إذا اشتريناها بثمانية آلاف درهم ، لا بدّ أن نكسوها ، ونقيم لها ما تحتاج إليه .

فصرت إلى علي بن هشام ، فأبلغته الرسالة ، فدعا بوكيل له ، وقال له : ادفع إلى خادمه عشرين ألفاً ، وقل له : أنا لا أصلك ، ولكن هي لك حلال في الدنيا والآخرة . قال : فصرت إلى أبي بالدراهم ، فلو طلعتُ عليه بالخلافة لم تكن تعدل عنده تلك الدراهم .

وكانت أمّها خبيثة ، فكانت كلّما لم يعطِ إبراهيم ابنتها ما تشتهي ، ذهبت إلى عبد الوهّاب بن علي ، ودفعت إليه رقعة يرفعها إلى المعتصم ، تسأله أن تأخذ ابنتها من إبراهيم .

قال ابن المعتزّ : وأخبرني عبد الواحد بن إبراهيم بن محمد بن الخصيب ، قال : ذكر يوسف بن إبراهيم المصري ، صاحب إبراهيم بن المهدي : أنّ إبراهيم وجّه به إلى عبد الوهاب ابن علي ، في حاجة كانت له قال : فلقيته وانصرفت من عنده ، فلم أخرج من دهليز عبد الوهاب حتى استقبلتني امرأة . فلمّا نظرت في وجهي سترت وجهها . فأخبرني شاكري[2] أنّ المرأة هي أمّ شارية ، جارية إبراهيم . فبادرت إلى إبراهيم ، وقلت له : أدرك ، فإنّي رأيت أمّ شارية في دار عبد الوهّاب ، وهي مَن تعلم ، وما يفجؤك إلاّ حيلة قد أوقعتها . فقال لي في جواب ذلك : أشهدك أن جاريتي شارية صدقة على ميمونة بنت إبراهيم بن المهدي ، ثم أشهد ابنه هبة الله على مثل ذلك . وأمرني بالرّكوب إلى دار ابن أبي دُواد ، وإحضار مَن قدرت عليه من الشهود المعدّلين عنده ، فأحضرته أكثر من عشرين شاهداً . وأمر بإخراج شارية ، فخرجت ، فقال لها : اسفري ، فجزعت من ذلك . فأعلمها أنّه إنّما أمرها بذلك لخير يريده بها ، ففعلت . فقال

1 ل : الخرق .

2 الشاكري : أحد جند الخلفاء .

لها : تسمّي . فقالت : أنا شارية أَمَتك . فقال لهم : تأمّلوا وجهها ، ففعلوا . ثم قال : فإنّي أُشهدكم أنّها حرّة لوجه الله تعالى ، وأنّي قد تزوّجتها ، وأصدقتها عشرة آلاف درهم . يا شارية مولاة إبراهيم بن المهدي ، أرضيتِ ؟ قالت : نعم يا سيدي قد رضِيت ، والحمد لله على ما أنعم به علي . فأمرها بالدخول ، وأطعم الشهود وطَيّبهم وانصرفوا .

فما أحسبهم بلغوا دار ابن أبي دُواد ، حتى دخل علينا عبد الوهاب بن علي ، فأقرأ عمّه سلام المعتصم ، ثم قال له : يقول لك أمير المؤمنين : من المفترَض علي طاعتك ، وصيانتك عن كلّ ما يَعرك ، إذ كنتَ عمِّي ، وصنو أبي ، وقد رفعتْ إلي امرأة من قريش قصّة ، ذكرت فيها أنّها من بني زُهرة صَليبة[1] ، وأنّها أمّ شارية ؛ واحتجّت بأنّه لا تكون بنت امرأة من قريش أمَة . فإن كانت هذه المرأة صادقة في أنّ شارية بنتها ، وأنّها من بني زهرة ، فمن المحال أن تكون شارية أَمَة ؛ والأشبه بك والأصلح إخراج شارية من دارك ، وسترها عند مَن تثق به من أهلك ، حتى نكشف ما قالت هذه المرأة ؛ فإن ثبت ما قالته أمرتُ مَن جعلتَها عنده بإطلاقها ، وكان في ذلك الحظّ لك في دينك ومروءتك ؛ وإن لم يصحّ ذلك ، أعيدت الجارية إلى منزلك ، وقد زال عنك القول الذي لا يليق بك ولا يحسن . فقال له إبراهيم : فديتك يا أبا إبراهيم ، هب شارية بنت زُهْرة بن كلاب ، أتنكر على ابن عبّاس بن عبد المطّلب أن يكون بعلاً لها ؟ فقال عبد الوهّاب : لا . فقال إبراهيم : فأبلغ أمير المؤمنين ، أطال الله بقاءه ، وأخبره أنّ شارية حرّة ، وأنّي قد تزوجتها بشهادة جماعة من العدول .

وقد كان الشهود بعد منصرَفهم من عند إبراهيم صاروا إلى ابن أبي دُواد . فشمّ منهم من رائحة الطيب ما أنكره ، فسألهم عنه ، فأعلموه أنّهم حضروا عتق شارية ، وتزوّج إبراهيم إياها . فركب إلى المعتصم ، فحدَّثه بالحديث معجِباً له منه . فقال : ضلّ سَعْي عبدِ الوهاب . ودخل عبد الوهاب على المعتصم ، فلمّا رآه يمشي في صحن الدار ، سدّ المعتصم أنف نفسه ، وقال : يا عبد الوهاب ، أنا أشمّ رائحة صوف مُحرَق ، وأحسب أنّ عمِّي لم يقنعه ردّك إلاّ وعلى أذنك صوفة حتى أحرقها ، فشممتُ رائحتها منك . فقال : الأمر على ما ظنّ أمير المؤمنين وأقبح .

ولّما انصرف عبد الوهّاب من عند إبراهيم ، ابتاع إبراهيم من بنته ميمونة شارية ، بعشرة آلاف درهم ، وستر ذلك عنها ، فكان عتقه إياها في ملك غيره ، ثم ابتاعها من ميمونة ، فحلّ له فرجُها ، فكان يطؤها على أنّها أمَتُه ، وهي تتوهّم أنّه يطؤها على أنّها حرّة . فلمّا توفّي طلبت مشاركة أمّ محمد بنت خالد زوجته في الثّمن ، فأظهرت خبرها . وسُئِلت ميمونة وهبة الله عن

1 صليبة : خالصة النسب .

الخبر ، فأخبرا به المعتصم . فأمر المعتصم بابتياعها من ميمونة ، فابتيعت بخمسة آلاف وخمسمائة دينار ، فحوّلت إلى داره ، فكانت في ملكه حتى تُوفّي .

قال ابن المعتزّ : وقد قيل إنّ المعتصم ابتاعها بثلثمائة ألف درهم .

قال : وكان منصور بن محمد بن واضح يزعم أنّ إبراهيم اقترض ثمن شارية من ابنته ، وملكها إبراهيم ولها سبع سنين ، فربّاها تربية الولد ، حتى لقد ذكرت أنّها كانت في حجره جالسة ، وقد أعجب بصوت أخذته منه ، إذ طُمِثت أوّل طمثها ، فأحسن بذلك ، فدعا قيّمة له ، فأمرها بأن تأتيه بثوب خام ، فلفّه عليها ، فقال : احمليها ، فقد اقشعرّت ، وأحسِب برد الحُشّ[1] قد آذاها .

قال : وحدَّثت شارية أنّها كانت معه في حَرَّاقة قد توسّط بها دجلة ، في ليلة مقمرة ، وهي تغنّي إذ اندفعت فغنّت[2] : [من مجزوء الوافر]

لقد حثوا الجِمال ليهـ ـربوا منّـا فلَـم يَئِلوا

فقام إليها ، فأمسك فاها ، وقال : أنت والله أحسن من الغريض وجهاً وغناء ، فما يؤمنني عليك ؟ أمسِكي .

قال : وحدَّث حمدون بن إسماعيل : أنّه دخل على إبراهيم يوماً ، فقال له : أتحبّ أن أسمعك شيئاً لم تسمعه قطّ ؟ قال : نعم . فقال : هاتوا شارية ، فخرجت ، فأمرها أن تغنّي لحن إسحاق :

هل بالديار التي حَيَّيْتَها أحد ؟

قال حمدون : فغنّتني شيئاً لم أسمع مثله قطّ ، فقلت : لا والله يا سيدي ما سمعت هكذا . فقال : أتحبّ أن تسمعه أحسن من هذا ؟ فقلت : لا يكون . فقال : بلى والله تقرّ بذاك . فقلت : على اسم الله . فغنّاه هو ، فرأيت فضلاً عجيباً . فقلت : ما ظننت أنّ هذا يفضل ذاك هذا الفضل . قال : أفتحبّ أن تسمعه أحسن من هذا وذاك ؟ فقلت : هذا الذي لا يكون . فقال : بلى والله . فقلت : فهات . قال : بحياتي يا شارية ، قوليه وأجيلي حلقك فيه . فسمعت والله فضلاً بينا ، فأكثرت التعجّب . فقال لي : يا أبا جعفر ، ما أهون هذا على السامع ! تدري بالله كم مرّة رددت عليها موضعاً في هذا الصوت ؟ قلت : لا . قال : فقل وأكثر . قلت : مائة مرّة . قال : اصعد ما بدا لك . قلت : ثلثمائة . قال : أكثر والله من ألف مرّة ، حتى قالته كذا .

---

1 الحش : البستان ، وفي ل : الخيش .

2 البيت للحكم بن عبدل وقد تقدم في ترجمته 2 : 265 . ولم يئلوا : لم ينجوا .

[عقوبتها]

قال : وكانت رَيِّق تقول : إنّ شارية كانت إذا اضطربت في صوت ، فغاية ما عنده من عقوبتها أنّه يقيمها تغنّيه على رجليها ، فإن لم تبلغ الذي يريد ، ضَرَبت ريِّق[1] .

قال : ويقال إنّ شارية لم تضرب بالعود إلاّ في أيام المتوكّل ، لمّا اتّصل الشرّ بينها وبين عرِيب ، فصارت تقعد بها عند الضرب[2] ، فضربت هي بعد ذلك .

[لا يبيعها بسبعين ألفاً]

قال ابن المعتزّ : وحدّث محمد بن سهل بن عبد الكريم ، المعروف بسهل الأحول ، وكان قاضي الكتاب في زمانه ، وكان يكتب لإبراهيم ، وكان شيخاً ثقة . قال : أعطى المعتصم إبراهيم بشارية سبعين ألف دينار ، فامتنع من بيعها . فعاتبتُه على ذلك . فلم يجبني بشيء . ثم دعاني بعد أيام ، فدخلت وبين يديه مائدة لطيفة . فأحضره الغلام سَفُّوداً فيه ثلاث فراريج ، فرمى إلي بواحدة ، فأكلتها وأكل اثنتين ، ثم شرب رِطلاً وسقانيه ، ثم أُتِي بسفود آخر ، ففعل كما فعل ، وشرب كما شرب وسقاني . ثم ضَرَب سِتراً كان إلى جانبه ، فسمعت حركة العِيدان ، ثم قال : يا شارية تَغَنَّي . فسمعت شيئاً ذهب بعقلي . فقال : يا سهل ، هذه التي عاتبتَني في أن أبيعها بسبعين ألف دينار ، لا واللهِ ، ولا هذه الساعة الواحدة بسبعين ألف دينار .

قال : وكانت شارية تقول : إنّ أباها من قريش ، وإنّها سُرقت وهي صغيرة ، فبيعت بالبصرة من امرأة هاشمية ، وباعتها من إبراهيم بن المهدي . والله أعلم .

أخبرني عمّي ، قال : حدَّثني عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، قال : أمرني المعتزّ ذات يوم بالمُقام عنده ، فأقمت . فأمر فمدّت الستارة ، وخرج مَن كان يغنّي وراءها ، وفيهنّ شارية ، ولم أكن سمعتها قبل ذلك . فاستحسنت ما سمعت منها ، فقال لي أمير المؤمنين المعتزّ : يا عبيد الله ، كيف ما تسمع منها عندك ؟ فقلت : حظ العجب من هذا الغناء ، أكثر من حظّ الطرب . فاستحسن ذلك ، وأخبرها به فاستحسنته .

قال ابن المعتزّ : وأخبرني الهشامي ، قال : قالت لي رَيِّق : كنت ألعب أنا وشارية بالنرد بين يدي إبراهيم ، وهو متّكىء على مِخدّة ينظر إلينا . فجرى بيني وبين شارية مشاجرة في اللعب ، فأغلظتُ لها في الكلام بعض الغلظة . فاستوى إبراهيم جالساً ، وقال : أراك تستخفّين بها ، فوالله ما أجد أحداً يخلفك غيرها . وأومأ إلى حلقه بيده .

1 أي ضربت بالعود .

2 تتنقصها بأنها لا تعرف الضرب .

[نقض حكاية العتق والزواج]

قال : وحدَّثني الهشامي ، قال : حدَّثني عمرو بن بانة ، قال : حضرت يوماً مجلس المعتصم ، وضُرِبت الستارة ، وخرجت الجواري ، وكنت إلى جانب مخارق ، فغنَّت شارية ، فأحسنت جدّاً . فقلت لمخارق : هذه الجارية في حسن الغناء على ما تسمع ، ووجهها وجه حسن ، فكيف لم يتحرّم[1] بها إبراهيم بن المهدي ؟ فقال لي : أحد الحظوظ التي رفعت لهذا الخليفة مَنْع إبراهيم بن المهدي من ذلك .

قال عبد الله بن المعتزّ : وحدَّثني أبو محمد الحسن بن يحيى أخو علي بن يحيى ، عن رَيِّق قالت : استزار المعتصم من إبراهيم بن المهدي جواريه ، وكان في جفوة من السلطان تلك الأيام ، فنالته ضَيقة . قالت : فتحمل ذهابنا إليه على ضعف ، فحضرنا مجلس المعتصم ونحن في سراويلات مرقّعة ، فجعلنا نَرى جواريَ المعتصم وما عليهنّ من الجوهر والثياب الفاخرة ، فلم تستجمع إلينا أنفسنا حتى غنّوا وغنّينا . فطرب المعتصم على غنائنا ، ورآنا أمْثَل من جواريه ، فتحوّلت إلينا أنفسنا في التّيه والصّلف ، وأمر لنا المعتصم بمائة ألف درهم .

قال : وحدَّثني أبو العَنْبَس ، عن أبيه قال : كانت شارية أحسن النّاس غناء ، منذ توفّي المعتصم إلى آخر خلافة الواثق .

قال أبو العَنْبَس : وحدَّثتني رَيِّق أنّ المعتصم افتضّها ، وأنّها كانت معها في تلك الليلة .

قال أبو العَنْبَس : وحدَّثتني طِباع جارية الواثق : أنّ الواثق كان يسمِّيها سِتِي . وكانت تعلم فريدة ، فلم تبق في تعليمها غاية ، إلى أن وقع بينهما شيء بحضرة الواثق ، فحلفت أنّها لا تنصحها ولا تنصح أحداً بعدها . فلم تكن تطرح بعد ذلك صوتاً إلاّ نقصت من نغمه . وكان المعتمد قد تعشّق شرة جاريتها ، وكانت أكمل الناس ملاحة وخفّة روح . وعجز عن شرائها ، فسأل أُمّ المعتزّ أن تشتريها له ، فاشترتها من شارية بعشرة آلاف دينار ، وأهدتها إليه . ثم تزوّجت بعد وفاة المعتمد بابن البقّال المغنّي ، وكان يتعشّقها . فقال عبد الله بن المعتزّ ، وكان يتعشّقها : [من الطويل]

أقول وقد ضاقت بأحزانها نفسِي ... ألا رُبّ تطليقٍ قريبٌ من العُرسِ
لئن صِرتِ للبقّال يا شرَّ زوجةً ... فلا عجبٌ قد يربُض الكلبُ في الشمسِ

[ابن وصيف يستودعها جوهره]

وقال يعقوب بن بُنان : كانت شارية خاصّة بصالح بن وصيف . فلمّا بلغه رحيل موسى بن

1 لم يتحرم بها : لم يدخلها في حرمه .

بُغا من الجبل يريده ، بسبب قتله المعتزّ ، أودع شارية جوهره . فظهر لها جوهر كثير بعد ذلك . فلمّا أوقع موسى بصالح ، استترت شارية عند هارون بن شعيب العُكْبَرِي ، وكان أنظف خلق الله طعاماً ، وأسراه مائدة ، وأوسخه كلّ شيء بعد ذلك ؛ وكان له بسرّ مَن رأى منزل ، فيه بستان كبير ، وكانت شارية تسمِّيه أبي ، وتزوره إلى منزله . فتحمل معها كلّ شيء تحتاج إليه ، حتى الحصير الذي تقعد عليه .

[كرمها]

قال : وكانت شارية من أكرم الناس . عاشرها أبو الحسن علي بن الحسين عند هارون هذا ، ثم أضاق في وقت ، فاقترض منها على غير رهن عشرة آلاف دينار ، ومكثت عليه أكثر من سنة ، ما أذكرته بها ، ولا طالبته حتى ردّها ابتداءً .

[تحزب لشارية وعريب]

قال يعقوب بن بنان : وكان أهل سرّ مَن رأى متحازبين ، فقوم مع شارية ، وقوم مع عريب ، لا يدخل أصحاب هذه في هؤلاء ، ولا أصحاب هذه في هؤلاء . فكان أبو الصقر إسماعيل بن بلبل عَرِيبياً ، فدعا علي بن الحسين يوم جمعة أبا الصقر إسماعيل بن بلبل ، وعنده عَرِيب وجواريها . فاتّصل الخبر بشارية ، فبعثت بجواريها إلى علي بن الحسين بعد يوم أو يومين ، وأمرت إحداهنّ ، وما أدري هي : مِهرجانُ ، أو مطربُ ، أو قمرية ، إلاّ أنّها إحدى الثلاثة ، أن تغنّي قوله : [من مجزوء الخفيف]

لا تَعودَنّ بعدهـا فترى كيفَ أُصنعُ

فلمّا سمع علي الغناء ضحك ، وقال : لست أعود .

قال : وكان المعتمد قد وثق بشارية ، فلم يكن يأكل إلاّ طعامها . فمكثت دهراً من الدهور تعدّ له في كلّ يوم جُونْتين[1] ، وكان طعامه منهما في أيام المتوكّل .

قال ابن المعتزّ : وحدَّثني أحمد بن نعيم عن رَيّق ، قالت : كان مولاي إبراهيم يسمِّي شارية بنتي ، ويسمِّيني أختي .

[المعتمد يمنحها ألف ثوب]

حدَّثني جحظة ، قال : كنت عند المعتمد يوماً ، فغنّته شارية بشعر مولاها إبراهيم بن المهدي ولحنه : [من الكامل]

1 الجونة : سلة صغيرة تغشى بالأدم ويستعملها العطارون . جمعها جون .

يا طول عِلــةِ قلبــيَ المعتـادِ ... أَلِفَ الكِرامَ وصحبةَ الأَمجادِ[1]

فقال لها : أحسنتِ واللهِ . فقالت : هذا غنائي وأنا عارية ، فكيف لو كنت كاسية ؟ فأمر لها بألف ثوب من جميع أنواع الثياب الخاصيّة ، فحُمل ذلك إليها . فقال لي علي بن يحيى المنجّم : اجعل انصرافك معي . ففعلت ، فقال لي : هل بلغك أنّ خليفة أمَر لمغنّية بمثل ما أمَر به أمير المؤمنين اليوم لشارية ؟ قلت : لا . فأمر بإخراج سير الخلفاء ، فأقبل بها الغلمان يحملونها في دفاتر عظام ، فتصفّحناها كلّها ؛ فما وجدنا أحداً قبله فعل ذلك .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الكامل]

يا طـول عِلّـةِ قلبيَ المعتادِ ... أَلِفَ الكرامَ وصحبةَ الأَمجادِ

ما زلت آلف كلّ قَرْمٍ ماجدٍ ... متقــدّمِ الآبــاء والأجـدادِ

الشعر لإبراهيم بن المهدي ، والغناء لعلّويه ، خفيف رمل لشارية بالبنصر ، ولم يقع إلينا فيه طريقة غير هذه .

[شعر وغناء لخديجة بنت المأمون]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال : حدَّثني عبد الله بن أبي سعيد ، قال : حدَّثني محمد بن مالك الخزاعي ، قال : حدَّثتني مُلَح العطّارة ، وكانت من أحسن الناس غناء ، وإنّما سمّيت العطّارة لكثرة استعمالها العطر المطيّب ، قالت : غنَّت شارية يوماً بين يدَي المتوكّل وأنا واقفة مع الجواري : [من السريع]

باللهِ قولوا لي لِمَـن ذا الرَّشا ... المثقلُ الردفِ الهضيمُ الحشا

أظرف ما كان إذا ما صحا ... وأملـح الناس إذا ما انتشى

وقــد بنى بُرْجَ حمامٍ له ... أرسل فيــه طائراً مُرعَشا[2]

يــا ليتني كنت حَماماً له ... أو باشَقاً يفعل بي مـا يشا

لــو لبس القُوهيَّ من رقّةٍ ... أوجعــه القُوهيُّ أو خدَّشا[3]

---

1 علة في ل : غلة ، والغلة العطش .

2 المرعش : الحمام الأبيض .

3 القوهي : ضرب من الثياب البيض .

وهو هَزَج ، فطرب المتوكّل ، وقال لشارية : لَمن هذا الغناء ؟ فقالت : أخذته من دار المأمون ، ولا أدري لَمن هو . فقلت له أنا : أعلم لَمن هو . فقال : لَمن هو يا مُلَح ؟ فقلت : أقوله لك سرّاً . قال : أنا في دار النساء ، وليس يحضرني إلاّ حُرَمي ، فقوليه . فقلت : الشعر والغناء جميعاً لخديجة بنت المأمون ، قالته في خادم لأبيها كانت تهواه ، وغنّت في هذا اللحن . فأطرق طويلاً ، ثم قال : لا يسمعْ هذا منك أحد .

صوت[1]

[من الطويل]

أحبّكِ يا سلمى على غير ريبة — وما خير حبّ لا تعف سرائرُهْ

أُحبّكِ حبّاً لا أُعنّف بعده — محبّاً ، ولكنّي إذا لِيم عاذرُهْ

وقد مات حُبّي أوّل الحبّ فانقضى — ولَوْ متُّ أَضحى الحبّ قد مات آخرُهْ

ولّما تناهى الحبّ في القلبِ واردا — أقام وسدّت فيه عنه مصادرُهْ

الشعر للحسين بن مُطَير الأسدي ، والغناء لإسحاق : هزج بالبنصر .

1 شعر الحسين بن مطير : 55–56 مع بعض اختلاف .

[309] ـ أخبار الحسين بن مطير ونسبه[1]

[نسبه]

هو الحسين بن مُطَير بن مكمَّل ، مولى لبني أَسد بن خُزيمة ، ثم لبني سعد بن مالك بن ثعلبة بن دُودان بن أَسد . وكان جدّه مكمَّل عبداً ، فأَعتقه مولاه . وقيل بل كاتبه ، فسعى في مكاتبته حتى أدّاها وأعتق . وهو من مخضرمي الدولتين : الأموية والعبّاسية ، شاعر متقدّم في القصيد والرجز ، فصيح ، قد مدح بني أمية وبني العبّاس .

أُخبرني أَحمد بن عبيد الله بن عمّار ، عن محمد بن داود بن الجرّاح ، عن محمد بن الحسن بن الحَرون : أنّه كان من ساكني زُبالة[2] ، وكان زيّه وكلامه يشبه مذاهب الأعراب وأهل البادية . وذلك بَيِّن في شعره .

وممّا يدلّ على إدراكه دولة بني أُمية ، ومدحه إياهم ، ما أَخبرنا به يحيى بن علي بن يحيى إجازة ، قال : أخبرني أبي ، عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، عن مروان بن أبي حفصة ، قال : دخلت أنا وطُريح بن إسماعيل الثقفي ، والحسين بن مطير الأسدي ، في عدّة من الشعراء ، على الوليد بن يزيد وهو في فُرُش قد غاب فيها ، وإذا رجل كلّما أنشد شاعر شعراً ، وقف الوليدُ على بيت منه ، وقال : هذا أخذه من موضع كذا وكذا ، وهذا المعنى نقله من شعر فلان ، حتى أتى على أكثر الشعراء . فقلت : مَن هذا ؟ قالوا : هذا حمّاد الراوية . فلمّا وقفت بين يدَي الوليد لأُنشده ، قلت : ما كلام هذا في مجلس أمير المؤمنين وهو لحانة . فتهانف[3] الشيخ ، ثم قال : يا ابن أخي ، أنا رجل أُكلّم العامة ، وأتكلّم بكلامها ، فهل تروي من أشعار العرب شيئاً ؟ فذهب عنّي الشعر كلّه ، إلاّ شعر ابن مقبل ، فقلت : نعم ، لابن مقبل . فأنشدته : [من الطويل]

---

1 للحسين بن مطير ترجمة في طبقات ابن المعتزّ : 114–119 ومعجم الأدباء : 1157–1162 وخزانة البغدادي 5 : 475–482 وفوات الوفيات 1 : 388–389 وتهذيب ابن عساكر 4 : 362 والسمط : 409 وسير أعلام النبلاء 7 : 81 والوافي للصفدي 13 : 63 . وقد جمع شعره مرتين : مرة بعناية د . حسين عطوان ومرة بعناية د . محسن غياض (بغداد) وإلى هذا نشير .

2 زُبالة : كانت قرية عامرة على طريق مكة من الكوفة وكان فيها أسواق وحصن وجامع وقد بقي منها خرائب قصر زُبالة .

3 تهانف : تضاحك في فتور وسخرية .

سلِ الدّار مـن جنبي حِبِرٍّ فواهبِ إلى ما رأى هضبَ القليب المُضَيَّحِ[1]

ثم جزت . فقال : قف . ماذا يقول ؟ فلم أدرِ ما يقول . فقال : يا ابن أخي ، أنا أعلم الناس بكلام العرب ، يقال : تراءى الموضعان : إذا تقابلا .

[يفد على معن بن زائدة فينقد شعره]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار ، والحسن بن علي ، ويحيى بن علي ، قالوا : حدَّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزي قال : حدَّثنا أحمد بن عبد الله بن علي ، قال : حدَّثني أبي : أنّ الحسين بن مُطير وفد على مَعن بن زائدة لمّا ولي اليمن وقد مدحه ، فلمّا دخل عليه أنشده[2] : [من الطويل]

أتيتك إذ لَم يبـقَ غيرَك جابـر ولا واهب يعطِي اللُّها والرغائبا[3]

فقال له معن : يا أخا بني أسد ، ليس هذا بمدح ، إنّما المدح قول نهار بن تَوْسِعة أخي بني تيم الله بن ثعلبة ، في مِسمع بن مالك : [من الخفيف]

قلدتْـه عُـرى الأمورِ نـزار قبـل أن تهلِك السراة البحورُ[4]

قال : وأوّل هذا الشعر : [من الخفيف]

اظْعَني مـن هراة قد مـرَّ فيها حِججٌ مـذ سكنتِهـا وشهورُ
اظْعَنـي نحـو مِسمع تجديـهِ نعـم ذو المُنثنى ونعم المَزورُ
سوف يكفيك إن نبتْ بكَ أرض بخُـراسان أو جفـاك أميرُ
من بني الجِصن عامِلٌ بن بريح لا قليـلُ النّـدى ولا منزورُ
والـذي يفـزع الكماة إليـه حين تدمى من الطّعان النُّحورُ
فاصطنع يا ابـن مالك آل بكر واجبرِ العظـم إنّـه مكسورُ

فغدا إليه بأرجوزته التي مدحه بها ، وأوّلها[5] : [من الرجز]

حديث ريا حَبّذا إدلالُها
تسأل عن حالي وما سؤالها
عن امرىء قـد شفَّه خيالها

1 حبر وواهب : جبلان . وهضب القليب والمضيّح : ماءان .
2 شعره : 34 .
3 اللها : العطايا ، مفردها : لهوه .
4 السراة : جمع سري ، وهو الرجل السيد الشريف .
5 شعره : 66 .

وهي شفاء النفسِ لو تنالها

يقول فيها يمدحه :

سلَّ سيوفـاً محدثاً صِقالُها

صاب على أعدائـهِ وبالها[1]

وعند معن ذي النّدى أمثالها

فاستحسنها ، وأجزل صِلته .

[الأصمعي يردّ معنى دعبل إليه]

أخبرني ابن عمّار ويحيى بن علي ، حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه ، قال : حدَّثني أبو المثنى أحمد بن يعقوب بن أخت أبي بكرٍ الأصمّ قال : كنّا في مجلس الأصمعي ، فأنشده رجل لِدِعبِل بن علي :

أيـن الشبابُ وأيـةً سلكا

فاستحسنا قوله[2] : [من الكامل]

لا تعجبي يـا سَلْمُ من رجلٍ ضحِكَ المشيب برأسِهِ فبكى

فقال الأصمعي : هذا أخذه من قول الحسين بن مُطير[3] : [من الخفيف]

أيـن أهـل القِبـاب بالدّهنـاء أيـن جيراننـا عـلى الأحساء

فارقونـا والأرض مُلبَسة نـو ر الأقاحِـي يُجـاد بـالأنواء

كلَّ يـوم بأقحـوان جديـد تضحك الأرض من بكاء السماء[4]

[سهر المهدي من شعره]

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى ، قال : حدَّثني محمد بن القاسم الدينوري ، قال : حدَّثني محمد بن عمران الضبيّ ، قال : قال المهدي للمفضل الضبّي : أسهرتني البارحة أبيات الحسين بن مُطير الأسدي . قال : وما هي يا أمير المؤمنين ؟ قال : قوله[5] : [من الطويل]

وقـد تغدر الدّنيا فيضحِي فقيرها غنيـاً ويغْنى بعـد بؤسٍ فقيرُها[6]

---

1 صاب : انصب بغزارة .

2 ديوان دعبل (نجم) : 117 .

3 شعر الحسين بن مطير : 31 .

4 من بكاء السماء في ل : عن مهل السماء .

5 شعره : 51 . مع اختلاف في الترتيب .

6 في الديوان : «. . . فيضحي غنيها فقيراً» وهو أقرب إلى الصواب .

فــلا تقــرب الأمــر الحرام فإنّه حلاوتــه تفنــى ويبقى مَريرُها
وكم قــد رأينــا مَــن تغيّر عيشة وأُخرى صفا بعد اكدرارٍ غديرُها

فقال له المفضل : مثل هذا فليسهرك يا أمير المؤمنين .

وقد أخبرني بهذا الخبر عمّي رحمه الله أتمّ من هذا ، قال : نسخت من كتاب المفضل بن سلمة : قال أبو عِكرمة الضبّي : قال المفضل الضبّي : كنت يوماً جالساً على بابي وأنا محتاج إلى درهم ، وعلي عشرة آلاف درهم دين ، إذ جاءني رسول المهدي ، فقال : أجِب أمير المؤمنين . فقلت : ما بعث إليّ في هذا الوقت إلاّ لسعاية ساع . وتخوّفته ، لخروجي ، كان ، مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن . فدخلت منزلي ، فتطهّرت ولبست ثوبين نظيفين ، وصِرت إليه . فلمّا مثلت بين يديه سلّمت ، فردّ علي ، وأمرني بالجلوس . فلمّا سكن جأشي ، قال لي : يا مفضل ، أي بيت قالته العرب أفخَر ؟ فتشكّكت ساعة ، ثم قلت : بيت الخنساء . وكان مستلقياً فاستوى جالساً ، ثم قال : وأي بيت هو ؟ قلت قولها : [من البسيط]

وإنّ صَخراً لَتأتَــمُّ الهداةُ بِه كأنّــه عَلَمٌ في رأسِهِ نارُ

فأومأ إلى إسحاق بن بَزِيع ، ثم قال : قد قلت له ذلك فأباه . فقلت : الصواب ما قاله أمير المؤمنين . ثم قال : حدّثني يا مفضل . قلت : أي الحديث أعجب إلى أمير المؤمنين ؟ قال : حديث النساء . فحدّثته حتى انتصف النهار ، ثم قال لي : يا مفضل ، أسهرني البارحة بيتا ابن مُطير ، وأنشد البيتين المذكورين في الخبر الأوّل . ثم قال : ألهذين ثالث يا مفضل ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين . فقال : وما هو ؟ فأنشدته قوله : [من الطويل]

وكم قــد رأينــا مَــن تغيّر عِيشةٍ وأُخرى صفا بعد اكدرارٍ غديرُها

وكان المهدي رقيقاً فاستعبر ، ثم قال : يا مفضل ، كيف حالك ؟ قلت : كيف يكون حال مَن هو مأخوذ بعشرة آلاف درهم ؟ فأمر لي بثلاثين ألف درهم ، وقال : اقضِ دينك ، وأصلِح شأنك . فقبضتها وانصرفت .

[مديحه المهدي]

أخبرني يحيى بن علي ، عن علي بن يحيى إجازة ، وحدّثنا الحسن بن علي قال : حدّثنا محمد بن القاسم ، عن عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدّثني إسحاق بن عيسى بن موسى بن مجمع ، أحد بني سوار بن الحارث الأسدي ، قال : أخبرني جدّي موسى بن مجمع ، قال : قال الحسين بن مُطير في المهدي قصيدته التي يقول فيها[1] : [من الطويل]

1 شعره : 33 .

إليــك أميــر المؤمنـــين تعسَّفتْ ... بنا البيدَ هَوجـاءُ النَّجاء خَبوبُ[1]
ولو لَـم يكن قدّامها ما تقاذفتْ ... جبـال بهــا مغبـرَّة وسُهوبُ
فتى هــو مــن غير التخلّق ماجدٌ ... ومــن غيرِ تأديب الرّجـال أديبُ
عــلا خَلْقُه خَلـق الرّجالِ وخُلْقه ... إذا ضاق أخلاق الرّجالِ رحيبُ
إذا شاهـد القــوّاد سار أمامهم ... جـريء على مــا يتّقـون وَثوبُ
وإن غـاب عنهم شاهدتهم مهابةٌ ... بهــا يقهــر الأعداءَ حــين يَغيبُ
يعــفُّ ويستحيي إذا كان خاليــاً ... كما عــفَّ واستحيا بحيــثُ رَقيبُ

فلمّا أنشدها المهدي أمر له بسبعين ألف درهم وحصان جواد .

[مسكنه]

وكان الحسين من الثعلبية[2] ، وتلك داره بها . قال ابن أبي سعد : وأرانيها الشيخ .

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مهرويه ، قال : حدَّثني عبد الله بن أبي سعد ، عن إسحاق بن عيسى ، قال : دخل الحسين بن مُطَير على المهدي ، فأنشده قوله[3] : [من البسيط]

لو يعبـدُ النّاسُ يــا مهديُّ أفضلَهُم ... مــا كان في النّاس إلاّ أنت مَعْبُودُ
أضحت يمينُك مِن جودٍ مصوّرة ... لا بــل يمينُك منهــا صُوِّر الجودُ
لــو أنّ مـــن نوره مثقــال خردلةٍ ... في السودِ طُرّا إذن لابيضّتِ السُّودُ

فأمر له لكلّ بيت ألف درهم .

[رثاء معن بن زائدة]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار ، قال : حدَّثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ ، قـال : حدَّثني أبي ، قـال : خـرج المهـدي يوماً ، فلقيـه الحسين بن مُطَير ، فـأنشده قولـه : [من البسيط]

أضحت يمينُك مــن جودٍ مصوّرة ... لا بــل يمينُك منهــا صوّر الجودُ

فقال : كذبت يا فاسق ، وهل تركت من شعرك موضعاً لأحد ، بعد قولك في مَعْن بن زائدة

---

1 تعسفت : سارت على غير هدى . الهوجاء : الناقة المسرعة . والنجاء : الاسراع . والخبوب : التي تسير الخبب وهو ضرب من عدو الإبل .

2 الثعلبية : موضع بجوار زبالة .

3 شعره : 48 .

حيث تقول[1] : [من الطويل]

أَلِمّـا بمَعـنٍ ثـم قـولا لقبره　　سُقِيت الغوادي مَرْبَعـا ثـم مربعا

أُخرجوه عنّي ، فأُخرجوه .

وتمام الأبيات :

أيـا قبر معـن كنـت أوّل حفرةٍ　　من الأرض خُطَّت للمكارم مضجعا[2]

أيا قبر معنٍ كيف واريتَ جودَه　　وقد كان منـه البرّ والبحر مُترَعا

بلى قد وسعتَ الجود والجود ميِّت　　ولـو كان حيـاً ضِقت حتى تصدّعا

فتى عِيش في معروفه بعـد موتـه　　كما كان بعد السيلِ مجراه مُمرِعا

أَبى ذكر مَعنٍ أن تمـوت فِعاله　　وإن كان قـد لاقى حِماماً ومصرعا

[أشعر العبّاسيين]

أَخبرني أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى إجازة قال : حدَّثني ابن مهرويه قال : حدَّثني علي بن عبيد الكوفي قال : حدَّثني الحسين بن أبي الخَصيب الكاتب عن أَحمد بن يوسف الكاتب ، قـال : كنت أنـا وعبد الله بن طاهـر عند المأمون وهو مستلق على قفاه ، فقال لعبد الله بن طاهر : يا أبا العبّاس ، مَن أشعر مَن قال الشعر في خلافة بني هاشم ؟ قال : أمير المؤمنين أعلَم بهذا وأعلى عيناً . فقال له : على ذاك فقل ، وتكلّم أنتَ أيضاً يا أحمد بن يوسف . فقال عبد الله بن طاهر : أَشعرهم الذي يقول : [من الطويل]

أيـا قبر معـن كنـت أوّل خِطّة　　من الأرض خطّت للمكارم مضجعا

فقال أَحمد بن يوسف : بل أَشعرهم الذي يقول[3] : [من الكامل]

وقف الهوى بي حيث أنتِ فليس لي　　متأخَّـر عنـه ولا متقـدَّمُ

فقال : أَبيت يا أحمد إلاّ غزلاً ! أين أنتم عن الذي يقول[4] : [من المديد]

يا شقيق النفس من حكمٍ　　نمتَ عـن ليلي ولَم أَنَـمِ

---

1 شعره : 60–61 .

2 ويروى : «خطت للسماحة . . .» .

3 البيت لأبي الشيص وينسب إلى غيره .

4 البيت مطلع قصيدة لأبي نواس ، وسيرِد في ترجمة والبة بن الحباب منسوباً إليه 18 : 74 .

[أبو عبيدة يعجب بشعره]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدَّثنا أبو خليفة عن التَّوزي ، قال : قلت لأبي عبيدة : ما تقول في شعر الحسين بن مُطَير ؟ فقال : والله لوددت أنّ الشعراء قاربته في قوله[1] : [من الطويل]

مخصرة الأوساط زانت عقودها بأحسن مِمّا زينتها عقودُها

فصُفرٌ تراقيها ، وحمرٌ أكفّها وسودٌ نواصيها ، وبيضٌ خدودُها

[وصف السحاب والمطر]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش ، قال : أنشدنا محمد بن يزيد للحسين بن مُطَير ، قال : كان سبب قوله هذه الأبيات أنّ والياً ولي المدينة ، فدخل عليه الحسين بن مُطَير ، فقيل له : هذا من أشعر الناس . فأراد أن يختبره ، وقد كانت سحابة مكفهرّة نشأت ، وتتابع منها الرعد والبرق ، وجاءت بمطر جَوْد . فقال له : صِف هذه السحابة . فقال[2] : [من الكامل]

مستضحِكٌ بلوامعٍ مستعبِر بمدامعٍ لم تَمْرِها الأقذاءُ[3]

فله بلا حزن ولا بمسرّة ضحِك يراوِح بينه وبكاءُ

كثرت لكثرة ودقه أطباؤه فإذا تَحَلَّبَ فاضتِ الأطباءُ[4]

وكأن بارقه حريق تلتقي ريح عليه وعرفج وألاءُ[5]

لو كان من لجج السواحل ماؤه لم يبقَ في لجج السواحل ماءُ

صوت

[من الهزج]

إذا ما أُمّ عبد الله لم تَحلل بواديهِ

ولم تمسِ قريباً هيَّج الحزنَ دواعيهِ

غزال راعه القنَّا ص تحميه صياصيهِ

وما ذكري حبيباً و قليل ما أواتيهِ

1 شعره : 45 .

2 شعره : 27–28 .

3 لم تمرها الأقذاء : لم يسل دمعها القذى .

4 الأطباء : أثداء الحيوان . والودق : المطر .

5 العرفج والألاء : نوعان من الشجر .

كذي الخمرِ تمنّاها وقــد أُنزِف ساقيهِ[1]
عرفتُ الرّبع بالإكليـ ـل عفَّتــه سوافِيهِ[2]
بجــوٍّ ناعــم الحوذا ن ملتــفّ روابيـهِ[3]

الشعر مختلط ، بعضه للنُّعمان بن بشير الأنصاري ، وبعضه ليزيد بن معاوية ، فالذي للنُّعمان بن بشير منه الثلاثة الأبيات الأوَل والبيت الأخير ، وباقيها ليزيد بن معاوية[4] . ورواه مَن لا يوثق به وبروايته لنوفل بن أُسد بن عبد العُزَّى . فأمّا مَن ذكر أنّه للنُّعمان بن بشير فأبو عمرو الشيباني ؛ وجدت ذلك عنه في كتابه ، وخالد بن كلثوم ، نسخته من كتاب[5] أبي سعيد السكري في مجموع شعر النُّعمان . وتمام الأبيات للنُّعمان بن بشير بعد الأربعة الأبيات التي نسبتها إليه ، فإنّها متوالية ، قال :

فبحت اليوم بالأمر الْـ ـلَذي قد كنت تخفيهِ
فـإن أكتمـه يومـاً فإنّـي سوف أبديـهِ
ومـا زلـت أفدّيـهِ وأدنيـهِ وأرقيـهِ
وأسعـى في هـواه أ بـداً حتّـى أُلاقيـهِ
فبات الرّيم منّي حـ ـذراً زلّـت مراقيهِ

والغناء لمعبد : خفيف رمل بالوسطى عن عمرو . وذكره إسحاق في خفيف الرمل بالسبابة في مجرى البنصر ، ولم ينسبه إلى أحد . وفيه للغريض ثقيل أوّل بالوسطى ، عن الهِشامي وحنين .

1 أنزف : ذهب عقله .
2 الإكليل : موضع . والسوافي : الرياح التي تحمل التراب والرمل .
3 الحوذان : نبت أو بقلة لها نور أصفر .
4 لم يدخِل المحقق (صلاح الدين المنجد) شيئاً منها في مجموع الشعر المنسوب ليزيد .
5 ل : خط .

[310] ـ أخبار النُّعمان بن بشير ونسبه[1]

[نسبه]

هو النُّعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن خَلاّس بن زيد بن مالك الأَغرّ بن ثعلبة بن كعب بن الخَزْرَج بن الحارث بن الخزرج . وأُمّه عَمْرة بنت رَواحة ، أُخت عبد الله بن رواحة ، التي يقول فيها قيس بن الخطيم[2] : [من المتقارب]

أَجَـدَّ بعمـرة غُنيانُهـا فتهجـرَ أَمْ شأنُنـا شأنُها[3]

وعمرة من سَروات النسا ء تنفـح بالمسك أردانُها

وله صحبة بالنبي ﷺ ، ولأَبيه بشير بن سعد . وكان جاء إلى النبي ﷺ ومعه رجل آخر ، ليشهد معه غزوة له فيما قيل ، فاستصغرهما فردّهما .

وأَبوه بشير بن سعد أوّل مَن قام يوم السقيفة من الأنصار إلى أَبي بكر رضي الله عنه فبايعه ، ثم توالت الأنصار فبايعته . وشهد بشير بيعة العقبة وبدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلّها ، واستشهد يوم عين التمر[4] مع خالد بن الوليد .

[عثماني الهوى]

وكان النُّعمان عثمانياً ، وشهد مع معاوية صِفّين ، ولم يكن معه من الأنصار غيره ؛ وكان كريماً عليه ، رفِيعاً عنده وعند يزيد ابنه بعده . وعمِّر إلى خلافة مروان بن الحكم ، وكان يتولى حِمص . فلمّا بويع لمروان ، دعا إلى ابن الزبير ، وخالف على مروان ، وذلك بعد قتل الضحاك بن قيس بمرج راهط . فلم يجبه أَهل حِمص إلى ذلك . فهرب منهم ، وتبعوه فأَدركوه فقتلوه ، وذلك في سنة خمس وستّين .

ويقال إنّ النُّعمان بن بشير أوّل مولود ولد بالمدينة بعد قدوم رسول الله ﷺ إياها . وقد

---

1 ترجمة النُّعمان بن بشير في تهذيب التهذيب 10 : 447 والاستيعاب 4 : 1496 وأُسد الغابة 5 : 22 والإصابة وأنساب الأشراف 1 : 244 ومصورة تاريخ ابن عساكر 17 : 85 والوافي للصفدي والمحبر : 276 ، 294 وطبقات ابن سعد 5 : 531 ، وانظر أعلام الزركلي . وقد جمع شعره د . يحيى الجبوري (بغداد) ووضع له مقدمة ضافية .

2 ديوان قيس بن الخطيم : 271 .

3 غنيانها : استغناؤها بزوجها .

4 عين التمر : مدينة في وسط العراق .

قيل ذلك في عبد الله بن الزُّبير ، إلاّ أنّ النُّعمان أوّل مولود وُلِد بعد مقدمه عليه السلام من الأنصار ، روى ذلك عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم .

[العدل بين الأولاد]

وروى النُّعمان بن بشير عن النبي ﷺ كثيراً .

حدَّثني أحمد بن محمد بن الجعد الوشاء . قال : حدَّثني أبو بكر بن أبي شَيْبة ، قال : حدَّثنا عباد بن العوّام ، عن الحصين ، عن الشعبي ، قال : سمعت النُّعمان بن بشير يقول : أعطاني أبي عطية ، فقالت أُمّي عمرة : لا أرضى حتى تُشهد رسول الله ﷺ . فأتى رسولَ الله فقال : ابني من عمرة أعطيته عطية فأمرتْني أن أشهدك . فقال : أعطيتَ كلّ ولدك مثل هذا ؟ قال : لا . فقال : فاتّقوا الله واعدلوا بين أولادكم .

[يرفض زيادة عطاء الكوفيين]

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حدَّثنا محمد بن سعيد ، قال : حدَّثنا العمري ، عن الهيثم بن عدي ، عن مجالد ، عن الشعبي ، قال : أمر معاوية لأهل الكوفة بزيادة عشرة دنانير في أعطيتهم ، وعامله يومئذٍ على الكوفة وأرضها النُّعمان بن بشير ، وكان عثمانياً ؛ وكان يبغض أهل الكوفة لرأيهم في علي عليه السلام . فأبى النُّعمان أن ينفذها لهم . فكلّموه وسألوه بالله ، فأبى أن يفعل . وكان إذا خطب على المِنبر أكثَرَ من قراءة القرآن . وكان يقول : لا ترون على مِنبركم هذا أحداً بعدي يقول : إنّه سمع رسول الله ﷺ . فصعد المِنبر يوماً فقال : يا أهل الكوفة . فصاحوا : ننشدك الله والزيادة . فقال : اسكتوا . فلمّا أكثروا قال : أتدرون ما مثلي ومثلكم ؟ قالوا : لا . قال : مثل الضبع والضبّ والثعلب : فإنّ الضبع والثعلب أتيا الضبّ في وِجاره ، فناداه : أبا الحِسْل . فقال : سميعاً دعوتما . قالا : أتيناك لتحكم بيننا . قال : في بيته يؤتى الحكم . قالت الضبع : إنّي حللت عَيْبَتي . قال : فِعلَ الحرّة فعلت . قالت : فلقطت ثمرة . قال : طيباً لقطتِ . قالت : فأكلها الثعلب . قال : لنفسه نظر . قالت : فلطمته . قال : بجُرْمه . قالت : فلطمني . قال : حر انتصر . قالت : فاقض بيننا . قال : قد فعلت . قال : حدّث امرأة حديثين ، فإن أبَت فعشرة[1] .

فقال عبد الله بن هَمّام السَّلولي : [من الطويل]

---

1 المثل بألفاظ مختلفة في معظم كتب الأمثال (انظر جمع الميداني 1 : 192 ومستقصى الزمخشري 2 : 60 وجمهرة العسكري 1 : 342 والدرة الفاخرة 2 : 457 وفصل المقال : 50) .

زيادَتَنا نعمانُ لا تحبِسنها ... خَفِ اللّهَ فينا والكتابَ الذي تتلو[1]
فإنّك قد حُمّلت منّا أمانة ... بما عجزت عنه الصّلاخمة البُزْلُ[2]
فلا يك باب الشرّ تحسن فتحه ... وباب النّدى والخيرات له قفلُ[3]
وقد نلتَ سلطاناً عظيماً فلا يكن ... لغيرك جَمّات النّدى ولك البخلُ
وأنت امرؤ حلو اللسان بليغه ... فما باله عند الزيادة لا يحلُو
وقبلك قد كانوا علينا أئمّة ... يهمُّهمُ تقويمنا وهمُ عُصْلُ[4]
إذا نصبوا للقول قالوا فأحسنوا ... ولكنّ حسن القول خالفه الفعلُ
يذمُّون دنياهم وهم يرضِعونها ... أفاويقَ حتّى ما يدرّ لهم ثَعلُ[5]
فيا معشر الأنصار إنّي أخوكُم ... وإنّي لمعروفٍ أنى منكم أهلُ[6]
ومن أجل إيواء النبي ونصره ... يحُبُّكمُ قلبي وغيركُم الأصلُ

فقال النُّعمان بن بشير : لا عليه ألاّ يتقرّب ، فوالله لا أُجيزها ولا أُنقِذها أبداً .

[سماعه الغناء]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثنا الأصمعي ، قال : حدَّثني شيخ قديم من أهل المدينة . وأخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثنا أبو غسان ، عن أبي السائب المخزومي ، وأخبرني الحسين بن يحيى المرداسي عن حماد بن إسحاق عن أبيه ، قال : ذكر لي عن جعفر بن محرز الدوسي قال : دخل النُّعمان بن بشير المدينة في أيام يزيد بن معاوية وابن الزُّبير ، فقال : والله لقد أخفقتْ أُذناي من الغِناء ، فأسمِعوني . فقيل له : لو وجّهت إلى عزّة الميلاء ، فإنّها مَن قد عرفتَ . فقال : إي وربِّ الكعبة ، إنّها لممّن تزيد النفس طيباً ، والعقل شحذاً . ابعثوا إليها عن رسالتي ، فإن أبَتْ صِرت إليها . فقال له بعض القوم : إنّ النقلة تشتدّ عليها لثقل بدنها ،

1 لا تحبِسنها في ل : لا تحرمننا .
2 الصلاخمة : الجمال الصلبة الشديدة . والبزل : جمع بازل ، وهو الجمل الذي انشقّ نابه وذلك في عامه التاسع .
3 فلا يك في ل : فانك . وباب الندى والخيرات في ل : ولا يك باب الخير ليس . . .
4 العصل ، جمع أعصل ، وهو المعوج مع صلابة وشدّة ، ويقال عادة في أنياب السباع .
5 الأفاويق : اللبن الذي يتجمّع في الضرع بين الحلبتين ، مفرده رفيقة . والثعل : خلف زائد في أخلاف الناقة وضرع الشاة لا لبن فيه .
6 أنى : حان .

وما بالمدينة دابة تحملها . فقال النُّعمان بن بشير : وأين النجائب عليها الهوادج ؟ فوجّه إليها بنجيب ، فذكرت علّة . فلمّا عاد الرسول إلى النُّعمان قال لجليسه : أنت كنت أخبر بها ، قوموا بنا . فقام هو مع خواص أصحابه حتى طرقوها . فأذِنت وأكرمت واعتذرت ، فقبل النُّعمان عذرها ، وقال لها : غنّي ، فغنّت : [من المتقارب]

صوت

أجـدَّ بعَمـــرة غُنيانهـا فتهجـــرَ أمّ شأنُنا شأنُها
وعمرة من سَروات النسا ء تنفَـح بالمسك أردانُهـــا

قال : فأُشير إليها أنّها أمّه ، فأمسكت . فقال : غنّي ، فوالله ما ذكرتِ إلاّ كرماً وطيباً ، ولا تغنّي سائر اليوم غيره . فلم تزل تغنّيه هذا اللحن فقط حتى انصرف .

[فتوى في النّكاح]

قال إسحاق : فتذاكروا هذا الحديث عند الهيثم بن عدي ، فقال : ألا أزيدكم فيه طريفة ؟ فقلنا : بلى ، يا أبا عبد الرحمن . فقال : قال لقيط ونحن عند سعيد الزُّبيري ، قال عامر الشعبي : اشتاق النُّعمان بن بشير إلى الغناء ، فصار إلى منزل عزّة المَيْلاء ، فلمّا انصرف إذا امرأة بالباب منتظرة له . فلمّا خرج شكت إليه كثرة غِشيان زوجها إياها ، فقال النُّعمان : لأقضينّ بينكما بقضية لا تُردّ علي ، قد أحلّ الله له من النساء أربعاً : مثنى ، وثلاث ، ورباع ، له مرّتان بالنهار ، ومرّتان بالليل .

[مديح أعشى همدان له]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، قال حدَّثني عمّي ، عن العبّاس بن هشام ، عن أبيه ؛ وأخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أبيه ، عن الكلبي . وأخبرني عمّي قال : حدَّثنا الكراني قال : حدَّثني العُمَرِي عن الهيثم بن عدِي ، قالوا : خرج أعشى همْدان إلى الشام في ولاية مروان بن الحكم ، فلم يَنَل فيها حظّاً ؛ فجاء إلى النُّعمان بن بشير وهو عامل على حِمص ، فشكا إليه حاله . فكلّم له النُّعمان اليمانية ، وقال لهم : هذا شاعر اليمن ولسانها ، واستماحهم له . فقالوا : نعم ، يعطيه كلّ واحد منّا دينارين من عطائه . فقال : أعطوه ديناراً ، واجعلوا ذلك معجلاً . فقالوا له : أعطه إياه من بيت المال ، واحتسب ذلك على كلّ رجل من عطائه . ففعل النُّعمان ذلك ، وكانوا عشرين ألفاً ، فأعطاه عشرين ألف دينار ، وارتجعها منهم عند العطاء . فقال الأعشى يمدح النُّعمان : [من الطويل]

ولَم أرَ للحاجات عنـد التماسها ... كنعمانَ نعمـانِ النَّـدى ابن بشيرِ
إذا قال أوفى ما يقول ولَمْ يكن ... كمُدْلٍ إلى الأقـوامِ حبـلَ غرورِ
متى أكفرِ النُّعمان لا ألْفَ شاكراً ... ومـا خير مَـن لا يقتدي بشَكورِ
فلـولا أخو الأنصار كنت كنازل ... ثَوى مـا ثـوى لم ينقلب بنَقيرِ

[هجاء الأخطل للأنصار]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، وحبيب بن نصر المهلَّبي قالا: حدَّثنا عمر بن شبّة، قال: حدَّثنا يحيى الزُّبيري قال حدَّثني ابن أبي زريق، قال: شبّب عبد الرحمن بن حسّان برَمْلة بنت معاوية، فقال[1]: [من الخفيف]

رمـلَ هـل تذكريـن يـوم غـزال ... إذ قطعنـا مسيرنـا بـالتمنّي
إذ تقولـين عَمْـرَكَ اللهَ هـ ... ـل شيء وإنْ جلّ سوف يُسْليكَ عنّي
أم هَلُ اطمِعتُ منكـم يا ابـن حسّا ... ن كما قـد أراك أطمعـتَ منّـي

فبلغ ذلك يزيد بن معاوية، فغضب ودخل على معاوية، فقال: يا أمير المؤمنين، ألا تـرى إلى هـذا العِلج من أهل يثرب، يتهكّم بأعراضنا، ويشبّب بنسائنا؟ فقال: ومَن هو؟ قال: عبد الرحمن بن حسّان. وأنشده ما قال: فقال: يا يزيد؛ ليس العقوبة من أحد أقبح منها بذوي القدرة، ولكن أمهـل حتى يقدَم وفد الأنصار، ثـم أذكرني بـه. فلمّا قدموا أذكره به. فلمّا دخلوا، قال: يا عبد الرحمن، ألَم يبلغني أنّك شببت برملة بنت أمير المؤمنين؟ قال: بلى، ولو علمت أنّ أحداً أشرف لشعري منها لذكرته. فقال: فأين أنت عن أختها هند؟ قال: وإن لها لأختاً يقال لها هند؟ قال: نعم. وإنّما أراد معاوية أن يشبّب بهما جميعاً، فيُكذب نفسه. قال: فلم يرض ذلك يزيد ما كان من معاوية في ذلك، فأرسل إلى كعب بن الجُعَيل، فقال: اهجُ الأنصار. فقال: أفْرَق من أمير المؤمنين، ولكن أدلّك على هذا الشاعر الكافر الماهر الأخطل. قال: فدعاه، فقال له: اهج الأنصار. فقال: أفرَق من أمير المؤمنين. قال: لا تخف شيئاً، أنا بذلك لك. فهجاهم، فقال: [من الكامل]

وإذا نسبتَ ابن الفُرَيعة خِلتـه ... كالجحش بـين حمارة وحمارِ
لعـن الإلـه من اليهود عصابة ... بالجِزْعِ بين صُليصل وصُدارِ
قـوم إذا هدر العصيرُ رأيتهـم ... حمـراً عيونهـمُ مـن المُسْطارِ[2]

1 تقدم هذا الخبر في التهاجي بين عبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن بن الحكم 15 : 74.
2 المسطار: الخمر الحديثة العصر أو الخمر الحامضة.

خَلُّـوا المكارم لستمُ من أهلها — وخذوا مساحيكم بني النَّجارِ
إنّ الفوارس يعرفــون ظهوركم — أولادَ كلّ مقبَّـــح أكـــارِ[1]
ذهبت قريش بالمكارم والعلا — واللؤم تحــت عمائـــم الأنصارِ

فبلغ ذلك النُّعمان بن بشير ، فدخل على معاوية ، فحسر عمامته عن رأسه ، وقال : يا أمير المؤمنين ، أترى لؤماً ؟ قال : بل أرى كرماً وخيراً . فما ذاك ؟ قال : زعم الأخطل أنّ اللؤم تحت عمائم الأنصار . قال : أوَ فعل ذلك ؟ قال : نعم . قال لك لسانه . وكتب فيه أن يؤتى به . فلمّا أُتِي به ، سأل الرسول أن يدخله إلى يزيد أوّلاً ، فأدخله عليه . فقال له : هذا الذي كنت أخاف . قال : لا تخف شيئاً . ودخل إلى معاوية ، فقال : علام أُرسل إلى هذا الرجل الذي يمدحنا ، ويرمي من وراء جَمْرتنا ؟ قال : هجا الأنصار . قال : ومَن زعم ذلك ؟ قال : النُّعمان بن بشير . قال : لا تقبل قوله عليه ، وهو المدّعي لنفسه ، ولكن تدعوه بالبينة ، فإن أثبت شيئاً أخذت به له . فدعاه بالبيِّنة ، فلم يأت بها ، فخلّى سبيله ، فقال الأخطل : [من الطويل]

وإنّي غــداة استعبرتْ أمّ مالـك — لَـراضٍ مـــن السلطان أن يتهدّدا
ولولا يزيـــد ابن الملوك وسعيُه — تجلّلتُ حِدْباراً مــن الشرّ أنكدا[2]
فكم أنقذتْني من خطــوب حبالُه — وخَرْساء لو يُرْمى بها الفيل بَلّدا[3]
ودافــع عنّي يـــوم جِلِّقَ غمرة — وهمّــا ينسّيــني الشراب المبرَّدا[4]
وبـــات نَجِيّـــاً في دمشقَ لحيّةٍ — إذا همَّ لم يَنَـمِ السليمُ وأقصدا[5]
يُخافته طــوراً ، وطوراً إذا رأى — من الوجـــه إقبـالاً ألحّ وأجهدا
أبـا خالـد دافعت عنّـي عظيمة — وأدركت لحمـــي قبل أن يتبدّدا
وأطفأت عنّي نـــار نعمان بعدما — أغـــذّ لأمـــر فاجـــر وتجـرّدا[6]
ولمّا رأى النُّعمان دوني ابن حرّة — طوى الكشح إذ لم يستطعني وعرّدا

1 الأكار : الحراث .
2 تجلل : علا . والحدبار : الناقة التي يبس لحمها من الهزال .
3 الخرساء : الداهية . بلّد : ضعف واستكان .
4 الشراب في ل : السلاف .
5 الحية هنا : الرجل الداهية . والسليم : الملدوغ . وأقصدت الحية : إذا عضّت فمات الملدوغ في مكانه .
6 أغذّ في ل : أعدّ .

حدَّثني عمِّي ، قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز ، عن المدائني ، عن أبي بكر الهذلي ، قال : لمّا أمر يزيد بن معاوية كعب بن الجُعيل بهجاء الأنصار ، قال له : أرادِّي أنت إلى الكفر بعد الإسلام ؟ أأهجو قوماً آوَوا رسول الله ﷺ ونصروه ؟! قال : أما إذ كنت غير فاعل فأرشدني إلى مَن يفعل ذلك . قال : غلام منّا خبيث الدِّين نصراني ، فدلّه على الأخطل .

[عودة إلى تهاجي عبد الرحمن]

أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدَّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن أبي الخطّاب ، قال[1] : لمّا كثر الهجاء بين عبد الرحمن بن حسان بن ثابت وعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاصي ، وتفاحشا ، كتب معاوية إلى سعيد بن العاصي وهو عامله على المدينة ، أن يجلد كل واحد منهما مئة سوط ، وكان ابن حسان صديقاً لسعيد ، وما مدح أحداً غيره قطّ . فكره أن يضربه أو يضرب ابن عمّه ، فأمسك عنهما . ثم ولي مروان ، فلمّا قدِم أخذ ابن حسّان فضربه مئة سوط ، ولم يضرب أخاه . فكتب ابن حسّان إلى النُّعمان بن بشير وهو بالشام ، وكان كبيراً أثيراً مكيناً عند معاوية : [من الخفيف]

ليت شعري أغائبٌ ليس بالشا ... م خليـلي أم راقـد نعمانُ[2]

أيـَّـةً ما يكن فقد يرجع الغا ... ئـب يومـاً ويوقـظ الوسنانُ

إن عمـراً وعامـراً أبوينـا ... وحراماً قِدْماً على العهد كانوا

أفهـم مانِعـوك أم قلّـة الكـ ... ـتّاب أم أنت عاتب غضبانُ

أم جفاء أم أعوزتـك القراطيـ ... ـس أمَ امـري بـه عليك هوانُ

يـوم أنبئتَ أن ساقـيَ رُضَّت ... وأتتكـم بذلـك الـركبانُ

ثم قالـوا إنّ ابن عمِّك في بلـ ... ـوى أمورٍ أتـى بها الحِدْثانُ

فنسيت الأرحام والودّ والصحـ ... ـبة فيمـا أتـت بـه الأزمانُ[3]

إنّمـا الرّمح فاعلمـنّ قنـاة ... أو كبعض العيدان لولا السِّنانُ

وهي قصيدة طويلة . فدخل النُّعمان بن بشير على معاوية ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّك أمرت سعيداً بأن يضرب ابن حسّان وابن الحكَم مئة مئة ، فلم يفعل ؛ ثم ولّيت أخاه ، فضرب ابن حسّان ولم يضرب أخاه : قال . فتريد ماذا ؟ قال : أن تكتب إليه بمثل ما كتبت به

---

1 تقدم هذا الخبر والشعر في 15 : 80 .

2 راقد في ل : عاتب .

3 فنسيت في ل : فتنط .

إلى سعيد . فكتب معاوية إليه يعزم عليه أن يضرب أُخاه مئة . فضربه خمسين ، وبعث إلى ابن حسّان بحُلّة ، وسأله أن يعفو عن خمسين . ففعل ، وقال لأهل المدينة : إنّما ضربني حدّ الحر مئة ، وضربه حد العبد خمسين . فشاعت هذه الكلمة حتى بلغت ابن الحَكَم . فجاء إلى أُخيه فأخبره ، وقال : لا حاجة لي فيما عفا عنه ابن حسّان . فبعث إليه مروان : لا حاجة لنا فيما تركت ، فهلمّ فاقتصّ من صاحبك . فحضر فضربه مروان خمسين أُخرى .

[نبوءة ميسون الكلبية]

أُخبرني الحسن بن علي ، قال : أُخبرنا أُحمد بن الحارث ، قال : حدَّثنا المدائني ، عن يعقوب بن داود الثقفي ومعاوية بن محارب : أَنّ معاوية تزوّج امرأة من كَلْب ، فقال لامرأته ميسون أُمّ يزيد بن معاوية : ادخلي فانظري إلى ابنة عمّك هذه . فأتتها فنظرت إليها ، ثم رجعت فقالت : ما رأيت مثلها ، ولقد رأيت خالاً تحت سرّتها ليوضَعنّ تحت مكانه في حجرها رأس زوجها . فتطير من ذلك ، فطلّقها ، فتزوّجها حبيب بن مسلمة ، ثم طلّقها ، فتزوّجها النُّعمان بن بشير ، فلمّا قتل وضعوا رأسه في حجرها .

قالوا : وكان النُّعمان بن بشير لمّا قُتل الضحّاك بن قيس بمرْج راهط ، في خلافة مروان بن الحكم ، أراد أن يهرب من حمص ، وكان عاملاً عليها ، فخالف ودعا لابن الزُّبير ، فطلبه أهل حمص فقتلوه واحتزّوا رأسه . فقالت امرأته هذه الكلبيّة : أَلقوا رأسه في حجري ، فأنا أحقّ به . فألقوه في حجرها ، فضمّته إلى جسده ، وكفّنته ودفنته .

[غضبه من معاوية]

أُخبرني هاشم بن محمد أَبو دُلَفَ الخزاعي ، قال : حدَّثنا أَبو غسّان دماذ ، قال : حدّثنا أَبو عبيدة ، قال : نظر معاوية إلى رجل في مجلسه ، فراقه حسناً وشارة وجسماً ، فاستنطقه فوجده سديداً . فقال له : مِمّن أنت ؟ قال : مِمّن أنعم الله عليه بالإسلام ، فاجعلني حيث شئت يا أمير المؤمنين . قال : عليك بهذه الأزد الطويلة العريضة ، الكثير عددها ، التي لا تمنع مَن دخل فيهم ، ولا تبالي مَن خرج منهم . فغضب النُّعمان بن بشير ، ووثب من بين يديه ، وقال : أما والله إنّك ما علمتُ لسيِّء المجالسة لجليسك ، عاقّ بزَوْرك[1] ، قليل الرّعاية لأهل الحرمة بك . فأقسم عليه إلاّ جلس فجلس . فضاحكه معاوية طويلاً ، ثم قال له : إنّ قوماً أَوّلهم غسان وآخرهم الأنصار ، لكرام . وسأله عن حوائجه ، فقضاها حتى رضي .

نسخت من كتاب أبي سعيد السكري بخطّه ، أخبرنا ابن حبيب ، قال : قال خالد بن

1 الزور : الزائرون .

كلثوم : خرج النُّعمان بن بشير في ركب من قومه وهو يومئذٍ حديث السنّ ، حتى نزلوا بأرض من الأردنّ يقال لها حَفير ، وحاضرتها بنو القَين . فأهدت لهم امرأة من بني القين يقال لها ليلى ، هدية . فبينا القوم يتحدّثون ويذكرون الشعراء ، إذ قال بعضهم : يا نعمان هل قلت شعراً ؟ قال : لا والله ما قلت ، فقال شيخ من الحارث بن الخزرج يقال له ثابت بن سِماك : لم تقل شعراً قطّ ؟ قال : لا . قال : فأقسم عليك لتُرْبَطنّ إلى هذه السرحة ، فلا تفارقها حتى يرتحل القوم ، أو تقول شعراً . فقال عند ذلك ، وهو أوّل شعر قاله[1] : [من الخفيف]

يا خليلي ودِّعا دار ليلى ليس مثلي يحلّ دار الهوانِ
إنّ قَيْنيةً تحلّ مُحِبّاً وحفيراً فجنبتي تَرْفُلانِ[2]
لا تؤاتيك في المغيب إذا ما حال من دونها فروع قَنانِ[3]
إن ليلى ولو كلِفت بليلى عاقها عنك عائق غيرُ وانِ[4]

قال : وضرب الدهر على ذلك ، وأتى عليه زمن طويل . ثم إن ليلى القَينية قدمت عليه بعد ذلك ، وهو أمير على حمص . فلمّا رآها عرفها ، فأنشأ يقول[5] : [من الطويل]

ألا استأذنَت ليلى فقلنا لها لِجي ومالكِ ألّا تدخلي بسلامِ
فإنّ أناساً زرتِهم ثم حَرَّموا عليك دخول البيت غير كرامِ

وأحسن صلتها ، ورفدها[6] طول مقامها ، إلى أن رحلت عنه .

[أهل المدينة لا يريدون لقباً غير الأنصار]

أخبرني عمّي ، قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدَّثني محمد بن الحسن بن مسعود ، عن أبيه ، عن مشيخة من الأنصار ، قال : حضرت وفود الأنصار باب معاوية بن أبي سفيان ، فخرج إليهم حاجبه سعد أبو دُرة ، وقد حَجَب بعده عبد الملك بن مروان ، فقالوا له : استأذن للأنصار . فدخل إليه وعنده عمرو بن العاص ، فاستأذن لهم . فقال له عمرو : ما هذا اللقب يا أمير المؤمنين ؟ اردُد القوم إلى أنسابهم . فقال معاوية : إنّي أخاف من

1 شعر النُّعمان بن بشير : 128–129 .
2 قينية : نسبة إلى بني القين . محب وحفير وترفلان : أسماء مواضيع . وفي الديوان «فجنتي» كما في معجم البلدان بدلاً من «جنبتي» .
3 قنان : جبل بنجد .
4 وان : ضعيف فاتر .
5 مجموع شعره : 116 .
6 ل : زردها .

ذلك الشُّنعة . فقال : هي كلمة تقولها ، إن مضت عضّتهم ونقصتهم ، وإلاّ فهذا الاسم راجع إليهم . فقال له : اخرج فقل : مَن كان ههنا من ولد عمرو بن عامر فليدخل . فقالها الحاجب ، فدخل ولد عمرو بن عامر كلّهم إلاّ الأنصار . فنظر معاوية إلى عمرو نظراً منكراً ، فقال له : باعدتَ جدّاً . فقال : اخرج فقل : مَن كان ههنا من الأوس والخزرج فليدخل . فخرج فقالها ، فلم يدخل أحد . فقال له معاوية : أُخرج فقل : مَن كان ههنا من الأنصار فليدخل . فخرج فقالها ، فدخلوا يقدُمهم النُّعمان بن بشير وهو يقول[1] : [من الكامل]

يا سعد لا تُعِـد الدّعاء فما لنا ... نسب نجيب به سوى الأنصارِ[2]
نسب تخيّره الإلـه لقومنـا ... أَثْقِـل بـه نسباً على الكفّارِ
إنّ الذيـن ثَـوَوْا ببـدر منكمُ ... يـوم القَليب هـمُ وقود النّارِ

فقال معاوية لعمرو : قد كنّا أغنياء عن هذا .

والنعمان بن بشير : هو من المعروفين في الشعر سلفاً وخلفاً ، جدّه شاعر ، وأبوه شاعر ، وعمّه شاعر ، وهو شاعر ، وأولاده وأولاد أولاده شعراء[3] .

فأمّا جدّه سعد بن الحصين[4] فهو القائل : [من البسيط]

إن كنـتِ سائلـة والحـقّ مَعْتبة ... فـالأزد نسبتُنا والمـاء غسّانُ[5]
شمّ الأُنوف لهم عـزٌ ومكرمـة ... كانت لهم من جبال الطَّوْد أركانُ[6]

وعمّه الحسين بن سعد أخو بشير بن سعد ، القائل : [من الطويل]

إذا لم أزر إلاّ لآكلَ أكلـة ... فـلا رفعَت كفّـي إلي طعامي
فمـا أكلة إن نلتهـا بغنيمة ... ولا جَوْعـة إن جعتهـا بغرامِ

وأبوه بشير بن سعد الذي يقول : [من الطويل]

---

1 مجموع شعره : 147–148 .

2 تُعِد في ل : تجب . وفي مجموع شعره : لا تعد النداء .

3 الشعر المنسوب إلى جدّ النُّعمان بن بشير وأبيه ينسب أيضاً إلى حسان بن ثابت . وهو مثبت في ديوانه مع بعض اختلاف في الرواية .

4 ليس في نسب النُّعمان بن بشير من اسمه سعيد بن الحصين (انظر نسبه في أوّله هذه الترجمة وجمهرة ابن حزم 364 الاستيعاب : 1496) .

5 غسان : ماء بسد مأرب كان شرباً لبني مازن بن الأزد أجداد الأنصار .

6 جبال الطود : جبال السراة .

لعمـرةَ بالبطحاء بـين معـرَّفٍ ... وبين المطاف مسكـن ومحاضرُ[1]

لعمري لَحَـيٌّ بين دار مزاحم ... وبين الجثى لا يجشم السير حاضِرُ[2]

وحـي حِـلال لا يـروَّع سَرْبُهم ... لهم من وراء القاصيـات زوافرُ[3]

أحقُّ بهـا من فتيـة وركائب ... يقطع عنهـا الليلَ عوجٌ ضوامرُ[4]

تقول وتذري الدمع عن حُرّ وجهها ... لعلّـك نفسي قبل نفسِك باكرُ

أبـاح لها بِطريق فـارس غائطاً ... لها من ذرا الجَوْلان بقل وزاهرُ

فقرَّبتهـا للرحـلِ وهـي كأنّها ... ظلِيـم نعـامٍ بـالسماوة نافرُ

فأوردتها مـاء فما شربت بـه ... سوى أنّـه قـد بُـلّ منها المشافرُ

فباتت سُراهـا ليلة ثمّ عرّست ... بيثربَ والأعـراب بـادٍ وحاضرُ

[طلب قطع لسان الأخطل]

قال خالد بن كلثوم : ودخل النُّعمان بن بشير على معاوية لمّا هجا الأخطل الأنصار ، فلمّا مَثَل بين يديه أنشأ يقول[5] : [من الطويل]

معـاويَ إلاّ تعطنا الحقّ تعترفْ ... لِحى الأزد مشدوداً عليها العمائمُ

أيشتمنا عبـد الأراقـم ضَلّـة ... وماذا الذي تجدي عليك الأراقمُ[6]

فما لِـيَ ثـأر غيرَ قطع لسانه ... فدونك مَن يرضيه عنك الدراهمُ

وَأَرْعِ رويـداً لا تَسُمنا دَنِيّـة ... لعلّك في غِـبّ الحوادث نادمُ[7]

متى تلـقَ منّـا عصبـة خزرجية ... أو الأوس يوماً تخترمك المخارمُ[8]

---

1 المطاف في ل : البطاح . معرف : موضع الوقوف بعرفة . والأمكنة في هذه الرواية في مكّة ، وفي ديوان حسان : ين نطاة . . . ونطاة وجثى في البيت التالي أقرب إلى المدينة حيث إقامة جميع من نسبت إليهم الأبيات .

2 الجثى في ل : الحمى .

3 الحي الحلال : القوم المقيمون بأرضهم . والسرب : المال الراعي من الإبل والماشية . والقاصيات : جمع قاصية ، موضع . والزوافر : جمع زافرة ، وهي الرهط والعشيرة .

4 العوج : التي في يديها عوج .

5 مجموع شعره : 150–158 عن الأغاني . وكان جامع الشعر قد أثبت من المخطوطة خمسة أبيات فقط ثم أضاف رواية الأغاني على حدة .

6 الأراقم : أحياء من تغلب قبيلة الأخطل .

7 أرع رويداً : كن برعيتك شفيقاً .

8 تخترمك : تهلكك . والمخارم : الطرق في الجبال .

وتلقك خيـــل كالقطـا مسبطِرّةٌ شماطيطُ أُرسال عليها الشكائمُ[1]
يسوّمها العَمْرانِ عمرو بن عامر وعِمــران حتّــى تستباح المحارمُ
ويبدو مــن الخَودِ الغريرة حِجلها وتبيض مــن هول السيوف المَقادمُ
فتطلب شَعْب الصّدع بعد التئامه فتعيـا بـــه فالآنَ والأمـر سالمُ
وإلاّ فثوبـــي لأمـــة تُبَّعِيــة مواريـــث آبائــي وأبيض صارمُ
وأجـــرد خـــوّار العِنــان كأنّه بدُومــةَ موشيٌّ الذراعــينِ صائمُ
وأسمــــر خَطّــي كأنّ كعوبـــه نوى القَسْبِ فيها لَهْذميّ ضُبارِمُ[2]
فـــإن كنــت لم تشهد ببدر وقيعة أذلّـــت قريشاً والأنوفُ رواغمُ
فسائل بنـــا حيي لؤي بن غالب وأنت بِما تخفي مــن الأمرِ عالِمُ
ألَمْ تبتدِركم يــوم بدر سيوفنا وليلك عمّــا نـــاب قومك نائمُ
ضربناكُمُ حتّــى تفــرّق جمعكم وطارت أكفّ منكــمُ وجماجمُ
وعاذت على البيتِ الحرام عوابِس وأنــت على خــوفٍ عليك تمائمُ
وعضّت قريش بالأنامــل بِغضة ومن قبلُ ما عُضّت علينا الأباهِمُ
فكنّا لهـــا في كلّ أمرٍ تكيـــده مكان الشّجا والأمـر فيــه تفاقمُ
فمـــا إن رمى رامٍ فأوهى صَفاتَنا ولا ضامناً يوماً مــن الدّهرِ ضائمُ
وإنّــي لأغضي عــن أمور كثيرة سترُقَى بهــا يومــاً إليك السلالِمُ
أصانِــع فيهـــا عبد شمس وإنّني لتلك التي في النّفسِ منّــي أكاتِمُ
فـــلا تشتُمنّا يا ابن حرب فإنّما ترقّــي إلى تلك الأمــورِ الأشائمُ
فما أنــتَ والأمرَ الذي لستَ أهله ولكن ولِي الحــقّ والأمر هاشِمُ[3]
إليهــم يصير الأمــر بعـــد شتاته فمَن لك بالأمرِ الذي هــو لازمُ
بهم شَرَع الله الهدى واهتدى بهم ومنهم لـــه هـــادٍ إمـامٌ وخاتِمُ

قال : فلمّا بلغت هذه الأبيات معاوية ، أمر بدفع الأخطل إليه ، ليقطع لسانه . فاستجار

1 مسبطرة : طويلة وسريعة . والشماطيط : المتفرقة المتتابعة .
2 القسب : التمر اليابس . واللهذمي : القاطع . والضبارم : الأسد الشديد .
3 يستبعد أن يكون هذا البيت وما بعده للنعمان بن بشير ، فقد كان عثماني الهوى وقاتل علياً مع معاوية في صفين .

بيزيد بن معاوية ، فمنع منه ، وأرضوا النُّعمان ، حتى رضي وكفَّ عنه .

وقال عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه : لمّا ضرب مروان بن الحكم عبد الرحمن بن حسّان الحدّ ، ولم يضرب أخاه ، حين تهاجيا وتقاذفا ، كتب عبد الرحمن إلى النُّعمان بن بشير يشتكي ذلك إليه ، فدخل إلى معاوية ، وأنشأ يقول[1] : [من السريع]

يـا ابـــن أبي سفيانَ ما مثلُنا ... جـار عليــه ملـــك أو أميرْ

اذكر بنـا مَقْــدمَ أفراسنا ... بالحِنْــو إذ أنــتَ إلينـا فقيرْ

واذكر غــداة الساعديّ الذي ... آثـركم بالأمــر فيهـا بشيرْ[2]

واحــذر عليهم مثل بـدر فقد ... مـرَّ بكـم يــومٌ ببدر عسيرْ

إن ابـــن حسّان لـــه ثائـرٌ ... فأعطِه الحـقَّ تَصحّ الصدورْ[3]

ومثـــلُ أيــام لنـــا شتّتت ... ملكاً لكم أمرك فيهـا صغيرْ

أمـــا تـــرى الأزد وأشياعهـا ... نحوك خُـزْراً كاظماتٍ تَزيرْ[4]

يطـوف حولي منهـــمُ معشر ... إن صُلْتُ صالوا وهم لِي نصيرْ[5]

يأبى لنـا الضيم فـلا يعتـلي ... عــزّ منيـــع وعديــد كثيرْ

وعنصـــر في حُـــرٍّ جرثومــة ... عاديــة تنقل عنها الصخورْ[6]

[أهل المدينة يصرّون على تلقيبهم بالأنصار]

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حدَّثني أحمد بن الهيثم الفِراسيّ ، قال : حدَّثني العمريّ ، عن الهيثم بن عـديّ ، قـال[7] : حضرت الأنصار باب معاوية ومعهم النُّعمان بن بشير ، فخـرج إليهـم سعد أبو دُرّة ، وكان حاجب معاوية ، ثم حجب عبد الملك بن مروان ، فقـال : استأذن لنا . فدخل ، فقال لمعاوية : الأنصار بالباب . فقال له عمرو بن العاص : ما هذا اللقب الذي قد جعلوه نسباً ؟ ارددهم إلى نسبهم . فقـال معاويـة : إنّ علينـا في ذلك

1 مجموع شعره : 144–146 عن الأغاني .

2 اليوم الساعديّ : نسبة إلى بني ساعدة ، وهو يوم السقيفة إذ كان بشير بن سعد أبو النُّعمان أوّل أنصاريّ بايع أبا بكر بالخلافة .

3 ثائر : ناصر .

4 نحوك في ل : تجول . تزير : تزأر كالأسود .

5 يطوف في ل : يصول .

6 الجرثومة : الأصل .

7 تقدم هذا الخبر في هذه الترجمة برواية من طريق آخر .

شناعة . قال : وما في ذلك ؟ إنّما هي كلمة مكان كلمة ، ولا مردّ لها . فقال له معاوية : اخرج فنادِ مَن بالباب من ولد عمرو بن عامر فليدخل . فخرج فنادى بذلك ، فدخل مَن كان هناك منهم سوى الأنصار . فقال له : اخرج فنادِ مَن كان ههنا من الأوس والخزرج فليدخل . فخرج فنادى ذلك ، فوثب النُّعمان بن بشير ، فأنشأ يقول : [من الكامل]

يا سعد لا تُعِد الدّعاء فما لنا ... نسب نجيب به سوى الأنصارِ

نسب تخيره الإلـه لقومنا ... أُثقل بـه نسباً على الكفّارِ

إنّ الذين ثَوَوا ببدر منكم ... يوم القَليب همُ وقود النّارِ

وقام مغضباً وانصرف . فبعث معاوية فردّه ، فترضّاه وقضى حوائجه وحوائج مَن حضر معه من الأنصار .

ومن مختار شعر النُّعمان قوله ، رواها خالد بن كلثوم ، واخترت منها[1] : [من الطويل]

إذا ذُكرت أُمّ الحويرث أخضلَت ... دموعي على السّربال أربعة سَكْبا

كأنّي لما فرّقتْ بيننا النّوى ... أجاور في الأغلال تغلب أو كلبا

وكنّا كماء العين والجفنِ لا ترى ... لواشٍ بَغى نقض الهوى بيننا إرْبا[2]

فأمسى الوشاة غيّروا وُدَّ بيننا ... فلا صلةٌ تَرعى لديّ ولا قُربى

جرى بيننا سعي الوشاة فأصبحت ... كأنّي ، ولَم أذنب ، جَنيتُ لها ذنبا

فإن تصرميني تصرمي بِيَ واصلاً ... لَدى الودّ مِعْراضاً إذا ما التوى صعبا

عَزوفاً إذاً خاف الهوان عن الهوى ... ويأبى فلا يعطي مودّته غصبا

فإن أستطع أصبر وإن يغلب الهوى ... فمثل الذي لاقيت كلّفني نُصْبا[3]

واخترت هذه الأبيات من قصيدة أُخرى ، وأوّلها[4] : [من المتقارب]

أهيَّجَ دمعَك رسمُ الطللْ ... عفا غيرَ مطَّردٍ كالخِلَلْ[5]

نعم فاستهلّ لعرفانه ... يَسِح ويَهْمِي بفَيْضٍ سَبَلْ[6]

1 مجموع شعره : 135–136 عن الأغاني .

2 الإرب : الحاجة .

3 النصب : الداء والبلاء والشر .

4 مجموع شعره : 105–112 مع بعض اختلاف في الرواية .

5 الخلل : جمع خِلّة ، وهي بطانة تنقش بالذهب ويغشى بها جفن السيف .

6 السبل : المطر الجود الهاطل .

ديـــار الأُلـــوف وأترابِهـــا وأنـــتَ مـــن الحـــبِّ كالمختَبَلْ
ليالِـيَ تَسْبي قلـــوب الرجا ل تحت الخدور بحسن الغزلْ
مـــن الناهضـــات بأعجازِهِـــ ـنَّ حين يقوم جزيـلُ الكفلْ
كأنّ الرُّضاب وصَوْب السحا بِ بات يُشاب بذَوْب العسلْ
مـــن الليـــل خالـــط أنيابهـــا بُعيـد الكرى واختلافِ العَلَلْ

أُخذ هذا المعنى جميل منه ، فقال[1] : [من الكامل]

وكأن طارقها على عَلَل الكرى والنّجمُ وَهْناً قـد دَنا لَتَغوُّرِ[2]
يشتـمّ ريح مدامـةٍ معلولـة بِسحيقِ مسك في ذكي العنبرِ

وفي هذه القصيدة يقول النُّعمان :

وأروعَ ذي شرف حـــازم صروم وصولٍ حبال الخُلَلْ[3]
كريم البـــلاء صبور اللقـــا ء صافي الثنـاء قليـل العذلْ
عظيـم الرّمـــاد طويل العما دِ واري الزّناد بعيـد القَفَلْ[4]
أقمـــت لـــه ولأصحابـــه عمود السُّرى بذمـولٍ رملْ[5]
مداخَلـــةٍ سَرْحـــة جسرةٍ على الأَين دَوْسَرَة كالجملْ[6]

[عبد الله بن النُّعمان]

ومن شعراء ولد النُّعمان بن بشير ، ابنه عبد الله بن النُّعمان ، وهو القائل : [من مجزوء الكامل]

ماذا رجـــاؤك غائباً مَن لا يَسُرّك شاهِدا
وإذا دنـــوت يزيده منك الدنـــوّ تباعدا

[عبد الخالق بن أبان]

ومنهم عبد الخالق بن أُبان بن النُّعمان بن بشير ، شاعر مكثر ، وهو القائل في قصيدة

1 ديوان جميل (صادر) : 60 .
2 العلل : الشرب مرة بعد مرة ، استعير هنا للنوم .
3 الخلل : جمع خلة ، وهي الحبيبة .
4 القفل : الرجوع من أماكن الغزو البعيدة .
5 عمود السرى : طريق السير . والذمول والرمل : أنواع من السير .
6 المداخلة : المكتنزة المدمجة الخلق . السرحة والجسرة والدوسرة : الضخمة الطويلة الشديدة . والأين : التعب والكلال .

طويلة : [من الطويل]

وشاد أبونا الشيخ عمرو بن عامر ... بأعلى ذَرا العلياء ركناً تأثّلا
وخَطّ حياض المجد مترعة لنا ... مِلاءً فعَلَّ الصفوَ منها وأنهَلا
وأشرع فيها الناس بعدُ ، فما لهم ... من المجد إلاّ سُؤْرُه حين أفضلا[1]
وفي غيرنا مجد من النّاس كلّهم ... فأمّا كمثل العُشْرِ من مجدنا فلا

وله أشعار كثيرة لم أُحبّ الإطالة بذكرها .

[شبيب بن يزيد]

ومنهم شبيب بن يزيد بن النُّعمان بن بشير ، شاعر مكثر مُجيد ، وهو القائل من قصيدة طويلة ، يعاتب بني أُميّة عند اختلاف أمرهم في أيّام الوليد بن يزيد وبعده ، أوّلها : [من البسيط]

يا قلب صبراً جميلاً لا تمتْ حَزَنا ... قد كنتَ من أن تُرى جَلْد القُوى قَمنا

يقول فيها :

بل أيُّها الرّاكبُ المُزْجِي مطيّته ... لُقِّيتَ حيث توجّهتَ الثَّنا الحسنا
أبلغْ أُميّة أعلاها وأسفلَها ... قولاً ينفّر عن نُوّامها الوَسَنا
إنّ الخلافة أمر كان يُعْظِمه ... خيارُ أوّلكم قِدْماً وأوّلنا
فقد بقرتم بأيديكم بطونكمُ ... وقد وُعظتم فما أحسنتمُ الأذَنا[2]
أغريتمُ بكمُ جهلاً عدوّكمُ ... في غير فائدة فاستوسَقوا سَنَنا[3]
لّما سفكتم بأيديكم دماءكمُ ... بغياً وغشَّيتمُ أبوابكم درنا

[إبراهيم بن بشير]

ومنهم إبراهيم بن بشير بن سعد ، أخو النُّعمان ، شاعر مكثر ، وهو القائل في قصيدة طويلة : [من الطويل]

أشاقتك أظعانُ الحُدوج البواكرِ ... كنخل النُّجَير الشامخاتِ المَواقِرِ[4]
على كلّ فَتْلاء الذراعين جَسْرةٍ ... وأعْيَس نَضّاخ المَهدّ عُذافِرِ[5]

---

1 السؤر : البقية الباقية في الحوض .

2 الأذَن : الاستماع .

3 استوسقوا : اجتمعوا . والسنن : الطريق الواضح .

4 النجير : موضع . المواقر : جمع موقرة ، أي المحملة .

5 الجمل الأعيس : الذي فيه أدمة . والنضاخ : من النضخ ، وهو شدّة فور الماء وجيشانه عند انفجاره من ينبوعه . المهد : الهدّ وهو هدير الفحل . والعذافر : الجمل الصلب العظيم .

نعم فاستدرت عبرة العين لوعة وما أنت عن ذكرى سليمى بصابرِ
ولَم أر سلمى بعد إذ نحن جيرةٌ من الدّهرِ إلاّ وقفةً بالمَشاعرِ
ألا رُبَّ ليل قد سريتُ سواده إلى رُدُح الأعجاز غُرّ المحاجرِ
ليالِيَ يدعوني الصِّبا فأُجيبه أجر إزاري عاصياً أمر زاجري
وإذ لِمتي مثل الجناح أثيثةٌ أمشّي الهُوَيْنى لا يروِّع طائري
فأصبحت قد ودّعت ذاكُمْ بغيره مخافة ربِّي يوم تُبلى سرائري

[حميدة بنت بشير]

وبنت النُّعمان بن بشير ، واسمها حُميدة ، كانت شاعرة ذات لسان وعارضة وشرّ ، فكانت تهجو أزواجها . وكانت تحت الحارث بن خالد المخزوميّ ، وقيل بل كانت تحت المهاجرين بن عبد الله بن خالد ، فقالت فيه : [من المتقارب]

كهولُ دمشقَ وشبانُها أحبّ إليَّ من الجاليَهْ[1]
صُماحهمُ كصماحِ التيو س أعيا على المِسك والغالِيَهْ[2]
وقملٌ يدبّ دبيب الجرادِ أكاريسَ أعيا على الفالِيَهْ

فطلّقها . فتزوّجها رَوْح بن زِنْباع ، فهجته ، وقالت تخاطب أخاها الذي زوَّجها من رَوح ، وتقول : [من الوافر]

أضلَّ الله حلمك من غلام متى كانت مَناكحَنا جذامُ
أترضى بالأكارع والذُّنابى وقد كنّا يَقِر لنا السنامُ

وقالت تهجو رَوحاً : [من الطويل]

بكى الخزُّ من روح وأنكر جلدَه وعَجَّت عجيجاً من جُذامَ المطارفُ
وقال العَباء نحن كنّا ثيابهم وأكسيةٌ كدْريَّة وقطائفُ[3]

فطلّقها رَوح ، وقال : سلّط الله عليك بعلاً يشرب الخمر ويقيئها في حجرك . فتزوّجت بعده الفيض بن أبي عَقيل الثقفيّ ، وكان يسكر ويقيء في حجرها . فكانت تقول : أجيبت فيّ دعوة رَوح . وقالت في الفيض : [من البسيط]

1 الجالية : القوم الذين جلوا عن بلادهم .
2 صماحهم كصماحِ في ل : صنانهم كصنان .
3 العباء : نوع من ثياب الأعراب غليظ خشن .

سُمِّيت فَيْضاً وما شيءٌ تفيض بــه إلاّ بسَلْحك بــين البــاب والدارِ
فتلك دعــوة رَوْح الخير أُعرفهــا سقى الإله صَداه الأَوْطفَ الساري[1]

وقالت فيه : [من الطويل]

وَهَــل أنــا إلاّ مُهْــرة عربيّــة سليلـــة أُفــراس تجلّلهــا بغــلُ
فإن نُتِجت مهــراً كريماً فبالحَرى وإن كان إقرافٌ فما أُنجب الفحلُ

هكذا روى خالد بن كلثوم هذين البيتين لها ، وغيره يرويهما لمالك بن أسماء لمّا تزوّج الحجّاج أخته هنداً . وهي القائلة لمّا تزوّج الحجّاج أختها أمّ أبان : [من الرجز]

قد كنت أُرجو بعض ما يرجو الراجْ أَن تنكحيــه ملكــاً أُو ذا تاجْ
إذا تذكّــرت نكـــاح الحجاجْ تضــرّم القلــب بحزن وهّاجْ
وفاضت العـــين بمـــاء ثَجّاج لــو كان نعمان قتيــلُ الأعلاجْ
مستويَ الشخص صحيحَ الأَوداج مــا نلتَ ما نلتَ بختْلٍ الدُّراجْ

فأخرجها الحجّاج من العراق ، وردّها إلى الشام .

صوت

[من الكامل]

نفرتْ قَلوصي من حجارة حَرَّةٍ بُنيتْ على طلْقِ اليدين وَهوبِ
لا تنفري يــا نــاقَ منــه فإنّه شِرِّيب خمــر مِسعرٌ لحروبِ
لا يَبعَــدنَّ ربيعةُ بن مكدَّم وسقى الغــوادي قبره بذَنوبِ
لولا السِّفارُ وبُعْدُ خَرْقٍ مَهْمَهٍ لتركتُهــا تحبــو على العُرْقوبِ

يقال إنّ الشعر لحسّان بن ثابت الأنصاريّ[2] ، ويقال : إنّه لضرار بن الخطّاب الفهريّ .

أُخبرني أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلام ، قال : الصحيح أنّ هذه الأبيات لعمرو بن شقيق ، أحد بني فهر بن مالك . ومن الناس مَن يرويها لمُكَرِّز بن حفص بن الأحنف الفهريّ ، وعمرو بن شقيق أولى بها[3] .

والغناء لمالك : خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر .

1 الأوطف : السحاب المسترخي من كثرة مائه .
2 ديوان حسان بن ثابت 1 : 410 .
3 نسبت هذه الأبيات إلى كثير غير هؤلاء . انظر شرح الحماسة للتبريزي وديوان حسان .

[311] ـ أخبار مقتل ربيعة بن مكدّم ونسبه[1]

[نسبه]

وهذا الشعر قيل في قتل ربيعة بن مُكدَّم بن عامر بن حُرثان بن جذيمة بن علقمة بن جِذْل الطِّعان بن فِراس بن عثمان بن ثعلبة بن مالك بن كنانة ، أحد فُرسان مُضَر المعدودين ، وشجعانهم المشهورين ، قتله نُبَيْشة بن حبيب السُّلَميّ في يوم الكَديد .

وكان السبب في ذلك فيما ذكره محمد بن الحسن بن دريد ، إجازة عن أبي حاتم ، عن أبي عبيدة ؛ ونسخْته أيضاً من رواية الأصمعيّ وحمّاد صاحب أبي غسان دماذ والأثرم ، فجمعتها ههنا .

قال أبو عبيدة : قال أبو عمرو بن العلاء : وقع تدارؤ[2] بين نفر من بني سليم بن منصور وبين نفر من بني فِراس بن مالك بن كنانة ، فقتلت بنو فراس رجلين من بني سُلَيم بن منصور ، ثم إنّهم وَدَوْهما . ثم ضرب الدّهر ضَرَبانَه ، فخرج نبيشة بن حبيب السلميّ غازياً ، فلَقِي ظُعُناً من بني كنانة بالكديد ، في نفر من قومه ، وبَصُر بهم نفر من بني فراس بن مالك ، فيهم عبد الله بن جذْل الطعان بن فراس ، والحارث بن مكدَّم أبو الفارعة ، وقال بعضهم أبو الفَرْعة ، أخو ربيعة بن مكدَّم . قال : وهو مجدور يومئذٍ يُحمَل في محفّة ، فلمّا رآهم أبو الفارعة ، قال : هؤلاء بنو سليم يطلبون دماءَهم . فقال أخوه ربيعة بن مكدَّم : أنا أذهب حتى أعلم عِلْمَ القوم ، فآتيكم بخبرهم . فتوجّه نحوهم ، فلمّا ولّى ، قال بعض الظعن : هرب ربيعة . فقالت أُخته أُمّ عزّة بنت مكدَّم : أين تنتهي نَفْرة الفتى ؟ فعطف وقد سمع قول النساء ، فقال : [من الرجز]

لقد علمنَ أنَّني غير فَرِقْ ... لأطعُننّ طعنة وأعتنقْ

أُعْمِل فيهم حين تحمرّ الحَدَق ... عَضْباً حساماً وسناناً يأتلقْ

قال : ثم انطلق يعدو به فرسه ، فحمل عليه بعض القوم ، فاستطرد له في طريق الظعن . وانفرد به رجل من القوم ، فقتله ربيعة . ثم رماه نُبيشة أو طعنه ، فلحق بالظعن يستدمي ، حتى أتى إلى أُمّه أُمّ سيّار ، فقال : اجعلي على يدي عصابة ، وهو يرتجز ويقول : [من الرجز]

1 انظر أمالي القالي 2 : 270 والعقد الفريد 5 : 174 وسمط اللآلي 2 : 910 وبلوغ الأرب 1 : 144 وأيّام العرب في الجاهلية : 312 .

2 تدارؤ : تدافع في خصومة واختلاف .

شدِّي عــليَّ العَصْبَ أُم سيّارْ
لقــد رُزِيــتِ فارساً كالدينارْ
يطعُــن بــالرّمحِ أُمــام الأدبارْ

فقالت أُمُّه : [من الرجز]

إنّا بنــو ثعلبــة بــن مالكِ مُــرَزَّأ خيارنـــا كذلكِ
من بين مقتول وبين هالكِ ولا يكون الرزء إلاّ ذلكِ

قال أبو عبيدة : وشدّت أُمّه عليه عصابة . فاستسقاها ماء ، فقالت : إنّك إن شربت الماء مت ، فكُرَّ على القوم . فكَرَّ راجعاً يشدّ على القوم ويَذُبّهم ، ونزفه الدم حتى أثخن ، فقال للظعن : أوْضِعن[1] ركابكنّ خلفي ، حتى تنتهين إلى أدنى بيوت الحيّ ، فإنّي لِما بي ، وسوف أقف دونكنّ لهم على العقبة ، وأعتمد على رمحي ، فلن يقدَموا عليكن لمكاني . ففعلن ذلك ، فنجَون إلى مأمنهنّ .

قال أبو عبيدة : قال أبو عمرو بن العلاء : ولا نعلم قتيلاً ولا ميتاً حمى ظعائن غيره . قال : وإنّه يومئذٍ لغلام له ذؤابة . قال : فاعتمد على رمحه ، وهو واقف لهن على متن فرسه ، حتى بلغن مأمنهنّ ، وما يقدم القوم عليه . فقال : نُبيشة بن حبيب : إنّه لمائل العنق ، وما أظنّه إلاّ قد مات . فأمر رجلاً من خزاعة كان معه أن يرمي فرسه . فرماها فقمصت وزالت ، فمالَ عنها ميتاً . قال : ويقال بل الذي رمى فرسه نُبيشة . فانصرفوا عنه ، وقد فاتهم الظُّعُن .

قال أبو عبيدة : ولحقوا يومئذٍ أبا الفَرعة الحارث بن مكدَّم ، فقتلوه ، وألقَوا على ربيعة أحجاراً .

فمرّ به رجل من بني الحارث بن فهر ، فنفرت ناقته من تلك الأَحجار التي أهيلت على ربيعة . فقال يرثيه ويعتذر ألاّ يكون عقر ناقته على قبره ، وحضَّ على قتلته ، وعيَّر مَن فرَّ وأسلمه من قومه : [من الكامل]

نفرت قلوصي من حجارة حَرّة بُنيت على طلق اليدين وهوبِ
لا تنفري يــا نــاق منــه فإنّه سَبّاء خمــر مِسْعَــر لحروبِ
لــولا السِّفار وبعد خرق مهمه لتركتها تحبــو على العرقوبِ
فــرّ الفوارس عن ربيعة بعدما نَجّاهمُ مــن غُمَّة المكروبِ[2]

---

1 الايضاع : سير سريع .
2 غمة في ل : غمرة .

يدعو عليّـاً حين أُسلم ظهره   فلقد دعوتَ هناك غير مجيبِ
لله درّ بنـــي عـــليّ إنّهـــم   لم يُحمشوا غزواً كولْغ الذيبِ[1]
نِعْـمَ الفتــى أدّى نُبيشة بَـزَّه   يوم الكديد ، نُبيشةُ بن حبيبِ[2]
لا يبْعَـدنّ ربيعة بـن مكدَّم   وسقى الغـوادي قبره بذَنوبِ

قال أبو عبيدة : ويقال إنّ الذي قال هذا الشعر هو ضرار بن الخطّاب بن مِرداس ، أحد بني محارب بن فهر . وقال آخر : هو حسان بن ثابت . وقال الأثرم : أنشدني أبو عبيدة مرّة أخرى هذا البيت : [من الكامل]

وسقى الغـوادي قبره بذَنوبِ

واحتجّ به في قول الله عزّ وجلّ : ﴿ذَنوباً مثل ذنوب أصحابهم﴾ . فسألته لَمن هذا البيت ، فقال : لمُكَرِّز بن حفص بن الأحنف ، أحد بني عامر بن لؤيّ ، رجل من قريش الظواهر ؛ ولم يسمّه ههنا .

وقال عبد الله بن جِذل الطّعان واسمه بَلعاء : [من الكامل]

لأُطلبـــنْ بربيعة بـن مكدم   حتـى أنـال عُصَيّة بن مَعِيص

يقال إنّ عصيّة من بني سليم ، وهو عُصية بن مَعِيص بن عامر بن لؤي .

وتُقـاد كلّ طِمِـرَّةٍ ممحوصةٍ   ومقلِّص عَبْل الشّوى ممحوص[3]

وقال رجل من بني الحارث بن الخزرج من الأنصار يرثي ربيعة بن مكدَّم . وقال أبو عبيدة : زعم أبو الخطّاب الأخفش أنّه لحسّان بن ثابت ، يحضّ على قتلته[4] : [من الكامل]

ولأصرفنَّ سِوى حذيفة مِدْحتي   لفتـى الشتاء وفـارس الأجرافِ[5]
مأوى الضَّريك إذا الرّياح تناوَحَتْ   ضخم الدَّسيعة مُخلِفٍ مِتلافِ[6]

---

1 لم يحمشوا : لم يحرضوا على القتال . وولغ الذيب : شربه الماء .
2 البز : السلاح .
3 تقاد في ل : يقتاد . الطمرة : الفرس الطويلة القوائم المستعدّة للعدو . والممحوصة : القليلة لحم القوائم . والمقلص : الحصان الطويل القوائم المنضم البطن . وعبل الشوى : ضخم الأطراف .
4 ديوان حسان 1 : 496 .
5 سوى في ل : إلى . الأجراف : موضع .
6 الضريك : المحتاج .

مَـن لا يـزال يَكُـبّ كلّ ثقيلة ... كَوْمـاء غير مُسائـل منزافِ[1]
رَحْـبِ المَباءة والجنـاب موطّأ ... مـأوًى لكـلٍّ مُعتَّـق بسَوافِ[2]
فسقـى الغوادي قبرك ابن مكدم ... من صَوْب كل مُجلجِل وَكّافِ[3]
أَبلغ بنـي بكـر وخُصّ فوارساً ... لحِقـوا الملامـة دون كل لحافِ
أَسلمتُمُ جِـذل الطّعـان أخاكُمْ ... بـين الكَديـدِ وقُلّـة الأَعرافِ

الأَعراف : رمل ، قال الأثرم : الأعراف كلّ ما ارتفع ، ومنه قول الله تعالى : ﴿ونادى أَصْحابُ الأَعْرافِ﴾ .

حتّـى هـوى مُتَزايـلاً أوصاله ... للّحْـد بـين جنـادل وقِفافِ[4]
لله درّ بنـي عـليّ إنْ هُـم ... لم يثـأروا عوفـاً وحـيَّ خِفافِ[5]

قال الأَثرم : وأنشدنا أبو عبيدة هذه القصيدة مرّة لقيس بن الخطيم حين قتل قاتل أبيه ، فقال : [من الطويل]

تذكّر ليـلى حُسنَها وصفاءَها

وقال ابن جِذل الطعان في ذلك أيضاً : [من الوافر]

أَلا لله درّ بنـي فِـراس ... لقد أُورثتُمُ حزنـاً وَجيعا
غداة ثـوى ربيعة في مَكَرّ ... تمجّ عروقـه عَلَقا نَجيعا
فلـن أنسى ربيعة إذ تَعالى ... بكاء الظُّعْنِ تدعـو يا ربيعا

وقال كعب بن زهير ، وأُمّه من بني أَشجع بن عامر بن الليث بن بكر بن كنانة ، يرثي ربيعة بن مكدّم ، ويحضّ على بني سُليم ، ويعير بني كنانة بالدماء التي أدّوها إلى بني سليم ، وهم لا يدركون قتلاهم عندهم بدَرَك قتل فيهم ولا دية[6] : [من الكامل]

بَـان الشبابُ وكلُّ إلفٍ بائـنٌ ... ظعن الشباب مع الخليط الظاعنِ

---

1 الثقيلة : الناقة الضخمة السمينة . الكوماء : العظيمة السنام . غير مسائل : لا يسأل أحداً المعونة .
2 المباءة : المنزل . السواف : داء يصيب الإبل .
3 قبرك في ل : رمسك . المجلجل : المطر المصحوب بالرعد . والوكاف : المنهمر .
4 القفاف : جمع قف ، وهو الأرض الغليظة .
5 بنو علي : قبيلة من كنانة .
6 لم يرِد من هذه القصيدة سوى ستة أبيات مع اختلاف كبير في الرواية (انظر ديوان كعب بشرح السكري : 229 : 231) .

قالت أُميمة ما لجسمك شاحباً وأَراك ذا بَثٍّ ولستَ بدائنِ
غُضِّي ملامك إنّ بي من لومكم داءٌ أُظنّ مُماطلي أَو فاتِني
أَبلغ كنانة غَثَّها وسمينها الباذلين رِباعها بالقاطِنِ
أَنّ المذلّة أَن تُطَلَّ دماؤكم ودماء عوفٍ ضامن في العاهنِ[1]
أَموالكم عوض لهم بدمائهم ودماؤكم كَلَف لهم بظعائنِ
طلبوا فأدرك وترهم مولاهمُ وأَبت محاملكم إباء الحارنِ
شُدّوا المآزر فاثأروا بأَخيكمُ إن الحفائظ نِعْم ربح الثامنِ
كيف الحياة ربيعةَ بن مكدّم يُغدى عليك بمِزْهَر أَو قائنِ[2]
وهو التَّريكة بالعراء وحارثٌ فَقْعُ القَراقر بالمكانِ الواتنِ[3]
كم غادروا لك من أَراملَ عُيَّل جَزَر الضِّباع ومن ضَريكٍ واكِنِ[4]

وقالت أُمّ عمرو أخت ربيعة ترثي ربيعة : [من البسيط]

ما بال عينك منها الدّمع مهراقُ سَحّاً ولا عازب لا لا ولا راقي[5]
أَبكي على هالكٍ أَودى وأَورثني بعد التفرّق حزناً بعده باقي
لو كانَ يَرجع ميتاً وَجْدُ ذي رحمٍ أَبقى أَخي سالِماً وجدي وإشفاقي
أَو كان يُفدى لكان الأَهل كلُّهمُ وما أُثمِّر من مالٍ له واقي
لكنْ سهام المنايا مَن نصَبْن له لم ينجه طِبُّ ذي طِبّ ولا راقي
فاذهب فلا يُبعدنْك الله من رجلٍ لاقى الذي كلُّ حيٍّ مثلَهُ لاقي
فسوف أَبكيك ما ناحت مطوّقة وما سريتُ مع الساري على ساقي
أبكَى لذكرته عَبْرى مفجّعة ما إن يجفّ لها من ذكره ماقي

وقال عبد الله يرثيه : [من الكامل]

---

1 ضامن : مضمون . والعاهن : الثابت .
2 المزهر : العود . والقائن : صاحب القيان .
3 التريكة : هو ربيعة بن مكدم . شبهه ببيضة النعام التي يتركها عندما تنقف ويدفنها تحت التراب . والحارث : أخو ربيعة . فقع القراقر : مثل يضرب للذلّ ، يقال أذل من فقع بقرقرة ، (مجمع الميداني 1 : 284 والدرة الفاخرة 1 : 304 وجمهرة العسكري 1 : 458 ومستقصى الزمخشري 1 : 134) والواتن : الثابت المقيم .
4 جزر الضباع : طعام للضباع . والواكن : العاجز .
5 راقي : مخفف راقىء ، وهو الساكن .

خَلَّـى عليّ ربيعـة بن مكدّم — حزناً يكاد لـه الفؤاد يزولُ
فإذا ذَكرتُ ربيعةَ بن مكدّمٍ — ظلّت لذكراه الدّموع تسيلُ
نِعْـم الفتى حيّـاً وفارسَ بُهمةٍ — يَـرْدِي بشِكّته أقبُّ ذؤُولُ[1]
سَقَتِ الغـوادي بالكُدَيِّدِ رِمّة — والنـاسُ إمّـا هالـك وقتيلُ
فإذا لقيـتَ ربيعة بـن مكدّم — فعلى ربيعة مَـن نـداه قبولُ
كيف العزاء ولا تزال خريدة — تبكـي ربيعةَ غـادة عُطبولُ[2]
يأبـى لِـيَ الله المذلّـةَ إنّما — يعطـى المذلّـة عاجـز تنبيلُ[3]

وقال عبد الله أيضاً يرثيه : [من الكامل]

نـادي الظعائنُ يـا ربيعةُ بعدما — لم يبـقَ غيرُ حُشاشة وفُواقِ[4]
فأجابهـا والرّمح في حيزومـه — أنَفـاً بطعـن كالشَّعيب دُفاقِ
يا رَيْطَ إنّ ربيعة بـن مكدّم — وربيع قومـك آذنـا بفراقِ
ولئن هلكت لرُبَّ فارِسِ بُهْمة — فرّجتَ كُرْبتـه وضيـقِ خِناقِ

وقال أيضاً يتوعّد بني سليم : [من الوافر]

ولست لحاضـرٍ إن لم أزِركم — كتائبَ من كنانـة كالصريمِ[5]
على قُبِّ الأَياطـلِ مضمَراتٍ — أضرّ بنِيِّهـا علـكُ الشكيمِ[6]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار ، قال : حدَّثنا يعقوب بن إسرائيل ، قال : حدَّثني الطّلحيّ ، قال : أخبرني عبد الله بن إبراهيم الجُمَحِيّ ومحمد بن الحسن بن زُبالة في مجلس واحد ، قالا : مرَّ حسّان بن ثابت بقبر ربيعة بن مكدم الكنانيّ ، بثنية كعب ، ويقال : بثنية غزال ، فقلصت به راحلته ، فقال : [من الكامل]

نفرت قلوصي من حجارة حَرَّة — بنيت على طلق اليدين وهوبِ

1 البهمة : الشجاع . الأقب : الضامر البطن من الخيل . ذؤول : سريع خفيف .
2 العطبول : الطويلة العنق .
3 التنبيل : القصير العاجز .
4 الفواق : الريح التي تشخص من الصدر وما تسميه العامة الحازوقة .
5 الحاضر : الحي المقيمون . والصريم : الليل .
6 الأياطل : جمع أيطل ، وهي الخاصرة . والنيّ : الشحم . الشتيم : الكريه الوجه .

لا تنفري يا ناقَ منه فإنّه شِرّيبُ خمرٍ مِسْعرٌ لحروبِ
لولا السِّفارَ وبُعْدُ خَرْق مهمه لتركتها تحبو على العرقوبِ

فبلغ شعره بني كنانة ، فقالوا : والله لو عقرها لسقنا إليه ألف ناقة سود الحدق .

[ربيعة ودريد بن الصمّة]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدَّثنا أبو حاتم السجستانيّ ، قال : حدَّثنا أبو عبيدة ، قال : خرج دُريد بن الصِّمّة في فوارس من بني جُشَم ، حتّى إذا كانوا بوادٍ لبني كنانة يقال له الأخرم ، وهو يريد الغارة على بني كنانة ، رُفِع له رجل من ناحية الوادي معه ظعينة . فلمّا نظر إليه قال لفارس من أصحابه : صِحْ به أنْ خَلِّ عن الظعينة وانجُ بنفسك ، وهو لا يعرفه . فانتهى إليه الرجل ، فصاح به ، وألحّ عليه . فلمّا أتى ألقى الزّمام وقال للظعينة : [من الرجز]

سِيري على رِسْلك سير الآمنِ سير رَداحٍ ذات جأشٍ ساكنِ
إنّ انثنائي دون قِرني شائني فابْلي بلائي واخبُري وعايني

ثم حمل على الفارس فقتله ، وأخذ فرسه ، فأعطاه الظعينة . فبعث دريد فارساً آخر ، لينظر ما صنع صاحبه ، فرآه صريعاً . فصاح به ، فتصامم عنه ، فظنّ أنّه لم يسمعه . فغشيه ، فألقى الزّمام إليها ، ثم حمل على الفارس ، فطعنه فصرعه ، وهو يقول : [من الرجز]

خلِّ سبيل الحُرة المنيعهْ إنّك لاقٍ دونها ربيعَهْ
في كفّه خَطِّية مطيعه أو لا ، فخذها طعنةً سريعَهْ
فالطّعن منّي في الوغى شريعهْ

فلمّا أبطأ على دريد بعث فارساً آخر لينظر ما صنعا ؟ فانتهى إليهما ، فرآهما صريعين ، ونظر إليه يقود ظعينته ، ويجرر رمحه . فقال له الفارس : خلِّ عن الظعينة . فقال لها ربيعة : اقصدي قصد البيوت ، ثم أقبل عليه فقال : [من الرجز]

ماذا تريد من شَتيم عابِسِ أَلَم تَرَ الفارسَ بعد الفارِسِ
أرداهما عامل رمح يابِسِ

ثم طعنه فصرعه ، وانكسر رمحه . فارتاب دريد ، وظنّ أنّهم قد أخذوا الظعينة ، وقتلوا الرجل . فلحق بهم ، فوجد ربيعة لا رمح معه وقد دنا من الحيّ ، ووجد القوم قد قُتِلوا . فقال دريد : أيّها الفارس ، إنّ مثلك لا يُقتل ، وإنّ الخيل ثائرة بأصحابها ، ولا أرى معك رمحاً ، وأراك حديث السنّ ، فدونك هذا الرمح ، فإنّي راجع إلى أصحابي ، فمثبِّط عنك . فأتى دريد أصحابه ، وقال : إنّ فارس الظعينة قد حماها ، وقتل فوارسكم ، وانترع رمحي ، ولا طمع لكم

فيه . فانصرف القوم . وقال دريد في ذلك[1] : [من الكامل]

ما إنْ رأيتُ ولا سمعت بمثله ... حامي الظعينة فارساً لم يُقتلِ
أردى فوارسَ لم يكونوا نُهْزة ... ثم استمرّ كأنّه لم يفعلِ
متهلّل تبدو أُسِرَّة وجهه ... مثلَ الحسام جلته كفُّ الصيقلِ
يُزجِي ظعينته ويسحب رمحه ... متوجّهاً يُمناه نحو المنزلِ
وترى الفوارسَ من مخافة رمحه ... مثل البُغاث خَشين وقع الأَجدلِ[2]
يا ليت شعري من أبوه وأُمّه ... يا صاح مَن يَكُ مثلَه لم يُجهلِ !

فقال ربيعة : [من الكامل]

إن كان ينفعكَ اليقينُ فسائلي ... عنّي الظعينة يومَ وادي الأخرمِ
هل هِي لأوّل مَن أتاها نُهْزة ... لولا طعان ربيعة بن مكدّمِ
إذ قال لي أدنى الفوارس مِيتة ... خَلِّ الظعينة طائعاً لا تندمِ
فصرفتُ راحلة الظعينة نحوه ... عمداً ليعلم بعض ما لم يعلمِ
وهتكتُ بالرّمحِ الطويل إهابه ... فهوى صريعاً لليدين وللفمِ[3]
ومنحتُ آخر بعده جياشةً ... نجلاء فاغرة كشِدق الأضجمِ[4]
ولقد شفعتهما بآخر ثالثٍ ... وأبى الفرارَ لِيَ الغداةَ تكرمي

قال : فلم يلبث بنو مالك بن كنانة رهط ربيعة بن مكدّم ، أن أغاروا على بني جشم رهط دريد ، فقتلوا وأسروا وغنموا ، وأسروا دريد بن الصمّة ، فأخفى نسبه . فبينا هو عندهم محبوس ، إذ جاء نسوة يتهادَيْن إليه . فصرخت امرأة منهنّ ، فقالت : هلكتم وأهلكتم ، ماذا جرّ علينا قومنا ؟ هذا والله الذي أعطى ربيعة رمحه يوم الظعينة . ثم ألقت عليه ثوبها وقالت : يا آل فِراس ، أنا جارة له منكم ، هذا صاحبنا يوم الوادي . فسألوه مَن هو ؟ فقال : أنا دريد بن الصمّة ، فمن صاحبي ؟ قالوا : ربيعة بن مكدّم ، قال : فما فعل ؟ قالوا : قتله بنو سليم ، قال : فمن الظعينة التي كانت معه ؟ قالت المرأة : رَيطة بنت جِذل الطّعان ، وأنا هي ،

---

1 ديوان دريد ، ص 67 .

2 بغاث الطير : ضعافها . والأجدل : الصقر .

3 المثل «لليدين وللفم» بمعنى الدعاء في مجمع الميداني 2 : 207 ومستقصى الزمخشري 2 : 93 وفصل المقال : 98 وجمهرة العسكري 2 : 91 .

4 الأضجم : المائل الفم .

وأنا امرأته . فحبسه القوم ، وآمروا أنفسهم ، وقالوا : لا ينبغي أن تُكْفر نعمة دريد على صاحبنا . وقال بعضهم : والله لا يخرج من أيدينا إلاّ برضا المخارق الذي أسره . وانبعثت المرأة في الليل ، فقالت : [من الطويل]

سنجزي دريداً عن ربيعة نعمةً ... وكلُّ فتى يُجزى بما كان قدَّما
فإن كان خيراً كان خيراً جزاؤه ... وإن كان شرّاً كان شرّاً مذمَّما
سنجزيه نُعمى لم تكن بصغيرة ... بإعطائه الرّمح السديد المقوّما
فقد أدركتْ كفّاه فينا جزاءه ... وأهلٌ بأن يجزى الذي كان أنعما
فلا تكفروه حقّ نُعماه فيكمُ ... ولا تركبوا تلك التي تملأ الفما
فلو كان حيّاً لم يضق بثوابه ... ذراعاً ، غنيّاً كان أو كان معدِما
ففُكّوا دريداً من إسار مُخارق ... ولا تجعلوا البؤسى إلى الشرِّ سلَّما

فأصبح القوم فتعاونوا بينهم ، فأطلقوه ، وكسته ريطة وجهزته ، ولحق بقومه . ولم يزل كافّاً عن غزو بني فِراس حتى هلك .

[أحيل الناس وأشجعهم وأجبنهم]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثني هارون بن محمد بن عبد الملك ، قال : حدَّثني محمد بن يعقوب بن أبي مَريم العدَويّ البصريّ ، قال : حدَّثني محمد بن عمر الأزديّ ، قال : حدَّثني أبو البلاد الغطفانيّ وقبيصة بن ميمون الصادريّ ، قالا : سأل عمر بن الخطّاب رضي الله عنه عمرو بن مَعْدِيكرِب الزُّبيديّ : مَن أشجع مَن رأيت ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين لأخبرنّك عن أحْيَل الناس ، وعن أشجع الناس ، وعن أجبن الناس . فقال له عمر : هات . فقال : أربَعَت المدينة ، فخرجتْ كأحسن ما رأيت ، وكانت لي فرس شَمَقمقة[1] طويلة سريعة الإبقاء[2] ، تَمطَّق بالعرق تمطق الشيخ بالمرق ، فركبتها ، ثم آليت لا ألقى أحداً إلاّ قتلته . فخرجت وعليّ مُقُدّى[3] ، فإذا أنا بفتى بين غرضين[4] ، فقلت له : خذ حذرك ، فإنّي قاتلك . فقال : والله ما أنصفتني يا أبا ثور ، أنا كما ترى أعزل أمْيَل[5] عُوّارة ، والعوارة : الذي لا تُرس معه ، فأنْظرني حتى آخذ نبلي . فقلت : وما غناؤها عنك ؟ قال : أمتنع بها . قلت : خذها .

---

1 شمقمقة : طويلة .
2 سريعة الإبقاء : تسرع استئناف الجري بعد التعب .
3 المقد : حديدة يقد بها الجلد ، ويعني هنا سيفه .
4 الغرض : شعبة في الوادي .
5 الأميل : لا يستقر على الفرس .

قال : لا والله أو تعطيني من العهود ما يثلجني أنّك لا تروّعني حتى آخذها . فأثلجته ، فقال : وإله قريش لا آخذها أبداً . فسلم والله منّي وذهبت ؛ فهذا أحيل الناس .

ثم مضيت حتى اشتمل عليّ الليل ، فوالله إنّي لأسير في قمرٍ زاهر ، كالنور الظاهر ، إذا بفتى على فرس يقود ظعينة ، وهو يقول : [من مجزوء الرمل]

يـا لُدَينا يـا لُدَينا ليتنا يُعـدى علينا

ثـم يُبْلى مـا لدينا

ثم يخرج حنظلةً من مخلاته ، فيرمي بها في السماء ، فلا تبلغ الأرض حتى ينظمها بمِشْقص[1] من نبله . فصحت به : خذ حذرك ثكلتك أُمّك ، فإنّي قاتلك . فمال عن فرسه فإذا هو في الأرض . فقلت : إنْ هذا إلاّ استخفاف . فدنوت منه ، وصحت به : ويلك ، ما أجهلك ! فما تحلحلَ ولا زال عن موضعه ، فشككت الرّمح في إهابه ، فإذا هو كأنّه قد مات منذ سنة ، فمضيت وتركته ، فهذا أجبن الناس .

ثم مضيت فأصبحت بين دَكادك هَرْشى إلى غزال[2] ، فنظرت إلى أبيات ، فعدلت إليها ، فإذا فيها جَوار ثلاث ، كأنّهنّ نجوم الثريّا . فبكين حين رأينني ، فقلت : ما يبكيكنّ ؟ فقلن : لما ابتلينا به منك ، ومن ورائنا أخت هي أجمل منّا . فأشرفت من فدفد ، فإذا بمن لم أرَ شيئاً قطّ أحسن من وجهه ، وإذا بغلام يخصف نعله ، عليه ذؤابة يسحبها . فلمّا نظر إليّ وثب على الفرس مبادراً ، ثم ركض ، فسبقني إلى البيوت ، فوجدهنّ قد ارتعن ، فسمعته يقول لهن : [من الرجز]

مهـلاً نُسَيّاتي إذن لا ترتعْـنْ إن يُمنـع اليوم نساء تُمنعْنْ

أرخِين أذيـال المروط وارتَعْنْ

فلمّا دنوت منه ، قال : أتطردني أم اطردك ؟ قلت : أطردك . فركض وركضت في أثره ، حتى إذا مكنت السنان في لفتته ، واللفتة أسفل من الكتف ، اتكأت عليه ، فإذا هو والله مع لَبَب فرسه ، ثم استوى في سرجه . فقلت : أقِلْني . قال : اطرد . فتبعته حتى إذا ظننت أنّ السنان في ماضِغيه اعتمدت عليه ، فإذا هو والله قائم على الأرض ، والسنان ماضٍ زالجٍ . واستوى على فرسه ، فقلت : أقلني . قال : اطرد . فطردته ، حتى إذا مكنت السنان في متنه ، اتكأت عليه وأنا أظنّ أنّي قد فرغت منه ، فمال في ظهر فرسه حتى نظرت إلى يديه في الأرض ، ومضى السنان

1 المشقص : نصل طويل .

2 الدكادك : ما تلبد من الرمل ولم يرتفع كثيراً . وهرشى : هضبة . وغزال : واد .

زالجاً . ثم استوى وقال : أبعد ثلاث ؟ تريد ماذا ؟ اطردني ثكلتك أُمّك . فوليت وأنا مرعوب منه . فلمّا غشيني ووجدت حس السنان ، التفت فإذا هو يطردني بالرّمح بلا سنان ، فكفّ عنّي واستنزلني ، فنزلت ونزل ، فجزّ ناصيتي ، وقال : انطلق ، فإنّي أُنفَس بك عن القتل . فكان ذلك والله يا أمير المؤمنين عندي أشدّ من الموت ؛ فذاك أَشجع مَن رأيت . وسألت عن الفتى ، فقيل : ربيعة بن مكدّم الفِراسيّ ، من بني كنانة .

وقد أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ هذا الخبر وفيه خلاف للأوّل . قال : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثني محمد بن موسى الهذليّ ، قال : حدَّثني سُكين بن محمد ، قال : دخل عمرو بن معديكرب على عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، فقال له : يا أبا ثور ، من أين أقبلت ؟ قال : من عند سيّد بني مخزوم ، أعظمها هامة ، وأمدّها قامة ، وأقلّها ملامة ، وأفضلها حلماً ، وأقدمها سلماً ، وأجرئها مُقدَماً . قال : ومَن هو ؟ قال : سيف الله وسيف رسوله ، قال : وأيَّ شيء صنعت عنده ؟ قال : أتيته زائراً ، فدعا لي بكعب وقوس وثور[1] . فقال عُمر : وأبيك إنّ في هذا لشبعاً . قال : لي أو لك يا أمير المؤمنين ؟ قال : لي ولك . قال له : فوالله إنّي لآكل الجَذَعة ، وأشرب التِّبْن من اللبن رَثيئة وصرِيْفاً[2] ، فلِمَ تقول هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال له عمر : أي أحياء قومك خير ؟ قال : مَذحج ، وكلّ قد كان فيه خير ، شِداد فوارسها ، فوارس أبطالها ، أهل الربا والرباح[3] . قال عمر : وأين سعد العَشِيرة ؟ قال : هم أشدّنا شَريساً ، وأكثرنا خميساً ، وأكرمنا رئيساً ، وهم الأوفياء البَرَرة ، المساعير الفَجَرَة . قال عمر : يا أبا ثور ، أَلَكَ علم بالسلاح ؟ قال : على الخبير سقطت ، سل عمّا بدا لك . قال : أخبرني عن النَّبْل . قال : منايا تخطىء وتصيب . قال : فأخبرني عن الرمح قال : أخوك وربّما خانك . قال : فأخبرني عن التُرس . قال : ذاك مِجَنٌّ وعليه تدور الدوائر . قال : أخبرني عن الدرع . قال : مَشْغلة للفارس ، مَتْعبة للراجل . قال : أخبرني عن السيف . قال : عنه قارعتُك لأُمّك الهَبَل ، قال : لا ، بل لأُمّك . قال عمرو : بل لأُمّك ، فرفع عمر الدِّرّة ، فضرب بها عَمراً ، وكان عمرو محتبياً ، فانحلت حُبوته ، فاستوى قائماً ، وأنشأ يقول : [من الوافر]

أَتضربنــي كأنّك ذو رُعَــين ... بخيـر معيشة أو ذو نــواسِ

---

1 الكعب : الصبة من السمن . والقوس : ما يبقى في أصل الجلة من التمر . والثور : الكتلة من الأقط .

2 الجذعة من الغنم : ما تكون سنها بين ستة أشهر وسنة . والرثيئة : اللبن الحليب يصب عليه اللبن الحامض فيروب لساعته . والصريف : الذي ينصرف عن الضرع حاراً وقت حلبه .

3 الربا والرباح : النماء والكثرة .

فكـم مُلْك قديـم قـد رأينا وعـزٍّ ظاهـر الجبروت قاسي
فأضحى أهلـه بادوا وأضحى ينقَّل مـن أنـاس في أناسِ

قال : صدقت يا أبا ثور ، وقد هدم ذلك كلّه الإسلام ، أقسمت عليك لما جلست . فجلس . فقال له عمر : هل كَعَعْت[1] من فارس قطّ ممّن لقيت ؟ قال : اعلم يا أمير المؤمنين ، أنّي لم أستحل الكذب في الجاهلية ، فكيف أستحلّه في الإسلام ؟ ولقد قلت لجبهة من خيلي ، خيل بني زُبيد ، أغيروا بنا على بني البكّاء . فقالوا : بعيد علينا المُغار . فقلت : فعلى بني مالك بن كنانة ، قال : فأتينا على قوم سَراة . فقال عمر : ما علمك بأنّهم سَراة . قال : رأيت مَزاود خيلهم كثيرة ، وقُدوراً مثفّاة ، وقباب أدم ، فعرفت أنّ القوم سراة . فتركت خيلي حَجْرة ، وجلست في موضع أتسمع كلامهم ، فإذا بجارية منهم قد خرجت من خيمتها ، فجلست بين صواحب لها ، ثم دعت وليدة من ولائدها ، فقالت : ادعي فلاناً . فدعت لها برجل من الحيّ ، فقالت له : إنّ نفسي تحدّثني أنّ خيلاً تغير على الحيّ ، فكيف أنت إن زوّجتك نفسي ؟ فقال : أفعل وأصنع ، وجعل يصف نفسه فيفرط . فقالت له : انصرف حتى أرى رأيي . وأقبلت على صواحباتها ، فقالت : ما عنده خير ، ادعي لي فلاناً . فدعت بآخر . فخاطبته بمثل ما خاطبت به صاحبه ، فأجابها بنحو جوابه ، فقالت له : انصرف حتى أرى رأيي . وقالت لصواحباتها : ولا عند هذا خير أيضاً . ثم قالت للوليدة ادعي لي ربيعة بن مكَدَّم . فدعته ، فقالت له مثل قولها للرجلين ، فقال لها : إنّ أعجز العجز وصف المرء نفسه ، ولكنّي إذا لقيت أعذرت ، وحسب المرء غَناء أن يُعذِر . فقالت له : قد زوّجتك نفسي ، فاحضُر غداً مجلس الحيّ ، ليعلموا ذلك . فانصرف من عندها . وانتظرتُ حتى ذهب الليل ، ولاح الفجر ، فخرجتُ من مَكمني ، وركبت فرسي ، وقلت لخيلي : أغيري ، فأغارت ، وتركتها وقصدت نحو النسوة ومجلسهنّ ، فكشفت عن خيمة المرأة ، فإذا أنا بامرأة تامة الحسن . فلمّا ملأتْ بصرها منّي ، أهوت إلى درعها فشقته وقالت : واثكلاه ؟ والله ما أبكي على مال ولا تِلاد ، ولكن على أخت من وراء هذا القَوْز[2] ، تبقى بعدي في مثل هذا الغائط ، فتهلك ضيعة ، وأومأت بيدها إلى قَوز رمل إلى جانبهم . فقلت : هذه غنيمة من وراء غنيمة . فدفعت فرسي حتى أوفيت على الأيفاع ، فإذا أنا برجل جَلْد نَجْد ، أهلبَ[3] أغلب ، يخصف نعله ، وإلى جنبه فرسه وسلاحه . فلمّا رآني رمى بنعله ، ثم استوى على

1 كععت : ضعفت وتراجعت .
2 القوز : الرمل المستدير المرتفع .
3 الأهلب : الكثير الشعر .

فرسه ، وأخذ رمحه ، ومضى ولم يحفل بي . فطفقت أشجره بالرّمح[1] خَفْقاً ، وأقول له : يا هذا استأسِر . فمضى ما يحفل بي ، حتى أشرف على الوادي . فلمّا رأى الخيل تحوي إبله استعبر باكياً ، وأنشأ يقول : [من الرجز]

قــد علمتْ إذ منحتْني فاها أنّي سأحوي اليوم من حَواها

بل ليتَ شعري اليوم من دهاها

فأجبته : [من الرجز]

عمرو على طول الوجى دهاها بالخيل يحميهــا على وجاها[2]

حتّى إذا حــلّ بهــا احتواها

فحمل عليّ وهو يقول : [من الرجز]

أهْوِن بنضر العيش في دارِ نَدَمْ أُفيض دمعاً كلّما فاض انسجمْ

أنا ابن عبد الله محمود الشيم مؤتمَــن الغيــب وفيّ بالذممْ

أكرم مَن يمشي بساق وقدم كالليث إن هَمَّ بتَقْصام قَصَمْ

فحملت عليه وأنا أقول : [من الرجز]

أنا ابن ذي التقليد في الشهر الأصمّ أنا ابن ذي الإكليل قتالِ البُهَمْ[3]

مَــن يلقَني يُودِ كما أُودت إرَم أتركــه لحماً على ظهرِ وَضَمْ[4]

وحمل عليّ وهو يقول : [من الرجز]

هذا حِمًى قد غاب عنه ذائده المــوتُ وِرْد والأنــام وارِدُهْ

وحمل علي فضربني ، فرُغْت وأخطأني ، فوقع سيفه في قَرَبوس السرج ، فقطعه وما تحته ، حتى هجم على مِسْح الفرس . ثم ثنّى بضربة أُخرى ، فرُغْت وأخطأني ، فوقع سيفه على مؤخّر السرج فقطعه حتى وصل إلى فخذ الفرس ، وصرت راجلاً . فقلت : ويحك ! مَن أنت ؟ فوالله ما ظننت أحداً من العرب يُقدم عليّ إلاّ ثلاثة : الحارث بن ظالم ، للعُجْب والخيلاء ؛ وعامر بن

1 أشجره بالرمح خفقاً : أطعنه طعناً خفيفاً .
2 الوجى : الحفا ، وهو أن يرق الحافر من طول السفر .
3 التقليد : ما يجعل في عنق البدنة لتعرف أنّها هدي . والشهر الأصم : رجب .
4 المثل : «أضيع من لحم على وضم» في مجمع الميداني 1 : 427 والدرة الفاخرة 1 : 277 وجمهرة العسكري 2 : 3 ومستقصى الزمخشري 1 : 219 . والوضم : الخشبة التي يقطع عليها القصاب اللحم . ويضرب المثل للذليل .

الطّفيل للسنّ والتجربة ؛ وربيعة بن مكدّم للحداثة والغِرَّة ، فمن أنت ويلك ؟ قال : بل الويل لك ، فمَن أنت ؟ قلت : عمرو بن معديكرب . قال : وأنا ربيعة بن مكدّم . قلت : يا هذا ، إنّي قد صرت راجلاً ، فاختر منّي إحدى ثلاث ، إن شئت اجتلدنا بسيفينا حتى يموت الأعجز ، وإن شئت اصطرعنا ، فأيّنا صرع صاحبه حكم فيه ؛ وإن شئت سالمتك وسالمتني . قال : الصلح إذن إن كان لقومك فيك حاجة ، وما بي أيضاً على قومي هوان . قلت : فذاك لك . وأخذت بيده ، حتى أتيت أصحابي ، وقد حازوا نعَمه ، فقلت : هل تعلمون أنّي كَعَعْت عن فارس قَطّ من الأبطال إذا لقيته ؟ قالوا : نعيذك من ذاك . قال : قلت : فانظروا هذا النعم الذي حُزتموه ، فخذوه منّي غداً في بني زُبيد ، فإنّه نَعَم هذا الفتى ، والله لا يوصل إلى شيء منه وأنا حيّ . فقالوا : لحاك الله فارس قوم ! أشقيتنا حتى إذا هجمنا على الغنيمة الباردة فثأتَنا[1] عنها . قال : قلت إنّه لا بدّ لكم من ذلك ، وأن تهبوها لي ولربيعة بن مكدّم . فقالوا : وإنّه لهو ؟ قلت : نعم . فردّوها وسالمتُه ، فأمن حربي وأمنت حربه حتى هلك .

وفي بعض هذه الأراجيز التي جرت بين عمرو بن معديكرب وربيعة بن مكدّم غناء ، نَسَبْتُه ، وقد جُمع شعراهما معاً في لحن واحد ، وهو : [من الرجز]

صوت

أَنا ابن ذي التقليد في الشهرِ الأصمّ أَنــا ابــن عبد الله قَتّــال البُهَمْ

أَكرم مَـن يمشي بساق وقدم مـن يلقَني يـودِ كما أودت إرَمْ

أتركه لحمـاً عـلى ظهـر وَضَم كالليـث إن هـمَّ بتَقْصام قَصَمْ

مؤتمَــنُ الغيــب وفيٌّ بالذممْ

ذكر أحمد بن يحيى المكّيّ : أنّ الغناء في هذا الشعر لحنين ، خفيف ثقيل ، بإطلاق الوتر في مجرى البنصر ، وذكر الهشاميّ أنّه لابن سرجيس الملقّب بقراريط .

حدّثتني قمرِيّة العُمْرِيّة جارية عمرو بن بانة ، أنّها أخذت عن أحمد بن العلاء هذا اللحن ، فقال لها : انظري أيَّ صوت أخذت ، فوالله لقد أخذته عن مخارق ، فلمّا استوى لي قال لي مخارق : انظر أيّ صوت أخذت ، فوالله لقد أخذته عن يحيى المكّيّ ، فلمّا غنّيته الرشيد أطربه ، فوهب ليحيى عشرة آلاف درهم .

[أجود وصف للطعنة]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ، قال : حدّثني محمد بن الحسن الأحول ، عن

---

1 فثّأه : ثبط عزيمته وسكنه .

الطُّرسوسيّ ، عن ابن الأعرابيّ ، قال : أجود بيت وصفت به الطعنة قول أهْبان بن عادِياء قاتل ربيعة بن مكدّم ، حيث يقول : [من الكامل]

ولقد طعنتُ ربيعة بـن مكدّمٍ يوم الكديد فخـرّ غير موسَّدِ
في ناقع شَرِقت بما في جوفه منـه بأحمـر كالعقيق المُجْسَدِ

صوت

[من الكامل]

أدركتِ ما منيتُ نفسي خالياً لله درُّك يـا ابنـة النّعمـانِ
إنّـي لِحَلْفِك بالصليبِ مصدّقٌ والصُّلْبُ أصدق حَلْفـةِ الرهبانِ
ولقـد رددتِ على المغيرةِ ذهنـه إنّ الملـوك بطيئـة الإذعـانِ
يا هند حسبكِ قد صدقتِ فأمسِكي والصـدق خير مقالـة الإنسانِ

الشعر للمغيرة بن شعبة الثقفـيّ ، يقولـه في هند بنت النُّعمان بن المنذر ، وقد خطبها فردّتـه . وخبره في ذلك وغيرِه يذكر هاهنا إن شاء الله . والغناء لحنين ، ثاني ثقيل بالبنصر ، عن الهشاميّ وإبراهيم .

[312] ـ أخبار المغيرة بن شعبة ونسبه[1]

[نسبه]

هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن مُعتِّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قَسيّ ، وهو ثقيف . ويكنى أبا عبد الله ، وكان يكنى أبا عيسى ، فغيّرها عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، وكناه أبا عبد الله . وأُمّه أسماء بنت الأفقم بن أبي عمرو بن ظُويلِم بن جُعيل بن عمرو بن دُهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن .

وكان المغيرة بن شعبة من دهاة العرب وحَزَمتها ، وذوي الرأي منها ، والحيل الثاقبة ، وكان يقال له في الجاهلية والإسلام مغيرة الرأي ، وكان يقال : ما اعتلج في صدر المغيرة أمران إلاّ اختار أحزمهما .

وصحِب النبيّ ﷺ ، وشهِد معه الحديبية وما بعدها . وبعثه أبو بكر رضي الله عنه إلى أهل النُّجير[2] . وشهِد فتح اليمامة وفتوح الشام . وكان أعور ، أصيبت عينه في يوم اليرموك ، وشهِد القادسية مع سعد بن أبي وقّاص . فلمّا أراد مراسلة رستم ، لم يجد في العرب أدهى منه ولا أعقل ، فبعث به إليه ، وكان السفيرَ بينهما حتى وقعت الحرب .

[ولاياته وفتوحه]

وولاّه عمر بن الخطّاب رضي الله عنه عِدّة ولايات ، إحداها البصرة . ففتح وهو واليها مَيسان ودست ميسان وأَبْرَقُباذ . وقاتل الفرس بالمِرغاب فهزمهم ، ونهض إلى مَن كان بسوق الأهواز ، فقاتلهم وهزمهم ، وفتحها . وانحازوا إلى نهرِ تِيرَى ومَناذِر الكبرى ، فزحف إليهم ، فقاتلهم وهزمهم وفتحها . وخرج إلى المشرِق مع النعمان بن المُقرِّن ، وكان المغيرة على ميسرتِه ، وكان عمر قد عهد : إن هلك النعمان ، فالأمير حذيفة ، فإن هلك حذيفة ، فالأمير المغيرة بن شعبة . ولمّا فتحت نهاوند ، سار المغيرة في جيش إلى هَمَذان ففتحها .

وولاّه عمر رضي الله عنه بعد ذلك الكوفة ، فقُتِل عمر وهو واليها . وولاّه أيضاً إيّاها معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، فكان عليها إلى أن مات بها .

وهو أوّل مَن وضع ديوان الإعطاء بالبصرة ، ورتب الناس فيه ، فأعطاهم على الديوان . ثم صار ذلك رسماً لهم بعد ذلك يحتذونه .

---

1 ترجمة المغيرة بن شعبة في الإصابة وأسد الغابة وطبقات بن سعد وتاريخ الطبري وانظر وفيات الأعيان 6 : 364–367 والتذكرة الحمدونية 9 : 210–217 ومواضع أخرى متفرقة .

2 النجير : حصن باليمن .

[خبر إسلامه]

قال محمد بن سعد كاتب الواقديّ : أُخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدَّثني محمد بن سعيد الثقفيّ ، وعبد الرحمن بن عبد العزيز وعبد الملك بن عيسى الثقفيّ وعبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى بن كعب ، ومحمد بن يعقوب بن عتبة ، عن أبيه وغيرهم ، قالوا : قال المغيرة بن شعبة : كنّا قوماً من العرب متمسّكين بديننا ، ونحن سَدنة اللات ، فأراني لو رأيت قوماً قد أسلموا ما تبعتهم . فأجمع نفر من بني مالك الوفود على المقوِقس ، وأهدوا له هدايا . فأجمعت الخروج معهم . فاستشرت عمّي عروة بن مسعود ، فنهاني ، وقال لي : ليس معك من بني أبيك أحد . فأبيت إلاّ الخروج ، وخرجت معهم ، وليس معهم أحد من الأحلاف غيري ، حتى دخلنا الإسكندرية ، فإذا المقوِقس في مجلس مطِلّ على البحر . فركبت قارِباً حتى حاذيت مجلسه ، فنظر إليّ فأنكرني ، وأمر من يسائلني ما أنا ، وما أُريد ؟ فسألني المأمور ، فأخبرته بأمرنا ، وقدومنا عليه . فأمر بنا أن ننزِل في الكنيسة ، وأجرى علينا ضِيافة . ثم دعا بنا ، فنظر إلى رأس بني مالك ، فأدناه إليه ، وأجلسه معه ، ثم سأله : أكلّ القوم من بني مالك ؟ فقال : نعم ، إلاّ رجلاً واحداً من الأحلاف . فعرَّفه إيّاي ، فكنت أهون القوم عليه . ووضعوا هداياهم بين يديه ، فسرّ بها ، وأمر بقبضها . وأمر لهم بجوائز ، وفضل بعضهم على بعض ، وقصَّر بي ، فأعطاني شيئاً قليلاً لا ذكر له .

وخرجنا ، فأقبلت بنو مالك يشترون هدايا لأهلهم وهم مسرورون ، ولم يعرض عليّ أحد منهم مُواساة ، وخرجوا ، وحملوا معهم خمراً ، فكانوا يشربون منها وأشرب معهم ، ونفسي تأبى أن تَدَعني معهم . وقلت : ينصرفون إلى الطائف بما أصابوا وما حَباهم به الملك ، ويخبرون قومي بتقصيره بي ، وازدرائه إيّاي . فأجمعت على قتلهم . فقلت : أنا أجِد صُداعاً ، فوضعوا شرابهم ودعوني . فقلت : رأسي يُصَدَّع ، ولكنّي أجلس وأسقيكم ، فلم ينكروا شيئاً ؛ وجلست أسقيهم وأشرب القدح بعد القدح . فلمّا دبَّت الكأس فيهم ، اشتهُوا الشراب ، فجعلت أُصَرِّف لهم وأُترِع الكأس ، فيشربون ولا يدرون . فأهْمَدتهم الكأس ، حتى ناموا ما يعقلون . فوثبت إليهم ، فقتلتهم جميعاً ، وأخذت جميع ما كان معهم .

فقدِمت على النبيّ ﷺ ، فوجدته جالساً في المسجد مع أصحابه ، وعليَّ ثياب السفر ، فسلّمت بسلام الإسلام . فنظر إليّ أبو بكر بن أبي قحافة ، وكان بي عارفاً ، فقال : ابن أخي عُروة ؟ قلت : نعم ، جئت أشهد أنّ لا إله إلاّ الله ، وأنّ محمداً رسول الله . فقال رسول الله ﷺ : الحمد لله الذي هداك إلى الإسلام . فقال أبو بكر رضي الله عنه : أفمن مصر أقبلتم ؟ قلت : نعم . قال : فما فعل المالكيّون الذين كانوا معك ؟ قلت : كان بيني وبينهم

بعض ما يكون بين العرب ونحن على دِين الشرك ، فقتلتهم وأخذت أُسلابهم ، وجئت بها إلى رسول الله ﷺ ليَخْمُسها ، ويرى فيها رأيه ، فإنّما هي غنيمة من مشركين وأنا مسلم مصدّق بمحمد ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : أمّا إسلامك فنقبله ، ولا نأخذ من أموالهم شيئاً ، ولا نَخْمُسها ، لأنّ هذا غدر ، والغدر لا خير فيه . فأخذني ما قَرُب وما بَعُد ، وقلت : يا رسول الله ، إنّما قتلتهم وأنا على دِين قومي ، ثم أسلمت حين دخلت عليك الساعة . قال : فإنّ الإسلام يَجُبُّ ما كان قبله . وكان قتل منهم ثلاثة عشر إنساناً . فبلغ ذلك ثقيفاً بالطائف ، فتداعوا للقتال ، ثم اصطلحوا على أن يحمل عمّي عُرْوة بن مسعود ثلاث عشرة دِية .

قال المغيرة : وأُقمت مع النبيّ ﷺ حتى اعتمر عمرة الحديبية ، في ذي القعدة سنة ستّ من الهجرة ، فكانت أوّل سَفْرة خرجت معه فيها ، وكنت أكون مع أبي بكر ، وألزم النبيّ ﷺ فيمن يلزم .

وبعثتْ قريش عام الحديبية عروة بن مسعود إلى النبيّ ﷺ ، فأتاه يكلّمه ، وجعل يمسّ لحية رسول الله ﷺ وأنا قائم على رأسه ، مقنّع في الحديد . فقلت لعروة ، وهو يمسّ لحية رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : اكفُفْ يدك قبل ألاّ تصل إليك . فقال عروة : يا محمد ، مَن هذا ؟ ما أفظَّه وأغلظه ! فقال : هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة . فقال عروة : يا عدوّ الله ، ما غَسَلْتُ عنّي سوءتك إلاّ بالأمس ، يا غُدَر .

[أوّل ما عرف دهائه]

أخبرني محمد بن خلف ، قال : حدَّثني أحمد بن الهيثم الفِراسيّ ، قال : حدَّثنا العمريّ ، عن الهيثم بن عديّ ، عن مجالد ، عن الشعبيّ ، قال : قال المغيرة بن شعبة : أوّلُ ما عرفني به العرب من الحزم والدهاء ، أنّي كنت في ركب من قومي ، في طريق لنا إلى الحِيرة . فقالوا لي : قد اشتهينا الخمر ، وما معنا إلاّ درهم زائف . فقلت : هاتوه وهلمُّوا زِقّين . فقالوا : وما يكفيك لدرهم زائف زقّ واحد ؟ فقلت : أعطوني ما طلبت وخَلاكم ذمّ ، ففعلوا وهم يهزؤون بي . فصببت في أحد الزقّين شيئاً من ماء ، ثم جئت إلى خمّار ، فقلت له : كِلْ لي ملء هذا الزّقّ . فملأه . فأخرجت الدرهم الزائف ، فأعطيته إيّاه ، فقال لي : ما هذا ؟ ويحك ! أمجنون أنت ؟ فقلت : ما لك ؟ قال : إنّ ثمن هذا الزقّ عشرون درهماً جياداً ، وهذا درهم زائف . فقلت : أنا رجل بدويّ ، وظننت أنّ هذا يصلح كما ترى ، فإن صَلَح ، وإلاّ فخذ شرابك . فاكتال منّي ما كاله ، وبقي في زقّي من الشراب بقدر ما كان فيه من الماء ، فأفرغته في الزقّ الآخر ، وحملتهما على ظهري ، وخرجت ، وصببت في الزقّ الأوّل ماء .

ودخلت إلى خمّار آخر ، فقلت : إنّي أُريد مِلء هذا الزقّ خمراً ، فانظر إلى ما معي

منه ، فإن كان عندك مثله فأعطني . فنظر إليه ، وإنّما أردت ألّا يستريب بي إذا رددت الخمر عليه . فلمّا رآه قال : عندي أجودُ منه . قلت : هات . فأخرج لي شراباً ، فاكتلته في الزقّ الذي فيه الماء . ثم دفعت إليه الدرهم الزائف ، فقال لي مثل قول صاحبه . فقلت : خذ خمرك . فأخذ ما كان كاله لي ، وهو يرى أنّي خلطته بالشراب الذي أريته إيّاه . وخرجت فجعلته مع الخمر الأوّل . ولم أزَل أفعل ذلك بكلّ خمّار في الحِيرة ، حتى ملأت زقّي الأوّل وبعض الآخر . ثم رجعت إلى أصحابي ، فوضعت الزقّين بين أيديهم ، ورددت دِرهمهم . فقالوا لي : ويحك ! أيَّ شيء صنعت ؟ فحدّثتهم ، فجعلوا يعجبون . وشاع لي الذكر في العرب بالدّهاء حتى اليوم .

[هو أوّل مَن خضب بالسواد]

قال محمد بن سعد : أخبرنا محمد بن معاوية النيسابوريّ ، قال : حدَّثنا داود بن خالد ، عن العبّاس بن عبد الله بن معبد بن العبّاس ، قال : أوّل مَن خضب بالسواد المغيرة بن شعبة . خرج على الناس وكان عهدهم به أبيض الشعر ، فعجب الناس منه .

[يغضب لأبي بكر الصديق]

قال محمد : وأخبرني شهاب بن عباد ، قال : حدَّثنا إبراهيم بن حميد الرُّواسيّ ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي خازم ، عن المغيرة بن شعبة ، قال : كنت جالساً عند أبي بكر ، إذ عُرِض عليه فرس له ، فقال له رجل من الأنصار : احملني عليها . فقال أبو بكر : لأن أحمل عليها غلاماً قد ركب الخيل على غُرْلته[1] ، أحبّ إليّ من أن أحملك عليها . فقال له الأنصاريّ : أنا خير منك ومن أبيك . قال المغيرة : فغضبت لما قال ذلك لأبي بكر رضي الله عنه ، فقمت إليه ، فأخذت برأسه ، فركبته ، وسقط على أنفه ، فكأنّما كان عَزالي[2] مزادة . فتوعّدني الأنصار أن يستقيدوا منّي ، فبلغ ذلك أبا بكر . فقام فقال : أمّا بعد . فقد بلغني عن رجال منكم زعموا أنّي مُقِيدهم من المغيرة . ووالله لأن أخرجهم من دارهم ، أقرب إليهم من أن أقيدهم مِن وَزَعة الله الذين يَزَعون إليه .

[أسطورة خطبته هند بنت النُّعمان]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ وحبيب بن نصر المهلَّبيّ ، قالا : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثنا محمد بن سلام الجمحيّ ، قال : حدَّثنا حسّان بن العلاء الرياحيّ ، عن أبيه ، عن الشعبيّ ، قال : ركب المغيرة بن شعبة إلى هند بنت النُّعمان بن المنذر ، وهي بدير هند ،

1 ركب الخيل على غرلته . ركبها وهو صبي لم يختن .

2 العزالي : جمع عزلاء ، وهي فم المزادة الأسفل .

متنصِّرة عمياء ، بنت تسعين سنة . فقالت له : مَن أنت ؟ قال : أنا المغيرة بن شعبة . قالت : أنت عامل هذه المَدَرة ؟ تعني الكوفة . قال : نعم . قالت : فما حاجتك ؟ قال : جئتك خاطباً إليك نفسك . قالت : أما والله لو كنتَ جئت تبغي جمالاً أو ديناً أو حسباً لزوّجناك ، ولكنّك أردْت أن تجلس في مَوْسم من مواسم العرب ، فتقول : تزوّجت بنت النعمان بن المنذر ؛ وهذا والصليبِ أمر لا يكون أبداً ، أوَ ما يكفيك فخراً أن تكون في مُلْك النُّعمان وبلاده ، تدبرهما كما تريد ! وبكت .

فقال لها : أيّ العرب كان أحبَّ إلى أبيك ؟ قالت : ربيعة . قال : فأين كان يجعل قيساً ؟ قالت : ما كان يستعتبهم من طاعة . قال : فأين كان يجعل ثقيفاً ؟ قالت : رُوَيداً لا تعجل . بينا أنا ذات يوم جالسة في خِدر لي ، إلى جنب أبي ، إذ دخل عليه رجلان ، أحدهما من هوازن ، والآخر من بني مازن ، كلّ واحد منهما يقول : إنّ ثقيفاً منّا ، فأنشأ أبي يقول : [من الرجز]

إنّ ثقيفاً لم يكن هوازناً ولم يناسب عامراً ومازنا

إلاّ قريبـاً فانشرِ المحاسِنا

فخرج المغيرة وهو يقول : [من الكامل]

أدركتِ ما منيتُ نفسيَ خالياً لله دركِ يـا ابنــة النُّعمانِ !

وذكر الأبيات التي مضت ، وذكرتُ الغناء فيها .

[أجاز هجاء حسان لقبيلته]

أخبرني محمد بن خلف ، قال : أخبرنا الحارث بن محمد ، قال : قال أبو عبيدة : قال العلاء بن جرير العنبريّ : بينا حسّان بن ثابت ذات يوم جالس بالخَيف من مِنًى وهو يومئذٍ مكفوف ، إذ زفر زفرة ، ثم أنشأ يقول[1] : [من الكامل]

وكأنّ حافرهـا بكـلّ خميلةٍ صاع يكيـل بـه شحيحٌ معدِمُ

عاري الأشاجع من ثقيفٍ أصله عبـد ويزعـم أنّه مِـنْ يَقْدُم

قال : والمغيرة بن شعبة يسمع ما يقول ، فبعث إليه بخمسة آلاف درهم . فلمّا أتاه بها الرسول قال : مَن بعث بهذه ؟ قال : المغيرة بن شعبة ، سمع ما قلت . فقال : واسوْءتاه ! وقَبِلها .

[مزواج مطلاق]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال : حدَّثنا عيسى بن إسماعيل[2] العَتَكيّ ، قال حدَّثنا

---

1 ديوان حسان 1 : 438 وفيه «صحيح معدم» .

2 ل : إسماعيل بن عيسى .

محمد بن سلام الجمحيّ ، قال : أحصن المغيرة بن شعبة إلى أن مات ثمانين امرأة ، فيهنّ ثلاث بنات لأبي سفيان بن حرب ، وفيهنّ حفصة بنت سعد بن أبي وقاص ، وهي أمّ ابنه حمزة بن المغيرة ، وعائشة بنت جرير بن عبد الله .

وقال أبو اليقظان : صلّى المغيرة بالناس سنة أربعين في العام الذي قتل فيه عليّ بن أبي طالب عليه السلام . فجعل يوم الأضحى يوم عرفة ، أظنّه خاف أن يُعزل ، فسبق ذلك .

فقال الراجز : [من الرجز]

سِيري رُويداً وابتغي المغيرهْ كلفتُها الإدلاج بالظهيرهْ

قال : وكان المغيرة مِطلاقاً . فكان إذا اجتمع عنده أربع نسوة قال : إنّكنّ لطويلات الأعناق ، كريمات الأخلاق ، ولكنّي رجل مِطلاق ، فاعتددْن .

وكان يقول : النساء أربع ، والرجال أربعة : رجل مذكَّر وامرأة مؤنَّثة ، فهو قَوامٌ عليها ؛ ورجل مؤنَّث وامرأة مذكَّرة ، فهي قوامة عليه ؛ ورجل مذكَّر وامرأة مذكَّرة ، فهما كالوَعِلين ينتطحان ؛ ورجل مؤنَّث وامرأة مؤنّثة ، فهما لا يأتيان بخير ، ولا يفلحان .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثنا الأصمعيّ قال : حدَّثنا أبو هلال عن مطير الورّاق ، قال المغيرة بن شعبة : نكحت تسعاً وثمانين امرأة ، أو قال : أكثر من ثمانين امرأة ، فما أمسكت امرأة منهنّ على حبّ ؛ أُمْسِكها لولدها ، ولحسبها ، ولكذا ولكذا .

قال أبو زيد : وبلغني أنّهم ذكروا النساء عند المغيرة بن شعبة ، فقال : أنا أُعلمكم بهنّ : تزوّجت ثلاثاً وتسعين امرأة ، منهنّ سبعون بكراً ، فوجدت اليمانيّة كثوبك : أخذت بجانبه فاتبعك بقيته ؛ ووجدت الرَّبَعيّة أَمَتك : أمرتَها فأطاعتك ؛ ووجدت المُضَريّة قِرْناً ساوَرْته ، فغلبته أو غلبك .

حدَّثنا ابن عمار قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثنا أبو عاصم قال : رأى المغيرة امرأة له تخَلَّل بعد صلاة الصبح ، فطلّقها . فقالت : علام طلّقني ؟ قيل : رآك تَخَلَّلين ، فظنّ أنّك أكلت . فقالت : أبعده الله ! والله ما أتخلّل إلاّ من السواك[1] .

[غيّر عمر كنيته]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني موسى بن إسماعيل قال : حدَّثنا حمّاد بن سلمة ، عن زيد بن أسلم : أنّ رجلاً جاء فنادى يستأذن لأبي

1 وردت هذه الحكاية في مروج الذهب (3 : 132) وفيه أن الفارعة كانت زوجة الحارث بن كلدة الثقفيّ وأنّها أمّ الحجّاج ، وقال صاحب العقد (5 : 13–14) أنّ الفارعة كانت زوجة المغيرة .

عيسى ، على أمير المؤمنين . فقال عمر : أيّكم أبو عيسى ؟ قال المغيرة بن شعبة : أنا . فقال له عمر : هل لعيسى من أب ؟ أما يكفيكم معاشر العرب أن تكتنوا بأبي عبد الله ، وأبي عبد الرحمن ! فقال له رجل من القوم : أشهد أنّ النبي ﷺ كناه بها . فقال له عمر : إنّ النبيّ ﷺ قد غُفِر له ، ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر ، وأنا لا أدري ما يُفعَل بي . فكناه أبا عبد الله .

[عور الكوفة]

أخبرني هاشم بن محمد قال : حدَّثنا أبو غسان دماذ ، عن أبي عبيدة ، قال : حدَّثني عمرو بن بحر أبو عثمان الجاحظ ، قال : كان الجَمال بالكوفة ينتهي إلى أربعة نفر : المغيرة بن شعبة ؛ وجرير بن عبد الله ، والأشعث بن قيس ، وحُجْر بن عديّ ، وكلّهم كان أعور ؛ فكان المغيرة والأشعث وجرير يوماً متواقِفين بالكوفة بالكُناسة ، فطلع عليهم أعرابيّ . فقال لهم المغيرة : دعوني أُحرّكه . قالوا : لا تفعل ، فإنّ للأعراب جواباً يُؤْثَر . قال : لا بدّ . قالوا : فأنتَ أعلم . قال له : يا أعرابيّ ، هل تعرف المغيرة بن شعبة ؟ قال : نعم أعرفه أعورَ زانياً . فوَجم ، ثم تجلد فقال : هل تعرف الأشعث بن قيس ؟ قال : نعم ، ذاك رجل لا يعرى قومه . قال : وكيف ذاك ؟ قال : لأنّه حائك ابن حائك . قال : فهل تعرف جرير بن عبد الله ؟ قال : وكيف لا أعرف رجلاً لولاه ما عُرفت عشيرته . قالوا له : قَبَحك الله ، فإنّك شرّ جليس ، فهل تحبّ أن نُوقِر لك بعيرك هذا مالاً وتموتَ أكرم العرب ؟ قال : فمَن يبلغه أهلي إذن ؟ فانصرفوا عنه وتركوه .

[القبائل والنساء عند ابن لسان الحمرة]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ، قال : حدَّثني أبو سعيد السكريّ ، قال : حدَّثنا محمد بن أبي السريّ ، واسم أبي السريّ سهل بن سلام الأزديّ ، قال : حدَّثني هشام بن محمد قال : أخبرنا عَوانة بن الحكم ، قال : خرج المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يومئذٍ ، ومعه الهيثم بن الأسود النخعيّ ، بعد غِبّ مطر ، يسير بظهر الكوفة والحوف ، فلقيَ ابن لسان الحُمَّرة ، أحد بني تيم الله بن ثعلبة ، وهو لا يعرف المغيرة . فقال له المغيرة : من أين أقبلت يا أعرابيّ ؟ قال : من السماوة . قال : فكيف تركت الأرض خلفك ؟ قال : عريضة أريضة[1] . قال : وكيف كان المطر ؟ قال : عَفَّى الأثر ، وملأ الحُفَر . قال : مِمّن أنت ؟ قال : من بكر بن وائل . قال : فكيف علمك بهم ؟ قال : إن جهلتُهم لم أعرف غيرهم . قال : فما تقول في بني شيبان ؟ قال : سادتنا وسادة غيرنا . قال : فما تقول في بني ذُهْل ؟ قال : سادة نَوْكى . قال : فقيس بن ثعلبة ؟ قال : إن جاورتهم سرقوك ، وإن

1 أريضة : معشبة خصبة .

ائتمنتهم خانوك . قال : فبنو تيم الله بن ثعلبة ؟ قال : رِعاء البقر ، وعراقيب الكلاب . قال : فما تقول في بني يشكر ؟ قال : صريح تحسبه مولى . (قال هشام : لأنّ في ألوانهم حمرة) . قال : فعِجْل ؟ قال : أُحلاس[1] الخيل . قال : فحنيفة ؟ قال : يطعمون الطعام ، ويضربون الهام . قال : فعنَزَة ؟ قال : لا تلتقي بهم الشفتان لؤماً . قال : فضُبيعة أضجم ؟ قال : جَدْعاً وعَقْراً[2] . قال : فأخبرني عن النساء . قال : النساء أربع : ربيع مُربع ، وجميع تَجْمع ، وشيطان سَمَعْمع ، وغُلّ لا يخلَع . قال فَسِّر . قال : أمّا الربيع المربع فالتي إذا نظرت إليها سرّتك ، وإذا أُقسمت عليها أبَرَّتك ؛ وأمّا التي هي جميع تجمع ، فالمرأة تتزوجها ولها نَشَب ، فتجمع نَشَبك إلى نَشَبها ؛ وأمّا الشيطان السمعمع ، فالكالحة في وجهك إذا دخلت ، والمولولة في أُثرك إذا خرجت ؛ وأمّا الغلّ الذي لا يخلع ، فبنت عمِّك السوداء القصيرة ، الفوهاء[3] الدميمة ، التي قد نثرت لك بطنها ، إن طلّقتها ضاع ولدك ، وإن أُمسكتها فعلى جدع أنفك . فقال له المغيرة : بل أنفك . ثم قال له : ما تقول في أميرك المغيرة بن شعبة ؟ قال : أعورُ زنّاء . فقال الهيثم : فضّ الله فاك ! ويلك ! هذا الأمير المغيرة . فقال : إنّها كلمة والله تقال . فانطلق به المغيرة إلى منزله ، وعنده يومئذٍ أربع نسوة ، وستّون أو سبعون أُمَة . قال له : ويحك ؛ هل يزني الحرّ وعنده مثل هؤلاء ؟ ثم قال لهنّ المغيرة : ارمين إليه بحُلاكنّ . ففعلن . فخرج الأعرابيّ بملء كسائه ذهباً وفضّة .

[نصح وغش]

أُخبرني عبيد الله بن محمد ، قال : حدَّثنا الخرّاز ، عن المدائنيّ ، عن أُبي مخنف ، وأخبرني أحمد بن عيسى العِجليّ قال : حدَّثنا الحسن بن نصر ، قال : حدَّثني أُبي نصر بن مزاحم قال : حدَّثنا عُمر بن سعد ، عن أبي مِخْنف عن رجاله : أنّ المغيرة بن شعبة جاء إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فقال له : اكتب إلى معاوية فوَلّه الشام ، ومره بأخذ البيعة لك ، فإنّك إن لم تفعل وأردت عزله حاربك . فقال عليّ عليه السلام : ﴿ما كنتُ متَّخِذَ المُضِلِّين عَضُدا﴾ . فانصرف المغيرة وتركه . فلمّا كان من غد جاءه ، فقال : إنّي فكّرت فيما أشرتُ به عليك أُمس ، فوجدته خطأ ، ووجدت رأيك أصوب . فقال له عليّ : لم يَخْفَ عليّ ما أردت ؛ قد نصحتني في الأولى ، وغششتني في الآخرة ، ولكنّي والله لا آتي أمراً أجد فيه

---

1 أحلاس الخيل : فرسان شجعان .

2 هذا دعاء عليهم بالفناء .

3 ل : الورهاء .

فساداً لديني ، طلباً لصلاح دنياي . فانصرف المغيرة .

[بينه وبين مصقلة بن هبيرة الشيباني]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني إبراهيم بن سعيد بن شاهين ، قال : حدَّثني محمد بن يونس الشيرازيّ ، قال : حدَّثني محمد بن غسان الضبيّ ، قال : حدَّثني زاجر بن عبد الله الثقفيّ ، مولى الحجّاج بن يوسف ، قال : كان بين المغيرة بن شعبة وبين مَصْقلة بن هُبَيرة الشيبانيّ تنازع ، فضرع له المغيرة ، وتواضع في كلامه ، حتى طمع فيه مَصقلة ، واستعلى عليه ، فشتمه . فقدَّمه المغيرة إلى شُرَيح ، وهو القاضي يومئذٍ ، فأقام عليه البينة ، فضربه الحدّ . فآلى مصقلة ألاّ يقيم ببلدة فيها المغيرة بن شعبة ما دام حيّاً ، وخرج إلى بني شيبان ، فنزل فيهم إلى أن مات المغيرة . ثم دخل الكوفة ، فتلقّاه قومه ، وسلّموا عليه . فما فرغ من التسليم حتى سألهم عن مقابر ثقيف ، فأرشدوه إليها . فجعل قوم من مواليه يلتقطون له الحجارة ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : ظننا أنّك تريد أن ترجم قبره . فقال : ألقوا ما في أيديكم . فألقَوه ، وانطلق حتى وقف على قبره ، ثم قال : والله لقد كنتَ ما علمتُ نافعاً لصديقك ، ضائراً لعدوّك ، وما مثلك إلاّ كما قال مهلهل في أخيه كليب : [من الخفيف]

إنّ تحت الأحجار حزماً وعزماً وخَصيماً ألَدَّ ذا معلاقِ[1]

حيّةٌ في الوِجار أربدُ لا ينْـ ـفع منه السليمَ نفثُ الرّاقي

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف بن المَرْزُبان ، عن أحمد بن القاسم ، عن العمريّ ، عن الهيثم بن عديّ ، عن مجالد ، عن الشعبيّ : أنّ مصقلة قال له : والله إنّي لأعرف شبهي في عُرْوة ابنك . فأشهد عليه بذلك ، وجلده الحدّ . وذكر باقي الخبر مثل الذي قبله .

[عمر لا ينخدع به]

أخبرني محمد بن عبد الله الرازيّ ، قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث ، عن المدائنيّ ، عن مسلمة بن محارب ، قال : قال رجل من قريش لعمر بن الخطّاب رضوان الله عليه : ألا تتزوّج أمّ كلثوم بنت أبي بكر ، فتَحْفظه بعد وفاته ، وتخلُفه في أهله . فقال عمر : بلى ، إنّي لأحبّ ذاك ؛ فاذهب إلى عائشة ، فاذكر لها ذلك ، وعُد إليّ بجوابها . فمضى الرسول إلى عائشة ، فأخبرها بما قال عمر ، فأجابته إلى ذلك ، وقالت له : حبّاً وكرامة . ودخل إليها بعَقِب ذلك المغيرة بن شعبة ، فرآها مهمومة . فقال لها : ما لك يا أمّ المؤمنين ؟ فأخبرته برسالة عمر ، وقالت : إنّ هذه جارية حَدَثة ، وأردت لها ألين عيشاً من عمر . فقال لها : عليّ أن أكفيك . وخرج من عندها ، فدخل

1 ذو معلاق : شديد الخصومة . والمعلاق : اللسان البليغ . ويروى : ذو مغلاق ، وهو الذي يغلق الحجة على الخصم .

على عمر ، فقال : بالرِّفاء والبنين ، قد بلغني ما أُتيته من صلة أبي بكر في أهله ، وخِطْبَتك أُمّ كلثوم . فقال : قد كان ذاك . قال : إلاّ أنّك ، يا أمير المؤمنين ، رجل شديد الخُلُق على أهلك ، وهذه صبية حديثة السن ، فلا تزال تنكر عليها الشيء ، فتضربها فتصيح : يا أبتاه ! فيغمّك ذلك ، وتتألّم له عائشة ، ويذكرون أبا بكر ، فيبكون عليه ، فتجدّد لهم المصيبة به ، مع قرب عهدها في كلّ يوم . فقال له : متى كنت عند عائشة ، واصدقني ؟ فقال : آنفاً . فقال عمر : أشهد أنّهم كرهوني ، فتضمنت لهم أن تصرفني عمّا طلبت ، وقد أعفيتهم . فعاد إلى عائشة ، فأخبرها بالخبر ، وأمسك عمر عن معاودتها .

[اتهامه بالزنا]

حدَّثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وأحمد بن عبيد الله بن عمّار ، قالا : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثنا عليّ بن محمد النوفليّ ، عن محمد بن سليمان الباقلانيّ ، عن قتادة ، عن غنيم بن قيس ، قال : كان المغيرة بن شعبة يختلف إلى امرأة من ثقيف يقال لها الرَّقْطاء ، فلقيه أبو بكرة ، فقال له : أين تريد ؟ قال : أزور آل فلان . فأخذ بتلابيبه ، وقال إنّ الأمير يزار ولا يزور .

وحدَّثنا بخبره لما شهد عليه الشهود عند عمر رضي الله عنه ، أحمد بن عبيد الله بن عمّار ، وأحمد بن عبد العزيز ، قالا : حدَّثنا عمر بن شبّة ، فرواه عن جماعة من رجاله ، بحكايات متفرّقة .

قال عمر بن شبّة : حدَّثني أبو بكر العُلَيميّ ، قال : أخبرنا هشام ، عن عيينة بن عبد الرحمن بن جَوشن ، عن أبيه ، عن أبي بكرة . قال عمر بن شبّة : وحدَّثنا عمرو بن عاصم ، قال : حدَّثنا حمّاد بن سلمة ، عن عليّ بن يزيد ، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة . قال أبو زيد عمر بن شبّة : وحدَّثنا عليّ بن محمد بن حباب بن موسى ، عن مجالد ، عن الشعبيّ . قال : وحدَّثنا محمد بن عبد الله الأنصاريّ ، قال : حدَّثنا عوف ، عن قسامة بن زهير . قال أبو زيد عمر بن شبّة : قال الواقديّ : حدَّثنا عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكرة ، عن أبيه ، عن مالك بن أوس بن الحَدَثان . قال : وحدَّثني محمد بن الجهم ، عن عليّ بن أبي هاشم ، عن إسماعيل بن أبي عبلة ، عن عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس ابن مالك :

أنّ المغيرة بن شعبة كان يخرج من دار الإمارة وَسْط النهار ، وكان أبو بكرة يلقاه فيقول له : أين يذهب الأمير ؟ فيقول : آتي حاجة . فيقول له : حاجة ماذا ؟ إنّ الأمير يزار ولا يزور .

قال : وكانت المرأة التي يأتيها جارة لأبي بكرة . قال : فبينا أبو بكرة في غرفة له مع أصحابه وأخويه نافع وزياد ، ورجلٍ آخر ، يقال له شبل بن معبد ، وكانت غرفة جارته تلك بحذاء غرفة أبي بكرة . فضربت الريح باب المرأة ففتحته . فنظر القوم فإذا هم بالمغيرة ينكحها . فقال أبو بكرة : هذه بلية ابتُليتم بها ، فانظروا . فنظروا حتى أثبتوا . فنزل أبو بكرة فجلس حتى خرج عليه المغيرة من بيت المرأة ، فقال له : إنّه قد كان من أمرك ما قد علمت ، فاعتزِلنا . قال : وذهب ليصلّي بالناس الظهر ، فمنعه أبو بكرة ، وقال له : لا والله لا تصلّي بنا وقد فعلت ما فعلت . فقال الناس : دعوه فليصلّ ، فإنّه الأمير ، واكتبوا بذلكم إلى عمر . فكتبوا إليه ، فورد كتابه بأن يَقْدَموا عليه جميعاً ، المغيرة والشهود .

وقال المدائنيّ في حديثه عن حباب بن موسى : وبعث عمر بأبي موسى الأشعريّ على البصرة . وعزم عليه ألاّ يضع كتابه من يده حتى يرحل المغيرة بن شعبة . قال : قال عليّ بن أبي هاشم في حديثه : إنّ أبا موسى قال لعمر لمّا أمره أن يرحله من وقته : أَوَ خير من ذلك يا أمير المؤمنين : نتركه يتجهّز ثلاثاً ، ثم يخرج . قال : فصلّينا صلاة الغداة بظهر المِربد ، ودخلنا المسجد ، فإذا هم يصلّون : الرجال والنساء مختلطين . فدخل رجل على المغيرة ، فقال له : إنّي رأيت أبا موسى في جانب المسجد ، عليه بُرْنُس . فقال له المغيرة : ما جاء زائراً ولا تاجراً . فدخلنا عليه ومعه صحيفة ملء يده . فلمّا رآنا قال : الأمير ؟ فأعطاه أبو موسى الكتاب . فلمّا قرأه ذهب يتحرّك عن سريره . فقال له أبو موسى : مكانك ، تجهّز ثلاثاً .

وقال الآخرون : إنّ أبا موسى أمره أن يرحل من وقته . فقال له المغيرة : لقد علمتَ ما وُجهتَ فيه ، فألاّ تقدّمت فصلّيت . فقال له أبو موسى : ما أنا وأنت في هذا الأمر إلاّ سواء . فقال له المغيرة : فإنّي أحبّ أن أُقيم ثلاثاً لأتجهّز . فقال : قد عزم عليّ أمير المؤمنين ألاّ أضع عهدي من يدي إذا قرأته عليك ، حتى أُرحِّلَك إليه . قال : إن شئت شَفّعتني وأبررت قسم أمير المؤمنين . قال : وكيف ؟ قال : تؤجّلني إلى الظهر ، وتمسك الكتاب في يدك . قالوا : فقد رُئي أبو موسى يمشي مقبلاً ومدبراً ، وإنّ الكتاب لفي يده معلّقاً بخيط . فتجهّز المغيرة ، وبعث إلى أبي موسى بعقيلة ، جارية عربية من سَبْي اليمامة ، من بني حنيفة ؛ ويقال إنّها مولدة الطائف ، ومعها خادم لها . وسار المغيرة حين صلّى الظهر ، حتى قدم على عمر : وقال في حديث محمد بن عبد الله الأنصاريّ : فلمّا قدم على عمر ، قال له : إنّه قد شُهد عليك بأمر إن كان حقّاً لأن تكون متّ قبل ذلك كان خيراً لك .

قال أبو زيد : وحدَّثني الحكم بن موسى ، قال : حدَّثنا يحيى بن حمزة ، عن إسحاق بن

عبد الله بن أبي فروة ، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاريّ ، عن مصعب بن سعد : أنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه جلس ، ودعا المغيرة والشهود . فتقدّم أبو بكرة . فقال له : أرأيته بين فخذيها ، قال : نعم والله ، لكأنّي أنظر إلى تشريم جُدَريّ بفخذيها . فقال له المغيرة : لقد ألطفت النظر . فقال له : لم آلُ أن أثبت ما يخزيك الله به ؟ فقال له عمر : لا والله حتى تشهد لقد رأيته يلج فيه كما يلج المِرود في المُكْحُلة . فقال : نعم أشهد على ذلك . فقال له : اذهب عنك مُغيرة ، ذهب رُبْعك .

ثم دعا نافعاً فقال له : علام تشهد ؟ قال : على مثل شهادة أبي بكرة . قال : لا ، حتى تشهد أنّه كان يلج فيه وُلوج المِرود في المكحُلة . فقال : نعم حتى بلغ قُذَذه[1] . فقال : اذهب عنك مغيرة ، ذهب نِصفك . ثم دعا الثالث ، فقال : علام تشهد ؟ فقال : على مثل شهادة صاحبيّ . فقال له عليّ بن أبي طالب عليه السلام . اذهب عنك مغِيرة ، ذهب ثلاثة أرباعِك . قال : حتى مكث يبكي إلى المهاجرين ، فبكوا . وبكى إلى أُمّهات المؤمنين ، حتى بكين معه ، وحتى لا يجالس هؤلاء الثلاثة أحد من أهل المدينة .

قال : ثم كتب إلى زياد ، فقدِم على عمر . فلمّا رآه جلس له في المسجد ، واجتمع إليه رؤوس المهاجرين والأنصار . قال المغيرة : ومعي كلمة قد رفعتها لأكلّم القوم . قال : فلمّا رآه عمر مقبلاً قال : إنّي لأرى رجلاً لن يخزيَ الله على لسانه رجلاً من المهاجرين .

قال أبو زيد : وحدَّثنا عفّان ، قال : حدَّثنا السَّرِيّ بن يحيى ، قال : حدَّثنا عبد الكريم بن رشيد ، عن أبي عثمان النهديّ ، قال : لمّا شهِد عند عمر الشاهد الأوّل على المغيرة ، تغيّر لذلك لون عمر . ثم جاء آخر فشهد ، فانكسر لذلك انكساراً شديداً . ثم جاء رجل شابّ يخطِر بين يديه ، فرفع عمر رأسه إليه ، وقال له : ما عندك يا سَلْح العُقاب . وصاح أبو عثمان صيحة تحكي صيحة عمر . قال عبد الكريم : لقد كِدتُ أن يُغْشى عليّ .

وقال آخرون : قال المغيرة : فقمت إلى زياد ، فقلت له : لا مَخبأ لعطر بعد عَروس[2] ؛ ثم قلت : يا زياد ، أُذكر الله ، وأذكر موقف يوم القيامة ؛ فإنّ الله وكتابه ورسوله وأمير المؤمنين قد حقنوا دمي ، إلاّ أن تتجاوز إلى ما لم تَرَ ما رأيت ، فلا يحملك شرّ منظر رأيته على أن تتجاوزه إلى ما لَم تَرَ ، فوالله لو كنت بين بطني وبطنها ما رأيت أين سلك ذكري منها . قال : فترنّقت عيناه ، واحمرّ وجهه ، وقال : يا أمير المؤمنين ، أما أن أُحُقَّ ما حقّ القوم فليس

1 قذذ : جمع قذة ، وهي جانب الحياء .

2 المثل «لا مخبأ لعطر بعد عروس» في مجمع الميداني 2 : 211 ومستقصى الزمخشري 2 : 263 وفصل المقال : 427 .

ذلك عندي ؛ ولكنّي رأيت مجلساً قبيحاً ، وسمعت نَفَساً حثيثاً وانبهاراً ، ورأيته متبطّنها . فقال له : أرأيته يدخله كالمِيل في المكحُلة . فقال : لا .

وقال غير هؤلاء : إن زياداً قال له : رأيته رافعاً برجليها ، ورأيت خصيتيه تتردّدان بين فخذيها ، ورأيت حَفْزاً شديداً ، وسمعت نفَساً عالياً . فقال له : أرأيته يدخله ويخرجه كالمِيل في المكحلة ؟ فقال : لا . فقال عمر . الله أكبر . قم إليهم فاضربهم . فقام إلى أبي بكرة ، فضربه ثمانين ، وضرب الباقين ، وأعجبه قول زياد ، ودرأ عن المغيرة الرجْم . فقال أبو بكرة بعد أن ضُرب : فإنّي أشهد أنّ المغيرة فعل كذا وكذا . فهم عمر بضربه ، فقال له عليّ عليه السلام : إن ضربته رجمت صاحبك . ونهاه عن ذلك .

قال : يعني أنّه إن ضربه جعل شهادته بشهادتين ، فوجب بذلك الرجم على المغيرة .

قال : واستتاب عمر أبا بكرة . فقال : إنّما تستتيبني لتقبل شهادتي . قال : أجَل . قال : لا أشهد بين اثنين ما بقيت في الدُّنيا . قال : فلمّا ضُرِبوا الحدّ قال المغيرة : الله أكبر ، الحمد لله الذي أخزاكم . فقال له عمر : اسكت أخزى الله مكاناً رأوك فيه . قال : وأقام أبو بكرة على قوله ، وكان يقول : والله ما أنسى رَقَط فخذيها . قال : وتاب الاثنان ، فقُبلت شهادتهما . قال : وكان أبو بكرة بعد ذلك إذا دُعي إلى شهادة يقول : اطلب غيري ، فإنّ زياداً قد أفسد عليّ شهادتي .

قال أبو زيد : وحدَّثني سليمان بن داود بن عليّ ، قال : حدّثني إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : لما ضُرب أبو بكرة أمرت أُمّه بشاة فذبحت ، وجعلت جلدها على ظهره . قال : فكان أبي يقول : ما ذاك إلاّ من ضرب شديد .

حدَّثنا ابن عمّار والجوهريّ قالا : حدَّثنا عمر بن شبَّة قال : حدّثنا عليّ بن محمد ، عن يحيى بن زكريا ، عن مجالد ، عن الشعبيّ ، قال : كانت أُمّ جميل بنت عمر ، التي رُمِي بها المغيرة بن شعبة بالكوفة ، تختلف إلى المغيرة في حوائجها ، فيقضيها لها . قال : ووافقت عمر بالموسم والمغيرة هناك ، فقال له عمر : أتعرف هذه ؟ قال : نعم ؛ هذه أُمّ كلثوم بنت عليّ . فقال : له عمر : أتتجاهل عليّ ؟ والله ما أظنّ أبا بكرة كذب عليك ، وما رأيتك إلاّ خفت أن أُرمى بحجارة من السماء .

حدَّثني أحمد بن الجعد ، قال : حدّثنا محمد بن عباد ، قال : حدَّثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن أبي جعفر ، قال : قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام : لئن لم ينته المغيرة لأتبعنّه أحْجاره . وقال غيره : لئن أخذت المغيرة لأتبعنّه أحجاره .

أخبرني ابن عمّار والجوهريّ قالا : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثنا المدائنيّ ، قال : قال

حسان بن ثابت يهجو المغيرة بن شعبة في هذه القصّة[1] : [من الوافر]

لَـو انّ اللؤم ينسَبُ كان عبداً قبيح الوجـه أعور من ثقيفِ

تركـتَ الدِّيــن والإسلام لما بدت لك غُدوةً ذاتُ النَّصيفِ

وراجعت الصِّبا وذكرت عهداً من القَينـات والغمز اللطيفِ

[يتزوج في الطريق إلى عمر]

أخبرني الجوهريّ وابن عمّار ، قالا : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثنا المدائنيّ عن عبد الله بن سلم الفِهريّ ، قال : لمّا شخص المغيرة إلى عمر ، رأى في طريقه جارية فأعجبته ، فخطبها إلى أبيها . فقال له : أنت على هذه الحال ؟ قال : وما عليك ؟ إن أُعفَ ، فهو الذي تريد ؛ وإن أقتل ترثني . فزوّجه .

قال أبو زيد : قال الواقديّ : تزوّجها بالرَّقَم[2] . وهي امرأة من بني مرّة . فلمّا قدِم بها على عمر ، قال : إنّك لفارغ القلب ، طويل الشَّبَق .

وقال محمد بن سعد . أخبرني محمد بن عبد الله الأسدِيّ ، قال : حدَّثنا مِسعر ، عن زياد بن علاقة ، قال : سمعت جرير بن عبد الله حين مات المغيرة بن شعبة يقول : استغفروا لأميركم هذا ، فإنّه كان يحبّ العافية .

قال : وكان المغيرة أصهب الشعر جدّاً ، أكشف ، يفرُق رأسه قروناً أربعة ، أقلص الشفتين ، مهتوماً ، ضخم الهامة ، عَبل الذراعين ، بعيد ما بين المِنكبين .

[وفاته]

قال : وقال الواقديّ ، حدَّثني محمد بن موسى الثقفيّ ، عن أبيه ، قال : مات المغيرة بن شعبة بالكوفة سنة خمسين ، في خلافة معاوية ، وهو ابن سبعين سنة . وكان رجلاً طُوالاً أعور ، أُصيبت عينه يوم اليرموك .

صوت

[من البسيط]

جِنِّيَّــةٌ ولهــا جِــنّ يعلّمها رميَ القلوب بقوس ما لها وترُ

إن كان ذا قَدَراً يعطيكِ نافلة منّا ويحرِمنا ، ما أنصف القدرُ

الشعر لمحمد بن بشير الخارجيّ ، والغناء لإبراهيم : هزج بالبِنصر ، عن الهشاميّ .

---

1 ديوان حسان 1 : 112 مع بعض اختلاف في الرواية .

2 الرقم : موضع بالحجاز .

[313] ـ أخبار محمد بن بشير الخارجيّ ونسبه[1]

[نسبه]

هو محمد بن بشير بن عبد الله بن عقيل بن أَسعد بن حبيب بن سنان بن عِدِيّ بن عوف بن بكر بن يشكر بن عَدْوان الخارجيّ ، من بني خارجة بن عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر . ويقال لعدوان وفهم : ابنا جديلة ، نُسبا إلى أمّهما جديلة بنت مُرّ بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر ، ويكنى محمد بن بشير أبا سليمان ؛ شاعر فصيح حجازيّ مطبوع ، من شعراء الدولة الأمويّة . وكان منقطعاً إلى أبي عبيدة بن عبد الله بن زَمْعة القرشيّ ، أحد بني أسد بن عبد العزى ، وهو جدّ ولد عبد الله بن الحسن بن الحسن ، لأمّهم هند بنت أبي عبيدة بن زمعة القرشيّ ؛ ولدت لعبد الله محمداً وإبراهيم وموسى . وكانت لمحمد بن بشير فيه مدائح ومَراثٍ مختارة ، وهي عيون شعره ، وكان يبدو[2] في أكثر زمانه ، ويقيم في بوادي المدينة ، ولا يكاد يحضر مع الناس .

أخبرني بقطعة من أخباره الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا أحمد بن زهير ، قال : حدَّثني مُصعَب الزبيريّ . قال أحمد : وحدَّثنا الزبير بن بكّار ، قال : حدَّثني سليمان بن عيّاش السعديّ وعمِّي مصعب ، وحدَّثني بقطعة أُخرى منها عيسى بن الحسن الوراق ، عن الزُّبير ، عن سليمان بن عياش . وقد ذكرت كل ذلك في مواضعه .

[امرأة لا تريد ترك البصرة]

قال ابن أَبي خيثمة في روايته عن مصعب وعن الزُّبير ، عن سليمان بن عيّاش : كان الخارجيّ ، واسمه محمد بن بشير بن عبد الله بن عقيل بن سعد بن حبيب بن سنان بن عديّ بن عوف بن بكر ، شاعراً فصيحاً ، ويكنى أبا سليمان . فقدِم البصرة في طلب ميراث له بها ، فخطب عائشة بنت يحيى بن يعمُر الخارجية ؛ من خارجة عدوان . فأَبت أن تتزوّجه إلاّ أن يقيم معها بالبصرة ، ويترك الحجاز ، ويكون أمرها في الفرقة إليها . فأبى أن يفعل ، وقال في ذلك[3] : [من الكامل]

---

1 لمحمد بن بشير الخارجي ترجمة في معجم الشعراء : 343 والمحمدون من الشعراء : 232 ويصحف أحياناً إلى محمد بن يسير الذي يصحف اسمه بدوره إلى «بشير» . وهما شاعران مختلفان ، وقد ترجم أبو الفرج لمحمد بن يسير الرياشي في جزء سابق . وقد قام د . نوري حمودي القيسي بجمع شعر محمد بن بشير الخارجي في القسم الثالث من «شعراء أمويون» (مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، 1982) .

2 يبدو : يقيم في البادية .

3 مجموع شعره : 177 عن الأغاني .

أَرِق الحزينُ وعاده سُهدُهْ — لطوارقِ الهمِّ التي تَرِدُهْ
وذكرتُ مَن لانت له كبدي — فأَبى فليس تلين لي كبدُهْ
ونأى فليس بنازلٍ بلدي — أبداً ، وليس بمُصلِحي بلدُهْ
فصُدِعت حين أَبى مودّتَه — صَدْعَ الزجاجة دائمٌ أَبدُهْ
وعرفت أنّ الطير قد صدقت — يوم الكِدانة شرَّ ما تَعِدُهْ
فاصبر فإن لكلّ ذي أَجل — يوماً يجيء فينقضي عَددُهْ
ماذا تعاتب من زمانك إذ — ظعن الحبيب وحلَّ بي كمدُهْ

قالا : وخاطب أَباها يحيى بن يعمر في ذلك ، فقال له : إنّها امرأة بَرْزة عاقلة ، لا يُفتات على مثلها بأمرها ، وما عندها عنك من رغبة ، ولكنّها امرأة في خلقها شدّة ، ولها غيرة ، وقد بلغني أن لك زوجتين ، وما أراها تصبر على أن تكون ثالثة لهما ؛ فانظر في أمرك ، وشاور فيه : فإمّا أَن أَقمت بالبصرة معها ، فعفَت لك عن صاحبتيك ، إذ لا مجاورة بينهما وبينها ولا عِشْرة ، وإن شئت فارقتهما وأُخْرِجها معك . فصار إلى رحْله مغموماً . وشاور ابن عمٍّ له يقال له وَرَّاد بن عمرو في ذلك ، فقال له : إن في يحيى بن يعمر لرغبة ، لثروته وكثرة ماله ، وما ذكرته من جمال ابنته ، وما نحب أن تفارق زوجتيك ، وكانتْ إحداهما ابنة عمّه ، والأُخرى من أشجع ، فتقيم معها السنة بالبصرة ، ونمضي نحن ، فإن رغبت فيها تمسّكت بها ، وأقمت بمكانك ، وإن رغبت في العود إلى بلدك ، كتبت إلينا فجئناك ، حتى تنصرف معنا إلى بلدك . ففكّر ليله أجمع في ذلك ، ثم غدا عازماً على الرجوع إلى الحجاز ، وقال[1] : [من البسيط]

لئن أَقمتُ بحيث الفيضُ في رجب — حتى أُهِلَّ به من قابلٍ رَجَبا[2]
وراح في السَّفْر ورّاد فهيجني — إنّ الغريب إذا هيجته طربا
إنّ الغريبَ يَهيج الحزنُ صَبْوته — إذا المصاحب حياه وقد ركبا
قد قلت أَمس لورّاد وصاحبه — عُوجا على الخارجيّ اليوم واحتسبا
وأَبلغا أُمّ سعد أنّ عانيها — أَعيا على شفعاء الناس فاجتنبا[3]
لما رأيت نجيَّ القوم قلت لهم — هل يَعدُوَنَّ نجيُّ القوم ما كُتبا

1 مجموع شعره : 173–175 عن الأغاني .
2 الفيض : نهر بالبصرة . وأهل به : ظهر له الهلال .
3 العاني : الأسير .

وقلت إنّي متى أَجلب شفاعتكم أندم وإنّ أشقَّ الغيّ ما اجتُلِبا
وإنّ مثلي متى يسمع مقالتكم ويعرف العين يندم قبل أن يَجِبا
إنّي وما كبّر الحُجّاج تحملهم بُزْل المطايا بجنبي نخلةٍ عُصَبا[1]
وما أهلّ به الدّاعي وما وقفت عُلْيا ربيعة ترمي بالحصى الحِصبا[2]
جهداً لَمَنْ ظنّ أنّي سوف أُظعنها عن ربع غانية أُخرى لقد كذبا
أأبتغي الحسن في أُخرى وأَتركَها فذاك حين تركت الدينَ والحسبا
وما انقضى الهمّ من سُعدى وما عَلِقت منّي الحبائل حتى رمتُها حِقَبا
وما خلوت بها يوماً فتعجِبَني إلاّ غدا أَكثرَ اليومين لي عجَبا
بل أيّها السائلي ما ليس يدركه مهلاً فإنّك قد كلفتَني تعبا
كم من شفيع أَتاني وهو يحسُب لي حَسْباً فأُقصِرُه من دون ما حَسَبا
فإن يكن لهواها أو قرابتها حبّ قديم فما غابا ولا ذهبا
هما عليّ : فإن أرضيتها رضيا عنّي وإن غضبتْ في باطل غضِبا
كائنْ ذهبتُ فرَدّاني بكيدهما عمّا طلبت وجاءاها بما طلبا
وقد ذهبت فلم أُصبح بمنزلة إلاّ أُنازع من أَسبابها سببا
وَيْلُمِّها خُلّةً لو كنتِ مُسجِحة أو كنتَ تُرجع من عَصْرَيْك ما ذهبا
أنت الظعينة لا تُرْمَى برمتها ولا يفجِّعها ابن العمّ ما اصطحبا

[يفرّق بين عربية ومولى]

أخبرني عيسى بن الحسين ، قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدَّثني سليمان بن عيّاش السعديّ ، قال : قدِم أعراب من بني سُليم أقحمتهم السنة إلى الرَّوْحاء ، فخطب إلى بعضهم رجل من الموالي من أهل الروحاء ، فزوّجه . فركب محمد بن بشير الخارجيّ إلى المدينة ، وواليها يومئذٍ إبراهيم بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة ، فاستعداه الخارجيّ على المولى . فأرسل إبراهيم إليه وإلى النفر السُّلَميين ، وفرّق بين المولى وزوجته ، وضربه مائتي سوط ، وحلق رأسه ولحيته وحاجبيه . فقال محمد بن بشير في ذلك[3] : [من الوافر]

---

1 نخلة : موضع قريب من مكة . والعصب : الجماعات .

2 الحصب : محصب منى .

3 مجموع شعره : 179 عن الأغاني .

شهدتُ غداةَ خصم بني سُليم وجوهاً من قضائك غيرَ سودِ
قضيتَ بسنَّة وحكمت عدلاً ولم تَرِث الحكومة من بعيدِ
إذا غُمِز القنا وُجِدتْ لعمري قناتك حين تغمَز خيرَ عُودِ
إذا عضَّ الثِّقاف بها اشمأزّت أبيَّ القسر بائنةَ الصعودِ
حمى حَدَباً لحومَ بناتِ قوم وهم تحت التراب أبو الوليدِ
وفي المِئَتَيْنِ للمولى نَكالٌ وفي سلب الحواجب والخدودِ
إذا كافأتَهم ببناتِ كِسرى فهل يجد الموالي من مَزيدِ
فأيُّ الحقّ أنصفُ للموالي مِن اصْهار العبيد إلى العبيدِ

[لا تفلت العبد]

حدَّثني عمِّي ، قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدَّثني سليمان بن عياش ، قال كان للخارجيّ عبد ، وكان يتلطّف له ويخدمه ، حتى أعتقه وأعطاه مالاً ، فعمل به ، وربح فيه . ثم احتاج الخارجي بعد ذلك إلى معونة أو قرض في نائبة لحقته ، فبعث إلى مولاه في ذلك ، وقد كان المولى أثرى واتّسعت حاله ، فحلف له أنّه لا يملك شيئاً ، فقال الخارجيّ في ذلك[1] : [من الطويل]

يسعى لك المولى ذليلاً مُدقِعاً ويخذلك المولى إذا اشتدّ كاهلُهْ
فأمسِك عليك العبد أوّل وَهْلةٍ ولا تنفلِت من راحتيك حبائلُهْ

وقال أيضاً : [من الطويل]

إذا افتقر المولى سعى لك جاهداً لترضى وإن نال الغنى عنك أدبرا

[تأخرت عنه زوجتاه فتزوّج]

حدَّثني عيسى بن الحسين ، قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثني سليمان بن عيّاش السعديّ ، قال : كان محمد بن بشير الخارجيّ بين زوجتين له ، وكان يسكن الروحاء ، فأجدب عليه منزله ، فوجّه غنماً إلى سحابة وقعت برُجْفان ، وهو جبل يطلّ على مضيق يَلْيل ، فقال لزوجتيه : لو تحوّلتما إلى غنمنا . فقالتا له : بل تذهب ، فتطلع إليها ، وتصرفها إلى موضع قريب ، حتى نوافيك فيه . فمضى وزوّدتاه وَطْبين ، وقالتا له : اجمع لنا اللبن ، ووعدتاه موضعاً من رُجفان ، يقال له ذو القِشع . فانطلق ، فصرف غنمه إلى ذلك الموضع ، ثم انتظرهما ، فأبطأتا عليه . وخالفته سحابة إليهما ، فأقامتا ، وقالتا : يبلغ إلى غنمه ثم يأتينا . فجعل يَصعد في الجبل

1 مجموع شعره : 194 عن الأغاني .

وينزل ، يتبصّرهما فلا يراهما . فبينما هو كذلك إذ أُبصر امرأتين قد نزلتا ، فقال : أنزل فأتحدّث إليهما ، فإذا هو بامرأة مسنّة ، ومعها بنت لها شابّة ، فأعجبته ، فقال لها : أتزوّجينني ابنتك هذه؟ قالت : إن كنت كفوًاً . فانتسب لها ، فقالت : أعرف النسب ولا أعرف الوجه ، ولكن يأتي أبوها . فجاء أبوها فعرفه ، فأخبرته امرأته بما طلب . فقال : نعم ، وزوّجه إيّاها . فساق إليها قطعة من غنمه ، ثم بنى بها ، وانتظر ، فلم يَرَ زوجتيه تَقْدَمان عليه ، فارتحل إليهما بزوجته وبقيّة غنمه . فلمّا طلع عليهما وقف ، فأخذ بيدها ، ثم أنشأ يقول[1] : [من الطويل]

كأنّـيَ مُـوفٍ للهـلالِ عشيّةً ... بأسفلِ ذات القِشع منتظِرَ القَطْرِ
وأنتـن تلبسن الجديـدة بعدمـا ... طُردت بطَيٍّ الوَطْبِ في البُلْقِ والعُفْرِ
فكان الذي قلتن أُعْـدِدْ بضاعة ... لناهـدِ بيضاء الترائـب والنحرِ
كـأنّ سُموط الدرّ منهـا معلّـق ... بجَيْداءَ في ضالٍ بوَجْرة أو سدرِ
تكون بلاغـاً ثـم لست بمخبرٍ ... إذا وُدِيت لي ما وددتن من أمري

[فراق المرأة المزنية]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا أحمد بن زهير ، قال : حدَّثني مصعب ، قال : حدَّثني أحمد بن زهير ؛ وحدَّثني الزبير بن بكّار ، قال : حدَّثني سليمان بن عيّاش ، قالا : كان محمد بن بشير يتحدّث إلى امرأة من مُزَينة ، وكان قومها قد جاوروهـم ، ثـم جاء الربيع ، وأخصبت بلاد مزينة ، فارتحلوا ، فقال محمد بن بشير[2] : [من الكامل]

لـو بَيَّنتْ لك قبـل يـوم فراقِها ... أنّ التفـرّق مـن عشيّةَ أو غـدِ
لشكوتَ إذ علِـق الفؤاد بهائم ... علـقٍ حبائـلَ هائـم لم يُعهدِ
وتبرّجَـت لك فاستَبَتْك بواضح ... صَلْت وأسود في النصيف معقّدِ
بيضاء خالصة البيـاض كأنّـها ... قمـر توسط ليـل صيف مُبْردِ
موسومة بـالحسن ذات حواسد ... إن الجمـال مَظِنّـةٌ للحسَّدِ
لم يُطْغِها سَرَف الشباب ولم تضع ... عنهـا معاهـدة النصيح المرشدِ
خَـودٌ إذا كثر الكـلام تعوّذت ... بحِمـى الحيـاء وإن تكلّمْ تُقصدِ
وكأنّ طعـم سُلافـة مشمولةٍ ... تنصبّ في إثـر السواك الأغيدِ

1 مجموع شعره : 186–187 عن الأغاني .
2 مجموع شعره : 178–179 عن الأغاني .

وتـــرى مدامعهـــا تُرَقْرِق مقلةً حوراءَ ترغبُ عن سواد الإثمدِ
مـاذا إذا بـــرزت غـداة رحيلها م الحُسن تحت رِقاق تلك الأبرُدِ
وُلِـدت بـأسعدِ أنجمٍ فمحلها ومسيرها أبـداً بطلـق الأسعُدِ
الله يُسعدهـا ويُسْقـي دارهـا خَضِلَ الرَّباب سَرى ولما يُرْعدِ[1]

[قضاعية ترفضه]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا أحمد بن زهير ، قال : حدَّثني الزُّبير قال : حدَّثني سليمان بن عيّاش ، قال : صحب محمد بن بشير رُفقة من قُضاعة إلى مكّة ، وكانت فيهم امرأة جميلة ، فكان يسايرها ويحادثها . ثم خطبها إلى نفسها ، فقالت : لا سبيل إلى ذلك ، لأنّك لست لي بعشير ، ولا جاري في بلدي ، ولا أنا ممّن تطمعه رغبة عن بلده ووطنه . فلم يزل يحادثها ويسايرها حتى انقضى الحجّ ، ففرّق بينهما نزوعهما إلى أوطانهما ، فقال الخارجيّ في ذلك[2] : [من البسيط]

أستغفر الله ربِّــي مــن مخدَّرة يوماً بدا ليَ منها الكشحُ والكتِدُ[3]
من رُفقة صاحبونــا في ندائِهــمُ كلٌّ حـرام فما ذمُّوا ولا حُمِدوا
حتى إذا البُدْن كاسَتْ في مناحرها يعلو المناسمَ منهـا مُزبِـد جَسِدُ[4]
وحلَّـق القـوم واعتمّوا عمائمهم واحتــلّ كلّ حـــرامٍ رأسُه لَبِدُ
أقبلــتُ أسألهـا مــا بالُ رُفقتها وما أُبالي أغـاب القوم أم شهِدوا
فقربـــت ليَ واحلــولت مقالتها وعوّقتني وقالت بعضَ مــا تجدُ
أنّـى ينــال حِجـازيّ بحاجتــه إحدى بني القين أدنى دارِها بَرِدُ[5]

[طلّق امرأتك أتزوّجك]

أخبرني عيسى بن الحسين ، قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثنا سليمان بن عيّاش ، قال : خطب محمد بن بشير امرأة من قومه ، فقالت له : طلّق امرأتك حتى أتزوَّجك . فأبى وانصرف عنها ، وقال في ذلك[6] : [من البسيط]

---

1 يسعدها في مجموع شعره : يصحبها .
2 مجموع شعره : 177 عن الأغاني .
3 الكتد : مجتمع الكتفين من الإنسان والحيوان .
4 كاس البعير يكوس : مشى على ثلاث . وجَسِد الدم : لصق .
5 برد : جبل قريب من تيماء .
6 هذه الأبيات وردت ضمن البائية السابقة مع بعض اختلاف في الرواية والترتيب .

أأطلب الحسن في أُخرى وأتركَها فذاك حين تركت الدين والحسبا
هـي الظعينـة لا يُرْمى برُمّتها ولا يفجّعها ابن العمّ ما اصطحبا
فما خلوت بهـا يومـاً فتعجبني إلاّ غـدا أكثر اليومـين لي عجبا

[يحتال لمحادثة النساء والأنصار]

حدَّثني عيسى قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : بلغني عن صالح بن قُدامة بن إبراهيم أنّ محمد بن حاطب الجُمَحيّ ، يروي شيئاً من أخبار الخارجيّ وأشعاره ، فأرسلت إليه مولى من موالينا يقال له محمد بن يحيى ، كان من الكتّاب ، وسألته أن يكتب لي ما عنده ، فكان فيما كتب لنا ، قال : زعم الخارجيّ ، واسمه محمد بن بشير ، وكنيته أبو سليمان ، وهو رجل من عَدوان ، وكان يسكن الرَّوْحاء ، قال : بينا نحن بالرّوحاء في عام جدب قليل الأمطار ، ومعنا سليمان بن الحصين وابن أخته ، وإذا بقطار ضخم كثير الثَّقَل يهوي ، قادم من المدينة ، حتى نزلوا بجانب الرَّوحاء الغربيّ ، بيننا وبينهم الوادي ، وإذا هم من الأنصار ، وفيهم سعيد بن عبد الرّحمن بن حسّان بن ثابت . فلبثنا أيّاماً ، ثم إذا بسليمان بن الحصين يقول لي : أرسَلَ إليَّ النساء يقلن : أما لكم في الحديث حاجة ؟ فقلت لهنّ : فكيف برجالكنّ ؟ قلن : بلغنا أنّ لكم صاحباً يعرَف بالخارجيّ ، صاحب صيد ، فإن أتاهم فحدّثهم عن الصيد انطلقوا معه ، وخلوتم فتحدّثتم . قال : فقلت لسليمان : بئس لعمر الله ما أردت منّي ، أأذهب إلى القوم فأغُرَّهم ، وآثَم وأتعبَ وتنالون أنتم حاجتكم دوني ؟ ما هذا لي برأي . قال لي سليمان : فأنظِرني إذنْ ، أُرْسِل إلى النساء وأخبرهنّ بقولك . فأرسل إليهن فأخبرهنّ بما قلت . فقلن : قل له احتلْ لنا عليهم هذه المرّة بما قلنا لك ، وعلينا أن نحتال لك المرّة الأُخرى .

قال الخارجيّ : فخرجت حتى أُتيت القوم فحدّثتهم ، وذكرت لهم الصيد ، فطارت إليه أنفسهم . فخرجت بهم ، وأخذت لهم كلاباً وشباكاً ، وتزوّدنا لثلاث . وانطلقت أُحدِّثهم وألهِيهم ، فحدَّثتهم بالصدق حتى نفد . ثم حدَّثتهم ممّا يشبه الصدق حتى نَفِد . ثم صرّحت لهم بمحض الكذب حتى مضت ثلاث ، وجعلت لا أُحدِّثهم حديثاً إلاّ قالوا : صدقت . وغبت بهم ثلاثاً ما أعلم أنا عاينّا صيدا ، فقلت في ذلك[1] : [من البسيط]

إنّي لأَعجَبُ منّي كيف أُفْكِههم أم كيف أخدع قوماً ما بهم حُمُقُ !
أظـلّ في البيد أُلهيهـم وأُخبرهم أخبار قـوم وما كانوا وما خُلقوا

1 مجموع شعره : 190–191 عن الأغاني .

ولو صدقت لقلت القومُ قد قدموا حين انطلقنا وآتي ساعة انطلقوا
أم كيف تُحْرَم أيدٍ لم تخن أحداً شيئاً وتظفر أيديهم وقد سرقوا
ونرتمي اليوم حتى لا يكون له شمس ويرمون حتى يَبرُق الأُفقُ
يرمون أحور مخضوباً بغير دمٍ دفعاً وأنت وشاحاً صيدك العَلَقُ
تسعى بكلبين تبغيه وصيدهم صيد يرجَّى قليلاً ثم يُعْتنقُ
ما زلت أحدوهم حتّى جعلتهم في أُصل مَحْنِيَة ما إن لها طُرُقُ
ولو تركتهم فيها لمزّقهم شيخا مزينة إن قالا انعِقوا نعقوا
إن كنتم أبداً جاريْ صديقِكم والدّهر مختلف ألوانه طرقُ
فمتِّعوني فإنّي لا أرى أحداً إلاّ له أجل في الموتِ مستَبَقُ

[رثاء سليمان بن الحصين]

قال سليمان بن عيّاش : ومات سليمان بن الحصين هذا ، وكان خليلاً للخارجيّ ، مصافياً له ، وصديقاً مخلصاً ، فجزع عليه ، وحزن حزناً شديداً ، فقال يرثيه[1] : [من البسيط]

يا أيّها المتمنّي أن يكون فتًى مثل ابن ليلى لقد خلّى لك السُّبلا
إن ترحل العيسَ كي تسعى مساعيَه يُشفَقْ عليك وتعملْ دون ما عملا
لو سرت في النّاسِ أقصاهم وأقربهم في شُقّة الأرض حتى تُحسِر الإبلا
تبغي فتى فوق ظهر الأرض ما وجدوا مثل الذي غيبوا في بطنها رجلا
اعْدُد ثلاث خصال قد عُرفن له هل سَبّ من أحد أو سُبَّ أو بخلا

قال سليمان بن عيّاش : لما مات عبد العزيز بن مروان ، ونُعِي إلى أخيه عبد الملك ، تمثّل بأبيات الخارجيّ هذه ، وجعل يردّدها ويبكي .

[شعره في امرأة كريمة]

أخبرني عيسى ، قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثني عمّي عن أبيه ؛ قال : قال الرشيد يوماً لجلسائه : أنشدوني شعراً حسناً في امرأة خفِرة كريمة ، فأنشدوا فأكثروا وأنا ساكت ، فقال لي : إيه يا ابن مصعب ، أما أنّك لو شئت لكفيتنا سائر اليوم ؛ فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ، لقد أحسن محمد بن بشير الخارجيّ حيث يقول[2] : [من الكامل]

---

1 مجموع شعره : 194–195 عن الأغاني .

2 تقدمت هذه الأبيات في المرأة المزنية مع بعض اختلاف في الرواية والترتيب .

بيضاء خالصة البياض كأنّها قمر توسّط جنح ليل مُبردِ
موسومة بالحسن ذات حواسد إن الحسان مظنّة للحسدِ
وترى مدامعها تُرقرق مقلةً حوراء ترغب عن سواد الإثمدِ
خَوْد إذا كثر الكلام تعوّذت بحمى الحياء وإن تكلّم تُقْصِدِ
لم يُطغها سرف الشباب ولم تَضِعْ منها مُعاهَدة النصيح المرشدِ
وتبرّجت لك فاستَبَتْك بواضح صَلْت، وأسود في النصيف معقّدِ
وكأنّ طعم سلافة مشمولة بالريق في أُثر السواك الأغيَدِ

فقال الرشيد : هذا والله الشعر ، لا ما أنشدتمونيه سائر اليوم ! ثم أمر مؤدّب ابنيه محمد الأمين وعبد الله المأمون ، فروّاهما الأبيات .

[مزينة تصده]

أُخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا أُحمد بن زهير ، قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدَّثني سليمان بن عيّاش ، قال : كان محمد بن بشير الخارجيّ يتحدّث إلى عبدةَ بنت حسّان المُزَنية ، ويَقِيل عندها أحياناً ، وربّما بات عندها ضيفاً ، لإعجابه بحديثها ، فنهاها قومها عنه ، وقالوا : ما مبيت رجل بامرأة أيِّم ؟ فجاءها ذات يوم ، فلم تدخله خباءها ، وقالت له : قد نهاني قومي عنك ، وكان قد أمسى ، فمنعته المبيت ، وقالت : لا تبت عندنا ، فيُظَنّ بي وبك شرّ ، فانصرف وقال فيها[1] : [من الطويل]

ظللتُ لدى أُطنابها وكأنّني أسيرٌ مُعَنًّى في مُخلخَلهِ كَبْلُ
أُخيَّر إمّا جَلسةٌ عند دارها وإمّا مَراح لا قريبٌ ولا سهلُ
فإنّكِ لو أُكرمتِ ضيفكِ لم يعب عليك الذي تأتين حَموٌ ولا بعلُ
وقد كان يَنميها إلى ذروة العلا أبٌ لا تخطّاه المطيّة والرجْلُ
فهل أنتِ إلاّ جِنَّة عبقريّةٌ يخالط من خالطتِ من حبّكم خَبْلُ
وهل أنت إلاّ نبعة كان أصلها نُضاراً فلم يفضحك فرع ولا أَصلُ
صددتِ امرءاً عن ظلّ بيتك ماله بواديك لولاكم صديق ولا أَهلُ

[لقبته الأنصارية أبا الجون]

أُخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا أُحمد بن زهير ، قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثني سليمان بن عيّاش ، قال : خرج محمد وسليمان ابنا عبيد الله بن الحصين الأسلميان ، حتى أتيا

1 مجموع شعره : 193 عن الأغاني .

امرأة من الأنصار ، من بني ساعدة ، فبرزت لهما ، وتحدّثا عندها ، وقالا لها : هل لك في صاحب لنا ظريف شاعر ؟ فقالت : مَن هو ؟ قالا : محمد بن بشير الخارجيّ . قالت : لا حاجة بي إلى لقائه ، ولا تجيئاني به معكما ، فإنّكما إن أتيتما به لم آذن لكما . فجاءا به معهما ، وأخبراه بما قالت لهما ، وأجلساه في بعض الطريق ، وتقدّما إليها ، فخرجت إليهما ، وجاءهما الخارجيّ بعد خروجها إليهما ، فرحّبا به ، وسلّما عليه . فقالت لهما : مَن هذا ؟ قالا : هذا الخارجيّ الذي كنّا نخبرك عنه . فقالت : والله ما أرى فيه من خير ، وما أشبهه إلاّ بعبدنا أبي الجَون . فاستحيا الخارجيّ ، وجلس هُنيهة ، ثم قام من عندها ، وعَلِقها قلبه ، فقال فيها[1] : [من الوافر]

ألا قـد رابني وَيَريب غيري — عشيّةَ حكمهـا حيفٌ مريبُ
وأضحت للمودّة عنـد ليـلى — منـازلُ ليس لي فيهـا نصيبُ
ذهبتُ وقد بدا لِيَ ذاك منها — لأهجوهـا فيغلبنـي النسيبُ
وأنسى غيظَ نفسي إن قلبي — لمَـن واددت فَيئتُـهُ قريبُ
فـلا قلـب مُصِرٌّ كل ذنب — ولا راضٍ بغير رضا ، غضوبُ
فدعها لست صاحبها وراجع — حديثـك إن شأنكما عجيبُ

قال : وبلغ الأشجعية زوجة محمد بن بشير ما قالته له الأنصارية ، فعيّرته بذلك ، وكانت إذا أرادت غيظه كنته أبا الجَون ، فقال في ذلك[2] : [من الطويل]

وأيدِي الهدايـا مـا رأيتُ مُعاتباً — مـن الناس إلاّ الساعديّـةُ أجملُ
وقد أخطأتْني يـوم بطحـاء منعمٍ — لهـا كِفَف يُصطاد فيهـا وأحبُلُ
وقـد قال أهلي خيرُ كسب كسبته — أبو الجَون فاكسب مثلها حين ترحلُ
فإن بـات إيضاعـي بأمـر مسرّة — لكنَّ فما تسخطن في العيش أطولُ

[جواز الحديث إلى النساء في الحلّ والحرم]

أخبرني الحسن ، قال : حدَّثنا أحمد ، قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثني سليمان بن عيّاش ، قال : اجتمع محمد بن بشير الخارجيّ وسائب بن ذكوان راوية كُثيِّر بمكّة ، فوافقا نسوة من بني غِفار يتحدّثن ، فجلسا إليهن ، وتحدّثا معهن حتى تفرّقن ، وبقيت واحدة منهن تحدّث الخارجيّ ، وتستنشده شعره حتى أصبحوا ؛ فقال لهم رجل مرّ بهم : أما تزدجرون عن هذا

1 مجموع شعره : 172 عن الأغاني .
2 مجموع شعره : 193–194 عن الأغاني .

الشعر وأنتم حُرُم ، ولا تَدَعون إنشاده وقول الزور في المسجد ! فقالت المرأة : كذبت لعمرُ الله ، ما قول الشعر بزور ، ولا السلام والحديث حرام على محرم ولا محل . فانصرف الرجل ، وقال فيها الخارجيّ[1] : [من الوافر]

أما لـك أن تزور وأنت خِلْو ... صحيحُ القلبِ أُختَ بني غفارِ
فمـا برحـتْ تُعِيرك مقلتيها ... فتعطيـك المنيّـةَ في استتارِ
وتسهو في حديث القوم حتى ... يُبيِّنَ بعضُ ذلك مـا تواري
فمت يا قلب ما بك من دفاع ... فينجيَك الدّفـاع ولا فرارِ
فلـم أرَ طالبـاً بـدم كمثلي ... أودَّ وَحُسْنَ مطلـوب بثارِ
إذا ذكروا بثأري قلت سقيا ... لثـأري ذي الخواتم والسوارِ
ومـا عرفت دمـي فتبوءَ منه ... برهن في حبـالي أو ضِمارِ[2]
وقـد زعـم العواذل أن يومي ... ويومك بالمحصَّب ذي الجمارِ
من الإغباء ثم زعمت أن لا ... وقلت لدى التنازع والتَّماري[3]
كذبتم مـا السلام بقول زُور ... ومـا اليـوم الحرام بيوم ثارِ
ولا تسليمنـا حُرُمـاً بإثـم ... ولا الحـبّ الكريـم لنا بعارِ
فإن لم نلقكم فسقى الغوادي ... بـلادكِ والرويّـاتُ السواري

قال سليمان : وفي هذه المرأة يقول الخارجيّ وقد رحلوا عن مكّة ، فودعها وتفرّقوا[4] : [من البسيط]

يـا أحسن النّاس لولا أن نائلها ... قِدْماً لَمـن يبتغي ميسورها عَسِرُ
وإنّمـا دَلُّهـا سحرٌ تصيد بـه ... وإنّمـا قلبهـا للمشتكـي حجرُ
هل تذكريـن كما لم أنس عهدكم ... وقـد يـدوم لعهد الخُلّة الذّكَرُ
قَوْلي وركبك قد مالت عمائمهم ... وقد سقاهم بكأس الشقوةِ السفَرُ
يـا ليت أنّي بأثوابي وراحلتي ... عبد لأهلـك هـذا العام مؤتجرُ

---

1 مجموع شعره : 186 عن الأغاني .

2 تبوء منه : تخلص منه . والضمار من الدين : ما لا يرجى .

3 الاغباء : الاخفاء .

4 مجموع شعره : 182–184 ويروى بعضها لأبي دهبل .

فقد أُطلتِ اعتلالاً دون حاجتنا ... بالحجّ أمسِ فهذا الحِلّ والنفرُ
ما بال رأيك إذ عهدي وعهدكم ... إلفان ليس لنا في الودّ مُزدجَرُ
فكان حظّك منها نظرةً طرفتْ ... إنسانَ عينك حتّى ما بها نظرُ
أكنتِ أبخل مَن كانت مواعده ... دَيناً إلى أجلٍ يرجى وينتظرُ
وقد نظرتُ وما أُلفيت من أحدٍ ... يعتاده الشوق إلاّ بدؤه النظرُ
أبقت شجًى لكَ لا يُنسى وقادحةً ... في أسود القلب لم يشعر بها أُخرُ
جِنيةٌ أوْلها جنٌّ يعلمها ... رمي القلوب بقوس ما لها وترُ
تجلو بقادمتي ورقاء عن بَرَد ... حمر المفاغر في أطرافها أشرُ[1]
خَوْدٌ مبتلّةٌ ريّا معاصمها ... قدرَ الثياب فلا طول ولا قصرُ
إذا مجاسدها اغتالت فواضلها ... منها روادفُ فَعْمات ومؤتزرُ[2]
إن هبّتِ الرّيح حنّت في وشائحها ... كما يجاذب عودَ القينة الوترُ
بيضاء تعشو بها الأبصار إن برزت ... في الحجّ ليلةَ إحدى عشرة القمرُ
ألا رسول إذا بانت يبلغها ... عنّا وإن لم تؤلّف بيننا المِررُ[3]
أنّي ، بآية وجدٍ قد ظفرتِ به ... منّي ولم يك في وجدي بكم ظفرُ
قتيلُ يومَ تلاقينا وأنّ دمي ... عنها وعمّن أجارت من دمي هَدَرُ
تقضين فيَّ ولا أقضي عليك كما ... يقضي المليك على المملوك يقتسرُ
إن كان ذا قَدَراً يعطيك نافلة ... منّا ويحرمنا ، ما أنصف القدرُ

[ندم على طلاق زوجته العدوانية]

أخبرني عيسى بن الحسين ، قال : حدّثنا الزُّبير ، قال : حدّثني سليمان بن عيّاش ، قال : كان الخارجيّ قدِم البصرة ، فتزوّج بها امرأة من عَدْوان ، كانت موسرة ، فأقام عندها بالبصرة مدّة ، ثم توخّم البصرة ، فطالبها بأن ترحل معه إلى الحجاز ، فقالت : ما أنا بتاركة مالي وضيعتي ههنا تذهب وتضيع ، وأمضي معك إلى بلد الجدب والفقر والضيق ، فإمّا أن أقمتَ هاهنا أو طلّقتني . فطلّقها وخرج إلى الحجاز ، ثم ندم وتذكّرها ، فقال[4] : [من الكامل]

---

1 مفاغر : جمع مفغر ، وهو مشق الفم . والأشر : حدّة أطراف الأسنان .
2 المجاسد : جمع مجسد ، وهو الثوب . وفعمات : ممتلئات . والمؤتزر : الإزار .
3 المرر : جمع مرة ، وهو الحبل . أي لا روابط قوية بيننا .
4 مجموع شعره : 196–197 عن الأغاني .

دامت لعينكَ عَبرةٌ وسُجومُ وثوت بقلبكَ زَفرة وهُمومُ
طيف لزينبَ ما يزال مؤرقي بعد الهدوِّ فما يكاد يَرِيمُ
وإذا تعرَّض في المنام خيالها نكأ الفؤادَ خيالُها المحلومُ
أجعلتِ ذنبكِ ذنبه وظلمتِه عند التحاكم والمُدِلّ ظلومُ
ولئن تجنّيتِ الذنوبَ فإنّه ذو الدّاء يَعْذِر والصحيح يلومُ
ولقد أراكِ غداةَ بِنْتِ وعهدُكم في الوصل لا حَرج ولا مذمومُ
أضحت تُحَكّمكِ التجاربُ والنُّهى عنه ، ويُكْلِفه بك التّحكيمُ

صوت

بَرأَ الأُلى علِقوا الحبائل قبلَه فنجَوا وأُصبح في الوَثاق يهيمُ
ولقد أردت الصبر عنكِ فعاقني عَلَق بقلبي مِنْ هواكِ قديمُ
ضعفت معاهد حبّهنّ مع الصبا ومع الشباب فبِنَّ وهو مقيمُ
يبقى على حدث الزّمان وريبه وعلى جفائك إنّه لكريمُ
وجنيتِ حين صَحَحْتِ وهو بدائِهِ شتّان ذاك مصحَّحٌ وسقيمُ
وأَدَيْتِه زمناً فعاذ بحلمه إنّ المحبّ عن الحبيب حليمُ[1]
وزعمتِ أنّك تبخلين وشفَّه شوق إليك ، وإن بخلت ، أليمُ

غنّى في هذه الأبيات الدارميّ ، خفيف رمل بالوسطى عن الهشاميّ ؛ وفيه لغَريب خفيفُ ثقيلٍ مطلق ، وهو الذي يغنّي الآن ، ويتعارفه الناس .

[رثاء أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة]

أخبرني عيسى بن الحسن ، قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثني سليمان بن عيّاش السعديّ ، قال : كان الخارجيّ منقطعاً إلى أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة ، وكان يكفيه مؤونته ، ويُفضِل عليه ، ويعطيه في كلّ سنة ما يكفيه ويُغنيه ، ويغني قومه وعياله ، من البُرّ والتمر والكسوة في الشتاء والصيف ، ويُقطعه القطعة بعد القطعة من إبله وغنمه ، وكان منقطعاً إليه وإلى زيد بن الحسن ، وابنه الحسن بن زيد ، وكلّهم به برّ ، وإليه محسن . فمات أبو عبيدة ، وكان ينزل الفَرْش من مَلَل ، وكان الخارجيّ ينزل الروحاء ، فقال يرثيه[2] : [من الطويل]

1 أديته : ختلته . وفي المجموع : أربته ولعلها خطأ مطبعي .
2 مجموع شعره : 180–181 عن الأغاني وفيه زيادة بيت .

أَلا أيّها الناعــي ابن زينبَ غـدوةً ... نعيـت النــدى دارت عليه الدوائرُ
لعمري لقد أُمسى قِرى الضيف عاتماً ... بذي الفَــرش لمــا غيَّبتك المقابرُ[1]
إذا سُوِّفــوا نــادَوا صداك ودونــه ... صفيحٌ وخَــوّار مــن الترب مائرُ
ينــادون مَــن أمسى تَقَطَّعُ دونــه ... من البعــد أنفــاسُ الصدور الزوافرُ
فقومي اضربي عينيك يا هند لن تَرَي ... أبــاً مثلــه تسمو إليــه المفاخرُ

قال الزُّبير : فحدَّثني سليمان بن عيّاش ، قال : كانت هند بنت أبي عبيدة عند عبد الله بن حسن بن حسن ، فلمّا مات أبوها جزعت عليه جزعاً شديداً ، ووجدت وجداً عظيماً ، فكلّم عبد الله بن الحسن محمد بن بشير الخارجيّ أن يدخل إليها ، فيعزّيها ويسلّيها عن أبيها ، فدخل إليها معه . فلمّا نظر إليها صاح بأعلى صوته : [من الطويل]

قومي اضربي عينيك يا هند لن تَرَيْ ... أبــا مثلــه تسمو إليــه المفاخرُ
وكنتِ إذا فاخرتِ أسميتِ والداً ... يزيــن كما زان اليديــنِ الأساورُ
فإن تُعْوِليــه يشفِ يومــاً عويلُه ... غليلَكِ أو يعذرك بــالنوح عاذرُ
وتحزنك ليلات طوال وقد مضت ... بذي الفرش ليلات تَسُرُّ قصائرُ
فلقّــاه ربٌّ يغفــر الذنبَ رحمــة ... إذا بُليت يــوم الحساب السرائرُ
إذا ما ابن زاد الركب لم يمسِ ليلة ... قفا صَفِرٍ لم يقــرب الفَرشَ زائرُ[2]
لقــد علِــمَ الأقــوام أن بناتِه ... صــوادقُ إذ يندبنــه وقواصرُ

قال : فقامت هند ، فصكت وجهها وعينيها ، وصاحت بويلها وحَرَبها ، والخارجيّ يبكي معها ، حتى لقيا جهداً . فقال له عبد الله بن الحسن : ألهذا دعوتك ويحك ؟ فقال له : أفظننت أنّي أعزيها عن أبي عبيدة ؟ والله ما يسليني عنه أحد ؛ ولا لي عنه ولا عن فقده صبر ، فكيف يسليها عنه مَن ليس يسلو بعده !

[ذم ومدح]

أُخبرني عيسى ، قال : حدَّثني الزُّبير ، قال : حدَّثني سليمان بن عيّاش ، قال : وعد رجل محمد بن بشير الخارجيّ بقلوص ، فمطله ، فقال فيه يذمّه ، ويمدح زيد بن الحسن بن عليّ بن

---

1 عاتماً : متأخراً .

2 زاد الركب هنا زمعة بن الأسود بن المطلب جدّ أبي عبيدة . وأزواد الركب ثلاثة من قريش : مسافر بن أبي عمرو وأبو أمية بن المغيرة وزمعة بن الأسود ، لقّبوا بذلك لأنّ مَن كان يصحبهم في سفر لم يكن في حاجة إلى أن يتزوّد . وصفر : جمل كريم . والفرش : موضع بين المدينة وملل .

أبي طالب عليه السلام[1] : [من الطويل]

لعلّك والموعود حقّ وفاؤه ... بدا لك في تلك القَلوص بَداءُ

فإنّ الذي أُلقى إذا قال قائل ... من الناس : هل أحسستها لعناءُ

يقول الذي يبدي الشّماتَ وقوله ... عليّ وإشماتُ العدوّ سواءُ

دعوتُ ، وقد أخلفتني الوعد ، دعوة ... بزيد فلم يَضْلِل هناك دعاءُ

بأبيضَ مثلِ البدر عظَّم حقّه ... رجال مِنَ آل المصطفى ونساءُ

فبلغت الأبيات زيد بن الحسن ، فبعث إليه بقَلوص من خيار إبله ، فقال يمدحه[2] : [من الطويل]

إذا نزل ابن المصطفى بطن تَلْعة ... نفى جدبَها واخضرَّ بالنبت عودُها

وزيدٌ ربيعُ الناس في كل شَتْوة ... إذا أُخلفت أنواؤها ورعودُها

حمول لأشناقِ الدياتِ كأنّه ... سراج الدّجى إذ قارنته سعودُها

[يبكي سليمان بن الحصين]

أخبرني عيسى ، قال : حدَّثني الزُّبير ، قال : حدَّثني سليمان بن عيّاش ، قال : نظر الخارجيّ إلى نعش سليمان بن الحصين وقد أُخرج ، فهتف بهم ، فقال[3] : [من السريع]

ألَم تروا أنّ فتًى سيّداً ... راح على نعش بني مالكِ

لا أنفَسُ العيش لِمَن بعده ... وأنفَس الهُلك على الهالكِ

وقال فيه أيضاً[4] : [من الطويل]

ألا أيّها الباكي أخاه وإنّما ... يبكّي بيومِ الفدفدِ الأخوانِ

أخي يوم أحجار الثُّمام بكيته ... ولو حُمَّ يومي قبله لبكاني

تداعت به أيّامه فاختَرمْنَهُ ... وأبقين لي شجواً بكلّ زمانِ

فليت الذي يَنعى سليمان غُدوة ... بكى عند قبري مثلها ونعاني

فلو قُسِمَتْ في الجنّ والإنسِ لوعتي ... عليه بكى من حرّها الثقَلانِ

---

1 مجموع شعره : 171 .

2 مجموع شعره : 178 .

3 مجموع شعره : 192 عن الأغاني .

4 مجموع شعره : 198 .

ولــو كانــت الأيّام تطلب فِدية وقاه صروف الدهر بي وفداني[1]

[أرجوزة له في المولى الصائد]

أخبرني عيسى ، قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثنا سلمان بن عيّاش ، قال : خرج محمد بن بشير يرمي الأروى ومعه جماعة ، فيهم رجل من الموالي من أهل السَّيالة ، فصعد المولى على صفاة بيضاء يرمي من فوقها ، فزلت قدمه عنها ، فصاح حتى سقط على الأرض ، وأحدث في ثيابه ، فقال الخارجيّ في ذلك[2] : [من الرجز]

حُــرِّق يــا صَفاةُ في ذُراك بِالنــارِ إن لم تمنعــي أُرواكِ
تَعَلَّمـــي أن بـــذي الأُراكِ ـ أيّتها الأُروى ـ ذوي عِراكِ[3]
قَومــاً أُعَـدُّوا شَبَكَ الشِّباكِ يبغون ضَبْعــاً قتلــت أباكِ
نِعْــمَ مُلَــوِّي الجِيَدِ المَداكِ إذ صَوَّتَ الجالب في أُخراكِ[4]
ولم يقــل منتصِحــاً : إيّــاك بـــين مقاطِيهــا ركبْتِ فاكِ[5]
فَعُـدتِ والطّعــن على كُلاكِ مثل الأضاحي بيــد النسّاكِ
يُرْمى بالأكتافِ على الأوراكِ كما أُطحتِ العبــد عن صفاكِ
أمــا السَّيــاليُّ فلـــن ينساكِ لو يرتميك الناس ما ارتماكِ

[عتاب الزوجة]

أخبرني عيسى ، قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثنا سليمان بن عيّاش ، قال : كانت عند الخارجيّ بنت عمّ له ، فهجاه بعض قرابتها ، فأجابه الخارجيّ ، فغضبت زوجته ، وقالت : هجوت قرابتي . فقال الخارجيّ في ذلك[6] : [من الوافر]

أمّا مــا أقــول لهــم فعابَتْ عليّ وقــد هُجيت فما تعيبُ
فرمت وقــد بدا لي ذاك منها لأهجوها فيمنعنــي النسيبُ
فــلا قلــب يبصّر كلّ ذنب ولا راض بغير رضا ، غَضُوبُ

---

1 مجموع شعره : إليه وصرف الدهر ما ألواني .

2 مجموع شعره : 192 عن الأغاني .

3 ذوو العراك : هو وصحبه .

4 المداك : الحجر يسحق عليه الطيب . والجيد : جمع حيدة ، وهي ما تلوى من الأنابيب في قرن الوعل .

5 المقاطي : جمع مقطى ، وهو موضع القطاة ، وهي العجز .

6 مجموع شعره : 172 عن الأغاني .

[لهو المسنات]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا أحمد بن زهير قال : حدَّثني مصعب قال : وحدَّثني الزُّبير عن سليمان بن عيّاش ، قالا : تزوّج الخارجيّ جارية من بني ليث شابة ، وقد أسنّ وأسنّت زوجته العَدوانية . فضربت دونه حِجاباً ، وتوارت عنه ، ودعت نسوة من عشيرتها ، فجلسن عندها ، يلهون ويتغنّين ويضربن بالدفوف ، وعرف ذلك محمد فقال[1] : [من الطويل]

لئِن عانسٌ قد شاب ما بين قَرْنها إلى كعبها وامْتُصَّ عنهـا شبابُها

صَبَتْ في طِلاب اللهو يوماً وعَلَّقتْ حجاباً لقد كانت يَسيراً حجابُها

لئـن مُتِّعت بالعيش حتى تشعَّبت من اللهو إذ لا ينكر اللهوَ بابُها[2]

فبِيني برغـمٍ ثـم ظَلِّي فربّما ثَوى الرغم منها حيث يثوِي نقابُها

لبيضـاءَ لم تُنسَبْ لجـدٍّ يَعيبها هِجـانٍ ولم تنبَحْ لئيماً كلابُها

تـأوّدُ في المَمْشى كأنّ قناعَهـا على ظبية أُدْمـاءَ طابَ شبابُها

مُهفهفة الأعطافِ خفّاقـة الحَشى جميـل محياهـا قليـلٍ عِتابُها

إذا ما دعتْ بابني نِزار وقارَعَتْ ذَوِي المجد لم يُرْدد عليها انتسابُها

[صديق يتنكّر بعد الولاية]

حدَّثنا الحسن بن علي قال : حدّثنا أحمد بن زهير قال : حدّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدّثني عمّي عن الضحاك بن عثمان ، قال : لمّا ولي إبراهيم بن هِشام الحَرَمين ، دخل إليه محمد بن بشير الخارجيّ ، وكان له قبل ذلك صديقاً . فأعرض عنه ، ولم يظهر له بشاشة ولا أنساً . ثم عاوده فاستأذنه في الإنشاد ، فأعرض عنه ، وأخرجه الحاجب من داره ، وكان إبراهيم بن هشام تياهاً ، شديد الذهاب بنفسه ، فوقف له يوم الجمعة على طريقه إلى المسجد ، فلمّا حاذاه صاح به[3] : [من البسيط]

يا ابن الهِشامَيْنِ طُرًّا حُزت مجدَهما ومـا تَخَوَّنـه نقـضٌ وإمرارُ

لا تُشمِتـنّ بِـيَ الأعداءَ إنّهمُ بيني وبينـك سُمّـاع ونُظّارُ

وإنّ شكـرِيَ إنْ رُدُّوا بغيظهمُ في ذمّـة الله إعـلانٌ وإسرارُ

فاكْـرر بنائلك المحمود مِنْ سعة عليَّ إنّـك بالمعـروفِ كَرّارُ

1 مجموع شعره : 173 عن الأغاني .

2 تشعبت : تغيّرت أخلاقها . وربما كان في الكلمة تحريف (تشبعت ، تشغبت) .

3 مجموع شعره : 185 عن الأغاني .

فقال لحاجبه : قل له يرجعْ إليّ إذا عُدْت . فرجع ، فأدخله إليه ، وقضى دينه ، وكساه ووصله ، وعاد إلى ما عهده منه .

[ردّه على عروة بن أذينة]

أخبرني الحسن قال : حدَّثنا أحمد بن زهير ، قال : حدَّثني مصعب عن أبيه قال : عَثَر بعُروة بن أُذَينة حمارُه عند ثنية العُوَيقِل ، فقال عروة[1] : [من البسيط]

ليتَ العُوَيْقلَ مسدودٌ وأصبحَ من ... فوق الثنيةِ فيه رَدمُ يأجوجِ

فتستريحَ ذوو الحاجات من غِلَظ ... ويَسْلُكَ السهلَ يمشي كلُّ مَنْتوجِ[2]

فقال محمد بن بشير الخارجيّ يردّ عليه[3] : [من البسيط]

سبحانَ ربّك تبْ ممّا أتيتَ به ... ما يسدُدِ اللهُ يُصبحْ وهو مَرْتوجُ

وهل يُسَدّ وللحُجّاج فيه إذا ... ما أُصعدوا فيه تكبير وتلْجِيجُ

ما زال منذُ أذلّ اللهُ مَوطِئَه ... ومنذ آذَنَ أنَّ البيت مَحْجوجُ

يهدِي له الوفدَ وفدَ الله مَطْرَبَة ... كأنّه شُطَب بالقِدّ منسوجُ[4]

خلّ الطريق إليها إن زائرها ... والساكنينَ بها الشمُّ الأباليجُ[5]

لا يسدُد اللهُ نَقباً كان يسلكه الـ ... ـبيضُ البهاليلُ والعُوج العَناجِيجُ[6]

لو سدَّه اللهُ يوماً ثم عَجّ له ... مَن يسلك النقبَ أمسى وهو مفروجُ

[عتابه لأخيه بشّار]

أخبرني الحسن قال : حدَّثنا أحمد بن زهير ، قال : حدَّثنا مصعب ، قال : كان للخارجيّ أخ يقال له بشّار بن بشير ، وكان يجالس أعداءه ، ويعاشر مَن يعلم أنّه مُباين له . وفيه يقول[7] : [من الوافر]

وإنّي قد نَصَحْتُ فلم تُصدِّق ... بنصحي واعتَددتُ فما تبالي

---

1 ديوان عروة بن أُذينة (صادر) : 36 .

2 منتوج : مولود .

3 مجموع شعره : 176 ، وانظر معجم ما استعجم .

4 المطربة : الطريق الضيق في الجبل .

5 الأباليج : جمع أبلج ، وهو الأبيض الوجه .

6 البهاليل : جمع بهلول ، وهو السيد . والعوج : جمع عوجاء ، وهي الناقة الضامرة . والعناجيج : جمع عنجوج ، وهي الناقة النجيبة أو الطويلة العنق .

7 مجموع شعره : 195–196 عن الأغاني .

وإنّي قـد بدا لِيَ أَنَّ نُصحي — لغيبكَ واعتدادي في ضلالِ[1]
فكـم هذا أُذودُك عن قِطاعي — كتذويـد المَحـلَّأَة النَّهـالِ
فلا تبـغِ الذنوبَ عليَّ واقصِدْ — لأَمركَ من قِطـاع أَو وصالِ
فسوف أَرى خلالكَ مَنْ تُصافي — إذا فارقتني وتـرى خِلالي
وإنّـك تستـريح إذْ تَوَلَّـى — بأَن أُغضي وأَسكتَ لا أبالي[2]

[هجر ورجوع]

أُخبرني عيسى بن الحسين قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدَّثنا سليمان بن عياش ، قـال : كان الخارجـيّ معجباً بزوجتـه سُعـدى ، وكانت من أسوأ الناس خُلقاً ، وأشدّه على عَشِير ، فكان يلقى منها عَنَتاً . فغاضبها يوماً لقول آذته به ، واعتزلها ، وانتقل إلى زوجته الأُخـرى ، فأَقـام عندهـا ثلاثاً ، ثم اشتاق إلى سُعدى ، وتذكّرها ، وبدا له في الرجوع إلى بيتها ، فتحوّل إليها ، وقال[3] : [من الطويل]

أُراني إذا غالبتُ بالصبرِ حُبَّهـا — أَبى الصبرُ ما أُلقى بسُعدَى فأُغلَبُ
وقـد عَلِمَتْ عنـد التعاتـب أَنّنا — إذا ظَلَمتنْـا أَو ظَلَمنـا سنُعْتِبُ
وإنّي وإن لَم أَجـنِ ذنباً سأَبتغي — رضاها وأَعفو ذنبَها حـين تذنبُ
وإنّي وإن أُنبِّـتُ فيهـا يزيدني — بهـا عَجَبـاً مَن كان فيها يؤنبُ

[عتاب آخر لأخيه]

أُخبرني عيسى قال : حدَّثنا الزُّبير قال : حدَّثنا سليمان بن عيّاش قال : كان بشّار بن بشير أُخو محمد بن بشير يعاديه ويهجوه ، ويجالس أعداءه . فقال الخارجيّ فيه[4] : [من الطويل]

كفاني الذي ضيَّعتَ منّـي وإنّما — يُضيعُ الحقوقَ ظالمـاً مَن أَضاعَها
صنيعةَ مَـن وَلاَّك سوءَ صنيعها — وولّـى سواكَ أَجْرَهـا واصطناعَها
أَبى لك كسبَ الخير رأيٌ مُقَصِّرٌ — ونفس أُضاق الله بـالخير باعَها
إذا هـي حثَّتـه على الخيرِ مرّةً — عصاها وإن همّـت بشرٍّ أَطاعها

---

1 لغيبك في مجموع شعره : لغيلك .
2 صدر البيت في مجموع شعره : وإن جزاء عهدك إذ تولى .
3 مجموع شعره : 172 عن الأغاني .
4 مجموع شعره : 187–188 ، وينسب بعضها إلى عبد الرحمن بن حسان .

فلولا رجــالٌ كاشحون يَسُرُّهم أذاكَ ، وقُرْبــى لا أحبُّ انقطاعَها
إذاً بان إن زلَّتْ بك النعلُ زَلَّةً فِراقُ خِــلال لا تُطِيق ارتجاعها
وأنّي متى أُحْمَل على ذاك أُطَّلِع عليك عيوبــاً لا أُحِبُّ اطّلاعها
فإنْ تــك أحــلامٌ تردُّ إخاءنا علينــا فمــن هــذا يردُّ سماعها
سأنهــاك نهياً مُجمِــلاً وقصائداً نواصحَ تَشْفي من شئونِ صُداعها
ومَن يجتلب نحوي القصائد يجتلب قِــراهُ ويتبع مَن يُحِبّ اتباعَها
إذا ما الفتى ذو اللبّ حَلَّتْ قصائدٌ إليــه فَيُخْــلي للقــوافي رباعَها

[رثاء زيد بن حسن]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال : حدَّثنا الزُّبير قال : حدَّثنا سليمان بن عيّاش قال : لمّا دُفِن زيد بن حسن وانصرف الناس عن قبره ، جاء محمد بن بشير إلى الحسن بن زيد ، وعنده بنو هاشم ووجوه قريش يُعزّونه ، فأخذ بعِضادتي الباب ، وقال[1] : [من الطويل]

أعينــيّ جــودا بالدّموع وأسعِدا بني رحِــم مــا كان زيدٌ يُهينُها
ولا زيــدَ إلاّ أن يجــود بعَبرة على القبرِ شاكي نكبة يستكينُها[2]
وما كنتَ تلقى وجهَ زيد ببلدة من الأرض إلاّ وجهُ زيــد يزينُها
لعمر أبــي النّاعي لعمَّتْ مصيبةٌ على النّاس واختصّت قُصَيّاً رَصينُها[3]
وأنّى لنــا أمثــالُ زيــد وجَدُّه مبلّــغُ آيــات الهــدى وأمينُها
وكان حَليفيه السماحةُ والنّدى فقد فــارق الدّنيا نداهــا ولِينُها
غدت غُدْوةً ترمي لُؤيَّ بن غالب بجَعْد الثّرى فوق امرىء ما يَشينُها
أغــرُّ بِطاحِيٌّ بكــت مــن فراقه عُكاظُ فبطحاء الصفا فحَجونُها
فقل للتي يعلو على الناس صوتُهــا ألا لا أعــان الله مَــنْ لا يُعينُها
وأرملةٍ تبكــي وقــد شُقّ جيبُها عليه فآبت وهِــيَ شُعْث قرونُها
ولو فقِهت ما يفقه الناسُ أصبحت خواشعَ أعــلامُ الفَــلاة وعِينُها[4]

1 مجموع شعره : 197–198 عن الأغاني .
2 يستكين : يخضع ويذل .
3 الرصين هنا : المصيبة الثقيلة .
4 أعلام الفلاة : جبالها . والعين : بقر الوحش .

نعــاه لنــا الناعــي فظَلنا كأنّنا نرى الأَرضَ فيها آيةٌ حــانَ حِينُها
وزالــت بنــا أَقدامنــا وتقلّبتْ ظهــورُ روابيـها بنــا وبطونُها
وآب ذوو الألبــاب منّــا كأنّما يــرون شِمــالاً فارقتها يمينُها
سقى الله سُقْيا رحمةٍ تُربَ حُفرة مقيم عــلى زيـــدٍ ثراها وطِينُها

قال : فما رُؤي يومٌ كان أكثر باكياً من يومئذٍ .

[ابنة عمّه تستخفّ به]

أَخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال : حدَّثنا أَحمد بن الهيثم بن فِراس قال : حدَّثني العُمَريّ عن لقيط ، قال : كان محمد بن بشير الخارجيّ من أهل المدينة ، وكانت له بنت عمّ سَرِيّة جميلة ، قد خطبها غير واحد من سَرَوات قريش ، فلم ترضه . فقال لأبيه : زوِّجنيها . فقال له : كيف أزوّجكها وقد ردّ عمّك عنها أشرافَ قريش . فذهب إلى عمّه فخطبها إليه ، فوعده بذلك ، وقرَّب منه . فمضى محمد إلى أبيه فأخبره ، فقال له : ما أراه يفعل . ثم عاوده فزوّجه إيّاها . فغضبت الجارية ، وقالت له : خطبني إليك أشرافُ قريش فرددتهم ، وزوّجتني هذا الغلام الفقير ، فقال لها : هو ابن عمّك ، وأولى الناس بك . فلمّا بنى بها جعلت تستخفّ به وتستخدمه ، وتبعثه في غنمها مرّة ، وإلى نخلها أُخرى . فلمّا رأى ذلك من فعلها قال شعراً ، ثم خلا في بيت يترنّم به ويُسْمِعها . وهو[1] : [من الطويل]

تثاقلتِ أَن كُنتُ ابنَ عــمّ نكحتِهِ فملتِ وقد يُشْفى ذوو الرأي بالعَذْلِ
فإنّك إلاّ تتركـي بعضَ مـا أَرى تُنازِعْك أُخرى كالقَرينة في الحبلِ
تَلُزُّك ما اسطاعت إذا كان قَسْمُها كقَسْمِك حَقّاً في التّلاد وفي البعْلِ
متـى تحمليها منـك يومـاً لحالـة فتتبَعها تحمِلْـك منها على مِثلِ

قال : فصلَحت ، ولَم يَرَ منها بعد ما سمعت شيئاً يكرهه .

صوت

[من المتقارب]

عـلامَ هَجـرتِ ولم تُهْجَري ومثلُــكِ في الهجــرِ لم يُعذَرِ
قطعتِ حبالَــكِ مــن شادنٍ أغنَّ قَطــوفِ الخُطـا أَحْورِ

الشعر لسُدَيف مولى بني هاشم : والغناء لأَبي العَنْبَس بن حمدون . خفيف ثقيل بالسبابة والوسطى .

1 مجموع شعره : 196 عن الأغاني .

[314] ـ ذكر سُدَيْف[1] وأخباره

[نسبه وولاؤه]

هو سُديف بن ميمون مولى خزاعة . وكان سبب ادّعائه ولاء بني هاشم أنّه تزوّج مَوْلاة لآل أبي لَهَب ، فادّعى ولاءهم ، ودخل في جملة مَواليهم على الأيّام . وقيل : بل أبوه هو كان المتزوّج مولاة اللَّهَبيين ، فولدت منه سُدَيفاً . فلمّا يَفَع ، وقال الشعر ، وعُرف بالبيان وحسن العارضة ، ادّعى الولاء في موالي أبيه ، فغلبوا عليه .

[تعصّبه لبني هاشم]

وسُديف شاعر مُقِلّ ، من شعراء الحِجاز ، ومن مخضرمي الدولتين ، وكان شديد التعصّب لبني هاشم ، مظهراً لذلك في أيّام بني أُميّة . فكان يخرج إلى أحجار صفاً في ظهر مكّة ، يقال لها صُفِيّ السِّباب ، ويخرج مولى لبني أُميّة معه يقال له سَبّاب ، فيتسابّان ويتشاتمان ، ويذكران المثالب والمعايب . ويخرج معهما من سفهاء الفريقين مَن يتعصّب لهذا ولهذا ؛ فلا يبرحون حتى تكونَ بينهم الجِراح والشِّجاج ، ويخرج السلطان إليهم فيفرّقهم ، ويعاقِب الجناة . فلم تزل تلك العصبية بمكّة حتى شاعت في العامة والسَّفِلة . فكانوا صنفين ، يقال لهما السُّدَيفية والسَّبَّابية ، طول أيّام بني أُميّة . ثم انقطع ذلك في أيّام بني هاشم ، وصارت العصبيّة بمكّة في الحناطين والحرّارين[2] :

[تحضيض أم تأنيب]

أخبرني عمر بن عبيد الله بن جميل العَتَكيّ ، وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قالا : حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال : حدَّثني فُلَيح بن إسماعيل قال : قال سُديف قصيدة يذكر فيها أمر بني حسن بن حسن ، وأنشدها المنصور بعد قتله لمحمد بن عبد الله بن حسن . فلمّا أتى على هذا البيت : [من الكامل]

يا سوءَتا للقوم لا كَفُّوا ولا ... إذ حاربوا كانوا من الأَحرارِ

فقال له المنصور : أتحضهم عليّ يا سُديف ؟ فقال : لا ، ولكنّي أؤنّبهم يا أمير المؤمنين .

---

1 لسديف بن ميمون ترجمة في الشعر والشعراء : 647-648 وطبقات ابن المعتز : 27-42 وتهذيب ابن عساكر 6 : 66 .

2 الحرارين : صنّاع الحرير .

[إنكار انتسابه إلى قريش]

وذكر ابن المعتزّ أنّ العَوْفيّ حدَّثه عن أحمد بن إبراهيم الرياحيّ قال : سلّم سُديف بن ميمون يوماً على رجل من بني عبد الدار . فقال له العبدريّ : مَن أنت يا هذا ؟ قال : أنا رجل من قومك ، أنا سُدَيف بن ميمون . فقال له : والله ما في قومي سُدَيف ولا ميمون . قال : صدقت ، لا والله ما كان قطُّ فيهم ميمون ولا مبارك .

صوت

[من الوافر]

لعمـرُك إنّنـي لأحبّ داراً ... تكـون بهـا سُكينة والرَّبابُ
أحبّهما وأبـذل جُـلَّ مالي ... وليس لعاتب عنـدي عتابُ

الشعر للحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام . والغناء لابن سريج : رَمَل بالبنصر . وفيه للهذليّ ثقيل أوّل بالسبابة ، في مجرى الوسطى ، عن إسحاق .

[315] ـ أخبار الحسين بن عليّ ونسبه[1]

الحسين بن عليّ بن أبي طالب بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب . وقد تكرّر هذا النسب في عدّة مواضعَ من هذا الكتاب . واسم أبي طالب : عبد مناف ، واسم عبد المطّلب ، شَيْبة ، واسم هاشم : عمرو . وأُمّ عليّ بن أبي طالب فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف . وكانت أوّل هاشميّة تزوّجها هاشميّ ، وهي أُمّ سائر ولد أبي طالب . وأُمّ الحسين بن عليّ بن أبي طالب : فاطمة بنت رسول الله ﷺ . وأمّها خديجة بنت خُويلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قصَيّ . وكانت خديجة تُكْنى أُمّ هند ، وكانت فاطمة تكنى أُمّ أبيها ، ذكر ذلك قَعْنب بن مُحرِز ، قال : حدَّثنا أبو نعيم ، عن حسن بن زيد ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه : وكان عليّ ابن أبي طالب سمَّى الحسن حرباً ، فسمّاه رسول الله ﷺ الحسن . ثم ولد له الحسين فسمّاه حرباً ، فسمّاه رسول الله ﷺ الحسين .

حدَّثني بذلك أحمد بن الجعد ، قال : حدَّثنا عبد الرحمن بن صالح ، قال : حدَّثنا يحيى بن عيسى قال : حدَّثنا الأعمش عن سالم بن أبي الجعد قال : قال عليّ بن أبي طالب : كنت رجلاً أحبّ الحرب ، فلمّا وُلد الحسن هممت أن أُسمّيه حرباً ، فسمّاه رسول الله صلّى الله عليه الحسن ، فلمّا وُلِد الحسين هممت أن أُسمِّيه حرباً ، فسمّاه رسول الله صلّى الله عليه الحسين . ثم قال سمّيتهما باسمَي ابنَي هارون : شَبَّر وشُبير .

وأخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرميّ قال : حدَّثنا محمد بن يحيى الأَحول قال : حدَّثنا خلاد المقرىء قال : حدَّثنا قيس بن الربيع بن أبي حُصَين ، عن يحيى بن وَثّاب ، عن ابن عمر ، قال : كان على الحسن والحسين تعويذتان حَشْوهما من زغب جناح جبريل عليه السلام .

وهذا الشعر يقوله الحسين بن عليّ في امرأته الرَّباب بنت امرىء القيس بن عديّ بن أوس بن جابر بن كعب بن عُلَيم بن كلب بن وَبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن إلحاف بن قضاعة ، وأمّها هند بنت الربيع بن مسعود بن معاذ بن حصين بن كعب بن عُلَيم بن كلب ؛ وفي ابنته منها سكينة بنت الحسين . واسم سُكينة : أُميمة ، وقيل أمينة ، وقيل آمنة ، وسُكينة لقب لقبت به .

قال مصعب فيما أخبرني به الطّوسيّ عن زُبير عنه : اسمها آمنة .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس ، قالا : حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال : حدَّثنا

---

1 ترجمة الحسين بن علي في جميع كتب التاريخ : الطبري ، المسعودي ، كامل ابن الأثير وتهذيب ابن عساكر 4 : 311 ومقاتل الطالبيين : 54 ، 67 وصفوة الصفوة 1 : 321 وأخباره كثيرة في كتب الأدب .

أبو نعيم ، عن عمر بن ثابت ، عن مالك بن أعْيَن ، قال : سمعت سكينة بنت الحسين تقول عاتب عمِّي الحسنُ أبي في أُمِّي ، فقال : [من الوافر]

لعمـــرك إنّني لأحـبُّ داراً تكون بهـا سُكينـة والرَّبابُ

أحبّهما وأبــذل جُــلّ مالي وليس لعاتب عنــدي عتابُ

[اسم سكينة]

حدَّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا الخليل بن أسد قال : حدَّثنا العُمَريّ عن ابن الكلبيّ عن أبيه ، قال : قال لي عبد الله بن الحسن بن الحسن : ما اسم سكينة بنت الحسين ؟ فقلت : سكينة . فقال : لا . اسمها آمنة .

وروي أنّ رجلاً سأل عبد الله بن الحسن عن اسم سكينة . فقال : أمينة ، فقال له : إنّ ابن الكلبيّ يقول أميمة . فقال : سل ابن الكلبي عن أمّه ، وسَلني عن أُمِّي . وقال المدائنيّ : حدَّثني أبو إسحاق المالكيّ قال :

سكينة لقب ، واسمها آمنة . وهذا هو الصحيح .

[إسلام أبي الرباب]

حدَّثني أحمد بن محمد بن سعيد ، قال : حدَّثنا يحيى بن الحسن العلويّ قال : حدَّثنا شيخ من قريش ، قال : حدَّثنا أبو حُذافة أو غيره ، قال : أسلم امرؤ القيس بن عديّ على يد عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، فما صلّى لله صلاة حتى ولاّه عمر ، وما أمسى حتى خطب إليه عليّ عليه السلام ابنته الرباب على ابنه الحسين ، فزوّجه إيّاها . فولدت له عبد الله وسكينة ولَدَي الحسين عليهما السلام . وفي سكينة وأمّها يقول : [من الوافر]

لعمرُك إنّنـــي لأحـــبّ داراً تحـــلّ بهـــا سُكينة والرَّبابُ

وذكر البيت الآخر ، وزاد على البيتين :

فَلَسْتُ لهم وإن غابوا مُضِيعاً حياتـــي أو يغيّبنـــي الترابُ

ونسخت هذا الخبر من كتاب أبي عبد الرحمن الغَلاّبيّ ، وهو أتمّ . قال : حدَّثنا عليّ بن صالح ، عن عليّ بن مجاهد ، عن أبي المثنى محمد بن السائب الكلبيّ ، قال : أخبرنا عبد الله بن حسن بن حسن قال : حدَّثني خالي عبد الجبار بن منظور بن زبّان بن سيّار الفزاريّ ؛ قال حدَّثني عوف بن خارجة المُرِّيّ ، قال : والله إنّي لعند عمر بن الخطّاب رضي الله عنه في خلافته ، إذ أقبل رجل أفحج أجلى أمعَر [1] ، يتخطّى رقاب الناس ، حتى قام بين يدي عمر . فحيّاه بتحيّة الخلافة ،

1 الأفحج : الذي يتدانى صدور قدميه ويتباعد عقباه عند المشي . والأجلى : الذي انحسر مقدم شعره . والأمعر : الذي سقط شعره .

فقال له عمر : فمَن أنت ؟ قال : أنا امرؤ نصرانيّ ، أنا امرؤ القيس بن عديّ الكلبيّ . قال : فلم يعرفه عمر . فقال له رجل من القوم : هذا صاحب بكر بن وائل ، الذي أغار عليهم في الجاهلية يوم فَلْج . قال : فما تريد ؟ قال : أريد الإسلام . فعرضه عليه عمر رضي الله عنه ، فقبله . ثم دعا له برُمْح ، فعقد له على مَن أسلم بالشام من قضاعة . فأدبر الشيخ واللواء يهتزّ على رأسه . قال عوف : فوالله ما رأيت رجلاً لم يُصَلِّ لله ركعة قطّ أُمِّر على جماعة من المسلمين قبله .

ونهض عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه من المجلس ، ومعه ابناه الحسن والحسين عليهم السلام حتى أدركه ، فأخذ بثيابه . فقال له : يا عمّ ، أنا عليّ بن أبي طالب ابن عمّ رسول الله ﷺ وصهْره ، وهذان ابناي الحسن والحسن من ابنته ، وقد رغبنا في صِهْرك فأنكحنا . فقال : قد أنكحتك يا عليّ المُحياة بنت امرىء القيس ، وأنكحتك يا حسن سَلْمى بنت امرىء القيس ، وأنكحتك يا حسين الرَّباب بنت امرىء القيس .

وقال هشام بن الكَلْبيّ : كانت الرَّباب من خيار النساء وأفضلهنّ . فخُطبت بعد قتل الحسين عليه السلام ، فقالت : ما كنت لأتّخذ حَماً بعد رسول الله ﷺ .

قال المدائنيّ : حدَّثني أبو إسحاق المالكيّ ، قال : قيل لسكينة واسمها آمنة ، وسكينة لقب : أختك فاطمة ناسكة وأنت تمزحين كثيراً ؟ فقالت : لأنّكم سميتموها باسم جدّتها المؤمنة ، تعني فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وسمّيتموني باسم جدّتي التي لم تدرك الإسلام . تعني آمنة بنت وهب ، أمّ رسول الله ﷺ .

[رثاء الرّباب للحسين]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا الكناني ، عن قعنب بن المحرز الباهلي ، عن محمد ابن الحكم ، عن عَوانة ، قال : رثت الرَّباب بنت امرىء القيس ام سكينة بنت الحسين ، زوجَها الحسينَ عليه السلام حين قتل ، فقالت : [من البسيط]

إنّ الذي كان نوراً يُستضاء به ... بكَربلاءَ قتيلٌ غير مدفونِ
سِبْطَ النبيِّ جَزَاكَ الله صالحةً ... عنا ، وجُنِّبْتَ خُسران الموازينِ
قد كنت لي جَبَلاً صَعْباً ألوذ به ... وكنتَ تصحبنا بالرُّحم والدِّينِ
من لليتامَى ومن للسائلينَ ومَن ... يُغْني ويأوي إليه كلُّ مسكينِ
والله لا أبتغي صهراً بصهركُم ... حتّى أُغَيَّبَ بين الرمل والطينِ

أخبرني الطّوسي قال : حدَّثني الزُّبير عن عمّه قال : أخبرني إسماعيل بن بكار قال : حدّثني أحمد بن سعيد ، عن يحيى بن الحسين العلوي ، عن الزُّبير عن عمّه ، قال : وأخبرني إسماعيل بن يعقوب عن عبد الله بن موسى ، قالا : كان الحسن بن الحسن بن علي بن أبي

طالب خطب إلى عمّه الحسين ، فقال له الحسين عليهم السلام : يا ابن أخي ، قد كنت أنتظر هذا منك ، انطلقْ معي ، فخرج به حتى أدخله منزله ، فخيره في ابنتيه فاطمة وسُكينة . فاختار فاطمة ، فزوّجه إياها . وكان يقال : إن امرأة تُختار على سُكينة لمنقطعة القرين في الحسن . وقال عبد الله بن موسى في خبره : إن الحسين خيره ، فاستحيا ، فقال له : قد اخترت لك فاطمة ، فهي أكثرهما شبَهاً بأمي فاطمة بنت رسول الله ، ﷺ .

[بين سكينة وبنت لعثمان]

حدَّثني أحمد بن محمد بن سعيد قال : حدَّثني يحيى بن الحسن العلويّ قال : كتب إليّ عبّاد بن يعقوب يخبرني عن جدّي بن سُليمان بن الحسين العلويّ قال : كانت سُكَينة في مأتم فيه بنت لعثمان ، فقالت بنت عثمان : أنا بنت الشهيد . فسكتت سكينة : فلمّا قال المؤذن . أشهد أنّ محمداً رسول الله . قالت سكينة : هذا أبي أو أبوك ؟ فقالت العثمانية : لا جرم لا أفخر عليكم أبداً .

[لا تسكت على شتم عليّ]

أخبرني أحمد بن محمد قال : حدَّثنا يحيى قال : حدَّثنا مروان بن موسى القرويّ قال : حدَّثنا بعض أصحابنا قال : كانت سُكينة تجيء في ستارة يوم الجمعة ، فتقوم بإزاء ابن مُطَيْرة ، وهو خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحَكَم ، إذا صعد المِنبر ، فإذا شتم عليّاً ، شتمته هي وجواريها ، فكان يأمر الحَرَس فيضربون جواريها .

أخبرني الطوسيّ عن الزُّبير عن عمّه مصعب ، قال : كانت سكينة عفيفة سَلِمَة[1] بَرْزَة من النساء ، تجالس الأجلّة من قريش ، وتجتمع إليها الشعراء ، وكانت ظريفة مزاحة .

أخبرني الطوسيّ قال : حدَّثنا الزُّبير عن عمِّه قال : حدَّثني معاوية بن بكر ، قال : قالت سكينة : أدخلت على مصعب وأنا أحسن من النار الموقَدة .

أخبرني الحسن بن علي قال : حدَّثني محمد بن موسى ، عن أبي أيّوب المدينيّ ، عن مصعب ، قال : كانت سُكينة أحسن الناس شَعراً ؛ فكانت تُصَفِّف جُمَّتها تصفيفاً لم يُرَ أحسن منه ، حتى عُرِف ذلك . فكانت تلك الجُمة تسمّى السُّكَينية . وكان عمر بن عبد العزيز إذا وجد رجلاً قد صَفَّف جُمته السُّكينيةَ جلده وحلقه .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار عن أحمد بن سليمان بن أبي شيخ عن أبيه عن أبي سفيان الحِميريّ ، قال : بعثت سكينة بنت الحسين عليهما السلام إلى حُبيش بن دُلْجة بغالية ، لأنّه كان من أخوالها . فلمّا وصلت إليه قال : فأين كانت ، عن الصَّيّاح[2] ؟ يقدِّر أنّ الصَّيَّاح

1 سلمة : مسالمة .

2 الصياح : عطر أو خلوق ونحوه .

أرفع من الغالية .

[مزاح سكينة]

قال محمد بن سلام : كانت سكينة مَزَّاحة ، فلسعتها دَبْرة فولولت . فقالت لها أُمّها : ما لكِ يا سيدتي وجزعت ؟ فقالت : لَسَعتني دُبَيْرة ، مثل الأُبَيرة ، فأوجعتني قُطَيْرة[1] .

وقال هارون بن أبي عبيد الله ، حدَّثني ضمرة بن ضمرة ، قال : أُجلَستْ سكينة شيخاً فارسيّاً على سَلّة بيض ، وبعثت إلى سليمان بن يسار ، كأنّها تريد أن تسأله عن شيء . فجاءها إكراماً لها ، فأمرت مَن أخرج إليه ذلك الشيخ جالساً على السَّلّة فيها البيض . فولّى يُسبِّح .

قال : وبعثت سُكينة إلى صاحب الشرطة بالمدينة : أنّه دخل علينا شاميّ ، فابعث إلينا بالشُّرَط . فركب ومعه الشرط . فلمّا أتى إلى الباب ، أمرت ففتح له ، وأمرت جارية من جواريها فأخرجت إليه بُرغوثاً . فقال : ما هذا ؟ قالت : هذا الشاميّ الذي شكوناه . فانصرفوا يضحكون .

[ابن أشعب سر أبيه]

أُخبرني محمد بن جعفر النحويّ قال : حدَّثنا أحمد بن القاسم قال : حدَّثنا أبو هَفّان قال : حدَّثنا سيف بن إبراهيم صاحب إبراهيم بن المهديّ قال : حدَّثني إبراهيم بن المهديّ : أنّ الرشيد لمّا ولاّه دمشق استوهبه صُحبة دُبَـيَّة والغاضريّ وعُبيدة بن أشعب وحكم الوادي . فوهبهم له ، فأشخصهم معه .

قال : فكان فيما حدَّثني به عبيدة قال : قال إبراهيم : ركبت جمازة[2] وهو عَديلي ، ونمت على ظهرها . فلمّا بلغنا ثنية العُقاب ، اشتدّ عليّ البرد ، فاحتجت إلى الزيادة من الدِّثار . فدعوت بدُوَّاجِ[3] سَمُّور ، فألقيته على ظهري ، ودعوت بمَن كان معي في سمري في تلك الليلة ، وكانوا حولي . فقلت لابن أشعب : حدِّثني بأعجب ما تعلم من طمع أبيك . فقال : أُعجب من طمع أبي طمع ابنه . فقلت : وما بلغ من طمعك ؟ فقال : دعوت آنفاً لما اشتدّ عليك البرد بدُوّاج سَمُّور ، لتستدفىء به ، فلم أشكَّ أنّك دعوتَ به لتجعله عليّ . فغلبني الضحك ، وخلعت عليه الدُّواج . ثم قلت له : ما أحسب لك قَرابة بالمدينة . فقال : اللهمّ غَفراً ، لي بالمدينة قرابات وأي قرابات . قلت : أيكونون عشرة ؟ قال : وما عشرة ؟ قلت : فعشرين ؟ قال : اللهمّ غفراً ، لا تذكر العشراتِ ولا المئين ، وتجاوزْ ذكر الألوف إلى ما هو أكثر منها . قلت : ويحَك ! ليس

---

1 قطيرة : تصغير قطرة ، أي إيجاعاً يسيراً .

2 الجمازة : الناقة السريعة .

3 الدَواجِ والدّوّاج : اللحاف الذي يلبس .

بينك وبين أُشعب أَحد ، فكيف يكون هذا ؟ فقال : إنّ زيد بن عمرو بن عثمان بن عفّان تزوّج سُكينة بنت الحسين . فخف أبي على قلبها ، فأحسنت إليه ، وكانت عطاياها خلاف عطايا مولاه . فمال إليها بكليته .

قال : وحجّ سليمان بن عبد الملك وهو خليفة ، فاستأذن زيد بن عمرو سُكَينة ، وأَعلمها أنّها أوّل سنة حجّ فيها الخليفة ، وأنّه لا يمكنه التخلّف عن الحجّ معه . وكانت لزيد ضيعة يقال له العَرْج ، وكان له فيها جَوارٍ . فأعلمتْه أنّها لا تأذن له إلاّ أن يخرج أُشعبُ معه ، فيكون عَينا لها عليه ، ومانعاً له من العدول إلى العَرْج ، ومن اتّخاذ جارية لنفسه في بدأته ورجعته . فقنع بذلك ، وأخرَجَ أشعب معه . وكان له فرس كثير الأوضاح ، حسن المنظر ، يصونه عن الركوب إلاّ في مسايرة خليفة أو أمير أو يوم زينة ؛ وله سرج يصونه ، لا يركب به غير ذلك الفرس . وكان معه طيب لا يتطيّب به إلاّ في مثل ذلك اليوم الذي يركب فيه ؛ وحُلّة مَوْشية يصونها عن اللُّبس إلاّ في يوم يريد التجمّل فيه بها . فحجّ مع سليمان ، وكانت له عنده حوائج كثيرة ، فقضاها ووصله ، وأجزل صِلته . وانصرف سليمان من حَجّه ، ولم يسلك طريق المدينة . وانصرف ابن عثمان يريد المدينة ، فنزل على ماء لبني عامر بن صعصعة . ودعا أشعب ، فأحضره وصرَّ صُرّة فيها أربعمائة دينار ، وأعلمه أنّه ليس بينه وبين العرج إلاّ أَميال ؛ وأنّه إن أذن له في المسير إليها ، والمبيت بها عند جواريه ، غَلَّس إليه ، فوافى وقتَ ارتحال الناس ، ووهب له أربعمائة الدينار . فقبل يده ورجله ، وأذن له في السير إلى حيث أحبّ ، وحلف له أنّه يحلف لسُكينة بالأيمان المحرِجَة ، أنّه ما سار إلى العَرْج ، ولا اتّخذ جارية منذ فارق سُكَينة إلى أن رجع إليها . فدفع إليه مولاه الدنانير ومضى .

قال أبو إسحاق : قال ابن أشعب : حدَّثني أبي أنّه لا يتوهم أن مولاه سار نصف ميل حتى رأى في الماء الذي كان عليه رحل زيد جاريتين عليهما قِربتان . فألقتا القربتين ، وألقتا ثيابهما عنهما ، ورمتا بأنفسهما في الغدير ، وعامتا فيه ، ورأى من مُجَرَّدهما ما أعجبه واستحسنه . فسألهما عند خروجهما من الماء عن نسبهما . فأعلمتاه أنّهما من إماء نسوة خُلُوف ، لبني عامر بن صعصعة ، هن بالقرب من ذلك الغدير . فسألهما : هل سبيل إلى مولياتهما ، لمحادثة شيخ حسن الخلق ، طيب العشرة ، كثير النوادر ؟ فقالتا : وأنّى لهنّ بمَن هذه صفته ؟ فقال لهما : أَنا ذاك . فقالتا : انطلق معنا . فوثب إلى فرس زيد ، فأَسرجه بسرجه الذي كان يسرجه به ويركبه ، ودعا بحلّته التي كان يضنّ بها فلبسها ، وأحضر السَّفَط الذي كان فيه طيبه ، فتطيّب منه ، وركب الفرس ، ومضى معهما حتى وافى الحيّ ، فأقام في محادثة أَهله إلى قرب وقت صلاة العصر . فأقبل في ذلك الوقت رجال الحيّ ، وقد انصرفوا غانمين

من غزاتهم ، وأقبلت تمرّ به الرِّعلة بعد الرِّعلة ، فيقفون به فيقولون : ممّن الرجل ؟ فينتسب في نسب زيد ، فيقول كلّ مَن اجتاز به : ما نرى به بأساً . وينصرفون عنه . إلى قرب غروب الشمس ، فأقبل شيخ فانٍ على حِجْر هرمة هزيل ، ففعل مثل ما كان يفعل مَن اجتاز ، فسأله مثلما يسألون عنه ، فأخبره بمثل ما كان يخبر من تقدّمه ، فقال مثل قولهم .

قال ابن أشعب : قال أبي : ثم رأيت الشيخ وقد وقف بعد قوله ، فأوجست منه خيفة ، لأنّي رأيته قد جعل يده اليسرى تحت حاجبيه ، فرفعهما ، ثم استدار ليرى وجهي . فركبت الفرس ، فما استويت عليه حتى سمعته يقول : أقسم بالله ما هذا قرشيّ ، وما هذا إلاّ وجه عبد . فركضت وركض خلفي ، فرأى حِجْره مقصرة . فلمّا يئس من اللحاق بي ، انتزع سهماً فرماني به ، فوقع في مؤخرة السرج ، فكسرها . ودخلتني من صوته روعة أحدثت لها في الحلّة . ووافيت رحل مولاي ، فغسلت الحُلّة ونشرتها ، فلم تجفّ ليلاً . وغلّس مولاي من العَرْج ، فوافاني في وقت الرحيل ، فرأى الحلّة منشورة ، ومؤخّرة السرج مكسورة ، والفرس قد أَضَرَّ بها الركض ، وسَفَط الطيب مكسور الختم . فسألني عن السبب ، فصَدَقْته . فقال لي : ويحك ! أما كفاك ما صنعت بي حتى انتسبتَ في نسبي ، فجعلتني عند أشراف قومي من العرب جَمّاشاً ، وسكتَ عنّي ، فلم يقل لي : أحسنت ولا أسأت حتى وافينا المدينة . فلمّا وافاها سألته سُكينة عن خبره ، فقال لها : يا بنت رسول الله ، وما سؤالك إيّاي ولم يزل ثقتك معي ، وهو أمين عليّ ، فسليه عن خبري يصدقك عنه . فسألتني ، فأخبرتها أنّي لَم أنكر عليه شيئاً ، ولم أُمكنه من ابتياع جارية ، ولم أُطلق له الاجتياز بالعَرْج . فاستحلفتني على ذلك ، فلمّا حلفت لها بالأيمان المحرِجة فيها طلاق أُمِّك ، وثب فوقف بين يديها ، وقال : أي ابنة عمّ ، ويا بنت رسول الله ، كذبك والله العلج ، ولقد أخذ منّي أربعمائة دينار ، على أن أذن لي في المصير إلى العرج ؛ فأقمت بها يوماً وليلة ، وغسلت بها عدّة من جواريّ ، وها أنا ذا تائب إلى الله ممّا كان منّي ، وقد جعلت توبتي هبتهنّ لك ، وتقدّمت في حملهنّ إليك ، وهنّ موافيات المدينة في عشيّة اليوم ، فبيعهنّ أو عتقهنّ إليك الأمر فيه ، وأنت أعلم بما تَرين في العبد السَّوء . فأمرتني بإحضار أربعمائة الدينار ، فأحضرتها . فأمرتْ بابتياع خَشَب بثلثمائة دينار ، وأمرت بنشرِه ، وليس عندي ولا عند أحد من أهل المدينة عِلم بما تريده فيه . ثم أمرتْ بأن يتّخذ بيت كبير ، وجعلت النفقة عليه في أجرة النجارين من المائة الدينارَ الباقية . ثم أمرت بابتياع بيض وتِبن وسِرجين بما بقي من المائة الدينار بعد أُجرة النجارين . ثم أدخلتني البيت ، وفيه البيض والتبن والسِّرْجِين ، وحلفت بحقّ جدّها ألاّ أخرُج من ذلك البيت حتى أحضُن ذلك البيض كلّه إلى أن يُفْقَس ، ففعلت ذلك ، ولم أزل أحضُنه

حتى فُقِس كلّه . فخرج منه الألوف من الفراريج ، وربيت في دار سكينة ، فكانت تنسبهنّ إليّ ، وتقول : بنات أشعب .

قال أبو إسحاق : قال لي : وبقي ذلك النسلُ في أيدي الناس إلى الآن ، فكلّهم إخواني وأهلي .
قال : فضحكت والله حتى غُلِبت ، وأمرت له بعشرة آلاف درهم ، فحملت بحضرتي إليه .

[أزواج سكينة]

أخبرني الطوسيّ والحِرْميّ قالا : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني عمِّي مصعب قال : تزوّجتْ سكينة بنت الحسين عليه السلام عدّة أزواج ، أوّلهم عبد الله بن الحسن بن عليّ ، وهو ابن عمّها وأبو عُذْرتها ، ومصعب بن الزُّبير ، وعبد الله بن عثمان الحِزاميّ ، وزيد بن عمرو بن عثمان ، والأصبغ بن عبد العزيز بن مروان ، ولم يدخل بها ، وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، ولم يدخل بها .

قال مصعب ويحيى بن الحسن العلويّ : إنّ عبد الله بن حسن زوجها كان يكنى أبا جعفر ، وأُمّه بنت السَّلِيل بن عبد الله البَجَليّ ، أخي جرير بن عبد الله ، قال : ثم خلفه عليها مصعب بن الزُّبير ، زوّجه إيّاها أخوها علي بن الحسين ، ومهرها مصعب ألفَ ألفِ درهم .

قال مصعب : وحدَّثني مصعب بن عثمان : أنّ عليّ بن الحسين أخاها حملها إليه ، فأعطاه أربعين ألف دينار .

قال مصعب : وحدَّثني معاوية بن بكر الباهليّ قال : قالت سكينة : دخلت على مصعب وأنا أحسن من النار الموقدة في الليلة القَرّة .

قال : فولدت من مصعب بنتاً ، فقال لها : سمِّيها زهراء . قالت : بل أُسمِّيها باسم إحدى أُمّهاتي وسمَّتها الرّباب . فلمّا قتل مصعب وليَ أخوه عُروة تركته ، فزوّجها يعني الرّباب بنت مصعَب ابنه عثمان بن عُروة ، فماتت وهي صغيرة ، فورثها عثمان بن عروة عشرة آلاف دينار .

قال الزُّبير : فحدّثني محمد بن سلاَّم عن شعيب بن صخر ، عن أُمّه سعدة بنت عبد الله بن سالم ، قالت : لقيتُ سكينة بين مكّة ومِنى ، فقالت : قفي لي يا ابنة عبد الله ، فوقفت . فكشفت عن بنتها من مصعب ، فإذا هي قد أثقلتها بالحليّ واللؤلؤ ، فقالت : ما ألبستها إيّاه إلاّ لتفضحه .

قال الزُّبير : وحدّثني عمِّي عن الماجِشون ، قال : قالت سكينة لعائشة بنت طلحة : أنا أجمل منك . وقالت عائشة : بل أنا . فاختصمتا إلى عمر بن أبي ربيعة ، فقال لأقضين بينكما ؛ أما أنتِ يا سُكَينة فأملَح منها ، وأمّا أنتِ يا عائشة فأجمل منها . فقالت سكينة : قضيتَ لي والله . وكانت سكينة تسمِّي عائشة ذات الأُذنين ، وكانت عظيمة الأُذنين .

أخبرني الحسن بن علي قال : حدَّثني أحمد بن زهير قال : حدَّثنا المدائنيّ ، قال : خطب

سُكَينة بنت الحسين عليه السلام عبد الملك بن مروان . فقالت أمّها : لا والله لا يتزوّجها أبداً وقد قتل ابن أخي ، تعني مصعباً .

وأمّا محمد بن سلاّم الجمحيّ فإنّه ذكر فيما أخبرني به أبو الحسن الأسديّ عن الرياشيّ عنه : أنّ أبا عذرتها هو عندي عبد الله بن الحسن بن عليّ . ثم خلف عليها العثمانيّ ، ثم مصعب بن الزّبير ، ثم الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان . فقال فيه بعض المدنيين[1] : [من الكامل]

نكَحَتْ سُكينة بالحساب ثلاثةً فإذا دخلتَ بها فأنت الرابعُ

قال : وكان يتولّى مصر ، فكتبت إليه : إنّ أرض مصر وخمة . فبنى لها مدينة تسمّى مدينة الأصبغ . وبلغ عبدَ الملك تزوّجه إيّاها ، فنفِس بها عليه . فكتب إليه : اختر مصر أو سُكَينة . فبعث إليها بطلاقها ولم يدخل بها ، ومتّعها بعشرين ألف دينار . ومرّوا بها في طريقها على منزل ، فقالت : ما اسم هذا المنزل ؟ قالوا : جوف الحمار . قالت : ما كنت لأدخل جوف الحمار أبداً .

وذكر محمد بن سلاّم في هذا الخبر الذي رواه الرياشيّ عن شعيب بن صخر أنّ الحزاميّ عبد الله بن عثمان خلف الأصبغ عليها ، وولدت منه بنتاً . وذكر عن أمّه سعدة بنت عبد الله أنّ سكينة أرتها بنتها من الحزاميّ ، وقد أثقلتها باللؤلؤ ، وهي في قُبّة ، فقالت : والله ما ألبستها إيّاه إلاّ لتفضحه . تريد أنّها تفضح الحليّ بحسنها ، لأنّها أحسن منه .

أخبرني ابن أبي الأزهر قال : حدّثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن الهيثم بن عديّ ، عن صالح بن حَسّان وغيره : أنّ سكينة كانت عند عمرو بن حكيم بن حِزام ، ثم تزوّجها بعده زيد بن عمرو بن عثمان بن عفّان ، ثم تزوّجها مصعَب بن الزّبير . فلمّا قتل مصعب ، خطبها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، فبعثت إليه : أبلغَ من حمقك أن تبعثَ إلى سُكينة بنت الحسين بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ تخطبها ؟ فأمسك عن ذلك .

[بنانة تتمنّى جلبة فتحدث]

قال : ثم تنفّست يوماً بُنانة جارية سكينة وتنهدت ، حتى كادت أضلاعها تتحطّم . فقالت لها سكينة : مالكِ ويْلَك ! قالت : أحبّ أن أرى في الدار جَلَبة ، تعني العُرْس . فدعت مولى لها تثق به ، فقالت له : اذهب إلى إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، فقل له : إنّ الذي كنّا ندفعك عنه قد بدا لنا فيه ؛ أنت من أخوال رسول الله ﷺ ، فأحضِر بيتك . قال : فجمع عِدّة من بني زُهرة ، وأفناء قريش من بني جُمَحَ وغيرهم ، نحواً من سبعين رجلاً أو ثمانين .

1 هو أيمن بن خريم .

ثم أرسل إلى عليّ بن الحسين ، والحسن بن الحسن ، وغيرهم من بني هاشم . فلمّا أتاهم الخبر اجتمعوا ، وقالوا : هذه السفيهة تريد أن تتزوّج إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف . فتنادى بنو هاشم واجتمعوا ، وقالوا : لا يخرجَنّ أحد منكم إلاّ ومعه عصا . فجاءوا وما بقي إلاّ الكلام . فقال : اضربوا بالعصيّ . فاضطربوا هم وبنو زُهْرة ، حتى تشاجُّوا ، فشُجَّ بينهم يومئذٍ أكثر من مائة إنسان . ثم قالت بنو هاشم : أين هذه ؟ قالوا : في هذا البيت . فدخلوا إليها ، فقالوا : أبلغ هذا من صنعك ؟ ثم جاءوا بكساء طاروقيّ ، فبسطوه ثم حملوها ، وأخذوا بجوانبه ، أو قال : بزواياه الأربع ، فالتفتت إلى بُنانة فقالت : يا بُنانة ، أرأيت في الدار جَلَبة ؟ قالت : إي والله إلاّ أنّها شديدة .

وقال هارون بن الزيّات : أخبرني أبو حذيفة عن مصعب ، قال : كان أوّل أزواج سكينة عبد الله بن الحسن بن عليّ ، قتل عنها ولم تلد له . وخلف عليها مصعب ، فولدت له جارية . ثم خلف عليها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام ، فنشزت عليه ، فطلّقها . ثم خلف عليها الأصبغ بن عبد العزيز فأصدقها صداقاً كثيراً . فقال الشاعر : [من الكامل]

نكحت سُكَينة بالحساب ثلاثة ... فإذا دخلتَ بها فأنت الرابعُ

إن البقيع إذا تتابع زرعُه ... خاب البقيعُ وخاب فيه الزارعُ

وبلغ ذلك عبد الملك بن مروان فغضب ، وقال : أما تزوّجنا أحسابنا حتى تزوّجنا أموالنا ! فطلِّقها . فطلّقها . فخلف عليها العثمانيّ ، وشرطت عليه ألاّ يغيرها[1] ، ولا يمنعها شيئاً تريده ، وأن يقيمها حيث خلّتها أمّ منظور ، ولا يخالفها في أمر تريده . فكانت تقول له : يا ابن عثمان اخرج بنا إلى مكّة . فإذا خرج بها فسارت يوماً أو يومين ، قالت : ارجع بنا إلى المدينة . فإذا رجع يومه ذاك ، قالت : اخرج بنا إلى مكّة . فقال له سليمان بن عبد الملك : أعلَمُ أنّك قد شرطت لها شروطاً لم تفِ بها ، فطلّقها . فطلّقها . فخلف عليها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، فكره ذلك أهلها ، وخاصموه إلى هشام بن إسماعيل ، فبعث إليها يخيّرها . فجاء إبراهيم بن عبد الرحمن من حيث تسمع كلامه ، فقال لها : جُعلت فداءَك ، قد خيّرتك فاختاري . فقالت : قلت ماذا بأبي ، تهزأ به . فعرف ذلك ، فانصرف . وخيّروها ، فقالت : لا أريده .

قال : وماتت فصلّى عليها شَيبة بن نِصاح .

1 يغيرها : يجعلها تغار .

وأمّا ابن الكلبيّ فذكر فيما أخبرنا به الجوهريّ ، عن عمر بن شبّة ، عن عبد الله بن محمد بن حكيم ، عنه : أن أوّل أزواجها الأصبغ ، ومات ولم يرها ، ثم زيد بن عمرو العثمانيّ ، قال : وولدت له ابنه عثمان الذي يقال له قرين ، ثم الحِزامي ، ثم خلف عليها مصعب ، فولدت له جارية ، ثم خلف عليها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ولم يدخل بها .

قال عمر بن شبّة : وحدَّثني محمد بن يحيى قال : تزوّج مصعب سكينة وهو يومئذٍ بالبصرة ، عامل لأخيه عبد الله بن الزُّبير ، وكان بين مصعب وبين أخيه رسول يقال له أبو السّلاَّس ، وهو الذي جاء بنعيه ، فقال ابن قيس فيه[1] : [من الخفيف]

قـد أتانا بما كرهنا أبو السلاَّ ... س كانـت بنفسه الأوجاعُ

وفي هذا الشعر غناء قد ذكر في موضعه . وهذا غلط من محمد بن يحيى ، ليست قصّة أبي السلاّس مع مصعب ، وإنّما هي مع ابن جعفر .

قال محمد بن يحيى : ولمّا تزوّج مصعب سكينة على ألف ألف ، كتب عبد الله بن همّام على يد أبي السلاّس إلى عبد الله بن الزبير : [من الكامل]

أبلِـغ أمير المؤمنـين رسالة ... من ناصح لك لا يريد خِداعا
بُضْع الفتاة بألف ألف كامـلٍ ... وتبيت سادات الجنود جياعا
لو لأبـي حفص أقول مقالتي ... وأبـث مـا أبثتكـم لارتاعا

قال : وكان ابن الزُّبير قد أوصاه ألاّ يعطيه أحد كتاباً إلاّ جاء به ، فلمّا أتاه بهذا الكتاب قال : صدق والله ، لو يقول هذه المقالة لأبي حفص لارتاع من تزويج امرأة على ألفِ ألفِ درهم . ثم قال : إنّ مصعباً لما وليته البصرة أغمد سيفه ، وسلّ أيره ، وعزله عن البصرة ، وأمره أن يجيء على ذات الجيش ؛ وقال : إنّي لأرجو أن يخسف الله بك فيها . فبلغ عبد الملك بن مروان قول عبد الله في مصعب ، فقال : لكن عبد الله والله أغمد سيفه وأيره وخيره .

قال أبو زيد أخبرني محمد بن يحيى عن ابن شهاب الزهريّ قال : ذُكِر أنّ زيد بن عمرو بن عثمان العثمانيّ خرج إلى مال له مغاضباً لسكينة ، وعمر بن عبد العزيز يومئذٍ والي المدينة ، فأقام سبعة أشهر ، فاستعدته سكينة على زيد ، وذكرت غَيبته مع ولائده سبعة أشهر ، وأنّها شرطت عليه أنّه إن مس امرأة ، أو حال بينها وبين شيء من ماله ، أو منعها مخرجاً تريده ، فهي خَلِيّة[2] ، فبعث إليه عمر فأحضره ، وأمر ابن حزم أن ينظر بينهما .

---

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 147 .

2 خلية : مطلقة .

قال : حدَّثني أبو بكر بن عبد الله ، قال : بعثني عمر ، وبعث معي محمد بن معقِل بن يسار الأشجعيّ ، إلى ابن حزم ، وقال : اشهدا قضاءه ، فدخلنا عليه وعنده زيد جالس ، وفاطمة امرأة ابن حزم في الحَجَلة جالسة ، وجاءت سكينة ، فقال ابن حزم : أدخلوها وحدها . فقالت : والله لا أدخل إلاّ ومعي ولائدي ، فأدخلن معها ، فلمّا دخلت قالت : يا جارية اثني لي هذه الوسادة . ففعلت ، وجلست عليها ، ولصق زيد بالسرير ، حتى كاد يدخل في جوفه خوفاً منها . فقال لها ابن حزم : يا ابنة الحسين ، إنّ الله عزّ وجلّ يحبّ القصد في كلّ شيء ، فقالت له : وما أنكرت منّي ، إنّي وإيّاك والله كالذي يرى الشعرة في عين صاحبه ، ولا يرى الخشبة في عينه . فقال لها : أما والله لو كنت رجلاً لسطوت بك . فقالت له : يا ابن فَرْتَنى ألا تزال تتوعّدني ؟ وشتمته وشتمها . فلمّا بلغا ذلك قال ابن أبي الجهم العَدَويّ : ما بهذا أُمِرنا ، فأمض الحكم ولا تُشاتم . فقالت لمولاة لها : مَن هذا ؟ قالت : أبو بكر بن عبد الله بن أبي الجهم . فقالت : لا أراك ههنا وأنا اشتمُ بحضرتك . ثم هتفت برجال قريش ، وحضت ابن أبي الجهم ، وقالت : أما والله لو كان أصحاب الحَرّة أحياء لقتلوا هذا العبد اليهوديّ عند شتمه إيّاي ، أي عدوّ الله ، تشتمني وأبوك الخارج مع يهودَ صبابةً بدينهم لما أخرجهم رسول الله ﷺ إلى أريحا ، يا ابن فَرْتَنى . قال : وشتمها وشتمته .

قال : ثم أحضرنا زيداً ، فكلّمها وخضع لها ، فقالت : ما أَعْرَفَني بك يا زيد ، والله لا تراني أبداً ، أتراك تمكث مع جواريك سبعة أشهر لا تقربهُنّ ؟ املأ عينك الآن منّي ، فإنّك لا تراني بعد الليلة أبداً . وجعلت تردّد هذا القول ومثله ، فكلّما تكلّمت ترفُث[1] لابن حزم وامرأته في الحَجَلة ، وهو يقلق لسماع امرأته ذلك فيه . ثم حكم بينهما بأنّ سكينة إن جاءت ببينة على ما ادّعته ، وإلاّ فاليمين على زيد . فقامت وقالت لزيد ، يا ابن عثمان : تزوّد منّي بنظرة ، فإنّك والله لا تراني بعد الليلة أبداً ، وابن حزم صامت . ثم خرجنا وجئنا إلى عمر بن عبد العزيز وهو ينتظرنا في وسط الدار في ليلة شاتية ، فسألنا عن الخبر ، فأخبرناه ، فجعل يضحك حتى أمسك بطنه ، ثم دعا زيداً من غد ، فأحلفه وردّ سكينة عليه .

وأخبرني الحِرْمِيُّ بن أبي العلاء قال : حدَّثني الزُّبير بن بكّار عن عمِّه قال : قالت سكينة لأُمّ أشعب : سمعت للناس خبراً ؟ قالت : لا ، فبعثت إلى إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف فتزوّجته ، وبلغ ذلك بني هاشم فأنكروه ، وحملوا العصيّ ، وجاءوا فقاتلوا بني زُهرة حتى كثرت الشِّجاج ، ثم فُرِّق بينهم ، وخُيِّرت سكينة فأبت نكاح إبراهيم ، ثم التفتت إلى أُمّ أشعب وقالت : أترين الآن أنّه كان للناس اليوم خبر ؟ قالت ، إي والله ، بأبي أنت ، وأيّ خبر .

1 ترفث : تفحش في القول .

قال هارون بن الزيّات : وجدت في كتاب القاسم بن يوسف : حدَّثني الهيثم بن عديّ ، عن أشعب ، قال : تزوّج زيد بن عمرو بن عثمان بن عفّان سكينة ، وكان أبخل قرشيّ رأيته ، فخرج حاجّاً وخرجت سكينة معه ، فلم تدع إوزة ولا دجاجة ولا خبيصاً ولا فاكهة إلاّ حملته معها ، وأعطتني مائة دينار ، وقالت : يا ابن أمّ حميدة ، اخرج معنا . فخرجت ومعنا طعام على خمسة أجمال ، فلمّا أتينا السَّيالة نزلنا ، وأمرت بالطعام أن يقدّم . فلمّا جيء بالأطباق ، أقبل أغيلمة من الأنصار يسلّمون على زيد ، فلمّا رآهم قال : أوّهْ . خاصرتي . باسم الله ، ارفعوا الطعام ، وهاتوا الترياق والماء الحارّ ، فأُتِي به فجعل يتوجَّرهما[1] حتى انصرفوا ، ورَحلنا وقد هلكتُ جوعاً ، فلم آكل إلاّ ممّا اشتريته من السوق . فلمّا كان من الغد أصبحت وبي من الجوع ما الله أعلم به ، ودعا بالطعام وأُتي به . قال : فأمر بإسخانه ، وجاءته مَشْيَخة من قريش يسلّمون عليه ، فلمّا رآهم اعتلّ بالخاصرة ، ودعا بالتِّرياق والماء الحارّ ، فتوجَّره ورفع الطعام ، فلمّا ذهبوا أمر بإعادته ، فأُتي به وقد برد ، فقال لي : يا أشعب ، هل إلى إسخان هذا الدجاج سبيل ؟ فقلت له أخبرني عن دَجاجك هذا ؟ أمن آل فرعون ، فهو يُعْرَض على النار غُدُوًّا وعَشيًّا .

[تبغض أهل الكوفة]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ ، عن محمد بن الحكم ، عن عوانة ، قال : جاء قوم من أهل الكوفة يسلّمون على سُكَينة فقالت لهم : الله يعلم أنّي أُبغضكم : قتلتم جدّي عليّاً ، وأبي الحسين ، وأخي عليّاً ، وزوجي مصعباً ، فبأيّ وجه تَلْقَونني ، أيْتمتموني صغيرة ، وأرملتموني كبيرة .

أخبرني الحسن بن عليّ عن أحمد بن زهير عن المدائنيّ قال : بينما سكينة ذات ليلة تسير ، إذ سمعت حادياً يحدو في الليل يقول :

لولا ثـلاث هـنَّ عيشُ الدهرِ

قالت لقائد قطارها : أَلحِق بنا هذا الرجل ، حتى نسمع منه ما هذه الثلاث .

فطال طلبه لذلك حتى أتعبها . فقالت لغلام لها : سر أنت حتى تسمع منه ، فرجع إليها فقال : سمعته يقول :

المـــاء والنــوم وأمّ عمــرِو

فقالت : قَبَحَه الله ! أتعبني منذ الليلة .

قال : وحدَّثني المدائنيّ أنّ أشعب حجّ مع سكينة ، فأمرت له بجمل قويّ يحمل أثقاله ، فأعطاه القيِّم جملاً ضعيفاً ، فلمّا جاء إلى سكينة قالت له : أعطوك ما أردت ؟ قال : عِرسُه

---

1 يتوجر الدواء : يصبه في حلقه قليلاً قليلاً .

الطلاق ، لو أنّه حمل قَتَباً على الجمل لما حمله ، فكيف يحمل محملاً .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عمر بن شبّة ، عن نعيم بن سالم بن عليّ الأنصاريّ ، عن سفيان بن حرب ، قال : رأيت سكينة بنت الحسين عليه السلام ترمي الجِمار ، فسقطت من يدها الحصاة السابعة ، فرمت بخاتمها مكانها .

وقال هارون بن الزيّات : حدّثني أبو حُذافة السهميّ قال : أُخبرني غير واحد ، منهم محمد بن طلحة : أنّ سكينة ناقلت بمالها بالزوراء ، إلى قصر يقال له البَريديّ بَلْزق الجماء ، فلمّا سال العقيق ، خرجت ومعها جواريها تمشي ، حتى جاءت السيل ، فجلست على جِرْفه ، ومالت برجليها في السيل ، ثم قالت : هذا في است المغبون . والله لهذه الساعة من هذا القصر خير من الزوراء . قال : وكان البريديُّ قصراً لا غلّة له ، وإنّما يُتَنزّه فيه ، وكانت غلّة الزوراء غلّة وافرة عظيمة .

[تزال منها سلعة بالجراحة]

وقال هارون : وحدَّثني عليّ بن محمد النوفليّ عن أبيه ، وعمّه وغيرهما من مشايخ الهاشميين والطالبيين : أنّ سكينة بنت الحسين عليه السلام ، خرجت بها سَلَعة[1] في أسفل عينها ، فكبرت حتى أخذت وجهها وعينها ، وعظُم شأنها ؛ وكان بدراقُس منقطعاً إليها في خدمتها ، فقالت له : ألا ترى ما قد وقعت فيه ؟ فقال : لها أتصبرين على ما يمسُّك من الألم حتى أُعالجك ؟ قالت : نعم . فأضجعها ، وشقّ جلد وجهها حتى ظهرت السَّلَعة ، ثم كشط الجلد عنها أجمع ، وسلخ اللحم من تحتها حتى ظهرت عروق السلعة ، وكان منها شيء تحت الحدقة ، فرفع الحَدَقة عنه ، حتى جعلها ناحية ، ثم سل عروق السَلَعة من تحتها . فأخرجها أجمع ، ورد العين إلى موضعها ، وعالجها وسكينة مضطجعة لا تتحرّك ولا تئنّ ، حتى فرغ ممّا أراد ، فزال ذلك عنها ، وبرئت منها ، وبقي أثر تلك الجراحة في مؤْخَر عينها ، فكان أحسن شيء في وجهها ، وكان أُحسن على وجهها من كلّ حَلْي وزينة ، ولم يؤثر ذلك في نظرها ، ولا في عينها .

[نقدها الشعر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مِهْرويه ، قال : أُخبرني عيسى بن إسماعيل ، عن محمد بن سلام ، عن جرير المدينيّ ، عن المدائنيّ . وأُخبرني به محمد بن أبي الأزهر ، قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن محمد بن سلام . وأُخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، عن عُمر بن شبّة موقوفاً عليه ، قالوا : اجتمع في ضيافة سكينة بنت الحسين عليه السلام ، جرير والفرزدق وكُثيِّر وجميل ونُصَيب ، فمكثوا أيّاماً ؛ ثم أذنتْ

1 السلعة : غدة تفتح وتحرك أو خراج ، وتبدأ كالحمصة ثم تصير بحجم البطيخة .

لهم ، فدخلوا عليها ، فقعدت حيث تراهم ولا يَرَونها ، وتسمع كلامهم ؛ ثم أخرجت وصيفة لها وضيئة قد روت الأشعار والأحاديث ، فقالت : أيّكم الفرزدق ؟ فقال لها : هأنذا . فقالت : أنت القائل[1] : [من الطويل]

همـا دلّتـاني مـن ثمانينَ قامـةً ... كما انحطّ بـازٍ أقتم الريشِ كاسرُهْ

فلمّا استوت رجلاي بالأرض قالتا ... أحـيٌّ يُرَجَّـى أم قتيـل نحاذرُهْ

فقلت ارفعوا الأمراس لا يشعروا بنا ... وأقبلـتُ في أعجـاز ليلٍ أُبادِرُهْ

أُبـادر بوابَيْـن قـد وُكِّـلا بنا ... وأحمـر مـن ساج تبِصُّ مسامرُهْ

قال : نعم . قالت : فما دعاك إلى إفشاء سرّها وسرّك ؟ هلاّ سترتها وسترت نفسك ؟ خذ هذه الألف ، والحق بأهلك .

ثم دخلتْ على مولاتها وخرجت ، فقالت : أيّكم جرير ؟ فقال لها : هأنذا . فقالت : أنت القائل[2] : [من الكامل]

طرقتكَ صائدة القلوب وليس ذا ... حـينَ الزيـارةِ فارجعـي بسلامِ

تُجْـري السواك على أغـرَّ كأنّه ... بَرَدٌ تحـدر مـن مُتـون غَمامِ

لـو كان عهـدكِ كالذي حدثِتنا ... لوصلتِ ذاك فكـان غير رِمامِ[3]

إنّي أواصل مَـنْ أردتُ وصاله ... بحبـالِ لا صلِـفٍ ولا لَـوَّامِ

قال : نعم . قالت : أفلا أخذت بيدها ، ورحبت بها ، وقلت لها ما يقال لمثلها ؟ أنت عفيف وفيك ضعف . خذ هذه الألف والحق بأهلك . ثم دخلت على مولاتها وخرجت ، فقالت : أيّكم كُثَيِّر ؟ فقال : هأنذا . فقالت : أنت القائل[4] : [من الطويل]

وأَعجبني يـا عَـزُّ منك خلائق ... كـرام إذا عُـدَّ الخلائق أَربعُ

دنُوك حتى يطمعَ الطالبُ الصِّبا ... ودفعك أَسباب الهوى حين يَطمعُ

وقطعُك أَسبابَ الكريم ووصلك الْـ ... ـلئيم وخَـلاَّت المكـارمِ ترفعُ[5]

1 ديوان الفرزدق (صادر) 1 : 211 مع اختلاف في الترتيب واللفظ .

2 ديوان جرير (صادر) : 452 .

3 غير رمام : غير متقطّع .

4 ديوان كثير : 405 مع اختلاف في الرواية .

5 رواية البيت في الديوان :

ومنهن إكرام الكريم وهفوة الـ ... ـلئيم وخـلات المكـارم تنفع

فوالله مـا يـدري كريم مماطَلٌ أينساك إذ باعـدتِ أم يتَضرّعُ

قال : نعم . قالت : مَلَّحْتَ وشَكَّلْت . خذ هذه الثلاثة الآلاف ، والحق بأهلك .

ثم دخلت إلى مولاتها وخرجت فقالت : أيّكم نُصَيْب ؟ قال : هأنذا . قالت : أأنت القائل[1] : [من الوافر]

ولولا أن يقـال صبا نُصَيْب لقلت بنفسيَ النَّشأُ الصِّغارُ

بنفسي كلّ مهضـوم حشاها إذا ظُلِمَتْ فليس لهـا انتصارُ

قال : نعم . قالت : ربيتنا صغاراً ، ومدحتنا كباراً . خذ هذه الأربعة الآلاف ، والحق بأهلك .

ثم دخلت على مولاتها وخرجت ، فقالت : يا جميل ، مولاتي تُقْرِئك السلام ، وتقول لك : والله ما زلتُ مشتاقة لرؤيتك منذ سمعت قولك[2] : [من الطويل]

ألا ليتَ شعري هل أبيتن ليلةً بوادي القُرى إنّـي إذاً لسعيدُ

لكلّ حديـثٍ بينهنّ بشاشة وكلُّ قتيـل عندهـن شهيدُ

جعلت حديثنا بشاشة ، وقتلانا شهداء ، خذ هذه الأربعة الآلاف الدينار ، والحق بأهلك .

أخبرني ابن أبي الأزهر قال : حدَّثنا حمّاد عن أبيه ، عن أبي عبد الله الزُّبيريّ قال : اجتمع بالمدينة راوية جرير وراوية كثيِّر وراوية جميل وراوية نصيب وراوية الأحوص ، فافتخر كلّ واحد منهم بصاحبه ، وقال : صاحبي أشعر . فحكّموا سكينة بنت الحسن بن عليّ عليهما السلام ، لما يعرفونه من عقلها وبصرها بالشعر ، فخرجوا يتقادَون[3] ، حتى استأذنوا عليها ، فأذنت لهم ، فذكروا لها الذي كان من أمرهم ، فقالت لراوية جرير : أليس صاحبك الذي يقول : [من الكامل]

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا حِينَ الزيـارةِ فارجِعي بسلامِ

وأيُّ ساعة أحلى للزيارة من الطروق ، قَبح الله صاحبك ، وقَبح شعره ! ألا قال : فادخلي بسلام !

ثم قالت لراوية كثيِّر : أليس صاحبُك الذي يقول[4] : [من الطويل]

---

1 ديوان نصيب 88 .

2 ديوان جميل : 42 .

3 يتقادون : يتبارون في التفاخر .

4 ديوان كثير : 107 .

يَقَــرّ بعينــي مــا يقَــرُّ بعينها وأحسن شيء ما به العين قَرّتِ

فليس شيء أقرّ لعينها من النكاح ، أفيحب صاحبك أن يُنكَح ؟ قَبح الله صاحبك ، وقَبح شعره ! ثم قالت لراوية جميل : أليس صاحبك الذي يقول[1] : [من الطويل]

فلو تَركَتْ عقلي معــي ما طلبتُها ولكن طِلابيها لمــا فات من عقلي

فما أرى بصاحبك من هوًى ، إنّما يطلب عقله ، قَبح الله صاحبَك وقَبح شعره ! ثم قالت لراوية نُصَيب : أليس صاحبك الذي يقول[2] : [من الطويل]

أهيم بدعد مــا حييت فإن أُمُت فيا حَرَبا مــن ذا يهيم بها بعدي

فما أرى له همّة إلاّ مَن يتعشّقها بعده ! قَبحَه الله وقَبح شعره ! ألا قال : [من الطويل]

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فلا صَلَحت دعد لذي خُلّة بعدي

ثم قالت لراوية الأحوص : أليس صاحبُك الذي يقول : [من الكامل]

مِن عاشقين تواعــدا وتراسلا ليــلا إذا نجــمُ الثريــا حَلّقا

باتــا بأنعــمِ ليلــة وألذّهــا حتى إذا وضَح الصباحُ تفرّقا

قال : نعم ، قالت : قَبحَه الله وقَبح شعره ! ألا قال : تعانقا .

قال إسحاق في خبره : فلم تُثْن على أحد منهم في ذلك اليوم ، ولم تقدِّمه .

قال : وذكر لي الهيثم بن عديّ مثل ذلك في جميعهم إلاّ جميلاً ، فإنّه خالف هذه الرواية ، وقال : فقالت ، لراوية جميل : أليس صاحبك الذي يقول : [من الطويل]

فيا ليتني أعمى أصمُّ تقودني بُثينــة لا يَخفى عليّ كلامُها

قال : نعم . قالت : رحم الله صاحبَك كان صادقاً في شعره ، كان جميلاً كاسمه ، فحكمت له .

* * *

وفي الأشعار المذكورة في الأخبار أغانٍ تذكر هاهنا نسبتُها . فمنها : [من الطويل]

صوت

همــا دلّتاني من ثمانــين قامــةً كما انقضّ بازٍ أقتم الريش كاسرُهْ

1 ديوان جميل : 98 .

2 ديوان نصيب : 84 .

فلمّا استوت رجلاي بالأرض قالتا أحَـيٌّ يرجَّـى أم قتيـل نحـاذرُهْ

عروضه الطويل . الشعر للفرزدق ، والغناء للحَجَبيّ ، رمَل بالبنصر عن الهشاميّ وحبش .

[استطراد بشأن الفرزدق]

وأخبرني : أبو خليفة في كتابه إليّ قال : حدَّثنا محمد بن سلام عن يونس ، وحدَّثنا به اليزيديّ قال : حدَّثنا أحمد بن زهير قال : حدَّثنا محمد بن سلام عن يونس قال : كان للفرزدق غلامان ، يقال لأحدهما وقّاع ، وللآخر زُنْقطَة . قال : ولوقّاع يقول الفرزدق[1] : [من الطويل]

تغلغـل وقّـاعٌ إليهـا فأقبلـت تخوض خُداريا من الليل أخضرا[2]

لطيف إذا ما انغلَّ أُدرك ما ابتغى إذا هـو للظبـيّ المَرُوعِ تَقَتَّرا[3]

وله يقول أيضاً[4] : [من الوافر]

فأبْلَغَهنّ وحـيَ القـولِ عنّي وأدخـل رأسه تحـت القِرامِ[5]

أُسَيِّـد ذو خُرَيِّطـةٍ نهـاراً مـن المتلقِّطِي قَـرَدِ القُمامِ[6]

فقلـن لـه نواعـدك الثريّا وذاك إليـه مجتمعُ الرِّجامِ

صوت

ثـلاث واثنتان فهـنّ خمسٌ وسادسة تميـل مـع السَّنامِ

خرجـن إليّ لم يطمثنَ قبلي فَهُـنّ أصحّ مـن بيض النّعامِ

فبتـن بجانبـيَّ مُصرَّعـاتٍ وبـتُّ أفُضُّ أغـلاق الختامِ

في هذه الأبيات الثلاثة لابن جامع ، خفيف رَمل بالبنصر عن الهشاميّ ، وفيها هَزج يمان بالوسطى عن عمرو بن بانة . وذكر حبش أنّ الهزج لفُليح ، وأنّ لحن ابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى .

أخبرني أبو خليفة قال : حدَّثنا محمد بن سلاّم ، قال : قال الفرزدق وهو بالمدينة : [من الطويل]

همـا دلّتانِـي مـن ثمانـين قامـةً كما انقضَّ بـاز أقتـم الريش كاسرُهْ

---

1 ديوان الفرزدق 1 : 344 .

2 خداري : مظلم .

3 انغل : دخل . وتقتر : تهيأ وتلطف . وفي الديوان : «إذا هو للطنء المخوف تقترا» .

4 ديوان الفرزدق 2 : 290 مع اختلاف في اللفظ .

5 القرام : الستر الأحمر .

6 في الديوان : قرد القسام ، والقرد نفاية الصوف والكتان ، والقسام : مال الصدقة .

فلمّـا استوت رجلايَ بالأرض قالتا أَحَـيٌّ يُرَجَّى أم قتيـل نحـاذرُهْ
فقلت ارفعوا الأسباب لا يفطُنوا بنـا ووليـت في أعجـاز ليـل أُبـادِرُهْ
أُبـادِر بوابَيْـن قـد وُكّـلا بنـا وأحمـرَ مـن ساجٍ تبِصّ مسامرُهْ
وأُصبحتُ في القوم الجلوسِ وأصبحتْ مُغَلَّقـة دوني عليهـا دساكـرُهْ

قال : فأنكرتْ ذلك قريش عليه ، وأزعجه مروان عن المدينة وهو واليها لمعاوية ، وأجَّله ثلاثة أيّام ، فقال[1] : [من الكامل]

يـا مَـرْوَ إنّ مطيّتـي محبوسة ترجـو الحِباءَ وربّها لم ييأسِ
وأتيتنـي بصحيفـةٍ مختومـةٍ أخشى عليّ بها حِباءَ النّقْرِسِ
ألقِ الصحيفة يا فرزدقُ لا تكن نكداءَ مثلَ صحيفة المتلمّسِ[2]

وقال في ذلك : [من الوافر]

وأخرجنـي وأجَّلنـي ثلاثـاً كما وُعِـدت لمهلِكِهـا ثمـودُ

وذكر ذلك جرير في مناقضته إيّاه ، فقال : [من المتقارب]

وشبهتَ نفسك أشقى ثمودٍ فقالـوا ضَلَلْـت ولم تهتـدِ

يعني تأجيل مروان له ثلاثاً . وقال فيه أيضاً جرير : [من الطويل]

تدليـتَ تـزني من ثمانـين قامةً وقَصَّرتَ عن باع العـلا والمكارمِ

وهما قصيدتان .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عُمر بن شبّة قال : قال سليمان بن عبد الملك للفرزدق : أنشدني أجود شعر قلته ، فأنشده[3] : [من الطويل]

عَزَفْتَ بأعشاشٍ وما كدتَ تعزِفُ وأنكرت من حَدْراء ما كنت تعرفُ

فقال له : زِدني . فأنشده قوله : [من الوافر]

ثلاث واثنتـان فهـنّ خمس وسادسة تميـل إلى الشمامِ[4]

فقال له سليمان : ما أظنّك إلاّ قد أحللت بنفسك العقوبة ؛ أقررت بالزّنا عندي وأنا إمام ، ولا بدّ لي من إقامة الحدّ عليك . قال : إن أخذت فيّ بقول الله عزّ وجلّ لم تفعل . قال : وما قال

1 ديوان الفرزدق 1 : 384 .
2 المثل «صحيفة المتلمس» في مجمع الميداني 1 : 399 والفاخر : 73 وجمهرة العسكري 1 : 579 .
3 ديوان الفرزدق 2 : 23–33 .
4 مر آنفاً برواية «تميل مع السنام» .

الله عزّ وجلّ ؟ قال : قال : «والشعراء يتّبعُهُمُ الغاوون . ألم ترَ أنّهم في كلّ واد يهيمون . وأنّهم يقولون ما لا يفعلون» . فضحك سليمان ، وقال : تلافيتها ودرأتَ عن نفسك ، وأمر له بجائزة سنيّة ، وخلَع عليه .

أخبرني هاشم بن محمد قال : حدَّثنا أبو غسان دماذ ؛ عن أبي عبيدة ، قال : نزل الفرزدق هو ومَن معه بقوم من العرب ، فأنزلوه وأكرموه ، وأحسنوا قِراه ، فلمّا كان في الليل دبَّ إلى جارية منهم ، فراودها عن نفسها ، فصاحت ، فتبادر القوم إليها ، فأخذوها من يده وأنَّبوه . فجعل يفكّر واهتمّ ، فقال له الرجل الذي نزل به : مالك ؟ أتحبّ أن أزوِّجك من هذه الجارية . فقال : لا ، والله . ما ذلك بي ، ولكنّي كأنّي بابن المراغة قد بلغه هذا الخبر ، فقال فيّ : [من الوافر]

وكنتَ إذا حللتَ بدار قـوم رحلتَ بخَزْية وتركت عارا

فقال له الرجل : لعلّه لا يفطُن لهذا . فقال : عسى أن يكون ذلك . قال : فوالله ما لبثوا أن مرّ بهم راكب ينشد هذا البيت ، فسألوه عنه ، فأنشدهم قصيدة لجرير يعيره بذلك الفعل ، وفيها هذا البيت بعينه .

ومنها : [من الكامل]

صوت

طرقتك صائدةُ القلوب وليس ذا حِـين الزيـارةِ فارجعي بسلامِ
تُجْـرِي السواكَ على أغـرَّ كأنّه بَـرَد تحـدَّر مـن مُتـون غَمامِ
هيهـاتَ منزلُنـا بجـوٍّ سُوَيْقةٍ ممّـن يَحِـلّ بواطـن الآجامِ
إقـر السلام عـلى سُعادَ وقُل لها لَـوْ مـا تـردّ رسولنا بسلامِ

الشعر لجرير ، والغناء لابن سريج : ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن ابن المكّيّ . وذكره إسحاق في هذه الطريقة أيضاً ولم ينسبه إلى أحد ، وأظنّه من منحول يحيى . وذكره عمرو بن بانة أيضاً لابن سريج في الثاني والرابع في هذه الطريقة ، وذكر عليّ بن يحيى أنّ فيه لابن سريج ثقيل أوّل في الثاني والثالث ، وأنكر ذلك حبش ، وقال : هو بالوسطى . قال عليّ بن يحيى : ومن الناس مَن ينسبه إلى سِياط . وذكر حبش أنّ فيه للهذليّ خفيف ثقيل بالبنصر ، وللغريض ثاني ثقيل بالوسطى .

ومنها : [من الكامل]

صوت

مِـن عاشقَين تراسلا وتواعدا بلِقاً إذا نجـم الثريّـا حَلَّقا
بعثـا أمامهمـا مخافـة رِقبة رَصَداً فمزَّق عنهما ما مَزَّقا
باتـا بأنعـم ليلـة وألذّهـا حتى إذا وضح الصباحُ تفرّقا

الشعر للأحوص ، والغناء لمعبد ، خفيف ثقيل أوّل بالبنصر ، عن يونس والهشاميّ .

رجع الحديث إلى أخبار سكينة

[سكينة تسأل الفرزدق مَن أشعر الناس]

وروى أحمد بن الحارث الخرّاز ، عن المدائنيّ ، عن أبي يعقوب الثقفيّ ، عن عامرٍ الشعبيّ ؛ وذكر أيضاً أبو عبيدة معمر بن المثنى : أنّ الفرزدق خرج حاجّاً ، فلمّا قضى حجّه خرج إلى المدينة ، فدخل على سُكينة بنت الحسين عليه السلام مسلّماً ، فقالت له : يا فرزدق ، مَن أشعر الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت . أشعر منك الذي يقول : [من الوافر]

بنفسِيَ مَـن تجنُّبـه عزيـزٌ علـيَّ ومَـن زيارتـه لِمـامُ
ومَـن أُمسِي وأُصبح لا أَراه ويَطْرُقُنـي إذا هجـعَ النِّيامُ

قال : والله لئن أذنتِ لي لأسمعنك أحسن منه . قالت : أقيموه ، فأخرج . ثم عاد إليها من الغد ، فدخل عليها ، فقالت : يا فرزدق ، مَن أشعر الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت . صاحبك أشعر منك حيث يقول : [من الكامل]

لـولا الحياء لعادني استعبارُ ولـزرت قبرَكِ والحبيب يزارُ
كانت إذا هجر الضجيعُ فراشها كُتِم الحديث وعفَّتِ الأسرارُ
لا يُلْبِث القرنـاءَ أن يتفرّقوا ليـلٌ يكُـرّ عليهـم ونهـارُ

فقال : والله لئن أذنتِ لي لأسمعنك أحسن منه . فأمرت به فأخرج ؛ ثم عاد إليها في اليوم الثالث ، وحولها مولّدات كأنّهنّ التماثيل ، فنظر الفرزدق إلى واحدة منهنّ ، فأُعجِب بها . فقالت : يا فرزدق ، مَن أشعر الناس ؟ فقال : أنا . فقالت : كذبت صاحبك أشعر منك حيث يقول : [من البسيط]

إنّ العيون التي في طرفهـا مَرَض قتلننـا ثـم لم يُحْيِـين قتلانا
يَصْرَعنَ ذا اللبّ حتى لا حَراك به وهـنّ أضعفُ خلـق الله أركانا

فقال : يا بنت رسول الله ﷺ ، إن لي عليكِ حَقّاً عظيماً . ضربتُ إليك من مكّة أريد

التسليم عليك ، فكان في دخولي إليك تكذيبي ومنعك إيّاي أن أسمعك ، وبي ما قد عِيل معه صبري ، وهذه المنايا تغدو وتروح ، ولعلي لا أفارق المدينة حتى أموت ، فإن أنا متّ فمري أن أُدرج في كفني ، وأُدفن في حِرِ تلك الجارية ، يعني الجارية التي أعجبته . فضحكت سُكينة ، وأمرت له بالجارية ، فخرج بها آخذاً برَيْطتها ، وأمرت الجواري أن يدفَعْن في أقفائهما ، ثم قالت : يا فرزدق ، أحسن صحبتها ، فإنّي آثرتك بها على نفسي .

[وفاة سكينة]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار ، وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قالا : حدَّثنا عليّ بن محمد النوفليّ ، قال : حدَّثني أبي عن أبيه وعمومته وجماعة من شيوخ بني هاشم : أنّه لم يصلَّ على أحد بعد رسول الله ﷺ بغير إمام إلاّ سكينة بنت الحسين عليه السلام ، فإنّها ماتت وعلى المدينة خالد بن عبد الملك ، فأرسلوا إليه ، فآذنوه بالجنازة ، وذلك في أوّل النهار في حر شديد ، فأرسل إليهم : لا تُحدِثوا حدثاً حتى أجيء فأُصلّي عليها . فوضع النعش في موضع المصلَّى على الجنائز ، وجلسوا ينتظرونه حتى جاءت الظهر ، فأرسلوا إليه ، فقال : لا تحدثوا فيها شيئاً حتى أجيء ، فجاءت العصر ، ثم لم يزالوا ينتظرونه حتى صلّيت العشاء ، كلّ ذلك يرسلون إليه ، فلا يأذن لهم حتى صلّيت العَتَمة ولم يجيء ، ومكث الناس جلوساً حتى غلبهم النعاس ، فقاموا فأقبلوا يصلّون عليها جمعاً جمعاً وينصرفون . فقال عليّ بن الحسين عليه السلام : مَن أعان بطيب رحمه الله ! قال : وإنّما أراد خالد بن عبد الملك ، فيما ظنّ قوم ، أن تُنْتن . قال : فأُتِي بالمجامر ، فوضعت حول النعش ، ونهض ابن أختها محمد بن عبد الله العثمانيّ ، فأتي عطّاراً كان يعرف عنده عُوداً ، فاشتراه منه بأربعمائة دينار ، ثم أتى به ، فسُجِر حول السرير ، حتى أصبح وقد فُرِغ منه . فلمّا صُلِّيت الصبح أرسل إليهم : صلّوا عليها وادفِنوها . فصلّى عليها شَيبةُ بن نِصاح .

وذكر يحيى بن الحسين في خبره : أنّ عبد الله بن حسن هو الذي ابتاع لها العود بأربعمائة دينار .

صوت

[من الرمل]

وأنـــا الأخضرُ مَــن يعرفني ... أخضرُ الجِلدة من بيت العَرَبْ
مَــن يساجلْني يساجلْ ماجداً ... يملأ الدلوَ إلى عَقْـدِ الكَرَبْ

إنّما عبد مناف جوهر زَيَّن الجوهرَ عبدُ المطّلِبْ
كلّ قوم صيغة من فضّة وبنو عبد مناف من ذَهَبْ
نحن قوم قد بنى الله لنا شرفاً فوق بُيوتات العربْ
بنبيّ اللهِ وابني عمِّه وبعبّاس بن عبد المطَّلِبْ

الشعر للفضل بن العبّاس اللَّهَبيّ ، والغناء لمعبد ، ثقيل أوّل بالبنصر ، في الأوّل والثاني والثالث . ولابن محرز في الأوّل والثاني خفيف ثقيل أوّل مطلق في مجرى البنصر . وذكر يونُس أنّ فيهما لمعبد ومالك وابن محرز وابن مِسْجَح وابن سريج خمسة ألحان . وذكر الهشاميّ أنّ لحن ابن سريج رَمَل ، ولحن مالك خفيف رَمَل ، ولحن معبد خفيفُ ثقيل ، ولحن ابن محرز ثقيل أوّل . وذكر ابن المكّيّ أنّ الثقيل الأوّل لمالك . وذكر عمرو بن بانة في كتابه الثاني أنّ لابن مسجح أو لابن محرز فيه خفيف رَمَل . وذكر الهشاميّ أنّ فيه رملاً آخر بالوسطى لأبي سعيد مولى فائد ، ولأبي الحسن مولى سكينة ، وفي الثالث والرابع ، خفيف ثقيل . وذكر حبش أنّ لابن صاحب الوضوء في الأوّل والثاني ثانِيَ ثقيل بالبنصر ، ولابن سريج ثقيل أوّل بالبنصر . وذكر حمّاد عن أبيه : أنّ لابن عائشة فيهما لحناً ، ووافقه ابن المكّيّ . وذكر أنّه خفيف رَمَل . قال : وقيل إنّه لدُحْمان . وذكر ابن خرداذبه أنّ لخُليدة المكيّة في الرابع والثالث خفيفَ رمل ، وفي الخامس والسادس والأوّل رَمَل ، يقال إنّه لإبراهيم ، ويقال إنّه لإسحاق . والخامس والسادس من هذه الأبيات ، وإن كان شعر الفضل بن العبّاس اللهبيّ ، فليس من القصيدة التي فيها : [من الرمل]

وأنا الأخضر مَن يعرفني

لكن من قصيدة له أوّلها : [من الرمل]

شاب رأسي ولِداتي لم تشب بعد لهو وشباب ولَعِبْ
شيّبَ المَفْرقِ منّي وبدا في حفافَيْ لحيتي مثلُ العطَبْ

في هذين البيتين لهاشم ونُفَيلة خفيفُ رَمَل بالوسطى ، والقصيدة التي فيها : [من الرمل]

وأَنا الأخضر مَن يعرفني أَخضر الجلدة من نسل العربْ

أوّلها قوله :

طَرِبَ الشيخُ ولا حينَ طَرَبْ وتصابى وصِبا الشيخِ عَجَبْ

[316] ـ أخبار الفضل بن العبّاس اللهبيّ ونسبه[1]

[نسبه]

الفضل بن العبّاس بن عتبة بن أبي لهب ، واسمه عبد العزى بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف . وكان أحد شعراء بني هاشم المذكورين وفصحائهم . وكان شديد الأدمة . ولذلك قال : [من الرمل]

وأنا الأخضر مَــن يعرفني

وهو هاشميّ الأبوين ؛ أمّه بنت العبّاس بن عبد المطّلب .

أخبرني بذلك محمد بن العبّاس اليزيديّ ، عن عمّه عبيد الله ، عن ابن حبيب : وإنّما أتاه السواد من قِبل أمِّه : جدّته ، وكانت حبشية .

[مَن الذي أكله الأسد]

وكان النبيّ ﷺ زوّج عُتبة إحدى بناته . فلمّا بعثه الله تعالى نبيّاً ، أقسمت عليه أمّ جميل أن يطلقها . فجاء إلى النبيّ ﷺ ، فقال : يا محمد ، أُشهد مَن حضر أنّي قد كفرت بربّك ، وطلّقت ابنتك . فدعا عليه رسول الله ﷺ أن يبعث الله عليه كلباً من كلابه يقتله . فبعث الله عزّ وجلّ عليه أسداً فافترسه[2] .

أخبرني الحسن بن القاسم البجليّ الكوفيّ قال : حدَّثنا عليّ بن إبراهيم بن المعلّى قال : حدَّثني الوليد بن وهب ، عن أبي حمزة الثماليّ ، عن عكرمة قال : لمّا نزلت : «والنجمِ إذا هوى» ، قال عتبة للنبيّ ﷺ : أنا أكفر بربّ النجم إذا هوى . فقال رسول الله ﷺ : اللهمّ أرسل عليه كلباً من كلابِك . قال : فقال ابن عبّاس : فخرج إلى الشام في ركب فيهم هبَّار بن الأسود ، حتى إذا كانوا بوادي الغاضرة ، وهي مَسْبَعة ، نزلوا ليلاً ، فافترشوا صفّاً واحداً ، فقال عتبة : أتريدون أن تجعلوني حُجْزة ؟ لا ، والله ، لا أبيت إلاّ وسطكم . فبات وسْطهم . قال هبار : فما أنبهني إلاّ السبع يشمّ رؤوسهم رجلاً رجلاً ، حتى انتهى إليه ، فأنشب أنيابه في صدغيه ، فصاح : أيْ قوم ، قتلني دعوة محمد ، فأمسكوه ، فلم يلبث أن مات في أيديهم .

أخبرني الحسن بن الهيثم قال : حدَّثنا عليّ بن إبراهيم قال : حدَّثني الوليد بن وهب ، عن أبي حمزة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه مثله . إلاّ أنّه قال : قال عتبة : أنا بريء من الذي

---

1 للفضل بن العبّاس اللهبي ترجمة في معجم الشعراء : 178 وفي المختلف والمؤتلف : 41 وشرح التبريزي 1 : 120 وسرح العيون : 191 وسمط اللآلي : 701 وانظر أعلام الزركلي .

2 في الروض الأنف أن الذي دعا عليه النبي فأكله الأسد هو عتيبة وأما عتبة فإنه أسلم .

«دنا فتدلّى» . قال : وقال هبّار : فضغمه الأسد ضَغْمة ، فالتقت أنيابه عليه .

[بين الأحوص والفضل]

نسخت من كتاب ابن النطّاح عن الهيثم بن عديّ . وقد أخبرنا به محمد بن العبّاس اليزيديّ في «كتاب الجوابات» قال : حدّثنا أحمد بن الحارث ، عن المدائنيّ ، إلاّ أنّ رواية ابن النطّاح أتمّ ، واللفظ له ، قال : مرَّ الفضل اللَّهَبيّ بالأحوص وهو ينشد ، وقد اجتمع الناس عليه ، فحسده ، فقال له : يا أحوص إنّك لشاعر ، ولكنّك لا تعرف الغريب ، ولا تُعرب . قال : بلى ، والله إنّي لأبصر الناس بالغريب والإعراب ، فأسْألك ؟ قال : نعم . قال : [من البسيط]

مـا ذاتُ حَبْـلٍ يراها الناس كلّهمُ ... وَسْط الجحيم فلا تخفى على أحدِ
كلّ الحِبالِ حبالِ الناسِ من شَعَرٍ ... وحبلها وَسْطَ أهـلِ النّارِ من مسدِ

فقال له الفضل بن العبّاس : [من البسيط]

ماذا أردتَ إلى شتمِي ومَنْقَصتي ... مـاذا أردت إلى حمَّالةِ الحطبِ ؟
أذْكَرْتَ بنتَ قُروم سادةٍ نُجُبٍ ... كانت حليلة شيخ ثاقبِ النَّسبِ

فانصرف عنه .

[بين الفضل والحزين الديلي]

قال ابن النطاح : وحُدّثت أنّ الحزين الدّيليّ مرّ بالفضل يوم الجمعة ، وعنده قوم ينشدهم ، فقال له الحزين : أتنشد الشعر والناس يروحون إلى الصلاة ؟ فقال الفضل : ويْلَك يا حزين ! أتتعرّض لي ، كأنّك لا تعرفني . قال : بلى والله ، إنّي لأعرفك ، ويعرفك معي كلّ من قرأ سورة ﴿تبّت يدا أبي لهب﴾ . وقال يهجوه : [من الوافر]

إذا مـا كنـت مفتخِراً بجَـد ... فعـرِّج عـن أبي لهبٍ قليلا
فقـد أخزى الإله أباك دهـراً ... وقَلَّـد عِرسه حبـلاً طويلا

فأعرض عنه الفضل ، وتكرّم عن جوابه . وكان الحزين مُغْرًى به وبهجائه .

[بينه وبين الفرزدق]

حدَّثني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا القاسم بن محمد الأنباريّ قال : حدَّثنا أبو عكرمة عامر بن عمران ، قال : دخل الفرزدق المدينة ، فنظر إلى الفضل بن العبّاس بن عُتبة ينشد : [من الرمل]

من يساجِلْني يساجِلْ ماجِدا ... يملأ الدلـو إلى عَقْدِ الكَرَبْ

فقال الفرزدق : مَن المنشِد ؟ فأُخبِر به ، فقال : ما يساجِلُك إلاّ مَن عَضَّ بَظْر أُمِّه .

[الوليد يعطيه وسليمان يحرمه]

حدَّثني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ ، قال : حدَّثنا محمد بن الحكم ، قال : قدِم الوليد بن عبد الملك حاجّاً إلى مكّة وهو خليفة ، فدخل عليه الفضل بن العبّاس بن عتبة ، فشكا إليه كثرة العيال ، وسأله فأعطاه مالاً وإبلاً ورقيقاً . فلمّا مات الوليد وَلِيَ سليمان فحجّ ، فأتاه فسأله ، فلم يعطِه شيئاً ، فقال : [من الكامل]

يا صاحب العِيسِ التي رُحِلت ... محبـوسة لعشيـةِ النَّفْـرِ

امـرر على قبر الوليدِ فقل له ... صلَّـى الإلـه عليك من قبرِ

يا واصل الرَّحم التي قُطِعت ... وأَصابها الجَفَوات في الدهرِ

إنّي وجدت الخِلّ بعدك كاذباً ... فبرِئت من كـذبٍ ومن غَدْرِ

ولقـد مـررت بنسوةٍ يندبنه ... بيضِ السواعدِ من بنـي فهرِ

تبكي لسيدهـا الأجـل وما ... يبكين مـن نـابٍ ولا بَكْرِ

يبكِينـه ويقلـن : سَيِّدنـا ... تـاج الخلافـة آخـر الدهرِ

ماذا لقيتُ ، جزِيتَ صالحـة ... من جفوةِ الإخوان لو تدرِي

أخبرني وكيع بهذا الخبر ، قال : حدَّثني محمد بن علي بن حمزة قال : حدَّثنا أبو غسان قال : أخبرنا أبو عبيدة عن عبد العزيز بن أبي ثابت ، قال : كان الفضل بن العبّاس منقطعاً إلى الوليد بن عبد الملك ، فلمّا مات الوليد جفاه سليمان وحرمه ، فقال : [من الكامل]

يـا راكب العيسِ التي وُقِفت ... لِلنفْرِ يـوم صبيحـةِ النحرِ

وذكر الأبيات . قال : وكان الوليد فرض له فريضة يُعطاها كلّ سنة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، بقِي شارب الريح . قال : وما شارب الريح ؟ قال : حماري ، افرِض له شيئاً . ففرض له خمسة دنانير ، فأخذها ولم يكن يطعمه . فعمَد رجل فكتب رقعة يذكر فيها قصّة الحمار ، وعلّقها في عنقه ، وجاء بها إلى القاضي ، فأضحك منه الناس .

حدَّثنا اليزيديّ ، قال : حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ ، قال : حدَّثني أبو الشكر مولى بني هاشم ، كوفيّ ظريف ، قال : كان الفضل بن العبّاس بخيلاً ، فقدِم عليّ بن عبد الله بن العبّاس حاجّاً ، فأتاه في منزله مسلماً عليه ، فقال له : كيف أنت ، وكيف حالك ؟ قال : بخير ، نحن في عافية . قال : فهل من حاجة ؟ قال : لا والله ، وإنّي لأشتهي هذا العنب ، وقد أغلاه علينا هؤلاء العُلوج . فغمز غلاماً له ، فذهب فأتاه بسَلّة عظيمة من عنب ، فجعل يغسل له عنقوداً عنقوداً ويناوله ، فكلّما فعل ذلك قال : بَرَّتك رحِم .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا أحمد بن سعيد الدمشقيّ قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار عن عمِّه ، قال : كان الفضل بن العبّاس بخيلاً ، وكان ثقيل البدن ، إذا أراد أن يمضي في حاجة استعار مركوباً ، فطال ذلك عليه وعلى أهل المدينة من فعله ، فقال له بعض بني هاشم : أنا أشتري لك حماراً تركبه ، وتستغني عن العاريَّة . ففعل ، وبعث به إليه ، فكان يستعير له سرجاً إذا أراد أن يركبه ، فتواصى الناس بألاّ يعيره أحد سرجاً . فلمّا طال عليه ذلك ، اشترى سرجاً بخمسة دراهم ، وقال : [من الطويل]

ولمّـا رأيـت المـال مَـألف أهلِـهِ   وصان ذوي الأحساب أن يتبذّلوا

رجعـت إلى مالي فأعتبت بعضه   فأعتبنـي إنّـي كذلـك أفعـلُ

ثم قال للذي اشترى له الحمار : إنّي لا أُطيق عَلَفه ، فإمّا أن تبعث إليّ علفه وإلاّ رددته . فكان يبعث إليه بعلَفٍ كل ليلة وشعير ، ولا يدع هو أيضاً أن يطلب من كلّ أحد يأنس بـه علفاً لحماره ، فيبعث به إليه ، فيعلفه التبن دون الشعير ، حتى هَزَل وعطِب . فرفع الحزينُ الكِنانيّ إلى ابن حزم أو عبد العزيز بن عبد المطّلب رقعة ، وكتب في رأسها قصّة حمار الفضل اللهبيّ ، وذكر فيها أنّه يركبه ويأخذ علفه وقضيمه من الناس ، ويعلفه التبن ، ويبيع الشعير ، ويأخذ ثمنه ، ويسأل أن يُنصَف منه . فضحك لمّا قرأ الرقعة ، وقال : لئن كنت مازحاً إنّي لأراك صادقاً . وأمر بتحويل حمار اللهبيّ إلى إصطبله ، ليعلِفه ويُقضِمه ، فإذا أراد ركوبه دُفِع إليه .

أخبرني وكيع قال : حدَّثني محمد بن سعد الشاميّ ، عن ابن عائشة ، قال : كان الفضل اللهبيّ بغير سرج ، فاستعار سرجاً ، فمطله الرجل ، حتى خاف أن تفوته حاجته ، فاشترى سرجاً ومضى لحاجته ، وأنشأ يقول : [من الطويل]

ولمّا رأيت المـال مألف أهله

وذكر البيتين ولم يزد عليهما شيئاً .

[منّة بني هاشم]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني عليّ بن محمد النوفليّ قال : كان أبي عند إسحاق بن عيسى بن عليّ وهو والي البصرة ، وعنده وجوه أهل البصرة ، وقد كانت فيهم بقيّة حسنة في ذلك الدهر ، فأفاضوا في ذكر بني هاشم ، وما أعطاهم الله من الفضل بنبيّه ﷺ ، فمن مُنشد شعراً ، ومتحدّث حديثاً ، وذاكر فضيلة من فضائل بني هاشم . فقال أبي : قد جمع هذا الكلامَ الفضلُ بن العبّاس اللَّهَبيّ في بيتٍ قاله ، ثم أنشد قوله : [من البسيط]

مـا بـات قومٌ كرام يدّعون يدا   إلاّ لقومـي عليهـم مِنّـة ويـدُ

نحـن السَّنام الذي طالت شظِيّته فمـا يخالطـه الأدواء والعَمَـدُ

فمن صلّى صلاتنا ، وذبح ذبيحتنا ، عرف أنّ لرسول الله ﷺ يداً عليه ، بما هداه الله عزّ وجلّ إلى الإسلام به ، ونحن قومه ، فتلك مِنّة لنا على الناس .

وفي هذين البيتين غِناء لابن محرز ، هَزَج بالبنصر في رواية عمرو بن بانة . وقوله «وطالت شظيّته» ، الشظية : الشَّظى ، قال دريد بن العصمة[1] : [من الطويل]

سليم الشَّظى عَبْلُ الشَّوى شنِج النّسا أمـين القُـوى نهـدٌ طويـل المقلَّدِ

والعمد : داء يُصيبُ البعير من مُؤْخر سنامه إلى عجزه ، فلا يُلْبِثه أو يقتلَه .

[مدح عبد الملك]

أُخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار ، وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قالا : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عمران ، قال : أخبرني أحمد بن هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص ، قال : قدِم الفضل بن العبّاس بن عتبة بن أبي لهب ، على عبد الملك بن مروان ، فأنشده وعنده ابن لعبيد الله بن زياد ، فقال الزياديّ : والله ما أسمع شعراً ، فلمّا كان العشيّ راح إليه الفضل ، فوقف بين يديه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين : [من الطويل]

أتيتـك خـالاً وابن عمّ وعمّةٍ ولم أَكُ شَعْباً لاطَه بك مِشعَبُ

فصِلْ واشجاتٍ بيننا من قرابة ألا صِلةُ الأرحام أبقى وأقربُ

ولا تجعلنّي كامرىء ليس بينه وبينكـمُ قربـى ولا متنسَّبُ

أتحدِب من دون العشيرة كلّها فأنت على مولاك أحنى وأحدبُ

فقال الزياديّ : هذا ، والله يا أمير المؤمنين ، الشعر ! فقال عبد الملك : النَّخْس يكفيك البطيء[2] . وجعل يضحك من استرسال الزياديّ في يده . وأحسن صلته .

[عطية الأحيحي]

وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني النوفليّ قال : حدَّثني عمّي قال : لمّا قدِم الفضل اللَّهَبيّ على عبد الملك بن مروان أمر له بعشرة آلاف درهم ، ثم حجّ الوليد فأمر له بمثلها . فلمّا قدِم الأُحيحيّ على المهديّ فمدحه ، قال المهديّ لمَن حضر : كم كان عبد الملك أعطى الفضل اللَّهَبيّ لما مدحه ، فما أعلم هاشمياً مدحه غيره ؟ فقيل له : أعطاه عشرة آلاف

1 الشظية : القطعة من كل شيء والقطعة المرتفعة في رأس الجبل . والشظى : عظم دقيق لاصق بالذراع . والشوى : اليدان والرجلان . وشَنج النَّسا : متقبض عرق النسا فلا تسترخي رجلاه .

2 المثل «النخس يكفيك البطيء» في مجمع الميداني 2 : 346 .

درهم . قال : فكم أعطاه الوليد ؟ قالوا : مثل عطيّة أبيه . فأمر للأُحَيحيّ بثلاثين ألف درهم .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثني أحمد بن معاوية ، عن عثمان بن إبراهيم الحاطبيّ ، قال : خرج عليّ بن عبد الله بن العبّاس بالفضل اللهبيّ إلى عبد الملك بن مروان بالشام ، فخرج عبد الملك يوماً رائحاً على نجيب له ، ومعه حاد يحدو به وعليّ بن عبد الله يسايره على نجيب له ، ومعه بغلة تُجنَب ، فحدا حادي عبد الملك به ، فقال : [من الرجز]

يــا أيّها البكــر الذي أُراكا عليك سهلَ الأرض في ممشاكا

ويلَـك هل تعلــم مَن علاكا إن ابــن مــروان على ذُراكا

خليفـــة الله الــذي امتطاكا لم يَعْلُ بكراً مثـلُ مَن علاكا

فعارضه الفضل اللَّهَبيّ ، فحدا بعليّ بن عبد الله بن عبّاس ، فقال : [من الرجز]

يــا أيّها السائــل عن عليّ سألت عــن بــدر لنا بدرِيّ

أغلــبَ في العليــاء غلاَّبــي وليِّــن الشيمـــةِ هاشميّ

جــاء على بكر لــه مَهْرِيّ

فنظر عبد الملك إلى عليّ فقال : أهذا مجنون آل أبي لهب ؟ قال : نعم . فلمّا أُعطى قريشاً مرّ به اسمه فحرمه ، وقال : يعطيه عليّ . هكذا رواية عُمر بن شبة .

[غضب عليه سليمان]

وأخبرني ابن عمّار بهذا الخبر عن عليّ بن محمد بن النوفليّ عن عمّه : أنّ سليمان بن عبد الملك حجَّ في خلافة الوليد ، فجاء إلى زمزم فجلس عندها ، ودخل الفضل اللّهبيّ يستقي ، فجعل يرتجز ويقول : [من الرجز]

يــا أيّها السائــل عــن عليّ سألــت عــن بدرٍ لنا بدريٍّ

مقــدَّم في الخير أبطحِــيٍّ ولــينِ الشيمـــةِ هاشميٍّ

زمزمَنــا بوركــتِ من ركيٍّ بورِكــتِ للساقــي وللمسقيٍّ

فغضب سليمان ، وهم بالفضل . فكفّه عنه عليّ بن عبد الله ، ثم أتاه بقدح فيه نبيذ من نبيذ السقاية ، فأعطاه إيّاه ، وسأله أن يشربه ، فأخذه من يده كالمتعجّب ، ثم قال : نعم إنّه يستحبّ ، ووضعه في يده ولم يشربه . فلمّا وَلِيَ الخلافة وحجّ لقيه الفضل ، فلم يعطه شيئاً .

[بينه وبين الحارث بن خالد]

نسخت من كتاب ابن النطاح ، قال : ذكر أبو الحسن المدائنيّ أنّ الحارث بن خالد المخزوميّ ، كان يحسد الفضل اللَّهَبيّ على شعره ويعاديه ، لأنّ أبا لهب كان قامر جدّه العاصي بن

هشام على ماله فقَمَره ، ثم قامره على رِقَةٍ فقَمَره ، فأسلمه قَيْناً ، ثم بعث به بديلاً يوم بدر ، فقتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فكان إذا أنشد شيئاً من شعره يقول : هذا شعر ابن «حَمّالة الحطب» . فقال الفضل في ذلك : [من البسيط]

مـاذا تحاول من شتمي ومَنقصتي — مـاذا تُعَيِّر مـن حمالة الحطبِ

غـراء سائلـة في المجد غُرتها — كانت حليلة شيخ ثاقب النسبِ

إنـا وإن رسول الله جـاء بنـا — شيخ عظيم شُئُونِ الرأس والنشبِ

يـا لعن الله قومـاً أنت سيدهم — في جلدة بين أُصل الثِّيل والذنبِ[1]

أبالقيـون توافينـي تفاخِـرني — وتدَّعي المجد قد أفرطتَ في الكذبِ

وفي ثلاثـةِ رهطٍ أنـت رابعهم — توعـدني واسطاً جرثومـةَ العربِ

في أسرة من قريش هم دعائهما — تشفي دماؤهـمُ للخَبْل والكَلَبِ

أمـا أبـوك فعبدٌ لستَ تنكره — وكان مالكَـه جـدي أبـو لهبِ

النبـعُ عيداننـا والمجـدُ شِيمتنا — لسنا كقومِك من مَرْخ ولا غَرَبِ

[بينه وبين عقرب الحناط]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثني عمِّي عبيد الله بن محمد ، عن ابن حبيب ، عن ابن الأعرابيّ ، قال : كان رجل من بني كنانة يقال له عَقْرَبُ حَنّاط قد داين الفضل اللَّهَبيّ فمطله ، ثم مرَّ به الفضل وهو يبيع حِنطة له ، ويقول : [من الرجز]

جاءت بهـا ضابطـة التِّجارِ — صافيـة كقطـع الأوتـارِ

فقال الفضل : [من السريع]

قـد تَجَرت عَقْربُ في سوقنا — يـا عَجَبـا للعقربِ التاجرَهْ

قـد ضاقتِ العقربُ واستيقنت — أنْ مالهـا دنيـا ولا آخرَهْ

فإن تعـدْ عادت لمـا ساءها — وكانـتِ النعـلُ لهـا حاضرَهْ

إنَّ عـدُوّاً كيـدُه في استِهِ — لَغَيرُ ذي كيـدٍ ولا نائرَهْ

كلّ عـدوّ يُتَّقـى مقبـلاً — وعَقْرب تُخْشى مـن الدابرَهْ

كأنّـها إذ خرجـت هَـوْدجٌ — شَدَّت قُـواه رُفْقـة باكرَهْ

---

1 الثيل : وعاء قضيب البعير والتيس .

[بينه وبين عمر بن ربيعة]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال : حدَّثنا دماذ أبو غسان ، عن أبي عبيدة . ووجدته في بعض الكتب عن الرياشيّ عن زكويه العلائيّ عن ابن عائشة عن أبيه ، والروايتان كالمتفقتين : أنّ عمر بن أبي ربيعة وفد على عبد الملك بن مروان ، فأدخِل عليه ، فسأله عن نسبه ، فانتسب ، فقال له : [من الرجز]

لا أنعـم الله بقَيْن عينا تحيّة السخطِ إذا التقينا

أأنت لا أُمّ لك القائل : [من الطويل]

صوت

نظرت إليها بالمحصَّب مِن مِنًى ولي نظر لولا التحرُّج عارِمُ
فقلت : أشمس أم مصابيح بِيعةٍ بدت لك خلف السجفِ أم أنت حالمُ
بعيدةُ مَهْوى القُرطِ إمّا لنوفل أبوها وإمّا عبدُ شمس وهاشِمُ

الغناء لابن سريج : رمل بالوسطى من رواية عمرو بن بانة ، ومن رواية حمّاد بن إسحاق عن أبيه . ولمعبد فيه لحن من رواية إسحاق : ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر ، أوّله :

بعيدة مهْوى القرط إمّا لنوفل

وفي لحن معبد خاصة قوله :

ومدّ عليها السجف يوم لقيتها على عجلٍ تُبّاعها والخوادمُ

وتمام الشعر :

فلم أستطعها غير أنْ قد بدا لنا عشية راحت كفُّها والمعاصمُ
معاصم لم تضرب على البَهْم بالضُّحى عصاها ، ووجْه لم تَلُحْه السَّمائمُ

نرجع إلى سياقة الخبر

ثم قال له عبد الملك : قاتلك الله ! ما ألأمك ! أما كانت لك في بنات العرب مندوحة عنه بنات عمِّك ! فقال عمر : بئست والله هذه التحيّة يا أمير المؤمنين لابن العمّ ، على شَحْط الدار ، ونأي المزار . فقال له عبد الملك : أراك مرتدِعاً عن ذلك فقال : إنّي إلى الله تعالى تائب . فقال عبد الملك : إذن يتوبَ الله عليك ، وسيحسن جائزتك . ولكن أخبرني عن منازعتك اللّهَبيّ في المسجد الجامع ، فقد أتاني نبأ ذلك ، وكنت أحبّ أن أسمعه منك . قال عمر : نعم يا أمير المؤمنين ، بينا أنا جالس في المسجد الحرام ، في جماعة من قريش ، إذ دخل علينا الفضل بن

العبّاس بن عتبة ، فسلّم وجلس ، ووافقني وأنا أتمثّل بهذا البيت : [من الوافر]

وأصبح بطنُ مكــة مقشعِرًّا كأن الأرضَ ليسَ بهـا هِشام

فأقبل عليّ وقال : يا أخا بني مخزوم ، والله إن بلدة تبحبَحَ بها عبد المطّلب ، وبُعِث منها رسول الله ﷺ ، واستقرّ بها بيت الله عزّ وجلّ ، لحقيقة ألا تَقْشَعِرّ لهشام ، وإن أشعر من هذا البيت وأصدق قولُ مَن يقول : [من الرمل]

إنّمــا عبــد منــاف جوهر زَيَّنَ الجوهــرَ عبدُ المطّلِبْ

فأقبلت عليه فقلت : يا أخا بني هاشم ، إنّ أشعر من صاحبك الذي يقول : [من البسيط]

إنّ الدليــل على الخيراتِ أجمعِها أبناءُ مخزومَ ، للخيرات مخزومُ

فقال لي : أشعر والله من صاحبك الذي يقول : [من البسيط]

جبريلُ أهدى لنا الخيراتِ أجمعَها إذ أمَّ هاشمَ لا أبنــاءَ مخـزومِ

فقلت في نفسي : غلبني والله . ثم حملني الطمع في انقطاعه عليّ ، فخاطبته فقلت : بل أشعر منه الذي يقول : [من المنسرح]

أبنـاء مخـزومٍ الحريــقُ إذا حرّكتــه تــارة تــرى ضَرَما

يَخرج منــه الشَّرارُ معْ لَهَبٍ مــن حاد عن حَرِّه فقد سلِما

فوالله ما تلعثم أن أقبل عليّ بوجهه فقال : يا أخا بني مخزوم ، أشعر من صاحبك وأصدق الذي يقول : [من المنسرح]

هاشمُ بحــر إذا سمــا وطما أخمــد حَـرَّ الحريق واضطرما

واعْلَـم وخير المقــال أصدقُه بأنّ مــن رام هاشماً هُشِما

قال : فتمنّيت والله يا أمير المؤمنين أنّ الأرض ساختْ بي ، ثم تجلّدت عليه فقلت : يا أخا بني هاشم ، أشعر من صاحبك الذي يقول : [من المنسرح]

أبنــاءُ مخــزومَ أنجمٌ طلعتْ للنّاس تجلـو بنورهـا الظُّلَما

نجود بالنَّيــل قبــلَ تُسْأَلــه جُـوداً هنيئاً وتضربُ البُهَما

فأقبل علي بأسرع من اللحظ ، ثم قال : أشعر من صاحبك وأصدق الذي يقول : [من المنسرح]

هاشمُ شمسٌ بـالسَّعْدِ مَطْلَعها إذا بَدَت أخفت النجومَ مَعا

اختار منهـا ربِّـي النبيَّ فمن قارَعَهــا بعــد أحمـدٍ قُرِعا

فاسودَّت الدنيا في عيني ، ودِير بي ، وانقطعت ، فلم أُحِر جواباً . ثم قلت له : يا أخا بني

هاشم ، إن كنت تفخر علينا برسول الله ﷺ ، فما يسعنا مفاخرتك . فقال : كيف ؟ لا أمّ لك ، والله لو كان منك لفخرتَ به عليّ . فقلت : صدقتَ وأستغفر الله ، إنّه لموضع الفَخار . وداخلني السرور لقطعه الكلام ، ولئلاّ ينالني عَوَز عن إجابته فأفتضح . ثم إنّه ابتدأ بالمناقضة ، فأفكر هنيهة ، ثم قال : قد قلتَ فلم أجدْ بُدّاً من الاستماع ، فقلت : هات . فقال : [من الكامل]

نحـنُ الذيـن إذا سما لِفَخارهم ... ذو الفخر أقعـده هناك القُعْدُدُ[1]
افخَـر بنـا إن كنتَ يوماً فاخراً ... تَلْـقَ الأُلى فخروا بفخرك أُفْرِدوا
قـلْ يا ابن مخزومٍ لكلّ مفاخرٍ ... منّا المبـاركُ ذو الرسالـة أحمدُ
مـاذا يقول ذوو الفَخار هُنالِكُمْ ... هَيهاتَ ذلك ، هـل ينالُ الفرقَدُ

فحصِرت والله وتبلّدت ، وقلت له : إن لك عندي جواباً فأنظرني . وأفكرت مَلِيّاً ، ثم أنشأت أقول[2] : [من الكامل]

لا فَخْـرَ إلاّ قـد علاه محمدٌ ... فإذا فخـرتَ بـه فإنّـي أشهدُ
أنْ قَدْ فخرتَ وفُقْت كلَّ مفاخرٍ ... وإليك في الشرف الرفيعِ المَعْمدُ
ولنا دعائـم قـد بناهـا أوّلٌ ... في المكرمات جـرى عليها المَوْلدُ
مَنْ رامهـا حاشى النبـيَّ وأهله ... بالفخر غطمطـه الخليجُ المُزْبدُ[3]
دَعْ ذا ورُحْ لِغنـاء خَوْدٍ بَضَّةٍ ... ممّـا نطقـتَ بـه وغَنَّى مَعْبدُ
معْ فتيـة تَنْدى بطـونُ أكفّهم ... جُـوداً إذا هَـرَّ الزمانُ الأنكَدُ[4]
يتناولـون سُلافـة عانيـةً ... طابت لشاربهـا وطـاب المَقْعَدُ

فوالله يا أمير المؤمنين ، لقد أجابني بجواب كان أشدّ عليّ من الشعر . قال لي : يا أخا بني مخزوم ، أريك السُّها وتريني القَمَرَ[5] ، قال أبو عبد الله اليزيديّ[6] : أدُلّك على الأمر الغامض ، وأنت لم تبلغ أن ترى الأمر الواضح . وهذا مَثَلٌ ، أتخرج من المفاخرة إلى شرب الرّاح ، وهي

1 القعدد : اللئيم الخامل .
2 ديوان عمر : 117 مع بعض اختلاف .
3 غطمطه : اضطربت به أمواجه .
4 هر : ساء خلقه واشتدّ .
5 المثل «أريها استها وتريني القمر» في مجمع الميداني 1 : 291 ومستقصى الزمخشري 1 : 147 وجمهرة العسكري 1 : 142 .
6 هو محمد بن العبّاس اليزيدي .

الخمر المحرمة ؟ فقلت له : أما علمت أصلحك الله أنّ اللهَ عزّ وجلّ يقول في الشعراء : ﴿وأنّهم يقولون ما لا يفعلون﴾ . فقال : صدقت ، وقد استثنى الله قوماً منهم ، فقال : «إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات» ، فإن كنت منهم فقد دخلت تحت الاستثناء ، وقد استحققت العقوبة بدعائك إليها ؛ وإن لم تكن منهم فالشرك بالله عليك أعظم من شرب الخمر . فقلت : أصلحك الله ، لا أجِد للمستخذي شيئاً أصلح من السكوت . فضحك وقال : أستغفر الله . وقام عنّي .

قال : فضحك عبد الملك حتى استلقى ، وقال يا ابن أبي ربيعة ، أما علمت أنّ لبني عبد مناف ألسنة لا تطاق ، ارفع حوائجك . قال : فرفعتها فقضاها ، وأحسن جائزتي وصرفني .

واللفظ في هذا الخبر لمحمد بن العبّاس .

317 ـ [خليدة المكيّة]

ذكر خبر من لم يمض له خبر ولا يأتي ممّن ذكرت صنعته في هذا الخبر

[خليدة المكيّة]

منهم خُليدة المكيّة ، وهي مولاة لابن شَمّاس ، كانت هي وعقيلة ورُبيحة يعرفن بالشماسيات ، وقد أخذن الغناء عن ابن سريج ومعبد ومالك .

فأخبرني الحِرْمِيّ بن أبي العلاء والطُّوسيّ قالا : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، عن عمِّه قال : كانت لهشام بن عُروة جَفنة يُصيب منها هو وبنوه ناحية ، وكان محمد بن هشام يصنع الطعامَ الرقيق ، فيشير إليهم ، فيمسكون عن الأكل ، فيفطُن هِشام ، فيقول : لقد حدث شيء ، ثم يقوم محمد ، فيتسلَّل القوم إليه ، وجاءت خُليدة المكيّة ، فصعِدُوا غُرفة ، فلمّا غَنَّت إذا حَفْز[1] ونفس ، فإذا هو هشام قد طلع وهو ينشد : [من الرجز]

يــا قدمــيّ ألحقاني بالقومْ لا تَعِداني كَسَلا بعد اليومْ

فلمّا رآهم ، قال : أحسبه قد جلس معهم . وقال لخُليدة : غني . فغنّت . فقال لها : اكتبي في صدرك «قل هو الله أحد والمعوَّذتين» لا تصيبك العين .

أخبرني عليّ بن عبد العزيز الكاتب ، عن ابن خُرْداذبه قال : حدَّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، عن الفضل بن الربيع قال : ما رأيت ابن جامع يطرب لغناء كما يطرب لغناء خُلَيدة المكيّة ، وكانت سوداء ، وفيها يقول الشاعر : [من الخفيف]

فَتَنــت كاتبَ الأَميرِ رِياحا يــا لقــومٍ خُلَيـدة المكيَّةْ

أخبرني إسماعيل بن يونس قال : حدَّثنا عمر بن شبّة ، ونسخت هذا الخبر بعينه من كتاب جعفر بن قدامة بخطّه ، قال : حدَّثني عمر بن شبّة قال : بلغني أنّ محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان أرسل إلى خليدة المكيّة أبا عون مولاه يخطبها عليه . فاستأذن فأذنت له وعليها ثياب رِقاق لا تسترها ، ثم وثبت ، فقالت : إنّما ظننتك بعض سفهائك ، ولكنّي ألبس لك ثياب مِثلك ، ثم أخرج إليك . ففعلت . وقالت : قل . قال : أرسلني إليك مولاي ، وهو من تَعلمين بين رسول الله ﷺ وبين عليّ وعثمان ، وهو ابن عمّ أمير المؤمنين ،

1 الحفز : الدفع وتتابع النفس في الصدر .

يخطبك . وقالت : قد نسبته فأبلغت ، فاسمع نسبي أنا ، بأبي أنت . إنّ أبي بِيع على غير عَقْد الإسلام ولا عهده ، فعاش عبداً ، ومات وفي رجله قيد ، وفي عنقه سلسلة ، وعلى الإباق والسرقة ؛ وولدتني أُمّي على غيرِ رِشدة ، وماتت وهي آبقة ، فأنا مَن تعلم . فإن أراد صاحبك نكاحاً مُباحاً ، أو زناً صُراحاً ، فهلمّ إليه ، فنحن له . فقال : إنّه لا يدخل في الحرام . قالت : ولا ينبغي أن يستحِيَ من الحلال . فأمّا نكاح السرّ فلا . والله لا فعلته ، ولا كنت عاراً على القِيان . قال : فأتيت محمداً فأخبرته ، فقال : ويلك ! أتزوّجها مُعْلِناً وعندي بنت طلحة بن عُبيد الله ! لا . ولكن ارجع إليها ، فقل لها تختلف إليّ أردد بصري فيها ، لعلّي أسلو . فرجعت فأبلغتها الرسالة ، فضحكت ، وقالت : أما هذا فنعم . لسنا نمنعه منه .

صوت

[من الرمل]

رُبَّ ليلٍ ناعمٍ أحييتُه ... في عفافٍ عند قبّاء الحشى

ونهارٍ قد لهونا بالتي ... لا نرى شبهاً لها فيمن مَشى

لِطلوعِ الشمس حتى آذنت ... بغروب عند إبان العِشا

لِسُلَيمى ما دعت قُمْرِيّة ... بهديل فوق غصن من غَضى

وعُقارٍ قهوةٍ باكرتُها ... في ندامى كمصابيح الدُّجى

وجواد سابح أقحمته ... حَوْمة الموت على زُرق القَنا

الشعر للمهاجر بن خالد بن الوليد ، فيما ذكر الزُّبير بن بكّار . وذكر أبو عمرو الشَّيبانيّ . وخالدُ بن كلثوم : أنّه لابنه خالد بن المهاجر . والغناء لابن محرز ، ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر ، عن إسحاق ؛ وفيه لإبراهيم الموصليّ لحنان ، أحدهما هزج خفيف بالسبابة ، في مجرى البنصر ، عن إسحاق وابن المكّيّ ، والآخر رمل بالبنصر ، عن عمرو وابن المكّيّ والهشاميّ . وفيه لمعبد خفيف ثقيل بالخنصر والبنصر ، عن ابن المكّيّ . قال : وفيه لمالك خفيف ثقيل آخر ، نشيد مسحج ، ووافقه عمرو والهشاميّ ، وذكر عمرو في نسخته الأولى أنّه لابن محرز ، والمعمول عليه الرواية الثانية .

[318] ـ أخبار المهاجر بن خالد ونسبه وأخبار ابنه خالد

المهاجر بن خالد بن الوليد بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يَقَظة بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب . وكان الوليد بن المغيرة سيّداً من سادات قريش ، وجواداً من جُوَدائها . وكان يلقّب بالوَحيد . وأُمّه صَخرة بنت الحارث بن عبد الله بن عبد شمس ، امرأة من بَجِيلة ، ثم من قَسْر . ولمّا مات الوليد بن المغيرة أرّخت قريش بوفاته مدّة ، لإعظامها إيّاه ، حتى كان عام الفيل ، فجعلوه تاريخاً . هكذا ذكر ابن دأب .

وأمّا الزُّبير بن بكّار فذكر عن عمرو بن أبي بكر المؤمَّليّ ، أنّها كانت تؤرّخ بوفاة هشام بن المغيرة تسع سنين ، إلى أن كانت السنة التي بنوا فيها الكعبة ، فأرّخوا بها .

ولخالد بن الوليد من الشهرة بصحبة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والغَناء في حروبه المحل المشهور ، ولقّبه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم سيف الله ، وهاجر إلى النبيّ ﷺ قبل الفتح وبعد الحُدَيْبِية هو وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة . فقال النبيّ ﷺ لّما رآهم : رمتكم مكّة بأفلاذ كبدها . وشهد فتح مكّة مع النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ؛ فكان أوّل مَن دخلها في مُهاجِرة العرب من أسفل مكة ، وشهد يوم مُؤْته . فلمّا قُتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رَواحة ، ورأى ألا طاقة للمسلمين بالقوم ، انحاز بهم ، وحامَى عليهم حتى سلموا ، فلقّبه يومئذٍ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : سيف الله .

حدَّثنا بذلك أُجمع الحِرْمِيّ بن أَبي العلاء والطوسيّ عن الزُّبير بن بكّار .

وكان خالد يوم حنين في مقدّمة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ومعه بنو سليم ، فأصابته جِراح كثيرة ، فأتاه الله ﷺ بعد هزيمة المشركين ، فنَفَث على جراحه ، فاندملت ونهض . وله آثار في قتال أهل الرِّدَّة ، في أيّام أبي بكر رضي الله عنه مشهورة ، يطول ذكرها . وهو فَتَح الحِيرة ، بعث إليه أُهلها عبد المسيح بن عمرو بن بُقَيلة ، فكلّمه خالد ، فقال له : من أين أقبلت ؟ قال : من ورائي . قال : وأين تريد ؟ قال : أمامي . قال : ابن كم أنت ؟ قال : ابن رجل وامرأة . قال : فأين أقصى أثرك ؟ قال : منتهى عمري . قال : أتعقل ؟ قال : نعم ، وأُقَيِّد . قال : ما هذه الحصون ؟ قال : بنيناها نتّقي بها السفيه حتى يردعه الحليم . قال : لأُمر ما اختارك قومك ، ما هذا في يدك ؟ قال : سَمُّ ساعة . قال : وما تصنع به ؟ قال : أردت أن أنظر ما تردني به : فإن بلغتُ ما فيه صلاح لقومي عدت إليهم ، وإلاّ شربته ، فقتلت نفسي ، ولم أرجع إلى قومي بما يكرهون . فقال له خالد : أرنيه . فناوله إيّاه . فقال خالد : باسم الله لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء ، وهو السميع العليم ، ثم أكله ، فتجللته غشية ، ثم أفاق يمسح

العرق عن وجهِه . فرجع ابن بُقيلة إلى قومه ، فأخبرهم بذلك ، وقال : ما هؤلاء القوم إلاّ من الشياطين ، وما لكم بهم طاقة ، فصالِحوهم على ما يريدون . ففعلوا .

أخبرني بذلك إبراهيم بن السريّ ، عن يحيى التميميّ ، عن أبيه ، عن شعيب بن سيف . وأخبرني به الحسن بن عليّ عن الحارث بن محمد عن محمد بن سعد ، عن الواقديّ .

وأمّره أبو بكر على جميع الجيوش التي بعثها إلى الشام لحرب الروم ، وفيهم أبو عُبيدة بن الجراح ومُعاذ بن جَبَل ، فرضوا به وبإمارته .

قالوا : وكان رسول الله ﷺ قد حَلَق رأسه ذات يوم ، فأخذ خالد شَعره ، فجعله في قلنسوة له ، فكان لا يَلقى جيشاً وهي عليه إلاّ هزمه .

وروى عن النبيّ ﷺ الحديث ، وحُمل عنه . ورآه النبيّ ﷺ مُتَدلّياً من هَرْشى فقال : نِعْم الرجل خالد بن الوليد .

أخبرنا بذلك الطوسيّ والحِرْميّ قالا : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني يعقوب بن محمد عن عبد العزيز بن محمد ، عن عبد الواحد بن أبي عون ، عن أبي سعيد المقبريّ ، عن أبي هريرة : أنّ رسول الله ﷺ قال ذلك له .

[ما صنعه النساء عند موت خالد]

قال الزُّبير : وحدَّثني محمد بن سَلاّم ، عن أبان بن عثمان قال : لمّا مات خالد بن الوليد لم تبق امرأة من بني المغيرة إلاّ وضعت لِمَّتها على قبره ، يعني حلقت رأسها ، ووضعت شعرها على قبره .

قال ابن سلاّم : وقال يونس النحويّ : إنّ عمر رضي الله عنه قال حينئذٍ : دعوا نساء بني المغيرة يَبكين أبا سليمان ، ويُرِقن من دموعهن سَجْلاً أو سجلين ، ما لم يكن نقع أو لقلقة .

قال : والنقع : مد الصوت بالنحيب . واللقلقة : حركة اللسان بالولولة ونحوها .

[أشبه الناس بعمر]

قال الزُّبير ، فيما ذكره لي مَن رويت عنه : حدَّثني محمد بن الضَّحاك عن أبيه : أنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه كان أشبَه الناس بخالد بن الوليد ، فخرج عمرُ سَحَراً ، فلقيه شيخ ، فقال له : مَرْحَباً بك يا أبا سليمان ، فنظر إليه عمر ، فإذا هو عَلقمة بن عُلاثة ، فردّ عليه السلام . فقال له علقمة : عزلك عمر بن الخطّاب ؟ فقال له عمر : نعم . قال : ما شَبِع ، لا أشبع الله بطنه ! قال له عمر : فما عندك ؟ قال : ما عندي إلاّ السمع والطاعة .

فلمّا أصبح عمر دعا بخالد ، وحضره علقمة بن عُلاثة ، فأقبل على خالد ، فقال له : ماذا قال لك علقمة ؟ قال : ما قال لي شيئاً . قال : اصدُقْني . فحلفَ خالد بالله ما لقيه ، ولا قال له شيئاً . فقال له علقمة : حِلاً أبا سليمان . فتبسّم عمر ، فعلِم خالد أنّ علقمة قد غلط ، فنظر إليه ،

وفَطَن عاقمة ، فقال له : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين ، فاعفُ عنّي ، عفا الله عنك . فضحك عمر وأخبره الخبر .

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني أحمد بن الحارث الخرّاز قال : حدَّثنا المدائنيّ ، عن شيخ من أهل الحجاز ، عن زيد بن رافع مولى المهاجر بن خالد بن الوليد ، وعن أبي ذئب ، عن أبي سهيل أو ابن سهيل : أنّ معاوية لمّا أراد أن يُظْهر العهْد ليزيد ، قال لأهل الشام : إنّ أمير المؤمنين قد كَبِرت سنّه ، ورقّ جلِده ، ودقّ عظمه ، واقترب أجله ، ويريد أن يستخلف عليكم ، فمَن ترون ؟ فقالوا : عبد الرحمن بن خالد بن الوليد . فسكت وأضمرها ، ودسّ ابن أُثال الطبيب إليه ، فسقاه سمّاً فمات . وبلغ ابن أخيه خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد خبرُه وهو بمكّة ، وكان أسوأ الناس رأياً في عَمِّه ، لأنّ أباه المهاجر كان مع عليّ عليه السلام بصِفِّين ، وكان عبد الرحمن بن خالد بن الوليد مع معاوية ، وكان خالد بن المهاجر على رأي أبيه : هاشميّ المذهب ، ودخل مع بني هاشم الشِّعْب ، فاضطغن ذلك ابنُ الزبير عليه ، فألقى عليه زِق خمر ، وصبَّ بعضه على رأسه ، وشَنَّع عليه بأنّه وجده ثَمِلاً من الخمر ، فضربه الحدّ . فلمّا قُتِل عمّه عبد الرحمن مَرَّ به عروة بن الزُّبير ، فقال له : يا خالد ، أتدع ابن أُثال يُنْقِي[1] أوصال عمّك بالشام وأنت بمكّة مُسْبِلٌ إزارك ، تجره وتخطِر فيه متخايلاً ؟ فحمي خالد ، ودعا مولى له يدعى نافعاً ، فأعلمه الخبر ، وقال له : لا بدّ من قتل ابن أُثال ؛ وكان نافع جَلْداً شهماً .

فخرجا حتى قدِما دمشق ، وكان ابن أُثال يُمْسي عند معاوية ، فجلس له في مسجد دمشق إلى أسطوانة ، وجلس غلامه إلى أُخرى ، حتى خرج . فقال خالد لنافع : إيّاك أن تعرض له أنت ، فإني أضربه ، ولكن احفظ ظهري ، واكْفِني من ورائي ، فإن رابَك شيء يريدني من ورائي فشأنك . فلمّا حاذاه وثَب عليه فقتله ، وثار إليه مَن كان معه . فصاح بهم نافع فانفرجوا ، ومضى خالد ونافع ، وتبعهما مَن كان معه ، فلمّا غَشَوْهما حملا عليهم ، فتفرّقوا ، حتى دخل خالد ونافع زُقاقاً ضيقاً ، ففاتا القوم . وبلغ معاوية الخبر ، فقال : هذا خالد بن المهاجر ، اقلبوا الزُّقاق الذي دخل فيه . ففُتّش عليه ، فأُتِي به . فقال : لا جزاك الله من زائر خيراً ، قتلت طبيبي . قال : قتلت المأمور وبقي الآمِر . فقال له : عليك لعنة الله ! أما والله لو كان تَشَهَّد مرّة واحدة لقتلتك به ، أمعك نافع ؟ قال : لا . قال : بلى والله ما اجترأت إلاّ به . ثم أمر بطلبه فوُجِد ، فأُتي به ، فضربه مِئة سوط . ولم يُهِجْ خالداً بشيء أكثر من أن حبسه ، وألزم بني مخزوم دية ابن أُثال ، اثني عشر ألف درهم . أدخل بيتَ المال منها ستّة

1 ينقي العظام : يخرج مخها .

آلاف درهم ، وأخذ ستّة آلاف درهم ، ولم يزل ذلك يجري في دية المعاهد ، حتى ولي عمر بن عبد العزيز ، فأبطل الذي يأخذُه السلطان لنفسه ، وأثبتَ الذي يدخل بيت المال .

وخالد بن المهاجر الذي يقول : [من الكامل]

صوت

يــا صاحِ يا ذا الضامِرِ العَنْسِ والرحلِ ذي الأنساعِ والحِلسِ

سَيْرَ النهــارِ ولستَ تاركــه وتُجِــدُّ سَيراً كلّمــا تمسي

في هذين البيتين وبيت ثالث لم أجِده في شعر المهاجر ، ولا أدري أهو له أم ألحقه به المغنون ، لحنان : ثقيل أوّل ، وخفيف ثقيل . ذكر يونس أنّ أحدهما لمالك ، ولم يذكر طريقة لحنه ، ووجدته في جامع غناء معبد ، عن الهشاميّ . ويحيى المكّيّ له فيه خفيف ثقيل . وهكذا ذكر عليّ بن يحيى أيضاً ، ولعلّه رواه عن ابن المكّيّ . وإن كان هذا لمعبد صحيحاً ، فلحن مالك هو الثقيل الأوّل . وذكر حبش ، وهو ممّن لا يحصل قوله : أن لحن معبد ثقيل أوّل بالوسطى .

رجع الخبر إلى سياقة خبر خالد

[ضجره من الحبس]

قال : ولمّا حبس معاوية خالد بن المهاجر قال في الحَبْس : [من مجزوء الكامل]

إمَّــا خُطــايَ تقارَبَتْ مَشْيَ المقيَّـــد في الحِصارِ

فبمــا أُمَشّي في الأبــا طِـح يقتفـي أثرى إزاري

دع ذا ولكنْ هــل ترى نــاراً تُشَبُّ بـذي مُرارِ[1]

مــا إن تُشَبُّ لِقُــرَّة للمصطلـين ولا قُتــارِ

مــا بــالُ ليلكَ ليس يَنْـ ـقُص طُولَــه طولُ النّهارِ

أتقاصــر الأزمــــانُ أم غَرَضِ الأسيرِ من الإسارِ[2]

[تحريضه على قتل ابن جرموز]

قال : فبلغت أبياتُه معاويةَ ، فرقّ له وأطلقه . فرجع إلى مكّة . فلمّا قدمها لقِي عروة بن الزُّبير ، فقال له : أما ابن أُثال فقد قتلتُه ، وذاك ابن جُرموز يُنْقي أوصال الزُّبير بالبصرة ، فاقتله إن كنتَ ثائراً . فشكاه عروة إلى أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فأقسم عليه أن يمسِك عنه ، ففعل .

1 ذو مرار : أرض كثيرة المرار ، وهو حمض تأكله الإبل .

2 غرض : ضجر وقلق .

[غنّى إبراهيم بن المهديّ في شعر للمهاجر]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني يعقوب بن نعيم قال : حدَّثني إسحاق بن محمد قال : حدَّثني عيسى بن محمد القَحْطَبيّ قال : حدَّثني محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر قال : غنّى إبراهيم بن المهديّ يوماً بحضرة المأمون وأنا حاضر : [من الكامل]

يـا صاحِ يا ذا الضامرِ العنسِ والرحلِ ذي الأقتابِ والحِلْسِ

قال : وكانت لي جائزة قد خرجت ، فقلت : تأمر سيّدي يا أمير المؤمنين بإلقاء هذا الصوت عليّ مكان جائزتي ، فهو أحبّ إليّ منها ؟ فقال له : يا عمّ ، ألقِ هذا الصوت على محمد . فألقاه عليّ حتى إذا كدت أن آخُذه قال : اذهب فأنت أحذقُ الناس به . فقلت : إنّه لم يصلح لي بعد . قال : فاغدُ غداً عليّ . فغدوت عليه ، فأعاده ملتوياً ، فقلت له : أيّها الأمير ، لك في الخلافة ما ليس لأحد ؛ أنت ابن الخليفة ، وأخو الخليفة ، وعمّ الخليفة ، تجود بالرغائب ، وتبخل عليّ بصوت ؟ فقال : ما أحمَقك ! إنّ المأمون لم يستبقني محبّة لي ، ولا صلة لرحمي ، ولا لِيَرُبَّ المعروف عندي ، ولكنّه سمع من هذا الجِرْم ما لم يسمعه من غيره . قال : فأعلمتُ المأمون بمقالته . فقال : إنّا لا نكدِّر على أبي إسحاق عفونا عنه ، فدعه . فلمّا كانت أيّام المعتصم نشِط للصَّبوح يوماً ، فقال : أحضروا عمّي . فجاء في دُرّاعة بغير طَيْلَسان ، فأعلمت المعتصم بخبر الصوت سرّاً ، فقال : يا عمّ غَنِّني : [من الكامل]

يـا صاحِ يا ذا الضامرِ العنسِ والرحلِ ذي الأقتاب والحلسِ

فغنّاه . فقال : ألقه على محمد ، فقال : قد فعلت ، وقد سبق منّي قول ألاّ أُعيدَه عليه . ثم كان يتجنّب أن يغنّيه حيث أحضُر .

صوت

[من المنسرح]

أقفَـر بعـد الأحبّـة البلَدُ فهْـو كأنْ لم يكنْ بـه أحدُ
شَجاك نُـؤْيٌ عَفَت معالِمُهُ وهامِـدٌ في العِـراص مُلتبدُ
أُمُّـك عَنْسيـة مهذَّبـة طابت لهـا الأُمَّهاتُ والقَصَدُ
تُدْعى زهيريـة إذا انتسبتْ حيث تلاقى الأنسابُ والعَدَدُ

الشعر لحمزة بن بِيض ، والغناء لمعبد ، خفيف ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لابن عباد ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ وعمرو وابن المكيّ .

[319] ـ أخبار حمزة بن بيض ونسبه[1]

حمزة بن بِيض الحَنفيّ : شاعر إسلاميّ من شعراء الدولة الأموية ، كوفيّ خليع ماجن ، من فحول طبقته . وكان كالمنقطع إلى المهلّب بن أبي صُفرة وولده ، ثم إلى أبان بن الوليد ، وبلال بن أبي بُرْدة . واكتسب بالشعر من هؤلاء مالاً عظيماً ، ولم يدرك الدولة العباسية .

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا أبو هفّان قال : أخبرني أبو محلم عن المفضل قال : أخذ حمزة بن بِيض الحنفيُّ بالشعر ألف ألف دِرهم ، من مال وحُملان وثياب ورقيق وغير ذلك .

[ممازحة بلال بن أبي بردة]

أُخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار ، قال : حدَّثني عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدَّثني أبو تَوبة ، قال : قدِم حمزة بن بِيض على بِلال بن أبي بُردة ، فلمّا وصل إلى بابه قال لحاجبه : استأذن لحمزة بن بِيض الحنفيّ ، فدخل الغلام إلى بِلال ، فقال : حمزة بن بِيض بالباب . وكان بلال كثير المزح معه ، فقال : اخرج إليه فقل : حمزة بن بِيض ابن مَن ؟ فخرج الحاجب إليه ، فقال له ذلك . فقال : ادخل فقل له : الذي جئت إليه إلى بنيان الحمام وأنت أمرد ، تسأله أن يهب لك طائراً ، فأدخلك وناكك ، ووهب لك طائراً . فشتمه الحاجب . فقال له : ما أنت وذا ؟ بعثك برسالة ، فأخبره بالجواب . فدخل الحاجب وهو مغضَب ، فلمّا رآه بلال ضحك ، وقال : ما قال لك قبَحه الله ؟ قال : ما كنت لأخبر الأمير بما قال . فقال : يا هذا ، أنت رسول فأدِّ الجواب . قال : فأبى . فأقسم عليه حتى أُخبره . فضحك حتى فحص برجله ، وقال : قل له : قد عرفنا العلامة فادخل ، فدخل فأكرمه ، ورفعه ، وسمع مديحه ، وأحسن صلته .

قال : وأراد بقوله (ابن بِيض ابن مَنْ ؟) قول الشاعر فيه : [من البسيط]

أنت ابن بِيض لعمري لستُ أُنكره وقد صدقت ، ولكن مَن أَبو بِيض ؟

[مديحه مخلد بن يزيد]

أُخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال : حدَّثني محمد بن الحسن الأحول ، عن الأثرم ، عن أبي عمرو ، وأخبرني وكيع قال : حدَّثني عُبيد الله بن محمد بن عُبيد بن سفيان ، قال : حدَّثني أبو الحسن الشَّيبانيّ قال : حدَّثني شعيب بن صفوان ، قال : قدِم حمزة بن بِيض على مَخْلد بن

---

1 لحمزة بن بيض ترجمة في معجم الأدباء : 1215–1219 وفوات الوفيات 1 : 395–397 وتهذيب ابن عساكر 4 : 443 ومصورة ابن عساكر 5 : 299 والمعارف : 591 والمؤتلف والمختلف : 141 وبغية الطلب 5 : 287 وسير الذهبي 5 : 267 وأخبار الحمقى : 43 وقد أورد له صاحب التذكرة أخباراً كثيرة في مواضع متفرقة .

يزيد بن المهلّب وعنده الكميت ، فأنشده قوله فيه : [من المتقارب]

أتينــاك في حاجــة فاقضِها وقُــل مرحباً يَجِبِ المرحَبُ
ولا تَكِلَنَّــــا إلى معشر متــى يعِــدوا عِدة يكذبوا
فإنّــك في الفرع من أُسرة لهم خضع الشرق والمغربُ
وفي أدبٍ منهــمُ مــا نشأتَ ونعْــمَ لعمــرُك مــا أدّبوا
بلغــت لعَشر مضت من سنيـ ـك مــا يبلغ السيدُ الأشيبُ
فهَمُّــك فيهــا جسام الأُمورِ وهــمُّ لِداتــك أن يلعبوا
وجُــدْتَ فقلــت أَلا سائــل فيعطــى ولا راغــبٌ يرغبُ
فمنــك العطيّــة للسائلين وممّــن ينوبــك أن يَطلُبوا

فأمر له بمئة ألف درهم ، فقبضها . قال وكيع في خبره : وسأله عن حوائجه ، فأخبره بها ، فقضى جميعها . وقال أيضاً في خبره : فحسده الكميت . فقال له : يا حمزة ، أنت كمُهْدِي التمر إلى هجر[1] ، قال : نعم ، ولكن تمرنا أطيب من تمر هَجَر .

أخبرني عليّ بن سليمان قال : حدَّثني محمد بن يزيدَ النحويّ ، قال : قال الجاحظ : أصاب حمزةَ بن بِيض حُصْرٌ[2] ، فدخل عليه قوم يعودونه وهو في كرب القُولَنْج ، إذ ضرط رجل منهم ، فقال حمزة : مَن هذا المنعَم عليه ؟

[نبوءة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مِهرويه قال : قال عليّ بن الصباح : حدَّثني هشام بن محمد ، عن الشَّرْقيّ ، قال : زعم هشام بن عروة أنّ عبد الرحمن بن عنبسة مَرَّ فإذا هو بغلام أصبَح الغلمان وأحسنهم ، ولم يكن لعبد الرحمن وَلَد ، فسأل عنه ، فقيل له : يتيم من أهل الشام ، قدِم أبوه العراق في بَعْث[3] فقُتِل ، وبقي الغلام هاهنا . فضمّه ابن عنبسة إليه ، وتبنّاه . فوقع الغلام فيما شاء من الدنيا ، ومرَّ يوماً على بِرذون ومعه خدم على ابن بِيض ، وحول ابن بِيض عِياله في يوم شات ، وهم شُعْث غُبْر عُراة ، فقال ابن بِيض : مَن هذا ؟ فقيل : صَدَقة يتيم ابن عنبسة . فقال : [من المنسرح]

1 المثل «كمستبضع التمر إلى هجر» في مجمع الميداني 2 : 152 ومستقصى الزمخشري 2 : 233 وفصل المقال : 413 .
2 الحصر : احتباس البطن أو البول .
3 البعث : الجيش .

يَشْعَث صبيانُنا وما يَتموا   وأنت صافي الأديم والحدقَهْ
فليت صبياننا إذا يَتِموا   يلقَون ما قد لقيت يا صدقَهْ
عوّضك الله من أبيك ومن   أمِّك في الشام بالعراق مِقَهْ[1]
كفاك عبد الرحمن فَقْدَهما   فأنتَ في كُسوة وفي نَفَقَهْ
تظلّ في دَرْمكٍ وفاكهة   ولحمِ طير ما شئت أو مرقَهْ[2]
تأوي إلى حاضن وحاضنة   زادا على والديْك في الشفقَهْ
فكلْ هنيئاً ما عاش ثم إذا   مات فَلَغْ في الدماء والسرِقَهْ
وخالِف المسلمين قِبلَتهم   وضَلّ عنهم وخادِنِ الفسقَهْ
واشترِ نهد التليلِ ذا خصَلٍ   لصوته في الصهيل صَهْصَلَقَهْ[3]
واقطع عليه الطريق تُلْفَ غداً   رَبَّ دنانيرَ جمّةٍ ورِقَهْ[4]

فلّما مات عبد الرحمن ، أصابه ما قال ابن بيض أجمع : من الفساد والسرِقة وصحبة اللصوص ، ثم كان آخر ذلك أنّه قطع الطريق ، فأُخِذ وصُلِب .

[نبوءة أُخرى]

أُخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني النوفليّ عن أبيه . قال ابن عمّار : وأخبرني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ ، قال : حدَّثني أبي عن أبي سفيان الحميريّ قال : خرج حمزة بن بيض يريد سفراً ، فاضطره الليل إلى قرية عامرة ، كثيرة الأهل والمواشي ، ومن الشاء والبقر ، كثيرة الزّرع ، فلم يصنعوا به خيراً ، فغدا عليهم ، وقال : [من الكامل]

لعن الإله قرية يمّمتها   فأضافني ليلاً إليها المغربُ
الزارِعين وليس لي زرع بها   والحالبين وليس لي ما أحلُبُ
فلعلّ ذاك الزّرع يُودِي أهلُه   ولعلَّ ذاك الشاءَ يوماً يَجْرَبُ
ولعلّ طاعوناً يصيب علوجها   ويصيب ساكنها الزّمان فتخربُ

قال : فلم يمرّ بتلك القرية سنة حتى أصابهم الطاعون ، فأباد أهلها ، وخربت إلى اليوم . فمرّ بهم ابن بِيض ، فقال : كَلاَّ ، زعمتُ أنّي لا أُعْطى مُنْيَتي . قالوا : وأبيك لقد أعطيتها ،

---

1 مقه : محبة .
2 الدرمك : الدقيق الأبيض .
3 النهد : المرتفع . والتليل : العنق والصهصلقة : شدة الصوت . ويقصد بذلك الفرس .
4 الرقة : الدراهم المضروبة .

فلو كنت تمنّيت الجنّة كان خيراً لك . قال : أنا أعلم بنفسي ، لا أتمنّى ما لست له بأهل ، ولكنّي أرجو رحمة ربّي عزّ وجلّ .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا محمد بن زكرياء الغَلابيّ قال : قال ابن عائشة : خرج ابن بِيض في سفر ، فنزل بقوم ، فلم يحسنوا ضيافته ، وأتوه بخبز يابس ، وألقوا لِبغلته تبناً ، فأعرض عنهم ، وأقبل على بغلته ، فقال : [من الرمل]

أحسُبيهـا ليلــة أدلجتُهـا ... فكُلي إن شئت تِبْنـاً أو ذري
قــد أتــى ربَّكِ خبزٌ يابس ... فتعــزَّي وتعــزي واصبري

[محاورة مع الفرزدق]

حدَّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز ، قال : حدَّثنا المدائنيّ ، قـال : قال حمزة بن بِيض يوماً للفرزدق : أيُّما أحبّ إليك ، تسبق الخير أو يسبقك ؟ قال : لا أسبقه ولا يسبقني ، ولكن نكون معاً . فأيُّما أحبّ إليك ، أن تدخل إلى بيتك ، فتجد رجلاً قابضاً على حِرِ امرأتك ، أو تجد امرأتك قابضة على أيره ؟ فقال : كلام لا بدّ من جوابه ، والبادي أظلم ، بل أجدها قابضة على أيره ، قد أغبَته[1] عن نفسها .

[جبنه]

نسخت من كتاب أبي إسحاق الشايميني : قال ابن الأعرابيّ : وقع بين بني حنيفة بالكوفة ، وبين بني تميم شرّ ، حتى نشبت الحرب بينهم ، فقال رجل لحمزة بن بِيض : ألا تأتي هؤلاء القوم ، فتدفعَهم عن قومك ، فإنّك ذو بيان وعارضة ؟ فقال : [من الطويل]

ألا لا تلمني يا ابن ماهان إنّني ... أخاف على فَخّارتـي أن تَحَطَّما
ولو أنّني أبتاع في السوق مثلَها ... وجــدِّك مـا باليت أن أتقدّما

[شارب النبيذ أفضل من الناسك]

قال : وكان لابنِ بِيض صديق عامل من عمّال ابن هبيرة ، فاستودع رجلاً ناسكاً ثلاثين ألفَ درهم ، واستودع مثلَها رجلاً نبيذيّاً ، فأمّا الناسك فبنى بها داره ، وتزوّج النساء ، وأنفقها وجحده . وأمّا النبيذيّ فادّى إليه الأمانة في مالِه ، فقال حمزة بن بِيض فيهما : [من المتقارب]

ألا لا يغرَّنْك ذو سجـدة ... يظـلّ بهـا دائبـاً يَخْدَعُ
كــأنّ بجبهتــه جُلْبــة ... يسبح طـوراً ويسترجعُ[2]

---

1 أغبته : أبعدته .

2 الجلبة : قشرة رقيقة على الجرح عندما يقارب البرء .

وما للتُّقى لزمت وجهه ... ولكن ليغترَّ مستودِعُ
فلا تنفِرنَّ مِنَ آهل النبيذِ ... وإن قيل يشرب لا يُقلِعُ
فعندك عِلم بما قد خبر ... تُ إن كان علم بهم ينفعُ
ثلاثون ألفاً حواها السجود ... فليست إلى أهلها تَرجعُ
بنى الدار من غير ما ماله ... وأَصبح في بيتِه أربعُ
مهائرُ من غيرِ مالٍ حواه ... يقاتون أرزاقَهم جُوَّعُ

وأخبرني بهذا الخبر الحسين بن محمد بن زكريّا الصَّحَّاف ، قال : حدَّثنا قَعْنب بن المحرِز ، قال : حدَّثنا أبو عبيدة والأصمعيّ ، وكَيسان بن المعرف ، فذكروا نحو هذا الخبر ، إلاّ أنّه حكى أنّ حمزة بن بِيض هو الذي استودع الرجلين المال ، وقال :

وأدّى أخو الكأس ما عنده ... وما كنت في ردّها أطمعُ

[بينه وبين أبي الجون السحيمي]

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حدَّثنا عبد الله بن شبيب قال : حدَّثني أحمد بن محمد ، عن ابن داجة ، قال : اختصم أبو الجَون السُّحَيميّ وحمزة بن بِيض ، إلى المهاجر بن عبد الله الكلابيّ ، وهو على اليمامة ، فوثب عليه حمزة وقال : [من البسيط]

غَمَّضتُ في حاجة كانت تؤرِّقني ... لولا الذي قلتَ فيها قلَّ تغميضي

فقال : وما الذي قلت لك ؟ قال :

حلفت بالله لي أن سوف تنصفني ... فساغ في الحلقِ ريقي بعد تجريضي[1]

قال : وأنا أحلِف لأنصفنّك . قال :

سل هؤلاء إلى ما ذا شهادتهم ... أم كيف أنت وأصحابَ المعاريضِ

قال : أُوجعهم ضرباً . فقال :

وسل سُحيماً إذا وافاك أجمعُهم ... هل كان بالشرّ حوض قبل تحويضي

قال : فقضى له . فأنشأ السحيميّ يقول : [من البسيط]

أنت ابنِ بِيض لعمري لستُ أُنكره ... حقّاً يقيناً ، ولكن من أبو بِيضِ ؟
إن كنت أنبضت لي قوساً لترميني ... فقد رميتك رمياً غير تنبيضِ

---

1 التجريض : ابتلاع الريق على هم وحزن .

أو كنت خَضْخضت لي وطْباً لتسقِيني فقــد سقيتك محضــاً غير ممخوضِ

قال : فوجَم حمزة وقُطِع به . فقيل له : ويلَك ! ما لك لا تجيبه ؟ قال : وبِم أُجيبه ؟ والله لو قلت له : عبد المطّلب بن هاشم أبو بِيض ما نفعني ذلك ، بعد قوله : ولكن من أُبو بِيض .

وأخبرني بهذا الخبر ابن دُريد ، عن أبي حاتم ، عن أبي عبيدة بمثله . وقال فيه : إنّ المخاصِم له أبو الحويرِث السُّحَيميّ .

[مدح يزيد بن المهلّب في السجن]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال : أُخبرنا السَّكْن بن سعيد ، عن محمد بن عبّاد ، قال : دخل حمزة بن بِيض على يزيد بن المهلّب السجن ، فأنشده : [من المنسرح]

أغلِق دون السماح والجود والنـ ـجدة باب حديـدُه أَشِبُ[1]

ابنُ ثــلاث وأربعين مضت لا ضرِع واهن ولا نكِبُ[2]

لا بَطِــر إن تتابعــت نِعَــم وصابــر في البــلاء محتسِبُ

بَرَّزْتَ سبقَ الجوادِ في مَهَل وقَصَّرتْ دون سعيك العَربُ

فقال : والله يا حمزة لقد أسأت ، إذ نوّهت باسمي في غير وقت تنويـه ، ولا منزل لـك ، ثم رفع مقعداً تحته ، فرمى إليه بخرقة مصرورة ، وعليـه صاحب خبر واقف ، فقال : خذ هذا الدينار ، فوالله ما أملك ذهباً غيره . فأخذه حمزة ، وأراد أن يردّه ، فقال له سرّاً : خذه ولا تُخْدَع عنه . فقال حمزة : فلمّا قال لي : لا تخدع عنه ، قلت : والله ما هذا بدينار ، فقال لي صاحب الخبر : ما أعطاك يزيد ؟ فقلت : أعطاني ديناراً ، فأردت أن أردّه عليه ، فاستحييت منه . فلمّا صرت إلى منزلي حللت الصرّة ، فإذا فَصٌّ ياقوت أحمر ، كأنّه سِقط زَنْد ، فقلت : والله لئن عرضتُ هذا بالعراق ، ليُعْلَمنّ أنّي أخذته من يزيد ، فيؤخذ منّي ، فخرجت به إلى خراسان ، فبعته من رجل يهوديّ بثلاثين ألفاً ، فلمّا قبضت المال وصار الفَصُّ في يده ، قال لي :

والله لو أبيت إلاّ خمسين ألف درهم ، لأخذته منك ، فكأنّما قذف في قلبي جمرة . فلمّا رأى تغيّر وجهي قال : إنّي رجل تاجر ، ولست أشكّ أنّي قد غممتك . قلت : إي والله وقتلتني . فأخرج إليّ مائة دينار ، فقال : أنفِق هذه في طريقك ، لتتوفّر عليك تلك .

أخبرني الحسين بن يحيى قال : قال حمّاد بن إسحاق : قرأت على أبي : دخل حمزة بن بيض على يزيدَ بن المهلَّب ، وهو في حبس عمر بن عبد العزيز ، فأنشده قوله فيه : [من المنسرح]

---

1 أشب : ملتف .

2 الضرِع : الضعيف الجبان . والنكب : من يعدل عن الشيء كسلاً أو جبناً .

أَصبح في قيدك السماحة والـ ـحاملُ للمعضلات والحَسَبُ
لا بِطـرٌ إن تتابعـت نعـمٌ وصابـرٌ في البـلاء محتسِبُ

فقال له : ويحك أتمدحني على هذه الحال ؟ قال : نعم ، لئن كنتَ هكذا لطالما أثْبت على الثناء ، فأحسنت الثواب والرِّفْد ، فهل بأس أن نُسلِفك الآن . قال : أما إذ جعلته سَلَفاً فاقنع بما حضر ، إلى أن يمكن قضاء دينك . وأمر غلامه ، فدفع إليه أربعة آلاف درهم ، وبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز ، فقال : قاتله الله ! يعطي في الباطل ، ويمنع الحقّ ، يعطي الشعراء ، ويمنع الأمراء .

[مدحه سليمان بن عبد الملك]

أَخبرني محمد بن الحسين بن دُريد قال : حدَّثنا عبد الأوّل بن مَزيد ، قال : حدَّثنا العُمَريّ عن الهيثم بن عديّ ، قال : أخبرني مَخْلد بن حمزة بن بِيض قال : قدِم أبي على يزيد بن المهلّب وهو عند سليمان بن عبد الملك ، فأدخله إليه ، فأُنشده : [من الكامل]

ساس الخلافـةَ والداك كلاهمـا من بين سَخْطة ساخط أَو طائعِ
أَبـواك ثـم أَخـوك أَصبحَ ثالثاً وعلى جبينك نُـور مَلْـك الرابعِ
سَرَّيتَ خوف بنـي المهلَّب بعدما نظـروا إليك بسَمٍّ مـوتٍ ناقِعِ
ليس الـذي ولاّكَ ربُّـك منهمُ عنـد الإلـه وعندهـم بالضائعِ

فأَمر له بخمسين ألفاً .

[يريد جائزة مثل جائزة الكميت]

أَخبرني عمِّي قال : حدَّثنا عبد الله بن عمرو قال : حدَّثني جعفر بن محمد العاصميّ قال : حدَّثني عُيينة بن المنهال قال : حدَّثني الهيثم بن عديّ قال : حدَّثني أبو يعقوبَ الثقفيّ قال : قال لي حمزة بن بِيض : لمّا وفد الكُميت بن زيد إلى مَخْلد بن يزيد بن المهلّب وهو يخلُف أَباه على خراسان ، وكان واليها وله ثماني عشرة سنة ، وقد مدحه بقصيدته التي أوّلها :

هـلا سألتَ معالِم الأطلالِ

وهي التي يقول فيها : [من الكامل]

يمشين مشي قطا البطاحِ تأوُّدا قُبّ البطونِ رواجح الأكفالِ

وقصيدته التي يقول فيها :

هـلاّ سألت منازلاً بالأبرقِ

أَعطاه مِئة ألفِ درهم ، سوى العُروض والحُمْلان . فقدِم الكوفة في هيئة لم يُرَ مثلها ، فقلت في نفسي : واللهِ لأنّا أولى من الكميت بما ناله من مَخْلد بن يزيد ، وإنّي لحليفه وناصره في العصبية على الكميت ، وعلى مُضَر جميعاً . فهيأت لَمخْلد مديحاً على رويّ قصيدَتي

الكميت وقافيتيهما ، ثم شخصت إليه . فلمّا كان قبل خروجي إليه بيوم ، أتتني جماعة من ربيعة في خمس ديات عليهم لمضَرَ في البدو ، فقالوا إنّك تأتي مَخْلَداً وهو فتى العرب ، ونحن نعلم أنّك لا تُؤْثِر على نفسك ، ولكن إذا فَرَغ من أمرك ، فأعلمه مَمشانا إليك ، ومسألتنا إيّاك كلامه ، فنرجو أن تكون عند ظنّنا . فلمّا قدِمت على مخلد خُراسان أنزلني ، وفَرَش لي ، وأخدَمني ، وحملني وكساني ، وخلطني بنفسه ، فكنت أسمرُ معه ، فقال لي ليلة : أعليك دين يا ابن بِيض . قلت : دَعني من مسئلتك إيّاي عن الدين ، إنّك قد أعطيت الكميت عطيّة لست أرضى بأقلّ منها ، وإلاّ لم أُدخل الكوفة ، ولم أُعيَّر بتقصيرك بي عنه . فضحك ، ثم قال لي : بل أزيدك على ما أعطيت الكميت . فأمر لي بمئة ألف درهم ، كما أعطى الكميت ، وزادني عليه ، وصنع بي في سائر الألطاف كما صنع به ، فلمّا فرغت من حاجتي أتيته يوماً ومعي تذكِرة بحاجة القوم في الديات ، فلمّا جلس أنشدته : [من المتقارب]

أتينـاك في حاجـة فاقضِها ... وقُـلْ مرحباً يجِبِ المَرحَبُ
ولا تَكِلَنـــا إلى معشر ... متـى يعِدوا عِـدَة يكذِبوا
فإنّك في الفـرع من أُسرة ... لهـم خضع الشرق والمغربُ
وفي أَدَب منهـم مـا نشأْتَ ... ونِعْـمَ لعمـرُك مـا أدَّبوا
بلغت لعشرٍ مضت من سِنيـ ... ـك ما يبلغ السّيدُ الأشيبُ
فهمُّك فيهـا جِسام الأمـورِ ... وهـمُّ لِداتــك أن يلعبوا

فقال : مرحباً بك وبحاجتك ، فما هي ؟ فأخرجت إليه رقعة القوم ، وقلت : حَمالات في ديات . فتبسّم ، ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم . فقلت : أوَ غير ذلك أيّها الأمير ؟ قال : وما هو ؟ قلت : أُدَلّ على قبر المهلّب ، حتى أشكو إليه قطيعة ولده . فتبسّم ، ثم قال : زِده يا غلام عشرة آلاف أُخرى ، فأبيت ، وقلت : بل أُدَلّ على قبر المهلّب ، فقال : زِده يا غلام عشرة آلاف أُخرى ، فما زلت أكرّرها ويزيدني عشرة آلاف ، حتى بلغت سبعين ألفاً . فخشيت والله أن يكون يلعب أو يهزأ بي ، فقلت : وصلك الله أيّها الأمير ، وآجَرك ، وأحسن جزاءك . فقال مَخلَد : أما والله لو أقمت على كلامك ، ثم أتى ذلك على خراج خراسان لأعطيتكه .

[مجلس المأمون والنضر بن شميل]

أخبرني محمد بن مَزْيد بن أبي الأزهر قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني النضر بن شميل ، قال : دخلت على أمير المؤمنين المأمون بمَرْو وعليّ أطمار مترعبلة[1] ؛ فقال لي : يا نضر ،

---

1 مترعبلة : ممزقة .

تدخل على أمير المؤمنين في مثل هذه الثياب ؟ فقلت : إن حَرَّ مرو لا يُدفَع إلاّ بمثل هذه الأخلاق[1] . فقال : لا . ولكنّك رجل متقشّف . فتجارَيْنا الحديث ، فقال المأمون : حدَّثني هُشَيم بن بَشِير ، عن مجالد ، عن الشعبيّ ، عن ابن عبّاس ، قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا تزوّج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سَداد من عَوَز» . هكذا قال : سَداد بالفتح . فقلت : صدق ، يا أمير المؤمنين . حدَّثني عوف الأعرابيّ عن الحسن ، أنّ النبيّ ﷺ قال : «إذا تزوّج الرجل المرأة لدينها وجمالها ، كان فيه سِداد من عَوَز» ، وكان المأمون متكئاً فاستوى جالساً ، وقال : السَّداد لحن يا نضْر عندك ؟ قلت : نعم هاهنا يا أميرُ المؤمنين ؛ وإنّما هُشَيم لَحَن ، وكان لحانة ، فقال : ما الفرق بينهما ؟ قلت : السَّداد : القصد في الدِّين والطريقة والسبيل . والسِّداد : البُلْغة ، وكلّ ما سددت به شيئاً فهو سِداد . وقد قال العَرْجيّ : [من الوافر]

أَضاعوني وأيَّ فتًى أَضاعوا ليومِ كريهةٍ وسِداد ثغرِ

قال : فأطرق المأمون مَلِيّاً ، ثم قال : قَبَح الله مَن لا أدب له ! ثم قال : أنشِدني يا نضر أخلب بيت للعرب . قال : قلت : قول حمزة بن بِيض يا أمير المؤمنين : [من المنسرح]

تقولُ لي والعيون هاجعة : أَقِمْ علينا يوماً ، فلم أُقِمِ
قالت : فأيَّ الوجوه ؟ قلت لها : لأيّ وجهٍ إلاّ إلى الحَكَمِ ؟
متى يقُلْ حاجبا سرادِقِه : هذا ابن بِيض بالباب ، يبتسِم
قد كنت أَسلمت فيكَ مُقْتَبِلاً فهات إذ حَلَّ أعطني سَلَمِي[2]

فقال المأمون : لله درّك ، كأنّما شُقّ لك عن قلبي ! فأنشدني أنصف بيت للعرب . قال : قلت : قول أبي عَروبة المدني[3] : [من الكامل]

إنّي وإن كان ابن عمِّي عاتباً لَمزاحِمٌ مِن خلفِهِ وورائِهِ
ومُفيده نصري وإن كنت امرءاً متزحزحاً عن أَرضه وسمائِهِ
وأَكون واليَ سِرّه وأَصونه حتّى يحين عليّ وقتُ أدائِهِ
وإذا الحوادث أجحفت بسَوامِه قُرِنت صَحيحتنا إلى جَرْبائِهِ
وإذا دعا باسمي ليركب مَرْكباً صعباً قعدتُ له على سِيسائِهِ

1 الأخلاق : جمع خَلَق ، وهو الثوب البالي .
2 أسلمت : أسلفت . مقتبلاً : مستأنفاً . وسلمي : جائزتي .
3 نسبت هذه الأبيات في شرح الحماسة للمرزوقي (4 : 1680) إلى الهذيل بن مشجعة البولاني .

وإذا أتـى مـن وجهـه بطريفةٍ لم أطَّـلـع مِمّـا وراء خِبائِهِ
وإذا ارتدى ثوباً جميلاً لم أقُل : يـا ليـت أن عـليَّ حسنَ ردائِهِ

فقال : أحسنت يا نضر ؛ أنشدني الآن أقنع بيت قالته العرب . فأنشدته قول ابن عبدلٍ الأسديّ : [من المنسرح]

إنّي امرؤ لم أزل ، وذاك من اللـ ـه قديمـاً ، أعلّـم الأدبا
أُقيم بالدّار ما اطمأنّت بِيَ الدا ر وإن كنـت نازعـاً طرِبا
لا أجتوِي خُلَّة الصديق ولا أُتبِـع نفسي شيئـاً إذا ذهبا
أطلب ما يطلب الكريم من الـ ـرِّزق بنفسي وأُجْمِل الطلبا
وأحلـب الثرَّة الصفِـي ولا أجهَد أخلاف غيرِهـا حَلَبا[1]
إنّي رأيـت الفتى الكريم إذا رغَّبتَـه في صنيعـة رغِـبا
والعبد لا يطلـب العَلاء ولا يعطيك شيئـاً إلاّ إذا رهِبا
مثـلُ الحمار المُوَقَّـع السَّوْءِ لا يُحسن مَشْياً إلاّ إذا ضُرِبا[2]
قـد يُرزَق الخافضُ المقيمُ وما شد بِعيس رحـلاً ولا قَتَبـا
ويُحرَمُ الرزقَ ذو المطيّة والر حل ومَـن لا يـزال مغتربا
ولَم أجِد عُـدّة الخلائق إلاّ الدِّين لمـا اعتبرتُ والحَسَبا

فقال : أحسنت يا نضر ! وكتب لي إلى الحسن بن سهل بخمسين ألفاً ، وأمر خادماً بإيصال رقعته ، وتنجيز ما أمر به لي ، فمضيت معه إليه ، فلمّا قرأ التوقيع ضحك ، وقال لي : يا نضْر ، أنت الملحِّن لأمير المؤمنين ؟ قلت : لا ، بل لهشيم . قال : فذاك إذنْ ، وأطلق لي الخمسين ألفَ درهم ، وأمر لي بثلاثين ألفاً .

[عبث عبد الملك بن بشر به وانتقامه منه]

أخبرني الحسين بن يحيى ، قال : حدَّثنا حمّاد عن أبيه ، قال : بلغني أنّ حمزة بن بِيض الحنفيّ كان يسامر عبد الملك بن بِشْر بن مروان ، وكان عبد الملك يعبث به عبثاً شديداً ، فوجّه إليه ليلة برسول ، وقال : خذه على أيّ حال وجدته عليها ، ولا تدعْه يغيّرها ، وحلَّفه على ذلك ، وغلّظ الأيمان عليه . فمضى الرسول ، فهجم عليه ، فوجده يريد أن يدخل الخَلاء ، فقال : أجب

1 الثرة : الغزيرة ، وكذلك الصفي . وأخلاف الناقة : أثداؤها .
2 الموقع : الذي في ظهره آثار دبر .

الأمير . فقال : وَيْحَك ، إنّي أكلت طعاماً كثيراً ، وشربت نبيذاً حُلْواً ، وقد أخذني بطني . قال : والله لا تفارقني أو أمضيَ بك إليه ، ولو سَلَحت في ثيابك . فجَهَد في الخلاص ، فلم يقدر عليه ، فمضى به إلى عبد الملك ، فوجده قاعداً في طارمة له ، وجارية جميلة كان يتحظّاها جالسة بين يديه ، تسجُر الندّ في طارمته[1] ، فجلس يحادثه وهو يعالج ما هو فيه .

قال : فعرضت لي ريح ، فقلت : أسرحها وأستريح ، فلعلّ ريحها لا يتبيّن مع هذا البَخور ، فأطلقتها ، فغلبت والله ريح الندّ وغَمرته . فقال : ما هذا يا حمزة ! قلت : عليَّ عهد الله وميثاقه ، وعليّ المشي والهَدْي إن كنت فعلتها ، وما هذا إلاّ عمل هذه الفاجرة . فغضب واحتفظ ، وخجلت الجارية ، فما قدَرَت على الكلام ؛ ثم جاءتني أخرى فسرَّحتها ، وسطع والله ريحها . فقال : ما هذا ويلك ! أنت والله الآفة . فقلت : امرأتي فلانة طالق ثلاثاً إن كنت فعلتها . قال : وهذه اليمين لازمة لي إن كنت فعلتها ، وما هو إلاّ عمل هذه الجارية . فقال : ويلكِ ما قصّتكِ ؟ قومي إلى الخلاء إن كنت تجدين حِسّاً ، فزاد خجلها وأطرقت . وطمِعت فيها ، فسرَّحت الثالثة ، وسطع من ريحها ما لم يكن في الحساب ، فغضب عبد الملك ، حتى كاد يخرج من جلده ، ثم قال : خذ يا حمزة بيد الزانية ، فقد وهبتها لك ، وامض فقد نغّصت علي ليلتي . فأخذت والله بيدها ، وخرجت ، فلقيني خادم له ، فقال : ما تريد أن تصنع ؟ قلت : أمضي بهذه . قال : لا تفعل ، فوالله لئن فعلت ليبغضنّك بغضاً لا تنتفع به بعدها أبداً . وهذه مئة دينار ، فخذها ودَع الجارية ، فإنّه يتحظّاها ، وسيندم على هِبته إيّاها لك . قلت : والله لا نقصتك من خمسمائة دينار . فلم يزل يزايدني حتى بلغ مِئتي دينار ، ولم تطب نفسي أن أُضيّعها ، فقلت : هاتِها ، فأعطانيها ، وأخذها الخادم .

فلمّا كان بعد ثلاث دعاني عبد الملك ، فلمّا قربت من داره لقيني الخادم ، فقال : هل لك في مِئة[2] دينار وتقول ما لا يضرّك ، ولعلّه أن ينفعك ؟ قلت : وما ذاك ؟ قال : إذا دخلت إليه ادّعيت عنده الثلاثَ الفَسَوات ، ونسبتها إلى نفسك ، وتنفح عن الجارية ما قرفتها به . قلت : هاتها . فدفعها إليّ ، ودخلت على عبد الملك ، فلمّا وقفت بين يديه قلت : ألِي الأمان حتى أُخبرك بخبر يسرّك ، وتضحك منه ؟ قال : لك الأمان . قلت : أرأيت ليلة حضوري وما جرى ؟ قال : نعم . فقلت : فعليّ وعليّ إن كان فسا تلك الفسوات غيري . فضحك حتى سقط على قفاه . ثم قال : ويلَك ! فلم لم تخبرني ؟ قلت : أردت بذلك خصالاً ، منها أن قمت فقضيت حاجتي ، وقد كان رسولك منعني منها ، ومنها أنّي أخذت جاريتك ، ومنها

1 الطارمة : بيت من خشب كالقبة .

2 ل : مائتي .

أن كافأتك على أذاك لي بمثله . فقال : فأين الجارية . قلت : ما برحتُ من دارِك ولا خرجتُ حتى سلّمتها إلى فلان الخادم ، وأخذت مائتي دينار . فسُرّ بذلك ، وأمر لي بمائتي دينار أخرى ، وقال : هذه لجميل فِعلك بي ، وتركك أخذ الجارية .

قال حمزة بن بِيض : ودخلت إليه يوماً وكان له غلام لم يَرَ الناس أنتن إبطاً منه ، فقال لي : يا حمزة ، سابق غلامي حتى يفوح صُنانكما ، فأيّكما صُنانه أنتن ، فله مائة دينار . فطمعت في المائة ، ويئست منها لِما أعلمه من نَتْن إبط الغلام ، فقلت : أفعل . وتعادينا ، فسبقني ، فسلحت في يدي ، ثم لطّخت[1] إبطي بالسُّلاح ، وقد كان عبد الملك جعل بيننا حكماً يخبره بالقصّة ، فلمّا دنا الغلام منه فشمّه ، وثب ، وقال : هذا والله لا يساجِله شيء . فصحت به : لا تعجل بالحكم ، مكانَك . ثم دنوت منه ، فألقمت أنفه إبطي حتى علمت أنّه قد خالط دِماغه ، وأنا ممسك لرأسه تحت يدي . فصاح : الموت والله ! هذا بالكُنُف أشبه منه بالآباط ! فضحك عبد الملك ، ثم قال : أفحكمت له ؟ قال : نعم . فأخذت الدنانير .

أخبرني عمّي قال : حدّثني جعفر العاصميّ قال : حدّثنا عيينة بن المنهال ، عن الهيثم بن عديّ ، عن أبي يعقوبَ الثقفيّ ، قال : قال حمزة بن بِيض : دخلت يوماً على مَخْلد بن يزيد ، فقلت : [من الكامل]

إنّ المشارق والمغارب كلّها ... تُجْبى وأنت أميرها وإمامُها[2]

فضحك ثم قال : مه ؟ فقلت :

أغفيتُ قبل الصُّبح نومَ مسهَّدٍ ... في ساعة ما كنت قبلُ أنامُها

قال : ثم ماذا كان ؟ قلت :

فرأيت أنّك جُدت لي بوصيفة ... موسومةٍ حَسَنٍ عليَّ قيامُها

قال : قد فعلت . فقلت :

وببَدرة حُمِلت إليّ وبغلة ... سَفْواء ناجية يصِلُّ لجامُها[3]

قال : قد حقّق الله رؤياك . ثم أمر لي بذلك كلّه ، وما عَلِم الله أنّي رأيت من ذلك شيئاً .

قال مؤلّف هذا الكتاب : وقد رُوي هذا الخبر بعينه لابن عبدلٍ الأسديّ ، وذكرته في أخباره .

---

1 ل : طليت .

2 الشطر الأول في ل : ليت المشارق والمغارب أصبحت .

3 السفواء : قليلة شعر الناصية والسريعة ، ويصل لجامها : يصوت لما فيه من الحلية .

[صحب ابن عمّه في الحج]

أُخبرني محمد بن الحسن بن دُريد ، قال : حدَّثنا أُبو حاتم ، قال : حدَّثنا عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ، قال : حجّ حمزة بن بِيض الحنفيّ ، فقال له ابن عمّ له : أُحجج بي معك . فأخرجه معه ، فحَوقل[1] عليه بعد نشاطه ، فقال ابن بِيض فيه : [من الطويل]

وذي سِنةٍ لم يدر ما السير قبلها ... ولم يعتسِف خَرْقاً من الأرض مَجْهلا[2]

ولم يَدر ما حَلُّ الحبال وعقدُها ... إذا البردُ لم يترك لكفّيه مَعْملا

ولم يقرِ مأجوراً ولا حجّ حِجّة ... فيضربَ سهماً أو يصاحبَ مِكتلا[3]

غدونا به كالبغل ينفض رأسَه ... نشاطاً بناه الخير حتى تفتّلا[4]

ترى المَحْمِلِ المحسور ناء عُرامة ... وبابا إذا أُمسى من الشرّ مُقْفلا[5]

وإن قلت ليلاً : أين أنت لحاجةٍ ... أجاب بأن لبيك عشراً وأقبلا

يسوق مطيّ القوم طوراً وتارة ... يقود وإن شئنا حدا ثم جلجلا

فأجّلته خمساً وقلت له : انتظر ... رُوَيداً ؛ وأجّلنا المطيّ ليدبُلا

فلمّا صدرنا عن زُبالة وارتمت ... بنا العيس منها مَنْقلاً ثم مَنْقلا[6]

ترامت به المَوماة حتّى كأنّما ... يَسَفُّ بمعسول الخزيرة حنظلا[7]

وحتّى نَبا عن مِزود القوم ضِرْسُه ... وعادى من الجهدِ الثريدَ المرعبلا

وحتّى لَوَ آنّ الليثَ ليثَ خَفِيَّة ... يحاوله عن نفسه ما تَحَلْحلا

وحتى لَوَ آنّ الله أُعطاه سؤله ... وقيل له : ما تشتهي ؟ قال : محملا

فقلت له لمّا رأيتُ الذي به ... وقد خِفت أن ينضى لدينا ويهزِلا

أطعني وكُلْ شيئاً ، فقال معذّراً ... من الجهد : أطعِمني تراباً وجندلا

فللموت خير منك جاراً وصاحباً ... فدعني فلا لبّيك ثم تَجَدّلا[8]

1 حوقل : مشى فأعيا وضعف ، وحوقل أيضاً : نام .

2 اعتسف الطريق : سار على غير هداية ولا دراية . الخرق : الأرض الواسعة . والمجهل : المفازة لا أعلام فيها .

3 المكتل : الزنبيل .

4 بناه الخير في ل : ثناه الحر . تفتل : اشتدّ .

5 المحسور ناء عُرامه في ل : المحشو فاه عرامة . وبابا في ل : ويأبى .

6 زُبالة : موضع من ضواحي المدينة . والمنقل : الطريق في الجبل .

7 يحكي كأنه يسف الحنظل مع الخزيرة ، وهي طعام من دقيق ولبن يحلّى بالعسل أو التمر .

8 تجدل : سقط على الأرض من الإعياء .

وقال : أقلنـي عثرتي وارعَ حرمتي   وقـد فـرّ منّـي مرّتـين لِيقفِلا
فقلت له : لا ، والذي أنا عبده ،   أقيلُـك حتى تمسح الرّكـن أوّلا

[تأخّرت مكافأته فعاتب مخلد بن يزيد]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال : حدَّثني عبد الله بن عمرو بن سعد قال : حدَّثني إسماعيل بن إبراهيم الهاشميّ ، قال : حدَّثني أبو عمر العُمَريّ ، قال : حدَّثني عطاء بن مصعب ، عن عاصم بن الحَدَثان قال : قدِم حمزة بن بِيض على مخلد بن يزيد بن المهلّب ، فوعده أن يصنع به خيراً ، ثم شُغِل عنه ، فاختلف إليه مراراً ، فلم يصل إليه ، وأبطأت عليه عِدّته ، فقال ابن بِيض : [من الطويل]

أمَخْلَـد إن الله مـا شاء يصنع   يجود فيعطي مَـن يشاء ويمنعُ
وإنّـيَ قـد أمّلـت منك سحابة   فحالت سراباً فـوق بيداء تلمعُ
فأجمعتُ صُرْماً ثم قلتُ : لعلّه   يثـوب إلى أمـرٍ جميـلٍ فيرجعُ
فأيأسني مـن خير مخلـدَ أنّـه   على كلّ حال ليس لي فيه مطمعُ
يجـود لأقـوام يـودّون أنّه   من البغض والشّنْآن أمسى يُقَطَّعُ
ويَبْخَـل بالمعروف عمّـن يوَدُّه   فوالله ما أدري بـه كيف أصنعُ ؟
أأصرِمـه فالصُّـرم شرٌّ مغبّـةً   ونفسي إليـه بـالوصال تَطَلَّعُ
وشتانَ بينـي في الوصالِ وبينَه   عـلى كلّ حـال أستقيـمُ ويَظْلَعُ
وقـد كان دهراً واصلاً لي مودّةً   ويمنعني من صرف دهري أضرعُ[1]
وأعقبني صُرْمـاً على غير إحنـة   وبخـلاً وقِدْمـاً كان لي يتبرّعُ
وغيّـره مـا غيّر النـاسَ قبلَـه   فنفسي بمـا يأتي بـه ليس تقنعُ

ثم كتبها في قرطاس وختمه ، وبعث به مع رجل ، فدفعه إلى غلامه ، فدفعه الغلام إليه ، فلمّا قرأه سأل الغلام : من صاحب الكتاب ؟ قال : لا أعرفه . فأدخل إليه الرجل ، فقال : مَن أعطاك هذا الكتاب ؟ ومن بعث به معك ؟ قال : لا أدري ، ولكن من صفته كذا وكذا ، ووصف صفة ابن بِيض ، فأمر به فضُرب عشرين سوطاً على رأسه ، وأمر له بخمسمائة درهم ، وكساه ، قال : إنّما ضربناك أدباً لك ، لأنّك حملت كتاباً لا تدري ما فيه ، لِمَن لا تعرف ، فإيّاك أن تعود لمثلها . قال الرجل : لا والله ، أصلحك الله ، لا أحمل كتاباً لِمَن

1 مودة في ل : بوده . والشطر الثاني في ل : ومعروفه يعدو البريد المفرّع .

أعرف ، ولا لَمن لا أُعرف . قال له مَخْلد : احذَر ، فليس كلّ أحد يصنع بك صنيعي ؛ وبعث إلى ابن بِيض ، فقال له : أتعرف ما لحق صاحبك الرجل ؟ قال : لا . فحدّثه مَخْلد بقصّته ، فقال ابن بِيض : والله ، أصلحك الله ، لا تزال نفسه تتوق إلى العشرين سَوْطاً مع الخمسمائة أبداً . فضحك مَخْلد ، وأمر له بخمسة آلاف درهم ، وخمسة أثواب ، وقال : وأنت والله لا تزال نفسك تتوق إلى عتاب إخوانك أبداً . قال : أَجَلْ والله ، ولكن مَن لي بمثلك يُعْتِبُني إذا استعتبته ، ويفعل بي مثل فعلك ؟ ثم قال : [من الطويل]

وأبيضَ بُهْلُولٍ إذا جئت داره ... كفاني وأَعطاني الذي جئت أسألُ
ويُعتِبُني يوماً إذا كنت عاتباً ... وإن قلت ، زدني : قال : حقّاً سأفعلُ
تراه إذا ما جئته تطلب الندى ... كأنّك تعطيه الذي جئتَ تسألُ
فللّه أبناءُ المهلَّب فتيةً ... إذا لَقَحَتْ حرب عَوانٌ تأكّلُ
هُمُ يصطلون الحرب والموتُ كانعٌ ... بسُمْر القنا والمشرفيةُ من عَلُ[1]
ترى الموت تحت الخافقات أَمامَهُمْ ... إذا وردوا عَلُّوا الرماح وأَنهلوا
يجودون حتى يحسِب الناس أنّهم ... لجودهم نَذْر عليهم يُحَلَّلُ
غيوث لمن يرجو نداهم وجودهم ... سِمامٌ لأَقوام ذُعافٌ يُثَمَّلُ[2]
وفى لِيَ أَبناءُ المهلّب إنّهم ... إذا سئلوا المعروف لَم يَتَسَعَّلوا[3]
فذلك مِيراث المهلَّب إنّه ... كريم نَماه للمكارمِ أَوَّلُ
جرى وجرت آباؤه فتحرَّزوا ... عن الذّم في عَيطاء لا تُتَوَقّلُ[4]

فلمّا أَنشده ابن بِيض هذه الأبيات ، أَمر له بعشرة آلاف درهم ، وعشرة أثواب ، وقال : نزيدك ما زدتنا ، ونضعف لك . فقال :

أَمَخْلَد لم تترك لنفسي بُغْيَةً ... وزدت على ما كنت أَرجو وآملُ
فكنتَ كما قد قال مَعْنٌ فإنّه ... بصيرٌ بما قد قال إذ يتمثَّلُ
وَجَدْتُ كثير المالِ إذ ضَنَّ مُعْدِماً ... يُذَمُّ ويَلْحاه الصديقُ المؤَمِّلُ

1 كانع : متجمع للوثوب ، مترقب .

2 ذعاف : قاتل من ساعته . ويثمل : سم نقع أياماً حتى اختمر .

3 وَفى لي أبناءُ في ل : كفاك من ابناء .

4 عيطاء : هضبة مرتفعة . تتوقّل : يصعد فيها .

وإن أحقّ النّاس بالجودِ مَن رأى أبــاه جَــواداً للمكــارم يُجْزِلُ
تَرُبٌّ الذي قــد كان قَدَّم والد أَغَــرُّ إذا مــا جئتــه يَتَهَلّلُ
وَجَدْتَ يزيــداً والمهلَّــبَ برَّزا فقلــت : فإنّي مثـلَ ذلك أفعلُ
ففــزت كما فازا وجاوزتَ غاية يُقَصِّر عنهــا السابــق المتمهِّلُ
فأنــت غِياث لليتامى وعِصمة إليك جمال الطالِبي الخيرِ تُرحلُ
أصاب الذي رجَّى نداك مُخِيلةً تصُبّ عزاليهــا عليــه وتَهطِلُ[1]
ولم تُلْفَ إذ رَجَّوا نوالَكَ باخلاً تضَن على المعروف والمالُ يُعْقَلُ
وموت الفتى خير لــه من حياته إذا كان ذا مــال يَضَنُّ ويبخلُ

فقال له مخلد : احتكم . فأبى ، فأعطاه عشرة آلاف[2] دينار وجارية وغلاماً وبِرْذَوناً .

[شرط مصالحة حماد بن الزبرقان]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيُّ قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز ، عن المدائنيّ ، قال : كان حمزة بن بِيض شاعراً ظريفاً ، فشاتم حمّادَ بن الزبرقان ، وكان من ظُرفاء أهل الكوفة ، وكلاهما صاحب شراب ، وكان حماد يُتَّهم بالزندقة ، فمشى الرجال بينهما حتى اصطلحا ، فدخلا يوماً على بعض وُلاة الكوفة ، فقال لابن بِيض : أراك قد صالحت حماداً ، فقال ابن بِيض : نعم ، أصلحك الله ، على ألا آمرَه بالصلاة ، ولا ينهاني عنها .

[تشوّقه إلى أهله]

أخبرني محمد بن زكريّا الصَّحَّاف قال : حدَّثنا قَعْنَب بن المحرز الباهليّ قال : حدَّثني الهيثم بن عديّ قال : قدِم حمزة بن بِيض البصرة زائراً لبلال بن أبي بُردة بن أبي موسى ، وبينهما مودّة منذ الصِّبا ، فطال مقامه عنده ، فاشتاق إلى أهله وولده ، فكتب إلى بلال : [من البسيط]

كَلَّــتْ رحالي وأعواني وأحراسي إلى الأمير وإدلاجــي وإمْلاسي[3]
إلى امــرىء مُشْبَع مجداً ومكرُمة عاديــة فهو حــالٍ منهما كاسي[4]
فلستُ منــك ولا مِمّا مَنَنْتَ به من فضل ودّك كالمرميّ في الراسي

1 العزالي : جمع عزلاء ، وهي مصبّ القربة .
2 ل : ألفي .
3 الإملاس : السوق الشديد .
4 عادية : قديمة متأصلة .

إنّي وإيّاك والإخوانَ كلَّهم في العسر واليسر لو قِيسوا بمقياسِ
وذاك ممّا ينوبُ الدهرُ من حَدَثٍ كالوردِ في المَثَل المضروبِ والآسِ
يبيد هذا فيبلَى بعد جدّته غَضّاً وآخره رهن بإيناسِ[1]
وأنت لي دائم باقٍ بشاشته يهتزّ في عود لا عَشٍّ ولا عاسي[2]

فعجل له بلال صلته ، وسرّحه إلى الكوفة .

[رؤيا أخرى]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال : حدَّثنا إسحاق بن محمد النَّخَعيّ قال : حدَّثنا أبو المُعارِك الضَّبي قال : حدَّثني أبو مِسكين قال : دخل حمزة بن بِيض على سليمان بن عبد الملك ، فلمّا مثل بين يديه أنشأ يقول : [من الوافر]

رأيتك في المنام سننت خزا علىّ بَنَفْسَجاً وقضيت دَيني
فصدّقْ يا فدتْك النفس رؤيا رأتها في المنام لديك عَيْني

فقال سليمان : يا غلام أدخله خزانة الكِسوة ، واسننْ عليه كلّ ثوب خَزٍّ بَنَفْسَجِيّ فيها : فخرج كأنّه مِشْجَب . ثم قال له : كم دَينك ؟ قال : عشرة آلاف درهم . فأمر له بها .

صوت[3]

[من الكامل]

من سره ضرب يُرعبلُ بعضه بعضاً كمعمعة الأباء المُحرَقِ[4]
فليأتِ مأسدة تُسَنُّ سيوفُها بين المَذاد وبين جِزْع الخَنْدَقِ

ويروى : يُمَعْمع بعضه بعضاً . والمعمعة : اختلاف الأصوات وشدّة زَجَلها . والمأسدة : الموضع الذي تجتمع فيه الأُسْد . وتُسَنّ : تحدّ . يقال : سيف مسنون . والمَذاد : موضع بالمدينة . والخندق : يعني به الخندق الذي احتفره رسول الله ﷺ وأصحابه حول المدينة . والشعر لكعب بن مالك الأنصاريّ . والغناء لابن محرز : خفيف رَمَل ، بإطلاق الوَتَر في مَجرى الوُسطى ، عن إسحاق وعمرو .

1 وآخره في ل : غابرة .
2 في عود لا في ل : لا عوده . والعش : الشجر اللئيم المنبت ومن النخل : القليل السعف .
3 ديوان كعب بن مالك 244 : وفيه يمعمع بدلاً من يرعبل .
4 يرعبل : يقع بعضه على بعض . والأباء : القصب ، واحدته أباءة .

[320] ـ أخبار كعب بن مالك الأنصاريّ ونسبه[1]

[نسبه]

هو كعب بن مالك بن أُبي كعب . واسم أُبي كعب : عمرو بن القَيْن بن كعب بن سوار . وقيل : القَيْن بن سوار (هكذا قال ابن الكلبيّ) بن غَنْمْ بن كعب بن سَلمة بن سعد بن عليّ بن أسد بن شاردة بن يزيدَ بن جُشَمَ بن الخَزْرج بن حارثة بن ثَعْلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزْد بن الغوث .

وكان كعب بن مالك من شعراء أصحاب رسول الله ﷺ المعدودين ، وهو بَدْريّ عَقَبيّ . وأبوه مالك بن أبي كعب بن القَين شاعر ، وله في حروب الأوس والخزرج ، التي كانت بينهم قبل الإسلام آثار وذكر . وعمّه قيس بن أبي كعب شهد بدراً ، وهو شاعر أيضاً ، وهو الذي حالف جُهينة على الأوس . وخبره في ذلك يذكر في موضعه ، بعد أخبار كعب وأبيه .

ولكعب بن مالك أصل عريق[2] ، وفرع طويل في الشعر : ابنه عبد الرحمن شاعر ، وابن ابنه بشِير بن عبد الرحمن شاعر ، والزِّبير بن خارجة بن عبد الله بن كعب شاعر ، ومعن بن عمرو بن عبد الله بن كعب شاعر ، وعبد الرحمن بن عبد الله بن كعب أُبو الخطّاب شاعر ، ومعن بن وهْب بن كعب شاعر ، وكلّهم مجيد مُقَدَّم . وعُمِّر كعب بن مالك ، ورَوى عن النبيّ ﷺ حديثاً كثيراً ، وكلّ بني كعب بن مالك قد رَوى عنه الحديث .

فممّا رواه ابن ابنه بَشير عن أُبيه عنه : حدَّثني أُحمد بن الجَعْد قال : حدَّثنا أُبو بكر بن أُبي شيبة قال : حدَّثنا أحمد بن عبد الملك قال : حدَّثنا عَتّاب بن سلمة عن إسحاق بن راشد عن الزهريّ قال : كان بشير بن عبد الرحمن بن كعب يحدث عن أبيه أن كعب بن مالك كان يحدّث أنّ رسول الله ﷺ قال : «والذي نفسي بيده ، لكأنّما تنضحونهم بالنَّبل بما تقولون لهم من الشعر» .

وممّا رواه عنه ابنه عبد الله : أُخبرني أُحمد بن الجعد قال : حدَّثنا أُبو بكر بن أُبي شيبة قال : حدَّثنا بكر بن عبد الرحمن قال : حدَّثنا عيسى بن المختار ، عن ابن أُبي ليلى ، عن إسماعيل بن أُميّة ، عن محمد بن مسلم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، عن أُبيه قال : كان رسول الله ﷺ

---

1 لكعب بن مالك الأنصاري ترجمة في الإصابة وطبقات ابن سلام 1 : 220–223 ومعجم المرزباني : 229–230 وخزانة البغدادي 1 : 417–418 وشرح الشواهد : 123 ونكت الهميان : 231 وانظر سيرة ابن هشام وأعلام الزركلي . وقد جمع شعره سامي العاني (بغداد) .

2 ل : أصيل .

يصلّي المغرب ، ثم يرجع الناس إلى أهاليهم وهم يُبْصرون مواقع النَّبل حين يرمون .

وممّا رواه ابنه محمد : أخبرني أحمد بن الجعد قال : حدَّثنا أبو بكر بن أبي شيبةَ قال : حدَّثنا محمد بن سابق قال : حدَّثنا إبراهيم بن طِهمان ، عن أبي الزبير ، عن محمد بن كعب ، عن أبيه ، أنّه حدَّثه أنّ النبيّ ﷺ بعثه وأوسَ بن الحَدَثان أيّام التشريق ، فنادى :

«إنّه لا يدخل الجنة إلاّ مؤمن ، وأيّام مِنًى أيّام أكل وشرب وبِعال» .

[كان عثماني الهوى]

وكان كعب بن مالك عثمانياً ، وهو أحد مَن قَعَد عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فلم يشهد معه حروبه ، وخاطبه في أمر عثمان وقَتَلَته خطاباً نذكره بعد هذا في أخباره ، ثم اعتزله . وله مَراثٍ في عثمان بن عفّان رحمه الله ، وتحريض للأنصار على نُصْرته قبل قتله ، وتأنيب لهم على خذلانه بعد ذلك ، منها قوله[1] : [من الطويل]

فلو حُلْتُمُ من دونه لم يَزَلْ لكم ... يَدَ الدّهر عِزٌ لا يبوخُ ولا يَسْرِي

ولم تَقْعدوا والدّار كابٍ دُخانُها ... يُحَـرَّق فيهـا بالسعير وبالجمرِ

فلَم أرَ يوماً كان أكثر ضَيْعـةً ... وأقـربَ منه للغَوايـة والنُّكْرِ

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال : حدَّثنا أبو غسان دَماذ ، عن أبي عبيدة قال : كان كعب بن مالك الأنصاريّ أحد مَن عاون عثمانَ على المصريين ، وشهر سلاحه ، فلمّا ناشد عثمان الناس أن يُغْمدوا سيوفهم انصرف ، ولم يَرَ أنّ الأمر يخلُص إليه ، ولا يَجْري القوم إلى قتله ؛ فلمّا قُتِل وقف كعب بن مالك على مجلس الأنصار ، في مسجد رسول الله ﷺ ، فأنشدهم[2] : [من الكامل]

مَـنْ مُبلِـغُ الأنصارِ عنّـيَ آيـةً ... رُسُلاً تَقُـصُّ عليهـمُ التِّبيانا

أن قـد فَعَلْتم فَعْلـةً مذكورة ... كسَتِ الفُضُوح وأبدَتِ الشَّنْآنا[3]

بقعـودكم في دوركم وأميركم ... تُحْشى ضواحي داره النيرانا

بينا يرجِّي دفعَكم عـن دارِه ... مُلئت حَريقاً كابِيـاً ودُخانا

حتـى إذا خلَصوا إلى أبوابـه ... دخلـوا عليه صائماً عطشانا

يُعلُون قُـلَّتـه السيوفَ وأنتـمُ ... متلبِّثـون مكانكـم رِضوانا

1 ديوان كعب : 213 .

2 ديوان كعب : 285-286 .

3 الشنآنا : البغضاء ، وفي ل : الذلاّنا ، أي الأذلاء .

اللهُ يَعلم أنّني لم أرضَه ... لكُمُ صنيعاً يوم ذاك وشانا
يا لَهْفَ نفسي إذ يقول : ألا أرى ... نَفَراً من الأنصارِ لي أعوانا
واللهِ لو شهد ابن قيس ثابتٌ ... ومعاشرٌ كانوا له إخوانا

يعني ثابتَ بن قيس بن شَمّاس .

وأبو دُجانة وابنُ أرقمَ ثابتٌ ... وأخو المَشاهد من بني عَجْلانا

أبو دجانة : سِماك بن خَرَشة . وابن أرقم : ثابت البلَويّ . وأخو المَشاهد من بني عَجْلان : مَعْن بن عَدِيّ ، عَقَبِيّ .

ورِفاعة العُمَريُّ وابن مُعاذِهم ... وأخو مُعاوِيَ لم يخف خذلانا

رفاعة : ابن عبد المنذر العُمَريّ . وابن معاذ : سعد بن معاذ . وأخو معاوية : المنذر بن عمرو الساعديّ ، عَقَبيّ بَدريّ .

قومٌ يَرَوْن الحقّ نصرَ أميرِهم ... ويَرون طاعةَ أمره إيمانا
إن يُتركوا فَوْضى يَرَوْا في دينهم ... أمْراً يُضَيِّق عنهمُ البُلْدانا
فَلَيعْلِينَّ الله كعبَ وَليهِ ... ولَيَجْعَلنَّ عَدُوَّه الذُّلّانا
إنّي رأيت محمداً اختاره ... صِهراً وكان يَعُدُّه خُلْصانا
مَحْضَ الضرائبِ ماجداً أعراقُهُ ... من خيرِ خِندِفَ مَنصِباً ومَكانا
عَرَفَتْ له عُلْيا مَعَدٍّ كلُّها ... بعدَ النبيّ الملكَ والسلطانا
من مَعْشَرٍ لا يغدِرون بجارهم ... كانوا بمكّة يَرْتَعون زمانا
يُعْطون سائلهم ويأمنُ جارهم ... فيهم ويُرْدون الكُماة طِعانا
فلَوَ انّكم مع نصركم لنبيكم ... يوم اللقاء نصرتُمُ عثمانا !
أَنَسِيتُمُ عهد النبيّ إليكمُ ... ولقد ألَظَّ ووَكَّد الأيمانا[1]

قال : فجعل القوم يبكون ، ويستغفرون الله عزّ وجلّ .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، وحبيبُ بن نصر المهلّبيّ قالا : حدَّثنا عمر بن شبَّة قال : حدَّثنا أبو عامر ، عن ابن جُرَيج ، عن هشام بن عُروة ، عن أبيه قال : رجز راجز من قريش[2] برسول صلّى الله عليه وآله ، فقال : [من الرجز]

1 ألظ : ألح .
2 هو سلمة بن الأكوع (اللسان : عجف) .

لم يَغْذُهـا مُـدٌّ ولا نصِيفُ ولا تُمَيـراتٌ ولا تَعْجِيـفُ[1]
لكن غذاهـا اللبـنُ الخِرِّيفُ والمَخْضُ والقـارصُ والصَّرِيفُ

قال : فاحْتفظتِ الأنصارُ حيثُ ذكر المُد والتمر ، فقالوا لكعب بن مالك : انزل ، فنزل ، فقال[2] : [من الرجز]

لم يَغْذُهـا مُـدٌّ ولا نَصِيفُ لكن غذاهـا الحنظلُ النَّقِيفُ[3]
ومَذْقَـة كطُـرَّة الخنيـفِ تبيتُ بـين الزَّرْبِ والكَنيفِ[4]

فقال رسول الله ﷺ : اركبا .

[هجاءوا قريش من الأنصار]

أخبرني الجوهـريُّ والمُهلَّبـيّ قـالا : حدَّثنا عُمَر بن شَبَّة قال : حدَّثنا هَوذة بن خليفة قـال : حدَّثنـا عـوف بن محمـد ، عن محمد بن سِيرين ، في حديث طويل قـال : كان يهجوهم ، يعني قريشاً ، ثلاثة نفر من الأنصار يجيبونهم : حسّان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رَواحة . وكان حَسّان وكعب يعارِضانهم بمثل قولهم ، بالوقائع والأيّام والمآثر ، ويعيرانهم بالمثالبِ ، وكان عبد الله بن رواحة يُعيِّرُهمْ بالكفر ، وينسُبهم إليه ، ويعلم أنّ ليس فيهم شيء شرّ من الكفر . فكانوا في ذلك الزّمان أشدُّ شيء عليهم قولُ حسّان وكعب ، وأهون شيء عليهم قول ابن رَواحة ، فلمّا أسلموا وفقِهوا الإسلام ، كان أشدّ القول عليهم قول ابن رَواحة .

أخبرني الجوهريّ والمهلّبيّ قالا : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثنا عبد الله بن بكرٍ السَّهميّ قـال : حدّثنـي حاتـم بن أبي صَغيرة قال : حدّثنا سِماك بن حرب قال : أُتِي رسول الله ﷺ فقِيل : إنّ أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب يهجوك ، فقام ابن رَواحة ، فقال : يا رسول الله ائذن لي فيه . فقال له : أنت الذي تقول : فثَبَّت الله ؟ قال : نعم يا رسول الله ، أنا الذي أقول : [من البسيط]

فثبت الله مـا أعطاك مِـن حَسَنٍ تثبيت مُوسى ، ونَصْراً كالذي نَصَرا

فقال : وأنت فعل الله بك مثل ذلك . قال : فوثب كعب بن مالك فقال : يا رسول الله ، ائذن لي فيه . فقال : أنت الذي تقول : هَمَّت ؟ قال : نعم يا رسول الله ، أنا الذي

---

1 التعجيف : حبس الدواب عن الطعام لتهزل .
2 ديوان كعب : 233 .
3 النقيف : المنقوف ، أي المشقوق .
4 الطرة : الحاشية . والخنيف : نوع من أردأ الكتان .

أقول[1] : [من الكامل]

همّت سَخِينـةُ أنْ تغالبَ ربَّها ولَيُغْلَبَنَّ مُغالِــبُ الغَـلاَّبِ[2]

فقال : أما إن الله لم ينسَ لك ذلك .

[شعره]

أخبرني الجوهريّ والمهلّبيّ قالا : حدَّثنا عُمَر بن شبَّة قال : حدَّثنا عبد الله بن يحيى مولى ثقيف قال : حدَّثنا عبد الواحد بن زياد قال : حدَّثنا مجالد ، عن الشعبيّ قال : لمّا انهزم المشرِكون يوم الأحزاب ، قال رسول الله ﷺ : إنّ المشركين لن يغزُوكم بعد اليوم ، ولكنّكم تغزونهم ، وتسمعون منهم أذًى ويهجونكم ، فمَن يحمي أعراض المسلمين ؟ فقام عبد الله بن رَواحة ، فقال : أنا . فقال : إنّك لحسن الشعر . ثم قام كعب فقال : أنا . فقال : وإنّك لحسن الشعر .

أخبرني الجوهريّ والمهلّبيّ قالا : حدَّثنا عُمَر بن شبّة قال : حدَّثني محمّد بن منصور قال : حدَّثني سعيد بن عامر قال : حدَّثني جُويريّة بن أسماء قال : بلغني أنّ رسول الله ﷺ قال : أمرتُ عبد الله بن رَواحة ، فقال وأحسن ، وأمرت حَسَّاناً فشفى واشتفى .

أخبرني الجوهريّ والمهلّبيّ قالا : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني أحمد بن عيسى قال : حدَّثني عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث : أنّ يحيى بن سعيد حدَّثه عن عبد الله بن أُنيس عن أمّه ، وهي بنت كعب بن مالك : أنّ النبيّ ﷺ خرج على كعب وهو في مسجد رسول الله ﷺ يُنْشد ، فلمّا رآه كأنّه انقبض ، فقال : ما كنتم فيه ؟ فقال كعب : كنت أنشد . فقال رسول الله ﷺ : فأنشد ، فأنشد حتى أتى على قوله :

مُقاتَلُنا عن جِذْمِنا كُلَّ فَخْمةٍ[3]

فقال رسول الله ﷺ لا تقل عن جِذمنا ، ولكن قُل : مُقاتَلُنا عن ديننا .

قال أبو زيد : وحدَّثني سعيد بن عامر قال : حدَّثنا أبو عون عن ابن سيرين قال : وقف رسول الله ﷺ بباب كعب بن مالك ، فخرج فقال له رسول الله ﷺ : إيه ، فأنشده ، ثم قال : إيهِ فأنشده ، ثم قال : إيهِ فأنشده (ثلاث مرّات) . فقال رسول الله ﷺ : لَهذا أشدَّ عليهم من مواقع النَّبْل .

---

1 ديوان كعب : 182 .

2 سخينة : قريش ، لقبت بذلك لكثرة أكلها السخينة ، وهي طعام يتخذ من الدقيق والسمن ، دون العصيدة في الرقة وفوق الحساء .

3 الجذم : الأصل . والفخمة : الكتيبة العظيمة .

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال : حدَّثنا أبو جعفر محمد بن منصور الرَّبَعِيّ ، وذكر له إسناداً شامياً ، هكذا قال ، قال ابن عمّار في الخبر ، وذكر حديثاً فيه طول ، لحسّان بن ثابت ، والنُّعمان بن بشير ، وكعب بن مالك ، فذكرت ما كان لكعب فيه ، قال : لمّا بُويع لعليّ بن أبي طالب عليه السلام ، بلغه عن حسّان بن ثابت وكعب بن مالك والنُّعمان بن بشير . وكانوا عثمانية ، أنّهم يقدّمون بني أُميّة على بني هاشم ، ويقولون : الشام خير من المدينة . واتّصل بهم أنّ ذلك قد بلغه ، فدخلوا عليه ، فقال له كعب بن مالك : يا أمير المؤمنين ، أخبِرْنا عن عثمان : أقُتِل ظالِماً ، فنقولَ بقولك ؟ أم قُتِل مظلوماً ، فنقولَ بقولنا ، ونكِلَك إلى الشبهة فيه ، فالعجب من تيقّننا وشكّك ، وقد زعمت العرب أن عندك عِلْم ما اختلفنا فيه ، فهاتِه نعرفه ، ثم قال[1] : [من الطويل]

كَـفَّ يديـهِ ثـم أغلَقَ بابـه ... وأيقـن أنّ الله ليس بغـافلِ

وقال لِمَـن في دارِهِ : لا تقاتلوا ... عفا الله عـن كلّ امرىء لم يقاتِلِ

فكيف رأيتَ الله صبَّ عليهمُ الـ ... ـعداوة والبغضاء بعـد التواصُلِ

وكيف رأيت الخير أدبـر عنهمُ ... وولّـى كإدبـار النّعام الجوافلِ

فقال لهم عليّ عليه السلام : لكم عندي ثلاثة أشياء : استأثر عثمان فأساء الأَثرة ، وجزِعتم فأسأتم الجزع ، وعند الله ما تختلفون فيه إلى يوم القيامة . فقالوا : لا ترضى بهذا العرب ، ولا تعذِرُنا به . فقال عليّ عليه السلام : أتردون عليّ بين ظَهْرانَي المسلمين ، بلا بيِّنة صادقة ، ولا حجّة واضحة ؟ اخرجوا عنّي ، ولا تجاوروني في بلد أنا فيه أبداً . فخرجوا من يومهم ، فساروا حتى أتوا معاوية : فقال لهم : لكم الولاية والكفاية . فأعطى حسّان بن ثابت ألف دينار ، وكعب بن مالك ألف دينار ، وولّى النُّعمان بن بشيرٍ حِمص ، ثم نقله إلى الكوفة بعد .

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث ، قال : حدَّثنا المدائنيّ عن عبد الأعلى القرشيّ قال : قال معاوية يوماً لجلسائه : أخبروني بأشجع بيت وَصَف به رجل قومه . فقال له رَوْح بن زِنباع : قول كعب بن مالك[2] : [من الكامل]

نَصِلُ السيوفَ إذا قَصُرْنَ بخطونا ... قُدُمـاً ونُلْحِقهـا إذا لم تَلْحَقِ[3]

فقال له معاوية : صدقت .

1 ديوان كعب : 264 .

2 ديوان كعب : 245 .

3 قدماً في ل : يوماً .

321 ـ [مالك بن أبي كعب الأنصاري]

وأمّا أبوه مالك بن أبي كعب ، أبو كعب بن مالك ، فإنّي أذكر قبل أخباره شيئاً ممّا يغنّى فيه من شعره ، فمن ذلك قوله : [من الطويل]

صوت

لَعمـرُ أبيـها لا تقـول حليلتي : ألا فَـرَّ عنّي مالك بن أبي كعبِ

وهم يضربون الكبش يَبْرُق بيضه ترى حوله الأبطال في حَلَقٍ شُهْبِ

الشعر لمالك بن أبي كعب . والغناء لمالك ، ثقيل أوّل بالبنصر ، عن يونس والهِشاميّ . وفيه لإبراهيم خفيف ثقيلٍ بالوسطى ، جميعاً عن الهِشاميّ . وزعم ابن المكّي أنّ خفيف الثقيل هو لحن مالك .

[سبب الخصومة بين مالك وبرذع بن عديّ]

وهذا الشعر يقوله مالك بن أبي كعب في حرب كانت بينه وبين رجل من بني ظَفَر ، يقال له بَرْذَع بن عديّ .

وكان السبب فيما ذكره جعفر العاصميّ عن عيينة بن المِنهال ، ونسخْته من كتاب أعطانيه عليّ بن سليمان الأخفش : أنّ رجلاً من طيىء قدِم يثرب بإبل له يبيعها ، فنزل في جـوار بَرذع بن عـديّ أخي بني ظَفَر ، فباع إبله ، واقتضى أثمانها . وكان مالك بن أبي كعب بن القَين أخو بني سَلِمة ، اشترى منه جملاً ، فجعله ناضحاً ، فمطله مالك بن أبي كعب بثمن جمله ، وحضر شخوص الطائيّ ، فشكا ذلك إلى برذع ، فمشى معه إلى منزل مالك ، ليكلّمه أن يوفيه ثمن جمله ، أو يردّه عليه ، فلم يجدا مالكاً في منزله ، ووجدا الجمل باركاً بالفناء ، فبعثه برذع ، وقال للطائيّ : انطلق بجملك ، ثم خرجا مسرعين حتى دخلا في دار النَّبيت ، فأمنا ، فارتحل الطائيّ بالجمل إلى بلاده ، وبلغ مالكاً ما صنع برذع ، فكره أن يَنْشَب بين قومه وبين النّبيت حرب ، فكفّ وقد أغضبه ذلك ، وجعل يُسَفِّه برذعاً في جراءته عليه وما صنع ، فقال برذع بن عديّ في ذلك : [من الطويل]

أَمِن شَحْط دار من لُبابة تجزعُ وصرف النّوى ممّا يُشِتُّ ويَجمعُ

وليس بهـا إلاّ ثـلاثٌ كأنّها مُسَفَّعـة أو قـد علاهـنَّ أيدَعُ[1]
قد اقتربت لو كان في قرب دارها جَـداء ولكن قـد تضَن وتمنعُ
وكان لهـا بالمنحنـى وجُنوبِـه مَصِيف ومشتًى قبل ذاك ومَرْبعُ
أتـاني وعيـد الخزرجيّ كأنّني ذليل له عنـد اليهوديّ مَضْرَعُ[2]
متـى تَلْقني لا تَلـقَ نُهْزَةَ واجد وتعلـمُ أنّي في الهَزاهـز أروعُ[3]
معي سَمْحة صفراء من فَرْع نَبعةٍ ولَيْـنٌ إذا مسَّ الضريبـةَ يقطعُ
ومطَّرِدٌ لَـدْنٌ إذا هُـزَّ متنـهُ متين كخرْص الذابلاتِ وأهزعُ[4]
فـلا وإلهي لا يقـول مجاوري : ألا إنّني قـد خانني اليـوم برذعُ
وأحفظ جاري أن أخاتلَ عِرسه ومـولاي بالنَّكْـراء لا أتطلّعُ
وأجعل مـالي دون عِرضيَ إنّـه على الوُجْدِ والإعدامِ عِرض ممَّنعُ
وأصبِر نفسي في الكريهـة إنّـه لِذي كلّ نفس مستقرّ ومصرعُ[5]
وإنّي بحمـد الله لا ثـوبَ فاجر لبست ولا مـن خَزْيـةٍ أتقنّعُ

فأجابه مالك بن أبي كعب ، فقال : [من البسيط]

صوت

هـل للفؤادِ لـدى شَنْباءَ تنويلُ أم لا نـوالٌ فإعـراضٌ وتحميلُ[6]
إنّ النساءَ كأشجارٍ نبتـن معـاً منهنّ مُـرّ وبعض المُـرّ مـأكولُ
إنّ النساءَ ولو صُوّرن مـن ذهب فيهنّ مـن هفوات الجهل تخبيلُ

الغناء لسُليم ، هَزَج بالوسطى عن الهشاميّ وبذل .

إنّـك إن تنهَ إحداهـنّ عن خلق فإنّـه واجـب لا بـدّ مفعولُ
ونعجةٍ مـن نِعاج الرمـلِ خاذلةٍ كأن مَأْقِيَهـا بـالحسنِ مكحولُ[7]

1 مسفعة : علاها سواد وحمرة . والأيدع : الزعفران .
2 مضرع في ل : ومصرع .
3 الهزاهز : الشدائد . والواجد : الغاضب الحاقد .
4 الخرص : الرمح القصير السنان . والذابلات : الرماح الدقيقة . والأهزع : الرمح المضطرب المهتز .
5 نفس في ل : جنب .
6 أم لا نوال في ل : أم لا فيأس .
7 نعجة هنا : امرأة .

ودَّعتها في مُقامي ثم قلت لها : حياك ربُّك إنّي عنكِ مشغولُ
وليلـةٍ من جُمادى قد شربت بها والزِّقّ بيني وبين الشَّرج مَعدولُ[1]
ومُرْجَحنٌ على عمْـدٍ دَلَفْت بـه كأنّه رجـل في الصفّ مقتولُ[2]
ولا أهاب إذا ما الحرب حَرَّشها الْـ ـأبطال واضطربت فيها البهاليلُ
أمضي أمامَهُـمُ والموت مكتنِعٌ قُدْماً إذا مـا كبـا فيها التَّنابيلُ[3]
علـيَّ فَضْفاضة كالنِّهي سابغـة وصارم مثل لـون المِلح مصقولُ[4]
ولدنـةٌ في يدي صفراء ثعْلَبُهـا بعامـل كشهاب النّـار موصولُ[5]
إنِّي مـن الخزرج الغُرِّ الذين هُمُ أهـلُ المكارم لا يُلفى لهـم جِيلُ
في الحربِ أنْهكَ منهم للعدوّ إذا شُبت وأعظمَ نَيْلاً إن همُ سِيلوا
أشبهتُ مـن والدي عِزّاً ومَكرُمةً وبَرذَعٌ مُدغَم في الأوسِ مجهولُ
نُبِّئتـه يدَّعـي عـزّاً ويُوعِـدني نُوكاً وعندي لـه بالسيف تنكيلُ

قال : ثم إنّ مالك بن كعب خرج يوماً لبعض حاجته ، فبينا هو يمشي وحده ، إذ لقيه برذع ومعه رجلان من بني ظَفَر ؛ فلمّا رأوا مالكاً أقبلوا نحوه ، فبدَرَهم مالك إلى مكان من الحَرَّة كثير الحجارة مُشرف ، فقام عليه ، وأخذ في يده أحجاراً ، وأقبلوا حتى دنوا منه ، فشاتموه وراموه بالحجارة ، وجعل مالك يلتفت إلى الطريق الذي جاء منه ، كأنّه يستبطىء ناساً ، فلمّا رآه برذع وصاحباه يكثر الالتفات ، ظنّوا أنّه ينتظر ناساً كانوا معه ، وخشُوا أن يأتوهم على تلك الحال ، فانصرفوا عنه ، فقال مالك بن أبي كعب في ذلك : [من الطويل]

لعمـرُ أبيهـا لا تقـول حليلتي : ألا فـرَّ عنِّي مالك بن أُبي كَعْبِ
أُقاتِـل حتّـى لا أرى لِي مُقاتِلاً وأنجو إذا غُمّ الجبان من الكَرْبِ
أبى لِـيَ أن أُعْطى الصَّغار ظلامةً جدودي وآبائي الكرامُ أُولو السَّلْبِ

1 الشرج : مسيل الماء إلى السهل .
2 المرجحن : المهتز .
3 مكتنع : حاضر قريب . والتنابيل : جمع تنبال ، وهو اللئيم الجبان .
4 النهي : الغدير ، شبه به الدرع في تموّجها .
5 الثعلب : طرف الرمح الداخل في السنان .

هـمُ يضربون الكبشَ يَبرُق بيضُه ترى حوله الأبطال في حَلَق شُهْبِ
وهـم أورثوني مجدَهم وفَعالَهم فأقسم لا يُزْرِي بهـم أبداً عَقْبِي

ويروى : لا يُخْزِيهِمُ .

وأرعى لجاري ما حييتُ ذِمامَه وأعرِف ما حقُّ الرفيقِ على الصحْبِ
ولا أُسمِع النَّدْمـان شيئـاً يَرِيبه إذا الكأس دارت بالمدام على الشَّرْبِ
إذا ما اعترى بعضُ الندامى لحاجةٍ فقولي له : أهلاً وسهلاً وفي الرحبِ
إذا أنفدُوا الزِّقّ الرويّ وصُرِّعوا نَشاوى فلـم أُقنع بقولهمُ : حَسْبي
بعثـت إلى حانوتها فاستْبأتُهـا بغير مِكاس في السَّوامِ ولا غصْبِ
وقلـت : اشربوا رِيّـاً هنيئاً فإنّها كماء القَليـب في اليسارة والقُربِ
يطاف عليهم بالسَّدِيف وعندهم قيـانٌ يلَهِّـينَ المَزاهـرَ بالضربِ
فإن يصبِروا لي الدهرَ أُصْبِرهم بها ويَرحُبْ لهم باعي ويغزرْ لهم شِرْبي
وكان أبي في المَحْل يطعم ضيفه ويُروِي نداماه ويصبِرُ في الحربِ
ويمنع مـولاه ويـدرك تَبْلَـه ولو كان ذاك التبلُ في مركبٍ صعبِ[1]
إذا مـا منعت المـال منكم لثروةٍ فلا يَهْنني مالي ولا ينمُ لي كسبي

وقد رُوِي أنّ الشعر المنسوب إلى مالك بن أبي كعب ، لرجل من مراد ، يقال له مالك بن أبي كعب ، وذُكر له خبر في ذلك .

[أسطورة المرادي]

أخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان . قال : حدَّثنا أحمد بن الهيثم بن فِراس قال : حدَّثنا العُمَريّ ، عن الهيثم بن عديّ ، عن عبد الله بن عبّاس ، عن مجالد عن الشعبيّ ، قال : كان رجل من مُراد يُكْنى أبا كعب ، وكان له ابن يُدعى مالِكاً ، وبنت يقال لها طُرَيْفة ، فزوّج ابنه مالكاً امرأة من أرحب ، فلم تزل معه حتى مات أبو كعب ، فقالت الأرحبيّة لمالك : إنّي قد اشتقت إلى أهلي ووطني ، ونحن هاهنا في جدب وضيق عيش ، فلو ارتحلت بأهلك وبي ، فنزلت على أهلي ، لكان عيشنا أرغد ، وشَمْلنا أجمع ؛ فأطاعها ، وارتحل بها وبأمِّه وبأخته إلى بلاد أرحب . فمرّ بحيّ كان بينهم وبين أبيه ثأر ، فعرفوا فرسه ، فخرجوا إليه ، وأحدقوا به ، وقالوا له : استسْلم وسلِّم الظعينة . فقال : أما وسيفي بيدي وفرسي تحتي فلا ، وقاتلهم حتى

---

1 صعب في ل : مطلب .

صُرِع ، فقال وهو يجود بنفسه : [من الطويل]

لعمر أَبيها لا تقـول حليلتي ... أَلا فرَّ عنّي مالك بن أَبي كعبِ

وذكر باقي الأبيات التي تقدّم ذكرها قبل هذا الخبر .

قال مؤلّف هذا الكتاب : وأحسب هذا الخبر مصنوعاً ، وأَنّ الصحيح هو الأوّل .

* * *

صوت

[من البسيط]

خُيِّرتُ أَمرين ضاع الحزم بينهما ... إمّـا الضَّياعُ وإمّـا فِتنة عَمَمُ

فقد هممت مِـراراً أَن أساجلهم ... كأسَ المنيّـةِ لـولا اللّهُ والرَّحِمُ

الشعر لعيسى بن موسى الهاشميّ ، والغناء لمتيّم الهاشمية ، خفيف رمل ، من روايتَي ابن المعتزّ والهشاميّ .

[322] ـ أخبار عيسى بن موسى ونسبه[1]

[نسبه]

عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العبّاس بن عبد المطَّلب بن هاشم بن عبد مناف . وقد مضى في عدّة مواضع من هذا الكتاب ما تجاوزه نسب هاشم إلى أقصى مدى الأنساب . وأمّه وأمّ سائر إخوته وأخواته أم ولد .

وعيسى ممّن وُلِد ونشأ بالحُمَيمة من أرض الشام ، وكان من فحول أهله وشجعانهم ، وذوي النجدة والرأي والبأس والسُّودَد منهم . وقبل أن أذكر أخباره ، فإنّي أبدأ بالرواية في أنّ الشعر له ، إذ كان الشعر ليس من شأنه ، ولعلّ منكِراً أن ينكر ذلك إذا قرأه .

أخبرني حبيب بن نصرٍ المهلَّبيّ وعمّي قالا : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد . ورأيت هذا الخبر بعد ذلك في بعض كتب ابن أبي سعد ، فقابلت به ما روياه ؛ فوجدته موافِقاً .

[خلعه المنصور وأخذ البيعة للمهدي]

قال ابن أبي سعد : حدَّثني عليّ بن النطّاح قال : حدَّثني أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن عيسى بن موسى قال : لمّا خلع أبو جعفر عيسى بن موسى ، وبايع للمهديّ ، قال عيسى بن موسى : [من البسيط]

خُيِّرْتُ أمرين ضاع الحزم بينهما إمّـا صَغار وإمّـا فتنة عَمَمُ
وقـد هممت مِراراً أن أُساقِيَهم كأس المنيّـة لولا اللهُ والرَّحِمُ
ولـو فعلـت لزالت عنهمُ نِعَمٌ بكفـر أمثالهـا تُسْتَنْزَل النِقَمُ

على هذه الرواية في الشعر ، رَوى من ذَكرت . وعلى ما صَدَّرْتُ من الخلاف في الألفاظ يُغنَّى .

أنشدني طاهر بن عبد الله الهاشمي قال : أنشدني ابن بُرَيهة المنصوريّ هذه الأبيات ، وحكى أنّ ناقداً خادم عيسى كان واقفاً بين يديه ليلة أتاه خبر المنصور وما دبَّره عليه من الخلع . قال : فجعل يتململ على فِراشه ويُهَمْهِم ، ثم جلس فأنشد هذه الأبيات ، فعلمت أنّه كان يهمهم بها ، وسألت الله أن يلهمه العزاء والصبر على ما جرى ، شفقة عليه .

---

1 لعيسى بن موسى ترجمة في أشعار أولاد الخلفاء : 309–323 وتاريخ الطبري وكامل ابن الأثير ومعجم المرزباني : 96–97 .

[رؤيا موسى]

قال ابن أبي سعد في الخبر الذي قدّمت ذكره عنهم : وحدَّثني محمد بن يوسف الهاشميّ قال : حدَّثني عبد الله بن عبد الرحيم قال : حدَّثتني كلثم بنت عيسى قالت : قال موسى بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس : رأيت في المنام كأنّي دخلت بستاناً ، فلم آخذ منه إلاّ عنقوداً واحداً ، عليه من الحبّ المرصَّف ما الله به عليم ، فوُلد لي عيسى بن موسى ، ثم وُلد لعيسى مَن قد رأيت .

[كراهيته للغناء]

قال ابن أبي سعد في خبره هذا : وحدّثني عليّ بن مسلم الهاشميّ قال : حدَّثني عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن مالك ، مولى عيسى بن موسى ، قال : حدَّثني أبي قال : كنّا مع عيسى بن موسى لمّا سكن الحِيرة ، فأرسل إليّ ليلة من الليالي ، فأخرجني من منزلي ، فجئت إليه ، فإذا هو جالس على كرسيّ ، فقال لي : يا عبد الرحمن ، لقد سمعت الليلة في داري شيئاً ما دخل سمعي قطُّ إلاّ ليلةً بالحُمَيْمَة والليلة ، فانظر ما هو . فدخلت أستقري الصوت ، فإذا هو في المطبخ ، وإذا الطبّاخون قد اجتمعوا ، وعندهم رجل من أهل الحيرة يغنّيهم بالعود ، فكسرت العود ، وأخرجت الرجل ، وعُدْت إليه فأخبرته ، فحلف لي أنّه ما سمعه قطّ إلاّ تلك الليلةَ بالحُمَيْمة وليلَته هذه .

أخبرني الحِرْمِيّ بن أبي العلاء والطُّوسيّ ، قالا : حدَّثنا الزبير بن بكّار قال : حدَّثني عبد الله بن محمد بن المنذر ، عن صفيّة بنت الزبير بن هشام بن عُروة ، عن أبيها ، قال : كان عيسى بن موسى إذا حجّ ، يحُجّ ناس كثير من أهل المدينة ، يتعرَّضون لمعروفه فيصلهم ؛ قالت : فمرَّ أبي بأبي الشدائد الفزاريّ ، وهو ينشد بالمصلَّى : [من الرجز]

عصابة إن حـج عيسى حجُّوا
وإن أقـام بالعـراق دَجُّـوا
قـد لَعِقـوا لُعَيقـةً فلَجُّـوا
فالقوم قـوم حَجُّهـم مُعْوَجُّ
مـا هكذا كان يكـون الحجُّ

قال : ثم لقي أبو الشدائد بعد ذلك أبي ، فسلّم عليه ، فلم يردد عليه ، فقال له : مالك يا أبا عبد الله لا تردّ السلام عليّ ؟ فقال : ألم أسمعك تهجو حاجَّ بيت الله الحرام ؟ فقال أبو الشدائد : [من الرجز]

إنِّــي وربِّ الكعبــةِ المبنيَّهْ
واللهِ ما هجوتُ مِن ذِي نيّهْ
ولا امرىء ذي رِعَةٍ نقيّهْ
لكِنّني أُرْعِـي عـلى البريّهْ
من عُصبةٍ أغْلَوا على الرعِيّهْ
بغير أخـلاق لهـم سَرِيّهْ

صوت

[من مجزوء الرجز]

آثـــار رَبْـــع قَدُمـا أعيـا جواباً صَمَما
سُحّت عليــه دِيــمٌ بمائهـا فانهدَمـا
كان لسُعْـدى عَلَمـاً فصـار وَحْشاً رِمَمـا
أيّامَ سُعـدى سَقَـمٌ وهْي تـداوي السَّقَما

الشعر للرَّقاشيّ ، والغناء لابن المكّيّ ، رمل بالوسطى ، عن عَمرو بن بانة .

[323] ـ أخبار الرقاشيّ ونسبه[1]

[نسبه]

هو الفضل بن عبد الصمد مَولى رقاشِ . وهو من ربيعة ، وكان مطبوعاً سهل الشعر ، نقيّ الكلام ، وقد ناقض أبا نواس ، وفيه يقول أبو نواس : [من الوافر]

وجدنا الفضل أكرم مِن رقاشٍ لأنّ الفضل مولاه الرسولُ

أراد أبو نواس بهذا نفيه عن ولائه ، لأنّه كان أكرم ممّن ينتمي إليه ، وذهب أبو نواس إلى قول النبيّ ﷺ : أنا مولى مَن لا مولى له .

وذكر إبراهيم بن تميم ، عن المعلّى بن حُمَيد : أنّ الرقاشيّ كان من العجم ، من أهل الريّ وقد مدح الرقاشيّ الرشيد وأجازه ، إلاّ أنّ انقطاعه كان إلى آل بَرمَك ، فأغنَوه عن سواهم .

أخبرني حبيب بن نصرٍ المهلّبيّ قال : حدَّثنا أحمد بن يزيد المهلبيّ قال : حدَّثني أبي ، قال : كان الفضل الرقاشيّ منقطعاً إلى آل بَرْمَك ، مستغنياً بهم عن سواهم ، وكانوا يصولون به على الشعراء ، ويُرَوُّون أولادهم أشعاره ، ويدونون القليل والكثير منها ، تعصّباً له ، وحفظاً لخدمته ، وتنويهاً باسمه ، وتحريكاً لنشاطه ، فحفِظ ذلك لهم . فلمّا نُكِبوا صار إليهم في حبسهم ، فأقام معهم مدّة أيّامهم ، ينشدهم ويسامِرهم ، حتّى ماتوا ، ثم رثاهم فأكثر ، ونشر محاسنهم وجودهم ومآثرهم فأفرط ، حتى نَشَر منها ما كان مطويّاً ، وأذاع منها ما كان مستوراً ؛ وجرى على شاكلته بعدهم ، وكان كالموقوف المديح على جميعهم ، صغيرهم وكبيرهم . ثم انقطع إلى طاهر وخرج معه إلى خراسان ، فلم يزل بها معه حتى مات .

وكان مع تقدّمه في الشعر ماجناً خليعاً ، متهاوناً بمروءته ودينه ، وقصيدته التي يوصي فيها بالخلاعة والمجون مشهورة ، سائرة في الناس ، مبتذلة في أيدي الخاصة والعامّة ، وهي التي أوّلها : [من الرجز]

أوصى الرقاشيُّ إلى إخوانِهِ وصيّة المحمودِ في نُدْمانِهِ

وقد رأيت هذه القصيدة بعينها بخطّ الجاحظ في شعر أبي نعامة ، من جملة قصيدة له

---

1 ترجمة الرقاشي في طبقات ابن المعتز 426–227 ومعجم المرزباني : 180–181 وتاريخ بغداد 12 : 345 والزركشي : 245 وفوات الوفيات 4 : 183–184 .

طويلة ، يهجو فيها جماعة ، ويأتي في وسطها بقصيدة الرقاشيّ .

وقال عبد الله بن المعتزّ : حدّثني ابن أبي الخنساء ، عن أبيه ، قال : لما قال أبو دُلَف : [من مجزوء الرمل]

صوت

ناوليني الرمح قد طا ... ل عن الحرب جَمامِي

مرّ لي شهران مذْ لم ... أرمِ قوماً بِسِهامي

قال الرقاشيّ يعارضه : [من مجزوء الرمل]

جنّبيني الدّرعَ قد طا ... ل عن القَصْف جَمامِي

واكسِرِي المِطْرد والبَـ ... ـيْض وأثنِي بالحُسامِ

واقذفي في لُجَّة البحـ ... ـرِ بقوسي وسِهامِي

وبتُرسي وبرُمحـ ... ـي وبِسرجِي ولجامِي

فبحسبي أن تَرَيْنِي ... بين فِتيانٍ كِرامِ

سادةٍ نغدو مُجدّيـ ... ـن على حَرْبِ المدامِ

واصطِفاقِ العودِ والنا ... ياتِ في جوفِ الظلامِ

هَزْم أرواح دِنانٍ ... لم ننلها باصطلامِ

نهزِم الراح إذا ما ... هَمَّ قوم بانهزامِ

ثم خلِّ الضرب والطعـ ... ـن لأجساد وهامِ

لشقِيّ قال : قد طا ... ل عن الحربِ جَمامِي

[رثاء البرامكة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني محمد بن موسى ، عن ابن النطاح ، قال : تُوُفِّي العبّاس بن محمد بن خالد بن برمك بالخُلد ، والرشيد بالرُّصافة ، في يوم جمعة ، فأخرجتْ جنازته مع العصر ، وحضر الرشيد والأمين ، وأخرجت المضارب إلى مقابر البرامكة بباب البَرَدان ، وفُرِش للرشيد في مسجد هناك ، وجاء الرشيد في الحِلق بالأعلام والحِراب ، فصلّى عليه ، ووقف على قبره حتى دُفِن ؛ فلمّا خرج يحيى ومحمد أخواه من القبر ، قَبَّلا يد الرشيد ، وسألاه الانصراف ، فقال : لا ، حتى يُسَوَّى عليه التراب ، ولم يزل قائماً حتى فُرِغ من أمره ، وعزّاهما وأمرهما بالركوب ، فقال الرَّقاشيّ يرثي العبّاس بن محمد بن خالد بن برمك : [من الطويل]

أتحسِبني باكرتُ بعدك لذّة أبا الفضلِ أو رَفَّعت عن عاتقٍ سِترا
أوِ انتفعت عيناايَ بعدُ بنظرة أوَ ادنيتُ من كأسٍ بمشمولة ثغرا
جفانِي إذن يوماً إلى الليل مؤنسي وأُضحت يميني من ذخائرها صِفرا
ولكنّني استشعرتُ ثوب استكانة وبتُّ كأن الموت يحفِر لي قبرا

غنَّى في الأول والثاني من هذه الأبيات الرّفّ، ثاني ثقيل بالبنصر، عن الهشاميّ وعبد الله بن موسى. وفيه ثقيل أوّل مجهول، أحسبه لبعض جواري البرامكة. وفيهما لإبراهيم بن المهديّ خفيف رمل، عن عبد الله بن موسى.

ومن ذلك قوله في جعفر : [من البسيط]

كم هاتفٍ بك من باكٍ وباكيةٍ يا طيبَ للضيفِ إذ تُدْعى وللجارِ
إن يُعْدَمِ القطر كنتَ المُزنَ بارقُه لمعُ الدنانيرِ لا ما خَيَّل السارِي

وقوله : [من الطويل]

لعمرك ما بالموت عار على الفتى إذا لم تصبه في الحياة المَعايرُ
وما أحد حيٌّ وإن كان سالماً بأسلم ممّن غيبته المقابرُ
ومن كان ممّا يُحدث الدهر جازِعاً فلا بدّ يوماً أن يُرى وهو صابرُ
وليس لذي عيش عن الموت مَقْصَرٌ وليس على الأيّام والدهر غابرُ
وكلّ شباب أو جديدٍ إلى البِلى وكلّ امرىء يوماً إلى الله صائرُ
فلا يُبْعِدَنْك الله عنيَ جعفراً بروحي ولو دارت عليّ الدّوائرُ
فآلَيْتُ لا أنفكُّ أبكيك ما دَعَتْ على فَنَنٍ ورقاءُ أو طار طائرُ

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عمر بن شبة قال : حدَّثني أبو غسّان، عن عبد العزيز بن أبي ثابت، عن محمد بن عبد العزيز : أنّ الرقاشيّ الشاعر فنِيَ في حبّ البرامكة حتى خيف عليه.

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال : حدَّثني أبي عن أبي عكرمة، قال : وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدَّثني محمد بن موسى، عن إسماعيل بن مجمع، عن أحمد بن الحارث، عن المدائنيّ : أنّه لما دارت الدوائر على آل برمك، وأمِر بقتل جعفر بن يحيى وصُلِب، اجتاز به الرَّقاشيّ الشاعر وهو على الجِذع، فوقف يبكي أحرَّ بكاء، ثم أنشأ يقول : [من الوافر]

أَمـا واللهِ لولا خـوف واشٍ وعـين للخلِيفـة لا تنـامُ
لَطُفنـا حول جِذعك واستلمنا كما للنـاس بالحَجَـر استلامُ
فما أَبصرتُ قبلك يا ابن يحيى حساماً قـدَّهُ السيفُ الحسامُ[1]
على اللـذات والدّنيـا جميعاً ودولـة آلِ برمـكٍ السلامُ

فكتب أصحاب الأخبار بذلك إلى الرشيد ، فأحضره ، فقال له : ما حملك على ما قلت ؟ فقال : يا أَمير المؤمنين ، كان إليّ محسناً ، فلمّا رأيته على الحال التي هو عليها حرّكني إحسانه ، فما ملكت نفسي حتى قلت الذي قلت . قال : وكم كان يُجْرِي عليك ؟ قال : أَلفَ دينار في كلّ سنة . قال : فإنّا قد أَضعفناها لك .

[أسفه على أصدقائه]

أَخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ أَبو دُلَف ، قال : حدَّثنا الرّياشيّ قال : كان الفضل الرَّقاشيّ يجلس إلى إخوانٍ له يحادثهم ، ويألفونه ويأنسون به ، فتفرّقوا في طلب المعاش ، وترامت بهم الأسفار ، فمرّ الرقاشيّ بمجلسهم الذي كانوا يجلسون فيه ، فوقف فيه طويلاً ، ثم استعبر وقال : [من الكامل]

لـولا التطيُّر قلـتُ غيَّـركم ريبُ الزمـان فخنتُم عهدي
درستْ معـالمُ كنـت آلَفُهـا من بعدكـمْ وتغيّرتْ عندِي

أَخبرني محمد بن جعفر الصَّيدلانيّ النحويّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم قال : حدَّثني أَبو هِفان ، عن يوسف بن الدّاية قال : كان أَبو نواس والفضل الرَّقاشيّ جالسَيْن ، فجاءهما عمرو الورّاق ، فقال : رأيت جارية خرجت من دور آل سليمان بن عليّ ، فما رأيت جارية أَحسن منها ، هيفاءَ نجلاء ، زجَّاءَ دعجاء ، كأنّها خُوط بان ، أو جَدْل عِنان ، فخاطبتها فأجابتني بأحلى لفظ ، وأحسن[2] لسان ، وأجمل خطاب . فقال الرقاشيّ : قد والله عشقتها ، فقال أبو نواس : أَوَ تعرِفها ؟ قال : لا واللهِ ، ولكن بالصفة ، ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

صفاتٌ وظَنٌّ أَورثا القلب لوعـةً تضـرَّم في أَحشاء قلـب متيَّمِ
تُمَثِّلهـا نفسي لعينـي فأنثنـي إليهـا بطـرف الناظـر المتوسِّمِ
يحمِّلني حبِّـي لهـا فـوق طاقتي من الشوقِ دأْبَ الحائرِ المتقسِّمِ

1 قده في ل : حتفه .
2 ل : وأفصح .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدَّثني عبد الرحيم بن أحمد بن زيد الحرانيّ قال : قيل لابن دراج الطفيليّ أتتطفّل على الرؤوس ؟ قال : وكيف لي بها ؟ قيل : إنّ فلاناً وفلاناً قد اشترياها ، ودخلا بستان ابن بَزِيع ، فخرج يُحْضِر خوفاً من فوتهما ، فوجدهما قد لوَّحا بالعظام فوقف عليهما ينظر ، ثم استعبر وتمثّل قول الرّقاشيّ : [من مجزوء الرجز]

آثار رَبْع قَدُما أُعيا جوابي صَمَما

وابن دراج هذا يقال له عثمان ، وهو مولًى لكندة ، وكان في زمن المأمون ، وله شعر مليح ، وأدب صالح ، وأخبار طيبة ، يجري ذكرها هاهنا .

[324] ـ أخبار ابن درّاج الطُّفيليّ

[يخاف الكلب]

أُخبرني الجوهريّ عن ابن مهرويه ، عن أبيه قال : قيل لعثمان بن دراج : أتعرف بستان فلان ؟ قال : إي والله ، وإنّه للجنّة الحاضرة في الدنيا . قيل له : فلِم لا تدخل إليه ، فتأكل من ثماره ، تحت أشجاره ، وتسبح في أنهاره ؟ قال : لأنّ فيه كلباً لا يتمضمض إلاّ بدماء عراقيب الرجال .

[إصراره على التطفّل]

أُخبرني الجوهريّ قال : حدَّثنا ابن مهرويه قال : حدَّثنا عبد الرحيم بن أُحمد بن زيد الحرّانيّ قال : كان عثمان بن دراج يلزم سعيد بن عبد الكريم الخطّابيّ ، أحد ولد زيد بن الخطّاب ، فقال له : ويْحَك ! إنّي أبخل بأدبك وعلمك ، وأصونك وأُضَنّ بك عمّا أنت فيه من التطفيل ، ولي وظيفة راتبة في كلّ يوم ، فالزمني وكُن مدعوّاً أصلح لك ممّا تفعل . فقال : رحمك الله أين يُذْهَب بك ؛ فأين لذّة الجديد ، وطيب التنقّل كلّ يوم من مكان إلى مكان ؟ وأين نَيلك ووظيفتك من احتفال العروس ؟ وأين ألوانك من ألوان الوليمة ؟ قال : فأمّا إذ أبيت ذاك ، فإذا ضاقت عليك المذاهب فإنّي فَيْئة لك . قال : أمّا هذا فنعم .

[يمنع الطفيليين]

فبينا هو عنده ذات يوم إذ أتت الخطابيّ مولاة له ، فقالت : جُعِلْتُ فِداك . زوَّجت ابنتي من ابن عمّ لها ، ومنزلي بين قوم طُفَيليين ، لا آمنهم أن يهجموا عليّ ، فيأكلوا ما صنعت ، ويبقى مَن دعوت ، فوجّه معي بمَن يمنعهم . فقال : نعم ، هذا أبو سعيد ، قم معها يا أبا سعيد . فقال : مُرِّي بين يَدَيّ ، وقام وهو يقول[1] : [من الكامل]

ضجـت تميمٌ أن تُقَتَّل عامـرٌ ... يـومَ النسار فأُعتِبـوا بالصَّيْلَمِ

[تحيّله في التطفيل]

قال : وقال الخطابيّ هذا لابن درّاج : كيف تصنع بأهل العرس إذا لم يُدْخلوك ؟ قال : أُنوح على بابهم ، فيتطيّرون بذلك ، فيدخلوني .

1 البيت لبشر بن أبي خازم (اللسان ـ صلم) . والصيلم : الداهية .

[خوفه من نفاد الطعام أكسب لونه الصفرة]

قال : وقال له رجل : ما هذه الصفرة في لونك ؟ قال : من الفترة بين القصعتين ، ومن خوفي كلّ يوم من نَفادِ الطعام قبل أن أشبع .

[صفة بيته]

أخبرني أحمد قال : حدَّثنا ابن مهرويه ، عن عبد الرحيم بن أحمد : أنّ ابن درّاج صار إلى باب عليّ بن زيد ، أيّام كان يكتب للعبّاس بن المأمون ، فحجبه الحاجب ، وقال : ليس هذا وقتك ، قد رأيتَ القواد يُحْجبون ، فكيف يؤذن لك أنت ؟ قال : ليست سبيلي سبيلهم ، لأنّه يحبّ أن يراني ، ويكره أن يراهم ، فلم يأذن له . فبيناهما على ذلك إذ خرج عليّ بن زيد ، فقال : ما منعك يا أبا سعيد أن تدخل ؟ فقال : منعني هذا البغيض . فالتفت إلى الحاجب ، فقال : بلغ بك بغضك أن تحجب هذا ؟ ثم قال : يا أبا سعيد ، ما أهديت إليّ من النوادر ؟ قال : مرّت بي جنازة ومعي ابني ، ومع الجنازة امرأة تبكيه تقول : بك يذهبون إلى بيت لا فرش فيه ولا وطاء ، ولا ضيافة ولا غطاء ؛ ولا خبز فيه ولا ماء . فقال لي ابني : يا أبة ، إلى بيتنا والله يذهبون بهذه الجنازة . فقلت له : وكيف ويلَك ؟ قال : لأنّ هذه صفة بيتنا . فضحك عليّ وقال : قد أمرت لك بثلاثمائة درهم . قال : وقد وفَّر الله عليك نصفها على أن أتغدّى معك . قال : وكان عثمان مع تطفيله أشره الناس ، فقال : هي عليك مُوَفَّرة كلّها ، وتتغدّى معنا .

[لذّة التطفيل]

وعثمان ابن درّاج الذي يقول : [من مجزوء الرمل]

لــذّةَ التطفيل دُومي وأقيمِـــي لا تَريمـي
أنتِ تشفـين غليـلي وتسلّـــين همـومي

عود إلى الرقاشيّ :

[خضاب الرقاشيّ]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : حدَّثنا العكليّ قال : دخل الرقاشيّ على بعض أمراء الصدقة ، فقال له : قد أصبح خِضابك قانياً . قال : لأنّني أمسيت له معانياً . قال : وكيف تفعله ؟ قال : أُنْعِم الحناء عَجْناً ، وأجعل ماءه سخناً ، وأُرَوِّي شَعْرِي قبله دُهْناً ، فإن بات قَنا[1] ، وإن لم يفعل أغنى .

---

1 قنا : احمر .

صوت[1]

[من الخفيف]

مــــن لِعين رأت خيالاً مِطيفا واقفــاً هكــذا علينــا وقوفا
طارقــاً موهِنـــاً ألمّ فحيّــا ثــم ولّى فهاج قلبـاً ضعيفا
ليت نفسي وليت أنفس قومي يــا يزيــد النّدى تقيك الحتوفا
عَتَكـــي مُهَلَّبـــيّ كريـــم حاتمي قــد نال فرعــا منيفا

عروضه من الخفيف ، والشعر لربيعة الرقى يمدح يزيد بن حاتم المهلّبيّ . والغناء لعبد الرحيم الرفّ ، خفيف رملٍ بالوسطى ، عن عمرو .

1 شعر ربيعة الرقي : 83 ولم يرِد فيه البيت الثالث .

[325] ـ أخبار ربيعة الرَّقيِّ ونسبه[1]

[نسبه]

هو ربيعة بن ثابت الأنصاريّ ، ويكنى أبا شَبابة . وقيل إنّه كان يكنى أبا ثابت ، وكان ينزل الرَّقة ، وبها مولده ومنشؤه ، فأشخصه المهديّ إليه ، فمدحه بعدّة قصائد ، وأثابه عليها ثواباً كثيراً ، وهو من المكثرين المجيدين ، وكان ضريراً ، وإنّما أخمل ذكره وأسقطه عن طبقته ، بُعده عن العراق ، وتركه خدمة الخلفاء ، ومخالطة الشعراء ، وعلى ذلك فما عدِم مفضِّلاً لشعره ، مقدِّماً له .

[أشعر المحدثين وأسيرهم بيتاً]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثنا محمد بن داود ، عن ابن أبي خَيْثمة عن دِعبل قال : قلت لمروان بن أبي حفصة : مَن أشعركم جماعة المحدَثين يا أبا السِّمط ؟ قال : أشعرنا أسْيَرنا بيتاً . قلت : ومَن هو ؟ قال : ربيعة الرقيّ الذي يقول[2] : [من الطويل]

لَشتانَ ما بين اليزيديْنِ في الندى ... يزيد سُلَيم والأغرّ ابن حاتمِ

وهذا البيت من قصيدة له مدح بها يزيد بن حاتم المهلّبيّ ، وهجا يزيد بن أُسَيد السُّلَميّ ، وبعد البيت الذي ذكره مروان : [من الطويل]

يزيد سُلَيم سالمُ المالِ والفتى ... أخو الأزدِ للأموالِ غير مُسالمِ

فهَمُّ الفتى الأزديّ إتلاف مالِهِ ... وهم الفتى القيسيّ جمع الدراهمِ

فلا يحسَبِ التَّمتام أنّي هجوتُه ... ولكنّني فضّلت أهل المكارمِ

فيا ابن أُسَيد لا تسامِ ابن حاتم ... فتقرَعَ إن ساميتَه سنَّ نادمِ

هو البحر إن كَلَّفت نفسك خوضه ... تهالكتَ في موج له متلاطمِ

[أبو زيد يستشهد بشعره]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مِهرويه ، قال : حدَّثني أُسَيد بن خالد الأنصاريّ ، قال : قلت لأبي زيد النحويّ : إنّ الأصمعيّ قال : لا يقال : شتان ما بينهما ، إنّما يقال : شتان ما هما ، وأنشد قول الأعشى :

1 لربيعة الرقي ترجمة في طبقات ابن المعتز : 157–170 ومعجم الأدباء : 1302–1303 ونكت الهميان : 151 والوافي 16 : 189 وخزانة البغدادي 6 : 301–302 وقد جمع شعره د . يوسف بكار .

2 شعر ربيعة : 96–100 .

شتانَ مــا يومي على كُورها

فقال : كذب الأصمعيُّ ، يقال : شتان ما هما ، وشتان ما بينهما ، وأنشدني لربيعة الرقيّ ، واحتجّ به : [من الطويل]

لشتانَ ما بين اليزيدينِ في الندى   يزيـــد سُلَيم والأغــرّ ابن حاتمِ

وفي استشهاد مثل أبي زيد على دفع مثل قول الأصمعيّ بشعر ربيعة الرقيّ ، كفاية له في تفضيله .

وذكره عبد الله بن المعتزّ فقال : كان ربيعة أشعر غزلاً من أبي نواس ، لأنّ في غزل أبي نواس بَرْداً كثيراً ، وغزل هذا سَلِيم سهل عذب .

[سرقوه من بلاده]

نسخت من كتابٍ لعمّي : حدَّثنا ابن أبي فَنَن قال : اشتهى جَوارِي المهديّ أن يسمعن ربيعة الرقيّ ، فوجّه إليه المهديّ مَن أخذه من مسجده بالرقّة ، وحُمِل على البريد حتى قُدِم به على المهديّ ، فأُدخِل عليه ، فسمع ربيعة حِسّاً من وراء السِّتر ، فقال : إنّي أسمع حسّاً يا أمير المؤمنين ، فقال : اسكت يا ابن اللَّخناء ، واستنشده ما أراد ، فضحِك وضحكن منه . قال : وكان فيه لين ، وكذلك كان أبو العتاهية ، ثم أجازه جائزة سنيّة ، فقال له[1] : [من مجزوء الرمل]

يــــا أمير المؤمنينَ اللـ   ــــه سَمّـاك الأمينا

سَرقوني مـــن بلادِي   يــــا أميــر المؤمنينا

سرقوني فــاقضِ فيهم   بجـــــزاء السارقينا

قال : قد قضيت فيهم أن يردوك إلى حيث أخذوك . ثم أمر به فحُمِل على البريد من ساعته إلى الرقّة .

[في يزيد بن حاتم]

وفي يزيد بن حاتم يقول أيضاً[2] : [من الوافر]

يزيــدَ الأزدِ إن يزيــدَ قومي   سميَّــك لا يجــود كما تجودُ

يقودُ جماعة وتقــودُ أُخرى   فترزُقُ مَــن تقود ومَــن يقودُ

فمــا تِسعون يَحقرُها ثــلاث   يقيم حسابهــا رجــل شديدُ

---

1 شعر ربيعة 105 .

2 شعر ربيعة : 72 .

وكفٌّ شَثْنة جُمِعَـتْ لوَجْءٍ   بأَنكدَ مـن عطائك يا يزيدُ

[غضب الرشيد على العبّاس بن محمد]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا أَحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال : امتدح ربيعة الرقيّ العبّاس بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس ، بقصيدة لم يُسبَق إليها حُسناً ، وهي طويلة يقول فيها[1] : [من الكامل]

صوت

لـو قيل للعبّاس يا ابن محمدٍ   قل : (لا) وأَنت مخلَّد ما قالَها

ما إن أُعُدُّ من المكارمِ خَصْلَة   إلاّ وجدتـك عمّها أو خالَها

وإذا الملـوك تسايروا في بلدة   كانوا كواكبها وكنت هلالَها

إنّ المكـارم لم تـزل معقولة   حتى حللت براحتيك عِقالَها

في البيت الأوّل والبيت الأخير خفيف رمل بالوسطى ، يقال إنّه لإبراهيم . ويقال إنّه للحسين بن محرِز .

قال : فبعث إليه بدينارين ، وكان يقدّر فيه ألفين ، فلمّا نظر إلى الدينارين كاد يُجَن غيظاً ، وقال للرسول : خذ الدينارين ، فهما لك ، على أن تردّ الرقعة من حيث لا يدري العبّاس ، ففعل الرسول ذلك ، فأخذها ربيعة ، وأمر مَن كتب في ظهرها[2] : [من الوافر]

مدحتك مِدحةَ السيفِ المُحَلَّى   لتجْريَ في الكرامِ كما جريتُ

فهبها مِدحةً ذهبـت ضَياعاً   كذبتُ عليك فيهـا وافتريتُ

فأَنت المـرءُ ليس لـه وفـاءٌ   كأنّي إذ مدحتك قـد زنيتُ *

ثم دفعها إلى الرسول ، وقال له ضعها في الموضع الذي أخذتها منه . فردّها الرسول في موضعها . فلمّا كان من الغد أخذها العبّاس ، فنظر فيها ، فلمّا قرأ الأبيات غضب ، وقام من وقته ، فركب إلى الرشيد ، وكان أثيراً عنده ، يبجِّله ويقدّمه ، وكان قد هَمَّ أن يخطب إليه ابنته ؛ فرأى الكراهة في وجهه ، فقال : ما شأنك ؟ قال : هجاني ربيعة الرَّقيّ . فأُحضِر ، فقال له الرشيد : يا ماصَّ كذا وكذا من أُمّه ، أَتهجو عمّي ، وآثَرَ الخلق عندي ، لقد هممت أن أضرب عنقك . فقال : والله يا أمير المؤمنين ، لقد مدحته بقصيدة ما قال مثلها أحد من الشعراء ، في أحد من الخلفاء ، ولقد بالغت في الثناء ، وأكثرت في الوصف ، فإن رأى أمير

1 شعر ربيعة : 87 .

2 شعر ربيعة : 67 .

المؤمنين أن يأمره بإحضارها . فلمّا سمع الرشيد ذلك منه سكن غضبه ، وأحبّ أن ينظر في القصيدة ، فأمر العبّاس بإحضار الرقعة ، فتلكّأ عليه العبّاس ساعة . فقال له الرشيد : سألتك بحقّ أمير المؤمنين إلاّ أمرت بإحضارها . فعلم العبّاس أنّه قد أخطأ وغلِط ، فأمر بإحضارها فأُحضرت ، فأخذها الرشيد وإذا فيها القصيدة بعينها ، فاستحسنها واستجادها ، وأُعجب بها ، وقال : والله ما قال أحد من الشعراء في أحد من الخلفاء مثلها ، لقد صدق ربيعة وبرّ . ثم قال للعبّاس : كم أثبْته عليها ؟ فسكت العبّاس ، وتغيّر لونه ، وجَرِض بريقه ، فقال ربيعة : أثابني عليها يا أمير المؤمنين بدينارين ، فتوهّم الرشيد أنّه قال ذلك من الموجِدة على العبّاس ، فقال : بحياتي يا رقيّ ، كم أثابك ؟ قال : وحياتك يا أمير المؤمنين ما أثابني إلاّ بدينارين . فغضب الرشيد غضباً شديداً ، ونظر في وجه العبّاس بن محمد ، وقال : سَوْأةً لك ! أيّةُ حال قعدتْ بك عن إثابته ؟ أقلّة المال ؟ فوالله لقد موّلتك جُهدي ؛ أم انقطاع المادة عنك ؟ فوالله ما انقطعتْ عنك ، أم أصلك ؟ فهو الأصل لا يدانيه شيء ، أم نفسك ؟ فلا ذنب لي ، بل نفسُك فعلتْ ذلك بك ، حتى فضحتَ أباك وأجدادك ، وفضحتني ونفسك . فنكس العبّاس رأسه ولم ينطق . فقال الرشيد : يا غلام ، أعط ربيعة ثلاثين ألف درهم وخِلْعة ، واحمله على بغلة ، فلمّا حُمِل المال بين يديه ، وألبس الخلعة ، قال له الرشيد : بحياتي يا رقيّ لا تذكره في شيء من شعرك تعريضاً ولا تصريحاً ، وفتر الرشيد عمّا كان هم به أن يتزوّج إليه ، وظهر منه له بعد ذلك جفاء كثير واطّراح .

[عبثه بالعبّاس بن محمد]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال : حدَّثني أحمد بن أبي فنن الشاعر ، قال : حدَّثني من لا أحصي من الجلساء : أن ربيعة الرقيّ كان لا يزال يعبَث بالعبّاس بن محمد بحضرة الرشيد ، العبث الذي يبلغ منه ، منذ جرى بينهما في مديحه إيّاه ما جَرى ، من حيث لا يتعلّق عليه فيه بشيء ، فجاء العبّاس يوماً إلى الرشيد ببَرْنيّة فيها غالية ، فوضعها بين يديه ، ثم قال : هذه يا أمير المؤمنين غالية ، صنعتها لك بيدي ، اختير عنبرها من شِحْر عمان ، ومسكها من مَفاوز التُّبَّت ، وبانها من ثغر تهامة ؛ فالفضائل كلّها مجموعة فيها ، والنعت يقصر عنها .

فاعترضه ربيعة ، فقال : ما رأيت أعجب منك ، ومن صفتك لهذه الغالية ، عند من إليه كلّ موصوف يُجْلَب ، وفي سوق يَنْفُق ، وبه إليه يُتقرَّب ، وما قَدْر غاليتك هذه ، أعزك الله ، حتى تبلغ في وصفها ما بلغت ؟ أأجريت بها إليه نهراً ، أم حملت إليه منها وِقراً ؟ إن تعظيمك هذا عند مَن تُجبى إليه خزائن الأرض وأموالها من كلّ بلدة ، وتذِل لهيبته جبابرة الملوك المطيعة والمخالفة ، وتتحفه بطُرَف بُلدانها ، وبدائع ممالكها ، حتّى كأنّك قد فقتَ به

على كلّ ما عنده ، أو أبدعت له ما لا يعرفه ، أو خصَصته بما لم يحوه بملكه ، لا تخلو فيه من ضعف أو قصر همّة . أُنشُدك الله يا أمير المؤمنين ، إلاّ جعلتَ حظّي من كلّ جائزة وفائدة توصلها إليّ مدّة سنتي هذه الغالية ، حتى أتلقّاها بحقّها . فقال : ادفعوها إليه ، فدُفِعت إليه . فأدخل يده فيها ، وأخرج مِلئها ، وحلّ سراويله ، وأدخل يده فطلى بها استه ، وأخذ حَفْنة أُخرى ، وطلى بها ذكره وأُنثَييه ، وأخرج حَفْنتين ، فجعلهما تحت إبطيه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، مرْ غلامي أن يدخل إليّ ، فقال : أدخلوه إليه ، وهو يضحك ، فأدخلوه إليه فدفع إليه البَرْنيّة غير مختومة ، وقال : اذهب إلى جاريتي فلانة بهذه البرنيّة ، وقل لها : طيبي بها حِرَك واستك وإبطيك ، حتى أجيء الساعة وأنيكك . فأخذها الغلام ومضى وضحك الرشيد حتى غُشي عليه ، وكاد العبّاس يموت غيظاً ، ثم قام فانصرف ، وأمر الرشيد أن يبعث لربيعة بثلاثين ألفَ درهم .

[طرز شعره في بساط]

وذكر علي بن الحسين بن عبد الأعلى ، أنّه رأى قصيدة لربيعة الرقيّ مكتوبة في دَوْرِ بِساطٍ من بُسُط السلطان قديم ، وكان مبسوطاً في دار العامّة بسرّ مَن رأى ، فنسخها منه ، وهي قوله[1] : [من الطويل]

صوت

وتزعم أنّي قد تبدّلتُ خُلّةً ... سِواها وهذا الباطل المتقوَّلُ

لحا الله مَن باع الصديقَ بغيرِهِ ... فقالت نعم حاشاك إن كنت تفعلُ

سَتصرِم إنساناً إذا ما صرَمتني ... يحبّكَ فانظر بعدَه مَن تَبَدَّلُ

في هذه الثلاثة الأبيات لحن من الثقيل الأوّل ، ينسب إلى إبراهيم الموصليّ ، وإلى إبراهيم بن المهديّ ، وفيه لعريب رَمَل من رواية ابن المعتزّ .

[لم يقض يزيد بن أسيد حاجته فهجاه]

وكان سبب إغراق ربيعة في هجاء يزيد بن أُسَيْد ، أنّه زاره يستميحه ، لقضاء دَين كان عليه ، فلم يجد عنده ما أحبّ ، وبلغ ذلك يزيد بن حاتم المهلّبيّ ، فطَفَّل[2] على قضاء دينه وبرّه ، فاستفرغ ربيعة جُهده في مدحه ، وله فيه عِدّة قصائد مختارة ، يطول ذكرها ، وقد كان أبو الشمَقْمَق عارضه في قوله : [من الطويل]

---

1 شعر ربيعة : 84 .

2 طفل : ترفق وتلطف .

لشتان ما بين اليزيدين في الندى يزيد سليمٍ والأغر ابن حاتمِ

في قصيدة مدح بها يزيد بن مَزْيَد ، وسلَخ بيت الرقيّ ، بل نقله وقال : [من الطويل]

لشتان ما بين اليزيدين في الندى إذا عُد في الناس المكارمُ والمجدُ

يزيدُ بني شَيبانَ أكرم منهما وإن غضبت قيسُ بن عَيلانَ والأَزدُ

فتى لم تلِده من رُعَين قبيلةٌ ولا لَخْمُ تَنميه ولم تَنْمه نَهْدُ

ولكن نمته الغُرُّ من آل وائلٍ وبَرّةُ تَنميه ومِن بعدها هندُ

ولم يسِرْ في هذا المعنى شيء كما سار بيت ربيعة .

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال : حدَّثنا محمد بن داودَ بن الجرّاح قال : حدَّثنا محمد بن أبي الأزهر قال : عَرَض نخاس على أحمد بن يزيد بن أُسَيد الذي هجاه ربيعة جَواريَ ، فاختار جاريتين منهن ، ثم قال للنخاس : أيّتهما أحبّ إليك ؟ قال : بينهما أعزّ الله الأمير كما قال الشاعر : [من الطويل]

لشتان ما بين اليزيدين في الندى يزيدِ سليم والأغرّ ابن حاتمِ

فأمر بجر رجله وإخراجه وجواريه .

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال : حدَّثنا عبد الله بن شبيب قال : لمّا حجّ الرشيد لقيه قبل دخوله مكّة رجلان من قريش ، فانتسب له أحدهما ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، نَهَكتنا النوائب ، وأجحفت بأموالنا المصائب ، ولنا بك رحِم أنت أولى من وصلها ، وأمل أنت أحقّ من صدقه ، فما بعدك مطلب ، ولا عنك مذهب ، ولا فوقك مسؤول ، ولا مثلك مأمول . وتكلم الآخر ، فلم يأت بشيء فوصلهما ، وفضل الأوّل تفضيلاً كثيراً ، ثم أقبل على الفضل بن الربيع فقال : يا فضل : [من الطويل]

لشتانَ ما بين اليزيدين في الندى يزيدِ سُلَيم والأغرّ ابن حاتمِ

قال أحمد بن أبي طاهر : حدَّثني أبو دعامة عليّ بن زيد بن عطاء المَلْط قال : لمّا هجا ربيعة يزيدَ بن أُسَيد السُّلَميّ ، وكان جليلاً عند المنصور والمهديّ ، وفضَّل عليه يزيد بن حاتم ، قلت لربيعة : يا أبا شَبابة ، ما حملك على أن هجوت رجلاً من قومك ، وفضلت عليه رجلاً من الأزد ؟ فقال : أُخبرك .

أملقتُ فلم يبق لي شيء إلاّ داري ، فرهنتها على خمس مئة درهم ، ورحلت إليه إلى إرمينية ، فأعلمته ذلك ومدحته ، وأقمت عنده حولاً ، فوهب لي خمسمائة درهم ، فتحمّلت وصرت بها إلى منزلي ، فلم يبقَ معي كبير شيء ، فنزلت في دارٍ بكراء ، فقلت : لو أتيت يزيد بن حاتم ، ثم قلت : هذا ابن عمّي فعل بي هذا الفعل ، فكيف غيره ؟ ثم حملت نفسي على أن أتيته . فأُعلم

بمكاني ، فتركني شهراً حتى ضجرت ، فأكريت نفسي من الحمّالين ، وكتبت بيتاً في رقعة وطرحتها في دهليزه ، والبيت : [من الطويل]

أراني ولا كفران لله راجعـاً بخُفَّيْ حنينٍ من يزيدَ بن حاتمِ

فوقعت الرقعة في يد حاجبه ، فأوصلها إليه من غير علمي ولا أمري ، فبعث خَلْفي ، فلمّا دخلت عليه قال : هيه ، أنشدني ما قلت . فتمنّعت ، فقال : والله لتُنْشِدَنّي ، فأنشدته فقال : والله لا ترجع كذلك ، ثم قال : انزعوا خفّيه ، فنُزِعا فحشاهما دنانير ، وأمر لي بغلمان وجوار وكُسا ، أفلا ترى لي أن أمدَح هذا وأهجو ذاك ! قلت : بلى والله . ثم قال : وسار شعري حتى بلغ المهديّ فكان سبب دخولي إليه .

[هواه]

أخبرني الحسن بن عليّ الأدَميّ قال : حدَّثني محمد بن الحسن بن عباد بن الشهيد القرقيسيانيّ قال : حدَّثني عمِّي عبد الله بن عباد : أنّ ربيعة بن ثابت الرقيّ الأسديّ كان يلقّب الغاوي ، وكان يهوى جارية يقال لها عَثْمة ، أَمَة لرجل من أهل قرقيسياء ، يقال له ابن مَرَّار ، وكان بنو هاشم في سلطانهم قد ولَّوه مصر ، فأصاب بها مالاً عظيماً ، وبلغه خبر ربيعة مع جاريته ، فأحضره ، وعرض عليه أن يهبها له ، فقال : لا تهبها لي ، فإنّ كلّ مبذول مملول ، وأكره أن يذهب حبُّها من قلبي ، ولكن دعني أُواصلها هكذا ، فهو أحبّ إليّ .

قال : وقال فيها[1] : [من الكامل]

اعتـاد قلبَك من حبيبك عِيدُهُ شوقٌ عَراك فأنت عنه تذُودُهُ
والشوق قد غلب الفؤاد فقاده والشوق يغلب ذا الهوى فيقودُهُ
في دار مَـرَّارٍ غـزالُ كَنِيسة عَطِرٌ عليـه خُزوزه وبُرودُهُ
رِيـمٌ أَغرّ كأنّه مـن حسنه صنـم يُحَجُّ ببيعـة معبودُهُ
عيناه عينا جـؤذَر بصَريمة ولـه مـن الظبي المربَّب جِيدُهُ
مـا ضرُّ عَثْمـة أن تُلِـم بعاشقٍ دنِفِ الفـؤاد متيّم فتعودُهُ
وتَلُـدّه مـن رِيقها فلربّمـا نفع السقيم من السَّقام لَدودُهُ[2]

وهي طويلة مدح فيها بعض ولد يزيد بن المهلّب .

---

1 شعر ربيعة : 71 .

2 تلده : تسقيه اللدود ، وهو دواء .

[يمدح معن بن زائدة ويهجوه]

أخبرني يحيى بن عليّ قال : حدَّثني أَبي عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، عن أَبي بشر الفزاريّ قال : لقِيَ ربيعة الرقيّ معن بن زائدة في قَدْمة قدِمها إلى العراق ، فامتدحه بقصيدة ، وأنشده إيّاها راويته ، فلم يَهَش له معن ، ولا رضي ربيعة لقاءه إيّاه ، وأثابه ثواباً نَزْرا ، فردّه ربيعة ، وهجاه هجاء كثيراً ، فممّا هجاه به قوله[1] : [من الخفيف]

معنُ يا معنُ يا ابنَ زائدةِ الكلْـ ـب التي في الذراع لا في البنانِ
لا تفاخر إذا فخرت بآبا ئك وافخر بعمِّك الحَوْفزانِ
فهشام من وائلٍ في مكانٍ أَنت ترضى بدون ذاك المكانِ
ومتى كنت يا ابن ظَبية ترجو أَن تُثَنّي على ابنةِ الغَضَبانِ
وهي حَوْراء كالمَهاة هِجانٌ لهجانٍ وأَنت غير هِجانِ
وبنات السَّليلِ عند بني ظبـ ـية ، أُفٌّ لكم بني شيبانِ
قيل : معن لنا فلما اختبرنا كان مَرْعًى وليس كالسَّعْدانِ[2]

قال أَبو بشر : ظَبية التي عيَّره بها أَمَة كانت لبني نهار بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان ، لقيها عبد الله بن زائدة بن مَطَر بن شريك ، وكانت راعية لأهلها ، وهي في غنمها ، فسرقها ووقع عليها ، فولدت له زائدة بن عبد الله أَبا معن بن زائدة ، ودجاجة بنت عبد الله . قال : وبنت السليل التي عناها : امرأة من ولد الحَوْفزان .

[الجارية العطرة]

أَخبرني يحيى عن أبيه عن إسحاق عن أَبي بشر الفزاريّ ، قال : كان ربيعة الرقيّ يهوى جارية لرجل من أهل الكوفة ، يقال لها عثمة ، وكان أهلها ينزلون في جوارِ جُعفيّ ، فقال فيها في أبيات له[3] : [من المنسرح]

جُعْفيّ جيرانُها فقد عَطِرت جعفيّ من نشرِها ورياها

فقال له رجل من جُعفيّ : وأنا جار لها بيتَ بيتَ ، والله ما شمِمت من دارهم ريحاً طيّبة قطٌّ . فتشمم ربيعة رائحته وقال : وما ذنبي إذا كنتَ أَخْشَم[4] ، والله إنّي لأجد ريحها وريح

---

1 شعر ربيعة : 106 .

2 المثل «مرعى ولا كالسعدان» في مجمع الميداني 2 : 277 وجمهرة العسكري 2 : 242 وفصل المقال : 199 .

3 شعر ربيعة : 108 .

4 الأخشم : الذي لا يجد ريح ما يشمّ في أنفه .

طيبها منك ، وأنت لا تجده من نفسك .

[رقية]

أخبرني يحيى عن أبيه عن إسحاق عن أبي بشر قال : كنت حاضراً ربيعة الرقيّ يوماً وجاءته امرأة من منزل هذه الجارية ، فقالت : تقول لك فلانة : إنّ بنت مولاي محمومة ، فإن كنت تعرف عُوذة تكتبها لها فافعل . فقال : اكتب لها يا أبا بشر هذه العُوذَة[1] : [من السريع]

تفُــو تفُــو باسم إلهـي الذي لا يعرِض السقم لَمن قد شَفى

أعِيــذ مولاتــي ومولاتَهــا وابنتهــا بعُــوذة المصطفى

من شرِّ مـا يعرِض مـن عِلّة في الصبح والليـل إذا أسْدفا

قال : فقلت له : يا أبا ثابت ، لست أحسِن أن أكتب : تفُو تفُو ، فكيف أكتبها ؟ قال : انضح المداد من رأس القلم في موضعين ، حتى يكون كالنفث ، وادفع العُوذة إليها ، فإنّها نافعة . ففعلت ودفعتها إليها ، فلم تلبث أن جاءَتنا الجارية وهي لا تتمالك ضحِكاً . فقالت له : يا مجنون ، ما فعلت بنا ؟ كدنا والله نفتضِح بما صنعت . قال : فما أصنع بك ؟ أشاعر أنا أم صاحب تعاويذ ؟

صوت

[من مجزوء الوافر]

ألا مَــنْ بَيّن الأخَويـ ـــنِ أمُّهما هي الثكلى

تسائل مَــن رأى ابنَيها وتستشفي فمــا تُشْفى

فلمّا استيأسَت رجعــت بعبــرة والــهٍ حَــرَّى

تتابــعُ بــين وَلولــة وبـين مدامـعٍ تَتْـرى

عروضه من الهزج[2] ، الشعر لجويرية بنت خالد بن قارِظ الكِنانية ، وتكنى أمّ حكيم ، زوجة عبيد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب ، في ابنيها اللذين قتلهما بُسْر بن أرطاة ، أحد بني عامر بن لؤيّ باليمن .

والغناء لابن سُرَيج ، ولحنه من القدر الأوسط ، من الثقيل الأوّل ، بالخنصر في مجرى البنصر . وفيه لحُنين الحِيريّ ، ثاني ثقيل عن الهشاميّ . وفيه لأبي سعيد مولى فائد ، خفيف ثقيل الأوّل ، مطلق في مجرى الوسطى .

---

1 شعر ربيعة : 83 .

2 الأبيات من مجزوء الوافر لا الهزج .

[326] ـ ذكر الخبر في مقتل ابني عُبيد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب[1]

[حملة بسر بن أرطاة في الحجاز واليمن]

أخبرني بالسبب في ذلك محمد بن أحمد بن الطَّلاَّس قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال : حدَّثنا عليّ بن محمد المدائنيّ ؛ عن أبي مخْنف ، عن جويريّة بن أسماء ، والصَّقْعَب بن زهير ، وأبي بكر الهذليّ ، عن أبي عمرو الوقاصيّ : أنّ معاوية بن أبي سفيان بعث بُسْر بن أرْطاة ، أحد بني عامر بن لؤيّ ، بعد تحكيم الحكمين ، وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذٍ حيّ ، وبعث معه جيشاً ، ووجَّه برجل من غامد ضمّ إليه جيشاً آخر . ووجّه الضحّاك بن قيس الفهريّ في جيش آخر ، وأمرهم أن يسيروا في البلاد ، فيقتلوا كلّ مَن وجدوه من شيعة عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه ، وأن يُغيروا على سائر أعماله ، ويقتلوا أصحابه ، ولا يكفُّوا أيديَهم عن النساء والصبيان . فمضى بُسْر لذلك على وجهه ، حتى انتهى إلى المدينة ، فقتل بها ناساً من أصحاب عليّ عليه السلام وأهل هواه ، وهدم بها دُوراً من دور القوم . ومضى إلى مكّة ، فقتل نفراً من آل أبي لَهب ، ثم أتى السَّراة ، فقتل من بها من أصحابه . وأتى نَجران ، فقتل عبد الله بن عبد المدان الحارثيّ وابنه ، وكانا من أصهار بني العبّاس ، ثم أتى اليمن وعليها عُبيد الله بن العبّاس ، عاملاً لعليّ بن أبي طالب ، وكان غائباً ، وقيل بل هرب لما بلغه خبر بُسْر ، فلم يصادفه بُسْر ، ووجد ابنين له صبيين ، فأخذهما بُسْرٌ لعنه الله وذبحهما بيده ، بمُدْية كانت معه ، ثم انكفأ راجعاً إلى معاوية . وفعل مثل ذلك سائرُ من بعث به . فقصد الغامِديُّ إلى الأنبار ، فقتل ابنَ حسان البكريّ ، وقتل رجالاً ونساء من الشيعة .

[خطبة علي بن أبي طالب]

فحدَّثني العبّاس بن عليّ بن العبّاس النسائيّ قال : حدَّثنا محمد بن حسّان الأزرق ، قال : حدَّثنا شبابة بن سوّار قال : حدَّثنا قيس بن الربيع ، عن عمرو بن قيس ، عن أبي صادق ، قال : أغارت خيل لمعاوية على الأنبار ، فقتلوا عاملاً لعليّ عليه السلام ، يقال له حسان بن حسان ، وقتلوا رجالاً كثيراً ونساء ، فبلغ ذلك عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه ، فخرج حتى أتى المِنبر ، فرقيه ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلّى على النبيّ ﷺ ، ثم قال : إنّ الجهاد

1 انظر خبر مقتل ابنَي عبيد الله بن العبّاس في تاريخ الطبري والمسعودي وشرح نهج البلاغة 1 : 144 ومقاتل الطالبيين والتذكرة الحمدونية 4 : 276–278 .

باب من أبواب الجنّة ، فمَن تركه ألبسه الله ثوب الذلّة وشَمَله البلاء ، ودُيِّث[1] بالصَّغار ، وسيم الخَسْف . وقد قلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم ، فإنّه لم يُغْزَ قوم قطُّ في عُقْر دارهم إلاّ ذلوا ، فتواكلتم وتخاذلتم ، وتركتم قولي وراءكم ظهريّاً ، حتى شُنَّت عليكم الغارات . هذا أخو غامد قد جاء الأنبار ، فقتل عاملي عليها حسّان بن حسّان ، وقتل رجالاً كثيراً ونساء . والله لقد بلغني أنّه كان يأتي المرأة المسلمة والأُخرى المعاهِدة ، فينزع حِجْلها ورِعاثها[2] ، ثم ينصرفون موفورين ، لم يُكْلَم أحدٌ منهم كلماً . فلو أنّ امرءاً مسلماً مات من دون هذا أسفاً ، لم يكن عليه ملوماً ، بل كان به جديراً . يا عجباً ، عجباً يميت القلب ، ويُشعل الأحزان ، من اجتماع هؤلاء القومِ على ضلالتهم وباطلهم ، وفَشَلكم عن حقّكم ، حتى صرتم غرضاً تُرمَون ولا ترمُون ، وتُغزَون ولا تَغزُون ، ويُعصى الله وترضَون . إذا قلت لكم اغزوهم في الحر ، قلتم هذه حمارّة القيظ فأمهِلنا ، وإذا قلت لكم اغزوهم في البرد ، قلتم هذا أوانُ قُرّ وصِرّ فأمهلنا . فإذا كنتم من الحرّ والبرد تفرُّون ، فأنتم والله من السيف أشدّ فِراراً . يا أشباه الرجال ولا رجال ، ويا طَغام[3] الأحلام ، وعقولَ ربات الحِجال ، وددت والله أنّي لم أعرفكم ، بل وددت أنّي لم أرَكم ، معرفة والله جَرَّعت بلاء وندماً ، وملأتم جوفي غيظاً بالعصيان والخذلان ، حتى لقد قالت قريش : إنّ ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب . ويْحَهم ! هلِ فيهم أشدّ مراساً لها منّي ؟ والله لقد دخلت فيها وأنا ابن عشرين ، وأنا الآن قد نَيَّفْتُ على الستّين ، ولكن لا رأْي لِمَن لا يُطاع .

فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا كما قال الله تعالى : «لا أَمْلِكُ إلاّ نَفْسي وأَخِي» فمُرْنا بأمرك ، فوالله لنطيعنّك ولو حال بيننا وبينك جَمْر الغَضى ، وشوك القتاد . قال : وأين تبلغان ممّا أُريد ؛ هذا أو نحوه ، ثم نزل .

[بين عليّ وعقيل]

حدَّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثني عمِّي عبيد الله بن محمد قال : حدَّثني جعفر بن بشير قال : حدَّثني صالح بن يزيد الخراسانيّ ، عن أبي مِخنف ، عن سليمان بن أبي راشد ، عن ابن أبي الكنود عبد الرحمن بن عبيد قال : كتب عَقيل بن أبي طالب إلى أخيه عليّ بن أبي طالب عليه السلام : «أمّا بعد ، فإنّ الله عزّ وجلّ جارك من كلّ سوء ، وعاصمك من المكروه . إنّي خرجت معتمراً ، فلقيت عبد الله بن أبي سَرْح في نحو أربعين شابّاً من أبناء

1 ديث : ذلل .

2 الرعاث : جمع رعثة ، وهي الشنف .

3 الطغام : من لا عقل له ولا معرفة عنده .

الطُّلَقاء ، فقلت لهم ، وعرفت المنكر في وجوههم : يا أَبناء الطُّلَقاء ، العداوة والله لنا منكم غير مستنكرة قديماً ، تريدون بها إطفاء نور الله ، وتغيير أمره ، فأسمعني القوم وأسمعتهم . ثم قدمت مكّة وأهلها يتحدّثون أَنّ الضحّاك بن قيس أغار على الحِيرة ، فاحتمل من أموال أهلها ما شاء ، ثم انكفأ راجعاً ، فأفٍّ لحياة في دهر جرأ عليك الضحاك . وما الضحاك ؟ وهل هو إلاّ فَقْع بقَرْقرة[1] ، وقد ظننتُ وبلغني أنّ أنصارك قد خذلوك ، فاكتب إليّ يا ابن أُمّ برأيك ، فإن كنت الموت تريد ، تحمّلت إليك ببني أبيك وولد أخيك ، فعشنا ما عشت ، ومتنا معك ، فوالله ما أحبّ أن أبقى بعدك فَواقاً[2] ، وأقسم بالله الأعزّ الأجلّ ، أَنّ عيشاً أعيشه في هذه الدنيا بعدك ، لعيش غير هنيء ولا مريء ولا نجيع[3] . والسلام» .

فأجابه عليّ بن أبي طالب ، عليه السلام : بسم الله الرحمن الرحيم : «أمّا بعد ، كلأنا الله وإيّاك كَلاءة من يخشاه بالغيب ، إنّه حميد مجيد . فقد قدِم عليّ عبد الرحمن بن عُبيد الأزديّ بكتابك ، تذكر فيه أنّك لقيت ابن أبي سَرْح مقبلاً من قُدَيد ، في نحو من أربعين شابّاً من أبناء الطلقاء ، وإنّ بُنَيّ أبي سرح طال ما كاد الله ورسوله وكتابه ، وصدّ عن سبيله ، وبغاها عِوجاً ، فدَع بني أَبي سرح عنك ، ودَع قريشاً وتَرْكاضَهم في الضلالة ، وتَجْوالَهم في الشقاق ، فإنّ قريشاً قد أَجمعت على حرب أخيك ، إجماعها على حرب رسول الله ﷺ قبل اليوم ، فأصبحوا قد جهِلوا حقّه ، وجَحَدوا فضله ، وبادَوه بالعداوة ، ونصبوا له الحرب ، وجهدوا عليه كلّ الجهد ، وساقوا إليه جيش الأمَرَّين . اللهمّ فاجز عنّي قريشاً الجوازي ، فقد قطعت رحمي ، وتظاهرت عليّ ، والحمد لله على كلّ حال .

«وأمّا ما ذكرت من غارة الضحاك بن قيس على الحيرة ، فهو أَقلّ وأَذلّ من أن يقرب الحيرة ، ولكنّه جاء في خيل جريدة ، فلزم الظهر ، وأخذ على السماوة ، فمرّ بواقصة وشَراف وما والى ذلك الصقع ، فسرحت إليه جيشاً كثيفاً من المسلمين ، فلمّا بلغه ذلك جاز هارباً ، فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق وقد أمعن في السير ، وقد طَفَلت[4] الشمس للإياب ، فاقتتلوا شيئاً كَلا ولا[5] ، فولّى ولم يصبر ، وقُتِل من أصحابه بضعة عَشَر رجلاً ،

1 المثل «أذل من فقع بقرقرة» في مجمع الميداني 1 : 284 وجمهرة العسكري 1 : 458 والدرة الفاخرة 1 : 304 .

2 فواقاً : وقتاً قصيراً .

3 نجيع : هنيء .

4 طفلت : مالت .

5 كلا ولا : مدة قليلة .

ونجا جَرِيضاً[1] بعد ما أُخِذ منه بالمُخَنَّق ، فَلأْيا بلأْي ما نجا»[2] .

«وأمّا ما سألت عنه أن أكتب إليك فيه برأيي ، فإنّ رأيي قتالُ المُحِلِّين[3] حتى ألقى الله ، لا يزيدني كثرةُ الناس حولي عِزَّة ، ولا تفرُّقهم عنّي وحشة ، لأنّي محِقّ ، والله مع الحقّ وأهله ، وما أكره الموت على الحقّ ، وما الخير كلّه إلاّ بعد الموت لَمن كان مُحِقّاً» .

«وأمّا ما عرضته عليّ من مسيرك إليّ ببنيك وبني أبيك ، فلا حاجة لي في ذلك ، فأَقِم راشداً مهديّاً ، فوالله ما أُحِبّ أن تهلِكوا معي إن هلكت ، ولا تحسَبَنَّ ابن أبيك لو أسلمه الزمان والناس متضرِّعاً متخشِّعاً ، لكن أقول كما قال أخو بني سُلَيم : [من الطويل]

فإن تسأليني كيف أنتَ فإنّني صبور على ريب الزمان صَلِيبُ

يعِزُّ عليّ أن تُرى بي كآبة فيشمتَ باغٍ أو يُساءَ حبيبُ

والسلام» .

رجع الخبر إلى سياقة مَقتل الصبيين

[نوح أم حكيم على طفليها]

ثم إنّ بُسْر بن أَرطاة كرَّ راجعاً ، وانتهى خبره إلى عليّ عليه السلام ، أنّه قتل عبد الرحمن وقُثَمَ ابنَي عُبيد الله بن العبّاس ، فسرَّح حارثة بن قُدامة السعديّ في طلبه ، وأمره أن يُغِذَّ السير ، فخرج مسرعاً ، فلمّا وصل إلى المدينة ، وانتهى إليه قتل عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وبيعة الحسن رضي الله تعالى عنه ، ركب في السلاح ، ودعا أهل المدينة إلى البيعة للحسن ، فامتنعوا ، فقال : والله لتبايعُنّ ولو بأستاهكم . فلمّا رأى أهلُ المدينة الجِدّ منه بايعوا للحسن ، وكرّ راجعاً إلى الكوفة ، فأصاب أُمَّ حكيم بنت قارظ ولْهَى على ابنيها ، فكانت لا تعقِل ولا تُصْغي إلى قول مَن أعلمها أنّهما قد قُتِلا ، ولا تزال تطوف في المواسم ، تنشدُ الناس ابنيها بهذه الأبيات : [من البسيط]

صوت

يا مَن أحسَّ بُنيَّي اللذين هما كالدُّرَّتين تَشظَّى عنهما الصدفُ

يا مَن أحسَّ بنيَّي اللذين هما سمعي وقلبي ، فقلبي اليوم مختَطَفُ

---

1 جريضاً : مشرفاً على الهلاك .

2 لأياً بلأي ما نجا : نجا بعد مشقة وجهد .

3 المحلون : الخارجون من الميثاق والبيعة .

يـا مَـن أحسّ بُنَيَّيَ اللذين هما مُخُّ العظام فمخّي اليوم مُزْدَهَفُ
نُبِّئت بُسْراً وما صدّقت ما زعموا من قولهم ومِن الإفك الذي اقترفوا
أنحـى على وَدَجَـيْ إبنيَّ مُرْهَفَةً مشحوذة وكذاك الإثم يقترفُ
حتى لقِيـت رجـالاً مـن أرومته شمّ الأنوف لهم في قومهم شرفُ
فالآن ألعـن بُسْراً حـقَّ لعنتـه هـذا لعمر أبي بُسْرٍ هـو السَّرَفُ
مَـن دَلَّ والهـةً حَـرَّى مُدَلَّهـة على صبيَّين ضلاّ إذ هوى السلفُ

الغناء لأبي سعيد مولى فائد ، ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو ، وفيه خفيف ثقيل ، يقال إنّه له أيضاً ، وفيه لِعَريب رمل نشيد .

[دعاء علي على بسر]

قالوا : ولّما بلغ عليّ بن أبي طالب عليه السلام قتل بُسْرٍ الصبيين ، جزع لذلك جزعاً شديداً ، ودعا على بُسْر لعنه الله ، فقال : اللهمّ اسلُبه دينه ، ولا تخرجه من الدنيا حتى تسلُبه عقله ! فأصابه به ذلك ، وفقد عَقله ، فكان يهذِي بالسيف ويطلبه ، فيؤتى بسيف من خشب ، ويُجْعَل بين يديه زِقّ منفوخ ، فلا يزال يضربه حتى يسأم ، ثم مات لعنه الله .

[بين عبيد الله بن العبّاس وبسر]

ولّما كانت الجماعة واستقرّ الأمر على معاوية ، دخل عليه عُبيد الله بن العبّاس وعنده بسر بن أرطاة ، فقال له عبيد الله : أأنت قاتل الصبيين أيّها الشيخ ؟ قال بسر : نعم أنا قاتلهما . فقال عبيد الله : أما والله لوددت أنّ الأرض كانت أنبتَتْني عندك . فقال بسر : فقد أنبتتك الآن عندي . فقال عبيد الله : ألا سيف ! فقال له بسر : هاك سيفي . فلمّا أهوى عبيد الله إلى السيف ليتناوله ، أخذه معاوية ، ثم قال لبسر : أخزاك الله شيخاً قد كبرت وذهب عقلك ، تعمِد إلى رجل من بني هاشم قد وتَرْته وقتلت ابنَيه ، تدفع إليه سيفك ، إنّك لغافل عن قلوب بني هاشم ، والله لو تمكن منه لبدأ بي قبلك . فقال عبيد الله : أجل ، والله ، ثم إذن لثنَّيْتُ به .

[انتقام من ابنَي بسر]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : أخبرني محمد بن مسروق قال : قال الأصمعيّ : سمِع رجل من أهل اليمن وقد قدِم مكّة امرأة عبيد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب تندب ابنَيها اللذين قتلهما بسر بن أرطاة بقولها : [من البسيط]

يـا مَـن أحسَّ بُنَيَّيَ اللذيـن همـا كالدرّتين تشظّى عنهما الصَّدَفُ

فرقّ لها ، فاتّصل ببُسر حتى وثق به ، ثم احتال لقتل ابنَيه ، فخرج بهما إلى وادي أوطاس ، فقتلهما وهرب ، وقال : [من البسيط]

يـا بُسر بسرَ بني أَرطاةَ مـا طلعت شمس النهارِ ولا غابـت على ناسِ
خيرٍ مـن الهاشميِّين الذيـن هُـمُ عين الهدى وسِمام الأشوس القاسي[1]
مـاذا أردت إلى طفـلي مُدَلَّهة تبكي وتندب مَن أُثكلت في الناسِ
إمّا قتلتهما ظلماً فقـد شرِقـت في صاحبيك قناتي يـوم أوطاسِ
فاشرب بكأسهما ثُكلاً كما شربت أُمّ الصبيَّـين أو ذاق ابـن عبّاسِ

صوت

[من الطويل]

أَلا فاسقياني مــن شرابكما الوَرْدِي وإن كنت قد أَنفدتُ فاستَرهِنا بُردِي
سِواري ودُملوجي وما ملكت يدي مباح لكم نَهْبٌ فـلا تقطعوا وِردِي

عروضه من الطويل . والشعر لأمّ حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبي العاصي بن أُميّة بن عبد شمس . والغناء لإبراهيم الموصليّ ، رمل بالوسطى ، من رواية عمرو بن بانة .

1 الأشوس : الشديد الجريء في القتال .

[327] ـ ذكر أمّ حكيم وأخبارها[1]

قد مضى ذكر نسبها .

[أمّها وجدتها]

وأمّها زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وكانت هي وأمّها من أجمل نساء قريش ، فكانت قريش تقول لأمّ حكيم : الواصلة بنت الواصلة ، وقيل : الموصِلة بنت المُوصِلة ، لأنّهما وصلتا الجمال بالكمال .

وأُمّ زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام : سُعْدى بنت عوف بن خارجة بن سِنان بن أبي خارجة بن عوف بن أبي حارثة بن لأُم الطائيّ . وكانت سُعدى بنت عوف عند عبد الله بن الوليد بن المغيرة ، فولدت له سَلمة ورَيطة . ثم توفّي عنها ، فخلف عليها طلحة بن عبيد الله ، فولدت له يحيى وعيسى ، ثم قتل عنها ، فخطبها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فتكلّم بنوها ، وكرهوا أن تتزوّج وقد صاروا رجالاً ، فقالت : إنّه قد بقي في رحم أمّكم فضلة شريفة ، لا بدّ من خروجها ، فتزوّجها . فولدت له المغيرة بن عبد الرحمن الفقيه ، وزينب ، وهي أمّ أمّ حكيم .

وكان المغيرة أحد أجواد قريش والمطعمين منهم ، وقد قدِم الكوفة على عبد الملك بن بشر بن مروان ، وكان صديقه ، وبها جماعة يطعمون الناس من قريش وغيرهم ، فلمّا قدِم تغيّبوا ، فلم يظهر أحد منهم حتى خرج ، وبثّ المغيرة الجِفان في السكك والقبائل يطعم الناس ، فقال فيه شاعر من أهل الكوفة : [من الوافر]

أتاكَ البحرُ طَمَّ على قُريشٍ مُغِيريّ فقد راغ ابنُ بِشرِ

قال مصعب الزُّبيريّ : هو ، يعني المغيرة ، مطعم الجيش بمنى ، وهو إلى الآن يطعَم عنه . قال : وكانت أخته زينب أحسن الناس وجهاً وقدّاً ، وكأن أعلاها قضيب ، وأسفلها كثيب ، فكانت تسمّى الموصِلة . وسُمّيت بنتها أمّ حكيم بذلك ، لأنّها أشبهتها .

أُخبرني عمّي قال : حدَّثني ابن أبي سعد قال : حدَّثني عليّ بن محمد بن يحيى الكنانيّ عن أبيه قال : كانت زينب بنت عبد الرحمن من لِين جسدها يقال لها الموصِلة : قال مصعب : فتزوّج زينب أبان بن مروان بن الحكم ، فولدت له عبد العزيز بن أبان ، ثم مات عنها ،

1 لأم حكيم بنت يحيى بن الحكم (الواصلة) ترجمة في ثمار القلوب : 299 .

فخطبها يحيى بن الحكم وعبد الملك بن مروان ، فمالوا إلى عبد الملك ، فأرسل يحيى إلى المغيرة بن عبد الرحمن : كم الذي تأمُل من عبد الملك ؟ والله لا يزيدها على ألف دينار ، ولا يزيدك على خمس مئة دينار ، ولها عندي خمسون ألف دينار ، ولك عندي عشرة آلاف دينار إن زوّجتنيها ، فزوَّجه إيّاها على ذلك . فغضب عليه عبد الملك . وقال : دخل عليَّ في خِطبتي . والله لا يخطب على مِنبر ما دمت حيّاً ، ولا رأى منّي ما يُحبّ ، فأسقطه . فقال يحيى : لا أُبالي ، كعكتان وزينب .

قال ابن أبي سعد : وأُخبرت عن محمد بن إسحاق المسيّبي قال : حدَّثني عبد الملك بن إبراهيم الطلحيّ : أنّها لمّا خُطبت قالت : لا أتزوّج والله أبداً إلاّ مَن يغني أخي المغيرة . فأرسل إليها يحيى بن الحكم : أيغنيه خمسون ألف دينار ؟ قالت : نعم . قال : فهي له ، ولك مثلها . فقالت : ما بعد هذا شيء . أرسل إلى أهلك شيئاً من طِيب ، وشيئاً من كسوة .

قال : ويقال إنّ عبد الملك لمّا تزوّجها يحيى قال : لقد تزوّجتْ أفْوَهَ غليظ الشفتين . فقالت زينب : هو خير من أبي الذّبان فماً ، فما له يعيبه بفمه ؟ وقال يحيى : قولوا له أقبح من فمي ما كَرِهَتْ من فمك .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني أبو غسّان ، عن عبد العزيز بن أبي ثابت ، عن عمّه محمد بن عبد العزيز : أنّ عبد الملك خطب زينب إلى المغيرة أخيها ، وكتب إليه أن يَلْحق به ، وكان بفلسطين أو بالأُردنّ ، فعرض له يحيى بن الحكم ، فقال له : أين تريد ؟ قال : أريد أمير المؤمنين . قال : وما تصنع به ؟ فوالله لا يزيدك على ألف دينار يكرمك بها ، وأربع مئة دينار لزينب ، ولك عندي ثلاثون ألف دينار ، سوى صداق زينب . فقال المغيرة : أوَ تنقل إليّ المال قبل عقد النكاح ؟ قال : نعم ، فنقل إليه المال . فتجهّز المغيرة ، وسيَّر ثَقَله ، ثم دخله على يحيى فزوَّجه ، وخرج إلى المدينة ، فجعل عبد الملك ينتظر المغيرة ، فلمّا أبطأ عليه قيل له : يا أمير المؤمنين ، إنّه زوّج يحيى بن الحكم زينب بنت عبد الرحمن ، بثلاثين ألف دينار ، وأعطاه إيّاها ، ورجع إلى منزله . فغضب على يحيى ، وخلعه عن ماله ، وعزله عن عمله ، فجعل يحيى يقول : [من الطويل]

ألا لا أُبالي اليوم ما فعل الدهرُ إذا بقيــت لي كعكتان وزينبُ

[زواج أمّ حكيم]

قال : وكانت زينب تسمّى المُوصِلة ، من حسن جسدها ، وكانت أُمّ حكيم تحت عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، تزوّجها في حياة جدّه عبد الملك ، ولمّا عقد النّكاح بينهما ، عقد في مجلس عبد الملك ، وأمر بإدخال الشعراء ليهنئوهم بالعقد ، ويقولوا في ذلك أشعاراً

كثيرة يرويها الناس ، فاختير منهم جرير وعديّ بن الرّقاع ، فدخلا ، وبدأ عديّ لموضعه منهم ، فقال : [من الكامل]

قَمرُ السماء وشمسُها اجتمعا بالسَّعد ما غابا وما طلعا
ما وارت الأستارُ مثلهما مَن ذا رأى هذا ومَن سمِعا ؟
دام السرور له بها ولها وتَهنّيا طول الحياة معا

وقال جرير[1] : [من الكامل]

جَمع الأمير إليه أكرم حرةٍ في كلّ ما حالٍ من الأحوالِ
حَكَميّة علَتِ الروابيَ كلَّها بمفاخر الأعمام والأخوالِ
وإذا النساء تفاخرت ببعولةٍ فخرتهمُ بالسيِّد المفضالِ
عبد العزيز ومن يكلفْ نفسه أخلاقه يَلْبَثْ بأكسف بالِ
هنأتكم بمودّة ونصيحة وصدقت في نفسي لكم ومقالي
فلتهنِك النِّعَم التي خُوِّلتَها يا خيرَ مأمول وأفضلَ والِ

فأمر له عبد الملك بعشرة آلاف درهم ، ولعديّ بن الرّقاع بمثلها ، وقضى لأهله ومواليه يومئذٍ مئة حاجة ، وأمر لجميع مَن حضر من الحرس والكتّاب بعشرة دنانير عشرة دنانير . فلم تزل أُمّ حكيم عند عبد العزيز مدّة ، ثم تزوّج ميمونة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر ، فملكته وأحبّها ، وذهبت بقلبه كلّ مذهب ، فلم ترض منه إلاّ بطلاق أُمّ حكيم ، فطلّقها ، فتزوّجها هِشام بن عبد الملك ، ثم مات عبد العزيز ، فتزوّج هشام ميمونة أيضاً . وكان شديد المحبّة لأمّ حكيم ، فطلّق لها ميمونة ، اقتصاصاً لها منها فيما فعلته بها في اجتماعهما عند عبد العزيز ، وقال لها : هل أرضيتك منها ؟ فقالت : نعم . فولدت أُمّ حكيم من هشام ابنه يزيد بن هشام ، وكان من رجالات بني أُميّة ، وكان أحد مَن يطعُن على الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، ويغري الناس به .

[كأس أمّ حكيم]

وكانت أُمّ حكيم منهومة بالشراب ، مدمنة عليه ، لا تكاد تفارقه . وكأسها الذي كانت تشرب فيه مشهور عند الناس إلى اليوم ، وهو في خزائن الخلفاء حتى الآن ، وفيه يقول الوليد بن يزيد[2] : [من الخفيف]

1 لم ترِد هذه الأبيات في ديوان جرير (صادر) .
2 ديوان الوليد بن يزيد : 65 (دار الكتاب الجديد) .

صوت

عَلِّلاني بعاتقات الكرومِ ... واسقياني بكأسَ أُمِّ حكيمِ
إنّها تشرب المدامة صِرفاً ... في إناء من الزجاج عظيمِ
جَنِّبوني أذاة كلّ لئيم ... إنّه ما علمتُ شرُّ نديمِ
ثم إن كان في النَّدامى كريم ... فأذيقوه مَسّ بعض النعيمِ
أنت حظّي من النساء سُلَيْمى ... إن سَلْماىَ جَنّتي ونعيمي
فدَعوني من الملامة فيها ... إن مَن لامني لغيرُ حليمِ

عروضه من الخفيف . غناء عمر الوادي من رواية يونس . وفي رواية إسحاق : غنّاه الغُزَيل أبو كامل : خفيف رمل بالسبابة في مجرى البنصر .

فيقال إنّ هذا الشعر بلغ هشاماً ، فقال لأُمّ حكيم : أتفعلين ما ذكره الوليد ؟ فقالت : أوَ تصدقه الفاسقَ في شيء ، فتصدقَه في هذا ؟ قال : لا . قالت : فهو كبعض كذبه .

[تهاجي يزيد بن هشام والوليد]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : كان يزيد بن هشام هجا الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، فقال : [من الطويل]

فحسْبُ أَبي العبّاس كأس وقَيْنةٌ ... وزِقّ إذا دارت به في الذوائبِ
ومن جلساء الناس مثلُ ابن مالك ... ومثل ابن جَزْء والغلام ابن غالبِ

فقال الوليد يهجوه ، ويعيره بشرب أُمِّه الشراب : [من الخفيف]

إنّ كأس العجوز كأسٌ رَواءٌ ... ليس كأس ككأس أُمِّ حكيمِ
إنّها تشرب الرَّساطون صِرْفاً ... في إناء من الزجاج عظيمِ[1]
لو به يشرب البعيرُ أو الفيـ ... ـل لظَلاّ في سَكرة وغُمومِ
ولدته سَكْرى فلم تحسن الطَّلْـ ... ـق فوافى لذاك غير حليمِ

[أبو شاكر بن هشام وولاية العهد]

وكان لهشام منها ابن يقال له مَسْلمة ، ويُكْنى أَبا شاكر ، وكان هشام ينوِّه باسمه ، وأَراد أَن يوليه العهد بعده ، وولاّه الحجّ ، فحجّ بالناس ، وفيه يقول عُروة بن أُذينة ، لما وفد على هشام ، وفَرَّق في الحجاز على أهلها مالاً كثيراً ، وأحبّه الناس ومدحوه : [من المتقارب]

---

1 الرساطون : الخمر .

أتينـــا نَمُـــتُّ بأرحامنا وجئنا بأمـــر أبي شاكرِ

وفيه يقول الوليد بن يزيد بن عبد الملك في حياة أبيه ، وأشاع ذلك وغنّى فيه ، وأراد أن يعيّره بذلك[1] : [من السريع]

صوت

يــا أيّـها السائلُ عن ديننا نحن على دِين أبي شاكرِ

نشربُها صِرْفاً وممزوجةً بالسخن أحيانـــاً وبالفاترِ

فقال بعض شعراء أهل الحجاز يجيبه : [من السريع]

يــا أيّـها السائل عن ديننا نحن على دِيــن أبي شاكرِ

الواهـــبِ البُزْلِ بأرسانِها ليس بزنديــقٍ ولا كافرِ

فذكر أحمد بن الحارث عن المدائنيّ أنّ هشاماً لمّا أراد أن يوليه العهد ، كتب بذلك إلى خالد بن عبد الله القَسْريّ ، فقال خالد : أنا بريء من خليفة يكنى أبا شاكر . فبلغ قومه هشاماً ، فكان سبب إيقاعه به .

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال : حدَّثني محمد بن موسى قِمَطر ، عن إسماعيل بن مجمع قال : كنّا نخرج ما في خزائن المأمون من الذهب والفضة ، فنزكّي عنه ، فكان فيما يُزَكّى عنه ، قائم كأس أُمّ حكيم ، وكان فيه من الذهب ثمانون مثقالاً . قال محمد بن موسى : سألت إسماعيل بن مجمع عن صفته ، فقال : كأس كبير من زجاج أخضر ، مَقْبِضه من ذهب . هكذا ذكر إسماعيل .

وقد حدَّثني علي بن صالح بن الهيثم بمثله ، قال : حدَّثنا إبراهيم بن أحمد المادرائي قال : لمّا أخرج المعتمد ما في الخزائن ليباع ، في أيّام ظهور الناجم بالبصرة ، أخرج إلينا كأس أم حكيم ، فكان كأساً مدوَّراً على هيئة القِحْف ، يسع ثلاثة أرطال ، فقُوِّم بأربعة دنانير ، فعجبنا من حصول مثله في الخزانة ، مع خساسة قدره ، فسألنا الخازن عنه . فقال : هذا كأس أُمّ حكيم ، فرددناه إلى الخزانة . ولعلّ الذهب الذي كان عليه أخذ منه حينئذٍ ، ثم أُخرج ليباع .

قال محمد بن موسى : وذكر لي عُبيد بن محمد عن أبي الأغرّ ، قال : كنّا مع محمد بن الجُنيد الخُتَّليّ أيّام الرشيد ، فشرب ذات ليلة ، فكان صوته : [من الخفيف]

عَلِّلاني بعاتقـــات الكـرومِ واسقياني بكـأس أُمّ حكيمِ

فلم يزل يقترحه ويشرب عليه حتى السحَر ، فوافاه كتاب خليفته في دار الرشيد : إنّ

1 ديوان الوليد بن يزيد : 39 .

الخليفة على الركوب . وكان محمد أحد أصحاب الرشيد ، ومن يقدِّم دابته ، فقال : وَيْحَكم ! كيف أعمل والرشيد لا يقبل لي عذراً وأنا سكران . فقالوا : لا بدّ من الركوب ، فركب على تلك الحال ؛ فلمّا قدَّم إلى الرشيد دابته ، قال له : يا محمد ، ما هذه الحال التي أراك عليها ؟ قال : لم أعلم برأي أمير المؤمنين في الركوب ، فشربت ليلي أجمع . قال : فما كان صوتك ؟ فأخبره .

فقال له : عُدْ إلى منزلك ، فلا فضْلَ فيك ، فرجع إلينا وخبَّرنا بما جرى ، وقال : خذوا بنا في شأننا ، فجلسنا على سطح ، فلمّا مَتَع النهار إذا خادم من خدم أمير المؤمنين قد أقبل إلينا على بِرذَون ، في يده شيء مُغَطًّى بمنديل ، قد كاد ينال الأرض ، فصعد إلينا ، وقال لمحمد : أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : قد بعثنا إليك بكأس أُمّ حكيم ، لتشرب فيه ، وبألف دينار تنفقها في صَبوحك . فقام محمد ، فأخذ الكأس من يد الخادم ، وقبَّلها ، وصبّ فيها ثلاثة أرطال ، وشربها قائماً ، وسقانا مثل ذلك ، ووهب للخادم مئتي دينار ، وغَسَل الكأس ، وردَّها إلى موضعها ، وجعل يفرّق علينا تلك الدنانير ، حتى بقي معه أقلّها .

[الأعشى يهجو علقمة بن علاثة]

صوت[1]

[من السريع]

علقمَ ما أنتَ إلى عامرٍ	الناقضِ الأوتارِ والواترِ
إن تَسُد الحُوصَ فلم تعدُهمْ	وعامرٌ سادَ بني عامرِ
عهدي بها في الحيّ قد أُبرزت	صفراءَ مثل المُهْرة الضامرِ
قد حجمَ الثديُ على صدرها	في مُشْرِق ذي بهجة ناضرِ
لو أسندت مَيتاً إلى نحرِها	عاش ولم يُنْقَل إلى قابرِ
حتى يقولَ الناس ممّا رأوا	يا عَجَباً للميّتِ الناشرِ

عروضه من السريع . والشعر للأعشى : أعشى بني قيس بن ثعلبة ، يمدح عامر بن الطُّفيل ، ويهجو علقمة بن عُلاثة .

والغناء لمعبد في الثالث وما بعده ، خفيف ثقيل الأوّل بالبنصر . وفي الأبيات لحُنين ثقيل أوّل مطلق ، في مجرى البِنْصر ، عن إسحاقَ . وفيها أيضاً لحن آخر ذكره في المجرّد ولم يُجَنِّسه ، ولم ينسبه إلى أحد .

1 من قصيدة طويلة للأعشى في ديوانه (صادر) : 92–96 مع اختلاف في اللفظ والترتيب .

[328] ـ الخبر في هذه القصة ، وسبب منافرة عامر وعلقمة وخبر الأعشى وغيره معهما فيها[1]

أخبرني بذلك محمد بن الحسن بن دريد إجازة ، عن أبي حاتم ، عن أبي عبيدة . ونسخت من روايات ابن الكلبيّ عن أبيه ، ومن رواية دَماذ والأثرم عن أبي عبيدة والأصمعيّ ، ومن رواية ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ عن المفضَّل ، ومن رواية أبي عمرو الشيبانيّ عن أصحابه ؛ فجمعت رواياتهم ، ولكلّ امرىء منهم زيادة على صاحبه ، ونقصان عنه ، واللفظ مشترك في الروايات ، إلاّ ما حكيته مفرداً .

[سبب المنافرة بين عامر وعلقمة]

قال ابن الكلبيّ : حدَّثني أبي ومحيريز بن جعفر ، وجعفر بن كلاب الجعفريّ ، عن بشر بن عبد الله بن حبّان بن سَلْمى بن مالك بن جعفر ، عن أبيه ، عن أشياخه وذكر بعضه أبو مسكين ، قالوا : أوّل ما هاج النِّفارَ بين عامر بن الطُّفيل بن مالك بن جعفر ، وبين علقمة بن عُلاثة بن عوف بن الأحوص .

وأُمّ عامر : كبشة بنت عروة الرحّال بن عتبة بن جعفر ، وأمّها أُمّ الظباء بنت معاوية ، فارس الهَرَّار ، ابن عبادة بن عَقِيل بن كعب بن ربيعة ، وأُمّها خالدة بنت جعفر بن كلاب ، وأُمّها فاطمة بنت عبد شمس بن عبد مناف . وأُمّ أبيه الطُّفيل : أُمّ البنين بنت ربيعة بن عمرو بن عامر بن صعصعة .

قال أبو الحسن الأثرم : وكانت أُمّ علقمة ليلى بنت أبي سفيان بن هلال بن النَّخَع سبِيَّة ، وأُمّ أبيه ماوية بنت عبد الله بن الشَّيطان بن بكر بن عوف بن النَّخَع مَهِيرة .

أنّ علقمة كان قاعداً ذات يوم يبول ، فبصُر به عامر ، فقال : لم أَرَ كاليوم عورة رجل أقبح . فقال علقمة : أما والله ما تَثب على جاراتها ، ولا تنازل كَنَّاتها ؛ يعرِّض بعامر . فقال عامر : وما أنت والقروم ! والله لفرس أبي «حَنوةُ» أذكر من أبيك ؛ ولفحل أبي «غيهبُ» أعظم ذِكراً منك في نجد . قال : وكان فرسه فرساً جواداً ، نجا عليه يوم بني مرّة بن عوف بن سعد بن ذُبيان ، وكان فحله فحلاً لبني حَرملة بن الأشعر بن صِرْمة بن مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان .

1 أورد صاحب التذكرة الحمدونية خبر هذه المنافرة 7 : 399–403 وانظر سرح العيون : 162–166 .

قال الأثرم : وأخبرني رجل من جهينة بدمشق ، قال : هو الأشعر بن صِرمة .

قال : الأثرم : سمّي صِرمة غيهب لسواده .

قال ابن الكلبيّ : فاستعاره منهم يستطرقه[1] ، فغلبهم عليه ، فقال علقمة : أما فرسكم فعارة[2] ، وأمّا فحلكم فغدرة . ولكن إن شئت نافرتك . فقال : قد شئت .

فقال عامر : والله لأنـا أكرم منك حسباً ، وأثبت منك نسباً ، وأطول منك قصباً .

فقال علقمة : لأنـا خير منك ليلاً ونهاراً .

فقال عامر : لأنـا أحبّ إلى نسائك أن أصبح فيهنّ منك .

فقال علقمة : على ماذا تنافرني يا عامر ؟

فقال عامر : أنافرك على أنـي أنحر منك للّقاح ، وخير منك في الصباح[3] ، وأطعم منك في السنة الشّياح[4] .

فقال علقمة : أنت رجل تقاتل والناس يزعمون أنّي جبان ، ولأن تلقى العدوّ وأنا أمامك ، أعزّ لك من أن تلقاهم وأنا خلفك . وأنت جواد والناس يزعمون أنـي بخيل ، ولست كذلك ، ولكن أنافرك أنـي خير منك أثراً ، وأحدُّ منك بصراً ، وأعزّ منك نفراً ، وأسرح[5] منك ذِكْراً .

فقال عامر : ليس لبني الأحوص فضل على بني مالك في العدد ، وبصري ناقص ، وبصرك صحيح ، ولكنّي أنافرك على أنّي أنشر منك أمّـة[6] ، وأطول منك قِمَّة ، وأحسن منك لِمّة ، وأجعد منك جُمّة ، وأبعد منك همّة .

قال علقمة : أنت رجل جسيمٍ ، وأنا رجل قضيف ، وأنت جميل ، وأنا قبيح ، ولكنّي أنافرك بآبائي وأعمامي .

فقال عامر : آباؤك أعمامي ولم أكن لأنافرك بهم ، ولكنّي أنافرك أنّي خير منك عَقِباً ، وأطْعَمُ منك جَدْباً .

قال علقمة : قد علمت أن لك عقِباً في العشيرة ، وقد أطْعَمت طيباً إذ سارت ؛ ولكنّي

---

1 يستطرقه : يتخذه فحلاً .

2 عارة : عارية .

3 في الصباح : الغارة على الأعداء في الصبح .

4 الشياح : القحط .

5 أسرح : أبعد .

6 يريد أكثر عدداً .

أُنافرك أنّي خير منك ، وأولى بالخيرات منك ؛ وقد أكثرنا المراجعة منذ اليوم .

قال : فخرجت أُمّ عامر ، وكانت تسمع كلامهما ، فقالت : يا عامر ، نافره أيكما أولى بالخيرات .

قال أبو المنذر : قال أبو مسكين : قال عامر في مراجعته : والله لأنا أركب منك في الحُماة ، وأقتل منك للكُماة ، وخير منك للمولى والمولاة .

فقال له علقمة : والله إنّي أعزّ منك . إنّي لبرٌّ وإنّك لفاجر ، وإنّي لوفيّ وإنّك لغادر ، ففيم تفاخرني يا عامر ؟ فقال عامر : والله إنّي لأنْزَلُ منك للقفرة ، وأنحر منك للبَكْرة ، وأطعم منك للهَبْرة ، وأطعن منك للثُّغْرة .

فقال علقمة : والله إنك لكليل البصر ، نَكِد النظر ، وثّاب على جاراتك بالسَّحَر .

فقال بنو خالد بن جعفرٍ ، وكانوا يداً مع بني الأحوص على بني مالك بن جعفر : لن تطيق عامراً ، ولكن قل له : أنافرك بخيرنا وأقربنا إلى الخيرات ، وخذ عليه بالكِبَر . فقال له علقمة هذا القول .

فقال عامر : عنز وتيس ، وتيس وعنز[1] ، فذهبت مثلاً . نعم على مِئة من الإبل ، إلى مئة من الإبل يُعطاها الحكم ، أينا نُفِّرَ عليه صاحبه أخرجها ، ففعلوا ذلك ، ووضعوا بها رهُناً من أبنائهم ، على يدي رجل من بني الوحيد ، فسمّي الضَّمين إلى الساعة ، وهو الكفيل .

قال : وخرج علقمة ومَن معه من بني خالد ، وخرج عامر فيمن معه من بني مالك ، وقد أتى عامر بن الطفيل عمَّه عامر بن مالك ، وهو أبو بَراء ، فقال : يا عمّاه ، أعنّي . فقال : يا ابن أخي ، سبَّني . فقال : لا أسبّك وأنت عمّي . قال : فسُبَّ الأحوص . فقال عامر : ولا أسبّ والله الأحوص وهو عمّي ، فقال : فكيف إذن أعينُك ، ولكن دونك نعلي ، فإنّي قد رَبَعْت فيها أربعين مِرْباعاً ، فاستعن بها في نفارك .

[اختيار الحكم]

وجعلا منافرتهما إلى أبي سفيان بن حرب بن أُميّة ، فلم يقل بينهما شيئاً ، وكره ذلك لحالهما وحال عشيرتهما ، وقال : أنتما كركبتي البعير الأدرم[2] ، تقعان بالأرض . قالا : فأينا اليمين ؟ فقال : كلاكما اليمين ، وأبى أن يقضي بينهما . فانطلقا إلى أبي جهل بن هشام ، فأبى أن يحكم بينهما ، فوثب مروان بن سُراقة بن قتادة بن عمرو بن الأحوص بن جعفر ، فقال : [من الرجز]

---

1 لم نعثر عليه في كتب الأمثال .

2 الأدرم : الذي تراكب شحمه ولحمه ، والذي ذهبت جلدة أسنانه ودنا وقوعها ، أو الذي لا أسنان له .

يــا آل قريشٍ بيِّنـوا الكلاما إنّـا رضينـا منكـم الأحكاما
فبيِّنـوا إن كنتـمُ حكّامـا كان أبونـا لهـمُ إمــاما
وعبـد عمْرو منـع الفِئامـا في يـوم فخـر مُعْلَم إعلاما
ودَعْلَـجٌ أقدمـه إقدامـا لـولا الذي أجشمهم إجشاما
لاتخذتْهـم مَذْحِـج نَعامـا

قال : فأبَوا أن يقولوا بينهما شيئاً .

وقد كانت العرب تُحاكم إلى قريش ، فأتيا عُيينة بن حصن بن حذيفة ، فأبى أن يقول بينهما شيئاً . فأتيا غَيْلان بن سَلَمة بن مُعْتب الثَّقَفِيّ ، فردّهما إلى حَرْملة بن الأشعر المُرِّي ، فردّهما إلى هَرِم بن قطْبة بن سنان بن عمرو الفَزاريّ ، فانطلقا حتى نزلا به .

وقال بشر بن عبد الله بن حبّان بن سلمى : إنّهما ساقا الإبل معهما ، حتى أثنت وأربعت ، لا يأتيان أحداً إلاّ هاب أن يقضي بينهما . فقال هرم : لعمري لأحكمن بينكما ، ثم لأفصِلن ، ثم لست أثِق بواحد منكما . فأعطياني موثقاً أطمئنّ إليه أن ترضيا بما أقول ، وتسلّما لما قضيت بينكما ، وأمرهما بالانصراف ، ووعدهما ذلك اليوم من قابل . فانصرفا حتى إذا بلغ الأجل من قابلٍ ، خرجا إليه ، فخرج علقمة ببني الأحوص ، فلم يتخلّف منهم أحد ، معهم القباب والجُزُر والقدور ، ينحرون في كلّ منزل ويطعمون ، وجمع عامر بني مالك ، فقال : إنّما تخاطرون عن أحسابكم ، فأجابوه وساروا معه ، ولم ينهض أبو براء معهم ، وقال لعامر : والله لا تطلع ثنية إلاّ وجدت الأحوص مُنيخاً بها ، وكره أبو بَراء ما كان من أمرهما ، فقال عامر فيما كره من منافرتهما ، ودعاء عامر إيّاه أن يسير معه : [من الوافر]

أأُومـر أن أسُبَّ أبـا شُريح ولا والله أفعـلُ مـا حييتُ
ولا أهـدِي إلى هـرم لِقاحاً فيُحيـي بعـد ذلك أو يُميتُ
أُكَلَّف سعيَ لُقمانِ بـن عادٍ فيـا آل أبي شُرَيْح مـا لقيتُ

قال : وأبو شريح : هو الأحوص . فكرِه كلّ واحد من البطنين ما كان بينهما . وقال عبدُ عَمْرِو بن شُرَيح بن الأحوص : [من الطويل]

لَحى الله وَفْدينا ومـا ارتحلا بـه مـن السَّوءَةُ الباقي عليهم وبالُها
ألا إنّمـا بُـرْدي صِفـاق متينة أبى الضيم أعلاهـا وأُثبتَ حالُها

قال : فسار عامر وبنو عامر على الخيل مُجْنِبي الإبل[1] ، وعليهم السلاح ، فقال رجل من

---

1 ل : عاِ الإبل مجنبي الخيل .

غنيّ : يا عامر ، ما صنعت ؟ أخرجت بني مالك تنافر بني الأحوص ومعهم القباب والجُزُر ، وليس معك شيء تطعمه الناس ! ما أسوأ ما صنعت ! فقال عامر لرجلين من بني عمّه : أحصيا كلّ شيء مع علقمة من قُبّة أو قِدْر أو لَقْحة . ففعلا . فقال عامر : يا بني مالك ، إنّها المقارعة عن أحسابكم ، فاشخَصُوا بمثل ما شَخَصوا به ففعلوا .

[شعراء المتنافرين]

وثار مع عامر لَبيد بن ربيعة والأعشى ، ومع علقمة الحطيئة وفتيان من بني الأحوص ، منهم السَّنْدريّ بن يزيد بن شريح ، ومروان بن سُراقة بن قَتادة بن عمرو بن الأحوص ، وهم يرتجزون ، فقال لبيد[1] : [من الرجز]

يـا هرِما وأنت أَهلُ عدلِ إن نُفّر الأَحوص يوماً قبلي
ليذهَبَـنَّ أَهلُـه بأَهـلي لا تَجْمَعَنَّ شكلَهم وشكلي
ونسـلَ آبائِهِـم ونسـلي

وقال أيضاً[2] : [من الرجز]

إنّي امرؤٌ من مالك بن جعفرِ علقم قـد نافرت غيرَ مُنْفَرِ
نافرتَ سَقْبا من سِقاب العَرْعَرِ

فقال قحافةُ بن عوف بن الأحوص : [من الرجز]

نهنهْ إليك الشعرَ يـا لَبيدُ واصْدُد فقد ينفعك الصُّدودُ
ساد أَبونـا قبـل أَن تَسودوا سُؤْدُدُكم مُطَّـرف زَهيـدُ

وقال أيضاً : [من الرجز]

إنّـي إذا اكتّنـي الخبـاء وضاع يـوم المَشهد اللِّواءُ
أُنْمى وقـد حُـقّ ليَ النماءُ إلى كهـولٍ ذِكرهـا سناءُ
إذ لا تزال جَلـدةٌ كَومـاء مبقـورةَ لسَقْبهـا رُغـاءُ
لم يَنْهنا عـن نحرهـا الصفاء لنـا عليكـمُ سُورَة وِلاءُ[3]
المجـدُ والسُؤْدُدُ والعَطـاءُ

1 ديوان لبيد : 343 .
2 ديوان لبيد : 334 .
3 سورة : منزلة رفيعة .

وقال أيضاً : [من الرجز]

أنتم هَزَلْتمْ عامرَ بـنَ مالكِ في شَتَـواتِ مُضَرَ الهوالِكِ
يـا شَرَّ أَحياءٍ وضرَّ هالكِ

قال : وأنشدها السَّنْدَرِيُّ يومئذٍ ، ورفع صوته ، فقيل : مَن هذا ؟ فقال : [من الرجز]

أَنا لِمَن أَنكر صوتي السَّنْدَرِيّ أَنا الفتى الجعد الطويل الجعفريّْ
من ولد الأَحوص أَخوالي غَنِيّ

فقال عامر : أجب يا لَبيد . فرغب لبيد عن إجابته ، وذلك لأَنّ السَّندريّ كانت جَدّته أَمَةً اسمها عَيْساء ، فقال[1] : [من الطويل]

لَمّـا دعـاني عامـرٌ لأَسُبَّهـم أَبيتُ وإن كان ابن عَيْساءَ ظالما
لكيما يكونَ السَّندَريُّ نَدِيدتِي وأَشتُمَ أَعمامـا عُمومـاً عَماعِما[2]
وأُنْشِرَ مـن تحت القبورِ أُبُـوَّةً كراما هـم شَدُّوا عليّ التّمائما
لعِبـت على أَكتافهمْ وحُجُورهم وَليـداً وسَمَّوني مُفيـداً وعاصما
أَلا أينـا مـا كان شرّاً لمالكٍ فـلا زال في الدّنيا مَلُوماً ولائما

قال : ووثب الحُطَيئة ، فقال[3] : [من الطويل]

مـا يحبِسُ الحُكّـامَ بالفصْل بعدما بـدا سابـقٌ ذو غُـرَّة وحُجُولِ

وقال أيضاً[4] : [من البسيط]

يا عامِ قد كنت ذا باعٍ ومكرمة لـو أَنّ مَسعاة مـن جاريتَه أَمَمُ
جاريت قَرْما أَجاد الأَحوصانِ به سمحَ اليديـن وفي عِرْنينه شَمَمُ
لا يصعُبُ الأَمـرُ إلاّ ريثَ يركَبُه ولا يبيـت على مـالٍ لـه قَسَمُ
هابـتْ بنو مالك مجداً ومَكْرُمَةً وغايةً كان فيهـا الموتُ لو قَدِموا
ومـا أَساءوا فِـراراً عـن مُجَلِّحةٍ لا كاهنٌ يَمتري فيها ولا حَكَمُ

---

1 ديوان لبيد : 286–287 .
2 العماعم : الجماعات المتفرقة .
3 ديوان الحطيئة : 94 وفيه :
فما ينظر الحكام بالفضل بعدما بـدا واضح ذو غـرة وحجـول
4 ديوان الحطيئة : 95 .

[دهاء الحكم]

قال : وأقام القوم عنده أيّاماً ، وأرسل إلى عامر ، فأتاه سرّاً ، لا يعلم به علقمة ، فقال : يا عامر ، قد كنتُ أرى لك رأياً ، وأنّ فيك خيراً ، وما حبستك هذه الأيّام إلاّ لتنصرف عن صاحبك . أتنافر رجلاً لا تفخَر أنت وقومُك إلاّ بآبائه ؟ فما الذي أنت به خير منه ؟

قال عامر : أُنشُدُك الله والرَّحِم أن لا تُفَضِّل عليّ علقمة ، فوالله لئِن فعلت لا أُفلح بعدها أبداً . هذه ناصيتي فاجزُزها ، واحتكم في مالي ، فإن كنت لا بدّ فاعلاً فسوّ بيني وبينه . قال : انصرف ، فسوف أرى رأيي . فخرج عامر وهو لا يشكّ أنّه يُنَفِّره عليه .

ثم أرسل إلى علقمة سِرّاً ، لا يعلم به عامر ، فأتاه فقال : يا علقمة ، والله إن كنتُ لأحسب فيك خيراً ، وأن لك رأياً ، وما حبستك هذه الأيّام إلاّ لتنصرف عن صاحبك . أتفاخر رجلاً هو ابن عمّك في النسب ؟ وأبوه أبوك ، وهو مع هذا أعظم قومك غَناء ، وأحمَدُهم لِقاء ؟ فما الذي أنت به خير منه ؟ فقال له علقمة : أنْشُدك الله والرَّحِم ألاّ تُنَفِّر عليّ عامراً . اجزُز ناصيتي ، واحتكم في مالي ، وإن كنت لا بدّ أن تفعل فسوّ بيني وبينه ، فقال : انصرف فسوف أرى رأيي . فخرج وهو لا يشكّ أنّه سيفضّل عليه عامراً .

قال أبي : وسمعت أنّ هَرِماً قال لعامر حين دعاه : يا عامر ، كيف تفاضل علقمة ؟ فقال عامر : ولِمَ يا هرِم ؟ قال : لأنّه أنجل منك عَيْناً في النساء ، وأكثر منك نفيراً عند ثورة الدّعاء . قال عامر : هل غير هذا ؟ قال : نعم . هو أكثر منك نائلاً في الثّراء ، وأعظم منك حقيقة عند الدّعاء . ثم قال لعلقمة : كيف تفاضل عامراً ؟ قال : ولِمَ يا هَرِم ؟ قال : هو أنفذ منك لساناً ، وأمضى منك سِناناً . قال علقمة : فهل غير هذا ؟ قال : نعم . هو أقتل منك للكُماة ، وأفكّ منك للعُناة .

قال : ثم إنّ هرماً أرسل إلى بنيه وبني أبيه : إنّي قائل غداً بين هذين الرجلين مَقالة ، فإذا فعلتُ فليطرِدْ بعضكم عَشْر جَزائر فلْينحَرها عن علقمة ، ويطرد بعضكم عشر جزائر ، فَلْيخرها عن عامر ، وفرِّقوا بين الناس ، لا تكون لهم جماعة .

وأصْبحَ هَرِم ، فجلس مجلسه ، وأقبل الناس ، وأقبل علقمة وعامر حتى جلسا ، فقام لَبيد فقال[1] : [من الرجز]

يــا هرمَ ابنَ الأكرمين مَنصِبا إنّك قد وُلّيتَ حُكماً مُعْجِبا

---

1 ديوان لبيد : 331 .

فاحكم وصوِّب رأس مَن تصوّبا إن الذي يعلـو علينـا تُرتُبا[1]
لخَيرُنـا عمّـاً وأُمّاً وأَبـا وعامـرٌ خيرهمـا مُـرَكَّبا
وعامر أُدنى لقيسٍ نسبا

فقام هرم فقال : يا بني جعفر ، قد تحاكمتما عندي ، وأنتما كركبتَي البعير الأدرم : تقعان إلى الأرض معاً ، وليس فيكما أحد إلاّ وفيه ما ليس في صاحبه ، وكلاكما سيِّد كريم .

وعمَد بنو هرم وبنو أخيه إلى تلك الجُزُر ، فنحروها حيث أمرهم هرِم عن علقمة عشراً ، وعن عامر عشراً ، وفرّقوا الناس ، فلم يفضِّل هرِم واحداً منهما على صاحبه ، وكره أن يفعل وهما ابنا عمّ ، فيجلب بذلك عداوة ، ويوقع بين الحيين شرّاً .

[عامر أجار الأعشى فانحاز إليه]

قال : وكان الأعشى حين رجع من عند قيس بن معديكرب بما أعطاه طلب الجِوار والخُفرة من علقمة ، فلم يكن عنده ما طلب ، وأجاره وخفَره عامر ، حتى إذا أدّاه وماله إلى أهله قال : [من السريع]

عَلْقَمَ مـا أَنت إلى عامرِ الناقِض الأوتـارِ والواتِـرِ

ثم أتمّها بعد النِّفار . فلمّا بلغ علقمة ما قال الأعشى ، وأشاع في العرب أن هرِماً قد فضَّل عامراً ، توعَّد الأعشى ، فقال الأعشى :

لعمري لئن أُمسى من الحيّ شاخصا

[هرم لا يبوح بالسر لعمر]

قال ابن الكلبيّ : حدَّثني أبي قال : فعاش هرِم حتى أدرك سلطانَ عُمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، فسأله عمر فقال : يا هرِم ، أيَّ الرجلين كنت مفضلاً لو فضلت ؟ فقال : لو قلت ذاك يا أمير المؤمنين لعادت جَذَعة ، ولبلغتْ شِعاف هَجَر . فقال عمر : نِعْمَ مستودعُ السِّرّ ومسنَدُ الأمر إليه أنت يا هرم ، مثلُ هذا فليُسد الشعيرة . وقال : إلى مثلك فليستبضِع القوم أحكامهم .

[علقمة يسلم ويرتدّ ثم يعود إلى الإسلام]

قال مؤلّف الكتاب : وقد أُدرك علقمة بن عُلاثة الإسلام ، فأسلَم ، ثم ارتدّ فيمَن ارتدّ من العرب . فلمّا وجّه أبو بكر خالد بن الوليد المخزوميّ إلى بني كلاب ليوقع بهم ، وعلقمة يومئذٍ رئيسهم ، هرب وأسلم ، ثم أتى أبا بكر رضي الله عنه ، فأعلمه أنّه قد نَزَع عمّا كان عليه ، فقبل إسلامه وأمّنه . هكذا ذكر المدائنيّ .

---

1 ترتبا : جميعاً .

وأمّا سيف بن عمر فإنّه روى عن الكوفيين غير ذلك .

حدَّثنا محمد بن جرير الطبريّ قال : حدَّثنا السريّ بن يحيى ، قال : حدَّثنا شعيب بن إبراهيم ، عن سَيف بن عمر ، عن سهل بن يوسف ، قال : كان علقمة بن علاثة على كِلاب ومَن والاها ، وقد كان علقمة أسلم ثم ارتدّ في حياة النبيّ ﷺ ، ثم خرج بعد فتح الطائف ، حتى لحق بالشام مرتدّاً ، فلمّا تُوفّي النبيّ ﷺ أقبل مسرِعاً ، حتى عسكر في بني كعب ، مقدماً رجلاً ومؤخراً أُخرى . وبلغ ذلك أبا بكر رضي الله عنه ، فبعث إليه سَريّة ، وأمّر عليها القعقاع بن عمرو ، وقال : يا قعقاع ، سِر حتى تغير على علقمة بن علاثة ، لعلّك تأخذه لي أو تقتله . واعلم أنّ شفاء النفس الحُوْص ، فاصنع ما عندك . فخرج في تلك السريّة حتى أَغار على الماء الذي عليه علقمة ، وكان لا يبرح أن يكون على رحل ، فسابقهم على فرسه مراكضة ، وأَسلم أَهله وولده ، واستبى القعقاع امرأة علقمة وبناتِه ونساءه ومَن أَقام من الرجال ، فاتّقوه بالإسلام . فقدِم بهم على أبي بكر رضي الله عنه ، فجحدت زوجته وولده أَن يكونوا مالأوا علقمة على أَمره ، وكانوا مقيمين في الدار ، ولم يكن بلغه عنهم غير ذلك . وقالوا لأبي بكر : ما ذنبنا نحن فيما صنع علقمة ؟ فأرسلهم ، ثم أَسلَم علقمة ، فقبِل ذلك منه .

أُخبرنا الحِرْميّ بن أبي العلاء قال : حدّثنا الزبير بن بكّار قال : حدَّثنا عمرو بن عثمان قال : كان رسول الله ﷺ ربّما حدّث أصحابه ، وربّما تركهم يتحدّثون ويُصغي إليهم ويتبسّم ، فبينا هم يوماً على ذلك يتذاكرون الشعر وأيّام العرب ، إذ سمع حسّانَ بن ثابت ينشد هجاء أعشى بني قيس بن ثعلبة ، علقمةَ بن عُلاثة ، ومديحه عامر بن الطُّفيل : [من السريع]

علقمَ ما أَنت إلى عامرِ   النـاقِض الأوتـارِ والواترِ

إن تَسُد الحُوص فلم تَعْدُهـمْ   وعامـرٌ سادَ بنـي عـامرِ

ساد وأَلْفى رهطـه سادة   وكابـراً سادوك عـن كابرِ

فقال رسول الله ﷺ : كُفَّ عن ذكره يا حسّان ، فإن أبا سفيان لّما شعَّث منّي عند هرقل ، ردّ عليه علقمة ، فقال حسّان بن ثابت : بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله ، مَن نالتك يدُه فقد وجب علينا شكره .

أُخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا أَحمد بن الحارث الخرّاز قال : حدَّثنا المدائنيّ ، عن أبي بكرٍ الهذليّ قال : لّما أطلق عمر بن الخطّاب رضي الله عنه الحطيئة من حبسه ، قال له : يا أمير المؤمنين ، اكتب لي كتاباً إلى علقمة بن عُلاثة ، لأقصده به ، فقد منعتني التكسّب

بشعري . فقال : لا أفعل . فقيل له : يا أمير المؤمنين ، وما عليك من ذلك ؟ إنّ علقمة ليس بعاملك ، فتخشى أن تأثم ، وإنّما هو رجل من المسلمين ، تشفع له إليه . فكتب له بما أراد ، فمضى الحطيئة بالكتاب ، فصادف علقمةَ قد مات والناس منصرفون عن قبره ، فوقف عليه ، ثم أنشد قوله[1] : [من الطويل]

لعمري لنعم المرءُ من آل جعفرٍ ... بحَورانَ أمسى أعْلَقَتْه الحبائلُ

فإن تحيَ لا أُملَل حياتي وإن تمت ... فما في حياةٍ بعد موتك طائلُ

وما كان بيني لو لقيتُك سالماً ... وبين الغِنى إلاّ ليالٍ قلائلُ

فقال له ابنه : يا حطيئة ، كم ظننت أنّ علقمة يعطيك ؟ قال : مِئة ناقة . قال : فلك مئة ناقة يتبعها مئة من أولادها . فأعطاه إيّاها .

أخبرني الحِرْمِيّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزبير بن بكّار قال : حدَّثني عمر بن أبي بكر قال : حدَّثنا عبد الرحمن بن أبي الزِّناد والضحاك بن عثمان قالا : لمّا قدِم علقمة بن عُلاثة المدينة ، وكان قد ارتدّ عن الإسلام ، وكان لخالد بن الوليد صديقاً ، لقيه عمر بن الخطّاب رضي الله عنه في المسجد في جوف الليل ، وكان عمر يُشَبَّه بخالد ، وذلك أنّ أُمّه حَنْتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فسلّم عليه ، وظنَّ أنّه خالد ، فقال : أعَزَلَك ؟ قال : كان ذلك . قال : والله ما هو إلاّ نفاسةٌ عليك ، وحسد لك . فقال له عمر : فما عندك معونة على ذلك ؟ قال : مَعاذ الله ، إنّ لعمر علينا سمعاً وطاعة ، وما نخرج إلى خلافه . فلمّا أصبح عمر رضي الله عنه أذن للناس ، فدخل خالد وعلقمة ، فجلس علقمة إلى جنب خالد ، فالتفت عمر إلى علقمة فقال : إيهِ يا علقمة ، أأنت القائل لخالد ما قلت ؟ فالتفت علقمة إلى خالد ، فقال : يا أبا سليمان ، أفعلتها ؟ قال : ويْحَك والله ما لقيتك قبل ما ترى ، وإنّي لأراك لقيت الرجل . قال : أُراه والله . ثم التفت إلى عمر فقال : يا أمير المؤمنين ، ما سمعتَ إلاّ خيراً . قال : أجل . فهل لك أن أُولّيك حَوْران ؟ قال : نعم . فولاّه إيّاها ، فمات بها . فقال الحطيئة يرثيه : [من الطويل]

لَعمري لنعم الحيُّ من آل جعفرٍ ... بحَوْران أمسى أقصدته الحبائلُ[2]

لقد أقصدَتْ جُوداً ومجداً وسؤْدداً ... وحلماً أصيلاً خالفته المَجاهلُ

---

1 هذه الأبيات من قصيدة طويلة في ديوان الحطيئة : 213–217 ومنها أيضاً الأبيات التي ستأتي فيما بعد .

2 ل : أعلقته .

فإن تَحي لا أُمْلَلْ حياتي وإن تمت فمـا في حياةٍ بعـد موتك طائلُ

وفي أوّل هذه القصيدة التي رَثى بها الحطيئة علقمة غِناء نسبته : [من الطويل]

صوت

أرى العِيسَ تَخْدِي بين قَوٍّ فضارجٍ كما لاح في الصبح الأَشاءُ الحواملُ

فأَتبعتهمْ عينَـيَّ حتـى تفرّقَتْ مع الليلِ عن ساق الفريدِ الجَمائلُ

فلأْيا قصرتُ الطرفَ عنهم بِجَسرةٍ أُمـونٍ إذا واكلتُهـا لا تواكِلُ

غنّى في هذه الأبيات سائب خاثر ثاني ثقيل بالوسطى ، من رواية حمّاد بن إسحاق والهشاميّ .

صوت

[من الخفيف]

لَيتَ شعري أفـاحَ رائحـةُ المسـ ـكِ وما إنْ إخال بالخَيْفِ إنْسِي

حـينَ غابَتْ بنـو أُميَّـة عنـه والبهاليلُ مـن بنـي عبد شمسِ

خُطَبـاءٌ عـلى المنابــر فُرْسا نٌ عَليهـا وقالـةٌ غيرُ خُرْسِ

إخال : أظن . خِلْت كذا وكذا ، فأنا إخاله : إذا ظننته ، وخال عليّ الشيءُ يَخيل : إذا شككت فيه . وليت شعري : كلمة تقولها العرب عند الشيء تحبُّ علمه ، وتسأل عنه .

وأَخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ قال : حدَّثني عُمَر ين شَبَّة قال : سأل رجل أبا عبيدة : ما أصل «ليت شعري» ؟ فقال : كأنّه قال : ليتني شَعَرْت بكذا وكذا ، ليتني علمت حقيقته .

الشعر لأبي العبّاس الأعمى ، والغناء لابن سُرَيج ، رملٌ بالبنصر في مجراها .

[329] ـ أخبار أبي العبّاس الأعمى[1]

[نسبه]

هو السائب بن فَرُّوخ مولى بني لَيث . وقيل إنّه مولى بني الدِّيل ، وهذا القول هو الصحيح .

ذكر محمد بن معاوية الأَسَدِيّ ، عن المدائنيّ والواقديّ : أنّ أبا العبّاس الأعمى الذي يَروي عنه حَبيب بن أبي ثابت ، مولى جَذِيمة بن عليّ بن الدِّيل بن بكر بن عبد مناة ، وكان من شعراء بني أُميّةَ المعدودين ، المقدمين في مدحهم والتشيّع لهم ، وانصباب الهوى إليهم ، وهو الذي يقول في أبي الطُّفيل عامر بن واثلة ، صاحب عليّ بن أبي طالب عليه السلام : [من الوافر]

لعمركَ إنّنـي وأَبا طُفَيلٍ ... لمختلفـان ، والله الشهيدُ
أَرى عثمانَ مهتدياً ويأبى ... متابعتي وآبـى مـا يريدُ

أَخبرني بذلك وكيع عن حماد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن أبيه ، عن عبد الله بن أبي سعد .

وقد رَوى أبو العبّاس الأعمى عن صدر من الصحابة الحديث ، وروى عنه عطاء ، وعمرو بن دينار ، وحبيب بن أبي ثابت .

أَخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثنا أبو عاصم عن ابن جريج عن عطاء عن أبي العبّاس الأعمى الشاعر ، عن عبد الله بن عمر ، قال : إنّما جَمْعُ[2] منزل تُدْلج منه إذا شئت .

قال : حدَّثنا أحمد بن محمد بن دَلان الخَيشي ، قال : حدّثنا أحمد بن إسماعيل قال : حدَّثنا أبو ضمرة قال : حدَّثني أبو الحارث بن عبد الرحمن ، عن أبي ذئب ، عن أبي العبّاس ، عن سعيد بن المسيّب قال : قال عليّ بن أبي طالب : قال رسول الله ﷺ : إسباغ الوضوء على المكاره ، وإعمال الأقدام إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، يغسل الخطايا غسلا .

حدَّثني : أحمد بن محمد بن سعيد الكوفيّ قال : حدَّثنا أبو قِلابة قال : حدَّثنا بشر بن عمر قال : حدَّثنا شعبة ، عن حبيب بن أبي ثابت ، قال : سمعت أبا العبّاس السائب بن فَرُّوخ الأعمى الشاعر يحدِّث عن عبد الله بن عمر ، قال : جاء رجل إلى النبيّ ﷺ يستأذنه

---

1 لأبي العبّاس الأعمى ترجمة في نكت الهميان : 153 .

2 جمع : اسم للمزدلفة .

في الجهاد ، فقال : أحيٌّ والداك ؟ قال : نعم . قال : فيهما فجاهدْ .

[لقاؤه المنصور]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال : حدَّثنا الفضل بن عبد الله الخَلَنجي بِجُرجان قال : حدَّثني مسلم بن الوليد الأنصاريّ قال : سمعت يزيد بن مزيد يقول : سمعت هارون الرشيد يقول : سمعت المهديّ يقول : سمعت المنصور يقول : خرجت أريد الشام أيّام مَروان بن محمد ، فصحبني في الطريق رجل ضرير ، فسألته عن مقصده ، فأخبرني أنّه يريد مروان بشعر امتدحه به ، فاستنشدته إيّاه ، فأنشدني : [من الخفيف]

ليتَ شِعري أَفاح رائحة المِسـ ـك وما إن إخال بالخَيف إنسي

حين غابت بنو أُميَّةَ عنه والبهاليلُ من بني عبْد شمسِ

خطباء على المنابر فُرْسا ن عليها وقالةٌ غير خُرْسِ

لا يُعابون صامتين وإن قا لوا أَصابوا ولم يقولوا بلَبْسِ

بِحُلومٍ إذا الحلوم تقضَّتْ ووجوه مثل الدنانير مُلْسِ

ويروى مكان «تقضت» : اضمحلت . قال : فوالله ما فرغ من إنشاده حتى توهمت أنّ العَمى قد أدركني ، وافترقنا . فلمّا أفضت الخلافة إليّ خرجت حاجاً ، فنزلت أمشي بجَبَلي زَرُود ، فبُصرت بالضرير ، ففرّقت مَن كان معي ، ثم دنوت منه فقلت : أتعرفني ؟ قال : لا . فقلت : أنا رفيقك وأنت تريد الشام أيّام مروان . فقال : أوَّهْ : [من الكامل]

آمتْ نساءُ بني أُمَيّة منهمُ وبناتُهُمْ بِمَضيعةٍ أَيتامُ

نامتْ جدودُهم وأُسقِط نجمهمْ والنجم يَسْقُط والجدود تَنامُ

خَلَتِ المنابرُ والأَسِرّةُ منهمُ فعليهمُ حتى المماتِ سلامُ

فقلت : وكم كان مروان أعطاك بأبي أنت ؟ قال : أغناني أن أسأل أحداً بعده . فهممت بقتله ، ثم ذكرت حقّ الاسترسال والصحبة ، فأمسكت عنه ، وغاب عن عيني ، فبدا ليَ فيه ، فأمرت بطلبه ، فكأنّما البيداء بادت به .

[قصة له مع امرأة ذات بعل]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثني عمر بن شبّة قال : قال أبو عبيدة : هَوِي أبو العبّاس الأعمى امرأة ذات بعل ، فراسلها ، فأعلمت زوجها ، فقال : أطمعيه . فأطمعته . ثم قال : أرسلي إليه فليأتك . فأرسلت إليه ، فأتاها ، وجلس زوجها إلى جانبها ، فقال لها أبو العبّاس : إنّك قد وُصِفْت لنا وما نراك ، فألمسينا . فأخذت يده ، فوضعتها على أير

زوجها ، فنفر ، وعلِم أنْ قد كِيد ، فنهض من عندها ، وقال : [من الوافر]

صوت

عليَّ أَلِيَّةٌ ما دمت حيّاً أَمَسُّكِ طائعاً إلاّ بعُودِ
ولا أُهدِي لأرضٍ أنتِ فيها سلامَ الله إلاّ من بعيدِ
رجوتُ غنيمة فوضعت كفّي على أيرٍ أشدَّ من الحديدِ
فخير منكِ من لا خيرَ فيهِ وخيرٌ من زيارتكمْ قُعودِي

وقرأت هذه الحكاية مرويّة عن الأصمعيّ غيرَ مذكور راويها عنه . وزعم أنّ بشاراً صاحب القصّة ، وأنّه كان له مجلس يسمِّيه البَرَدان ، يجتمع إليه فيه النساء ، فعشق هذه المرأة وقد سمع كلامها . ثم ذكر الخبر بطوله ، وقال فيه : فلمّا وصل إليها أنشأ يقول : [من الوافر]

مُلَيكةُ قد وُصِفتِ لنا بحسنٍ وإنّا لا نراكِ فأَلمِسينا

فاخذ زوجها يده فوضعها على أيره .

ذكر إسحاق أنّ في البيتين الأوّلين والرابع من هذه الأبيات ، لحناً من خفيف الثقيل ، بالسبابة في مجرى الوسطى ، ولم ينسبه إلى أحد . ووجدته في غناء عَمْرو بن بانة في هذه الطريقة منسوباً إليه ، فلا أدري هو ذلك اللحن أو غيره .

[يحض بني أميّة على ابن الزُّبير]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني أيّوب بن عمر أبو سلمة قال : قال أبو العبّاس الأعمى ، مولى بني الدِّيل بن بكر ، يَحضّ بني أُميّة على عبد الله بن الزُّبير : [من الكامل]

أبني أُميّةَ لا أرى لَكُم شِبْهاً إذا ما التفّتِ الشِّيَعُ
سَعَةً وأحلاماً إذا نَزِعَتْ أهلُ الحلومِ فضرَّها النَّزَعُ
وحفيظةً في كلّ نائبةٍ شَهباءَ لا يُنْهى لها الرُّبَعُ
اللهُ أعطاكمْ وإنْ رغِمتْ مَن ذاك أنفُ معاشرٍ رَتَعُوا
أبني أُميّةَ غيرَ أنّكمُ والنّاس فيما أُطْمِعوا طمِعوا
أطْمَعْتُمُ فيكمْ عَدُوَّكُم فسما بهمْ في ذاكُمُ الطَّمَعُ
فَلَو انّكمْ كنتمْ لقولكمُ مثلَ الذي كانوا لكمْ رَجعوا
عمّا كرهتمْ أو لَرَدَّهُمُ حذرُ العقوبة إنّها تَزَعُ

وله أشعار كثيرة في مدائح بني أُميّة ، وهجاء آل الزُّبير ، وأكثرها في هجاء عمرو بن الزُّبير ،

ليس ذكرها مما قصدنا له .

ونسختُ من كتاب قعنب بن المُحرز قال : حدَّثنا المدائنيّ ، عن جُوَيْرِيّة بن أسماء : أنّ ابن الزُّبير رأى رجلاً من حُلفاء بني أسد بن عبد العُزّى في حالة رَثّة ، فكساه ثوبين ، وأمر له ببُرٍّ وتمر ، فقال أبو العبّاس الأعمى في ذلك : [من الطويل]

صوت

كَسَتْ أسدٌ إخوانَها ولَوَ انّني ... ببلدةِ إخوانِي إذاً لكُسِيتُ

فلم تَرَ عيني مثل حيٍّ تَحمَّلوا ... إلى الشام مظلومين منذ بُرِيتُ

غنّى في هذين البيتين دُحمان ثقيلَ أوّل بالبنصر ، من رواية ابن المكّيّ ، ورأيت في بعض الكتب لزرزور غلام المارقيّ فيهما صنعة أيضاً .

[يهجو البعيث المجاشعي]

وقال محمد بن معاوية : حدَّثني المدائنيّ قال : قدِم البَعيثُ المجاشِعيّ مكّة ، وكان أبو العبّاس الأعمى الشاعر لا يكاد يفارقها ، وكانت جوائز أُميّة تأتيه من الشام ، وكانت قريشٌ كلّها تَبَرُّه للسانه ، وتقرُّباً إلى بني أُميّة ببرِّه . قال : فصلّى البعيث مع النّاس ، وسأل في حمالة كانت عليه ، وكان سَؤُولاً ملحّاً شديد الطمع ، وكان الرجل من قريش يأتيه بالشيء يتحمّله عنه ، فيقول : لا أقبله إلاّ أن تجيء معي إلى الصرَّاف حتى ينقده ويزنه ، فإن لم يفعل ذمّه وهجاه . فشكوه إلى أبي العبّاس الأعمى ، فقال : قودوني إليه ، ففعلوا . فلمّا عرف مجلسه رفع عصاه ، فضرب بها رأسه ، ثم قال له : [من الطويل]

فهلْ أنتَ إلاّ مُلْصَقٌ في مُجاشِعٍ ... نَفاكَ جريرٌ فاضْطُرِرْتَ إلى نَجْدِ

ويروى : نفاك جرير بالهجاء إلى نجد

تظلُّ إذا أُعطيتَ شيئاً سألْتَه ... تطالبُ مَن أُعطاك بالوزن والنقدِ

فلا تَطْمَعَنْ من بعدِ ذا في عطيّةٍ ... وثِقْ بقبيح المنعِ والدفعِ والردِّ

فلستَ بمُبْقٍ في قريش خِزايةً ... تُذَمّ ولو أَبْعَدْت فيهِ مَدى الجَهْدِ

قال فتضاحك به مَن حضر ، واستحيا ولم يُحِرِ جواباً . فلمّا جَنَّ الليل عليه هرب من مكّة .

[عبد الملك يستنشده مديحه في مصعب]

وقال قَعنب بن المحرز : حدَّثني المدائنيّ قال : قال عبد الملك بن مروان لأبي العبّاس الأعمى مولى بني الدِّيل : أنشدني مديحك مُصْعباً . فاستعفاه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّما رثيته بذلك لأنّه كان صديقي ، وقد علمتَ أنّ هوايَ أمويّ . قال : صدقت ، ولكن أنشدني

ما قلته . فأنشده : [من الخفيف]

يرحـمُ اللهُ مصعباً فلقــد مـا ... تَ كريماً ورامَ أمـراً جسيما

فقال عبد الملك : أَجَلْ ، لقد مات كريماً . ثم تمثّل : [من الطويل]

ولكنّـه رام التــي لا يرومُهــا ... مـن الناس إلاّ كلّ حُـرٍّ مُعَمَّمِ

[بنو أمية يكسون أبا العبّاس]

أخبرنا محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان . قال حدَّثني إسحاق بن محمد الأمويّ قال : لمّا حجّ عبد الملك بن مروان جلس للناس بمكّة ، فدخلوا إليه على مراتبهم ، وقامت الشعراء والخطباء فتكلّموا ، ودخل أبو العبّاس الأعمى ، فلمّا رآه عبد الملك قال : مَرْحبا مرحبا بك يا أبا العبّاس ، أخبرني بخبر المُلْحِد المُحِلّ حيث كسا أشياعه ولم يكسك ، وأنشدني ما قلت في ذلك .

فأخبره بخبر ابن الزُّبير ، وأنّه كسا بني أسد وأحلافها ولم يكسه ، وأنشده الأبيات . فقال عبد الملك : أقسم على كلّ مَن حضرني من بني أميّة وأحلافهم ومواليهم ، ثم على كلّ مَن حضرني من أوليائي وشيعتي على دعوتهم ، إلاّ كسا أبا العبّاس .

فخُلعت والله حُلَل الوشي والخزّ والقُوهِيّ ، وجُعِلت تُرمى عليه ، حتى إذا غطّته نهض فجلس فوق ما اجتمع منها وطُرِح عليه ، قال : حتى رأيت في الدار من الثياب ما سَتَر عني عبد الملك وجلساءه ، وأمر له عبد الملك بمئة ألف درهم .

[نفاه ابن الزُّبير فهجاه]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني عليّ بن محمد بن سليمان النوفليّ . قال : حدَّثني أبي وأهلي : أنّ عبد الله بن الزُّبير لمّا غلب على الحجاز ، جعل يتتبّع شيعة بني مروان ، فينفيهم عن المدينة ومكّة ، حتى لم يبق بهما أحد منهم ، ثم بلغه عن أبي العبّاس الأعمى الشاعر نَبْذٌ من كلام ، وأنّه يكاتب بني مروان بعَوراته ، ويمدح عبد الملك ، وتجيئه جوائزه وصِلاته ، فدعا به ، ثم أغلظ له ، وهمَّ به ، ثم كُلِّم فيه ، وقيل له : رجل مضرور . فعفا عنه ، ونفاه إلى الطائف ، فأنشأ يقول يهجوه ويهجو آل الزبير : [من الطويل]

بني أسد لا تذكـروا الفخرَ إنّكمْ ... متــى تذكـروه تُكْذَبوا وتُحَمَّقوا

بُعَيْـداتِ بَيْنٍ خيرُكم لصديقكـمْ ... وشرُّكُم يغــدو عليــه ويَطْرُقُ

متى تُسألوا فضلاً تَضَنّوا وتَبخلوا ... ونيرانكــمْ بـالشرّ فيهـا تَحَرُّقُ

إذا استبقت يومـاً قريش خرجْتُمُ ... بني أسدٍ سَكْتاً وذو المجـدِ يسبقُ

تجيئون خلف القوم سوداً وجوهكمْ إذا مـــا قريش للأضاميـم أصفقوا
ومـــا ذاك إلاّ أن للّـــؤم طابَعـاً يلـــوح عليكـمْ وسْمه ليس يَخْلُقُ

[بينه وبين عمر بن أبي ربيعة]

أخبرني الحِرْمِيّ بن أبي العلاء قال : حدَّثني عمِّي مُصعب قال : قال عمر بن أبي ربيعة لأبي العبّاس الأعمى الشاعر مولى بني الدِّيل بن بكر[1] : [من الرمل]

أفْتِنـــي إن كنتَ ثَقْفاً شاعـراً عن فتًى أعرجَ أعمى مختلِفْ
سيىء السَّحْنَـــة كابٍ لونُـــه مثلِ عود الخروعِ البالي القصِفْ

فقال أبو العبّاس يردّ عليه : [من الطويل]

أنت الفتى وابن الفتى وأخو الفَتى وسيّدُنـــا لـــولا خلائـــقُ أربعُ
نُكُولك في الهيجا وتَقْوالُك الخنا وشتمـك للمـولى وأنّـك تُبَّعُ

قال الزُّبير : يقال رجل تبْع نساء وتُبَّع نساء : إذا كان كَلِفاً بهن .

أخبرني الحِرْمِيُّ قال : حدّثنا الزُّبير قال : حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني المكّيّون : أنّ عمر بن أبي ربيعة كان يُرامي جارية لأبي العبّاس الأعمى ببنادق الغالية ، فبلغ ذلك أبا العباس ، فقال لقائده : قفني على باب بني مخزوم ، فإذا مرَّ عمر بن أبي ربيعة ، فضع يدي عليه ، فلمّا مرَّ عمر وضع يده عليه ، فأخذ بحُجْزته ، وقال : [من الوافر]

ألا مَن يشتري جاراً نَئُوماً بجـار لا ينـــام ولا يُنيمُ[2]
ويلبس بالنهـار ثيابَ ناسٍ وشَطْرَ الليـلِ شيطانٌ رجيمُ

فنهضت إليه بنو مخزوم ، فأمسكوا فمه ، وضَمِنوا له عن عمر أن لا يعاود ما يكرهه .

صوت

[من الطويل]

ألا حيٍّ من أجل الحبيب المَغانيا لبِسن البِـلى لمـا لَبِسن اللياليا
إذا ما تقاضى المـرءَ يومٌ وليلة تقاضاه شيء لا يمـلّ التقاضيا

الشعر لأبي حيّةَ النُّميريّ . والغناء لأحمد بن يحيى المكّيّ ، خفيفُ رَمَل بالبنصر ، عن الهشاميّ .

1 ديوان عمر : 258 .

2 المثل «لا ينام ولا ينيم» في الفاخر 42 وجمهرة العسكري 2 : 418 ويقال «السليم لا ينام ولا ينيم» كما في مجمع الميداني 1 : 339 .

[330] ـ أخبار أبي حَيَّة النميريّ ونسبه[1]

[نسبه]

أبو حيّة : الهيثم بن الربيع بن زُرارة بن كثير بن جَناب بن كعب بن مالك بن عامر بن نُمَير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر بن نزار .

وكان يقال لمالك الأصقع . وقال قوم : إنّ الأصقع هو الأصمّ بن مالك بن جَناب بن كعب .

وأبو حيّة شاعر مُجيد مُقدَّم ، من مُخَضْرَميّ الدولتين : الأمويّة والعباسيّة ، وقد مدح الخلفاء فيهما جميعاً ، وكان فصيحاً مُقَصِّداً راجزاً ، من ساكني البصرة ، وكان أهوج جباناً بخيلاً كذّاباً ، معروفاً بذلك أجمع . وكان أبو عمرو بن العلاء يقدّمه . وقيل إنّه كان يُصْرَع .

[الحمد لله الذي مسخك كلباً وكفاني حرباً]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا أحمد بن زهير قال : حدَّثني محمد بن سلاّم الجمحيّ . وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدَّثنا محمد بن يزيد . وأخبرني إبراهيم بن أيّوب عن ابن قتيبة ، قالوا : كان لأبي حيّة سيف يسمِّيه لُعابَ المَنيّة ، ليس بينه وبين الخشبة فرق ، وكان من أجبن الناس .

قال : فحدَّثني جار له قال : دخل ليلة إلى بيته كلب ، فظنّه لصّاً ، فأشرفْتُ عليه وقد انتضى سيفَه لُعابَ المنيّة ، وهو واقف في وسط الدار وهو يقول : أيـّها المغترّ بنا ، والمجترىء علينا ، بئس والله ما اخترت لنفسك ، خير قليل ، وسيف صقيل ، لعاب المنيّة الذي سمعت بـه ، مشهورة ضرْبَتُهُ ، لا تُخاف نَبْوته . اخرج بالعفو عنك ، قبل أن أدخل بالعقوبة عليك . إنّي والله إن أدْعُ قيساً إليك لا تقُم لها ، وما قيس ؟ تملأ والله الفضاء خيلاً ورَجْلاً ، سبحانَ الله ! ما أكثرها وأطيبها ! فبينا هو كذلك إذ خرج الكلب ، فقال : الحمد لله الذي مسخك كلباً ، وكفاني حرباً .

[ما يقول القدريون]

أخبرني محمد بن خلف وكيعٌ قال : حدَّثني محمد بن عليّ بن حمزة قال : حدَّثني أبو عثمان

1 لأبي حية النميري ترجمة في الشعر والشعراء : 658–659 وطبقات ابن المعتز : 143–146 والمؤتلف : 145 وخزانة البغدادي 10 : 217–220 والسمط : 244 وانظر مواطن متفرقة من التذكرة الحمدونية .

المازنيُّ قال : حدَّثني سعيد بن مَسْعدة الأَخفش قال : قال أَبو حيّة النميريّ : أَتدري ما يقول القَدَرِيّون ؟ قلت : لا . قال : يقولون : الله لا يكلف العباد ما لا يُطيقون ، ولا يسألهم ما لا يَجدون ، وصدق والله القَدَريّون ، ولكنّي لا أقول كما يقولون .

[هلك الناس]

قال محمد بن علي بن حمزة : وحدَّثني أَبو عثمان قال : قال سَلَمة بن عيّاش لأَبي حيّة النميريّ : أَتدري ما يقول الناس ؟ قال : وما يقولون ؟ قال : يقولون إنّي أشعر منك . قال : إنّا لله ! هلكَ والله الناس !

قال : وكان أَبو حيّة النميريّ مجنوناً يُصْرَع ، وقد أَدرك هشام بن عبد الملك .

أَخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : حدَّثنا عبد الرحمن بن أَخي الأصمعيّ قال : سمعت عمِّي يقول : أبو حيّة في الشعراء كالرجلِ الرَّبْعة ، لا يعدّ طويلاً ولا قصيراً .

قال : وسمعت أَبا عمرو يقول : هو أَشعر في عُظْم الشعر من الراعي .

[كذبه]

أَخبرني الحسن بن عليّ وعليّ بن سليمان الأخفش ، قالا : حدَّثنا محمد بن يزيد المبرد قال : حدَّثني عبد الصمد بن المعذَّل . وأخبرنا إبراهيم بن محمد بن أيّوب قال : حدَّثنا عبد الله بن مسلم ، قالوا : كان أبو حيّة النميريّ من أكذب الناس ، فحدث يوماً أنّه يخرج إلى الصحراء ، فيدعو الغربان فتقع حوله ، فيأخذ منها ما شاء . فقيل له : يا أبا حيّة ، أرأيت إن أَخرجناك إلى الصحراء فدعوتها فلم تأتك ، فما نصنع بك ؟ قال : أبعدها الله إذن !

[السهم المراوغ للظبي]

قال : وحدَّثنا يوماً قال : عنَّ لي ظبي يوماً فرميته ، فراغ عن سهمي ، فعارضه السهم ، ثم راغ ، فعارضه السهم ، فما زال والله يروغ ويعارضه حتى صرعه ببعض الجَبّانات .

[يشفق على الظبية فيسترجع السهم]

قال : وقال يوماً : رميت والله ظبية ، فلمّا بَعُد سهمي عن القوس ، ذكرت بالظبية حبيبة لي ، فعدَوت خلف السهم ، حتى قبضت على قُذَذه قبل أن يدركها .

[يمدح المنصور ويهجو بني حسن]

وذكر يحيى بن عليّ عن الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ قال : قال الرياشيّ ، عن الأصمعيّ قال : وفد أبو حيّة النميريّ على المنصور وقد امتدحه ، وهجا بني حسن بقصيدته التي أوّلها : [من البسيط]

عُوجا نُحيِّ ديارَ الحيِّ بالسَنَدِ ... وهل بتلك الديارِ اليوم من أَحَدِ

يقول فيها :

أحين شِيمَ فلم يتركْ لهم تِرَةً | سيفٌ تقلّده الرئبال ذو اللِّبَدِ
سللتموه عليكمْ يا بني حسنٍ | ما إنْ لكم من فلاحٍ آخرَ الأبدِ
قد أصبحتْ لبني العبّاس صافيةً | لجدع آناف أهل البغي والحسدِ
وأصبحت كلَهاة الليثِ في فمه | ومَنْ يحاولُ شيئاً في فمِ الأَسدِ ؟

[يشرب عند خمارة بنسيئة]

فوصله أبو جعفر بشيء دون ما كان يؤمل ؛ فاحتجن لعياله أكثره ، وصار إلى الحِيرة ، فشرب عند خمّارة بها ، فأعجبه الشرب ، فكرِه إنفاد ما معه ، وأحبّ أن يدوم له ما كان فيه ، فسأل الخمّارة أن تبيعه بنسيئة ، وأعلمها أنّه مدح الخليفة وجماعة من القوّاد ، ففعلت وشرِهت إلى فضل النسيئة ، وكان لأبي حيّةَ أير كعنق الظليم ، فأبرز لها عنه ، فتدلَّهت ، وكانت كلّما سقته خَطَّت في الحائط ، فأنشأ أبو حيّة يقول : [من الوافر]

إذا أسقيتِني كُوزاً بخَطٌّ | فخُطِّي ما بدا لك في الجدارِ
فإن أعطيتني عيناً بدين | فهاتي العَيْن وانتظري ضِماري[1]
خرقتُ مقدّماً من جنب ثوبي | حِيال مكان ذاك من الإزارِ
فقالت ويلَها : رجل ويمشي | بما يمشي به عُجَرُ الحمارِ[2]
وقالت : ما تريد ؟ فقلت : خيراً | نسيئةَ ما عليّ إلى يساري
فصدّت بعد ما نظرت إليه | وقد ألحتُها عُنُق الحُوارِ

[عيب شعره أن ابن مناذر يسمعه]

أخبرني إبراهيم بن أيّوب عن عبد الله بن مسلم قال : لقِي ابن مناذر أبا حيّة ، فقال له : أنشدني بعض شعرك . فأنشده : [من الطويل]

ألا حيّ من أجل الحبيب المغانيا

فقال له ابن مُناذر : وهذا شعر ؟ فقال أبو حيّة : ما في شعري عيب هو شرّ من أنّك تسمعه . ثم أنشده ابن مناذر شيئاً من شعره ، فقال له أبو حيّة : قد عرفتك ما قصّتك ؟

وهذه القصيدة يفخر فيها أبو حيّة ، ويذكر يوم النَّشّاش[3] ، وهو يوم لبني نُمَير .

1 الضمار : الوعد المسوف أو الدين الهالك .
2 عجر : جمع عجرة وهي العروق المتعقدة في الجلد .
3 النشاش : واد لبني نمير كانت به وقعة بين بني نمير وأهل اليمامة .

[331] ـ أخبار أحمد بن يحيى المكّيّ

[مكانته]

أحمد بن يحيى بن مرزوق المكّيّ ، ويكنى أبا جعفر . وكان يلقّب ظنيناً . وقد تقدّم ذكر أبيه وأخباره . وهو أحد المحسنين المبرّزين ، الرواة للغناء ، المجيدين للصنعة . وكان إسحاق يقدّمه ويؤثره ، ويُشيد بذكره ، ويَجهر بتفضيله ، وكتابه «المجرد» في الأغاني ونسَبها أصل من الأصول المعمول عليها ، وما أعرف كتاباً بعد كتاب إسحاق الذي ألفه لشبحا ، يقارب كتابه ، ولا يقاس به ، وكان مع جودة غنائه وحسن صنعته ، أحد الضراب الموصوفين المتقدّمين .

أخبرني عمّي قال : حدَّثني أبو عبد الله الهشاميّ ، عن محمد بن أحمد المكّيّ : أنّ أباه جمع لمحمد بن عبد الله بن طاهر ديواناً للغناء ونسَبه وجنسه ، فكان محتوياً على أربعة عشر ألف صوت .

[قيمته لو كان مملوكاً]

أخبرني جحظة قال : حدَّثني عليّ بن يحيى ، ونسخت من بعض الكتب : حدَّثني محمد بن أحمد المكّيّ قال : حدَّثني عليّ بن يحيى قال : قلت لإسحاق بن إبراهيم الموصليّ وقد جرى ذكر أحمد بن يحيى المكّيّ : يا أبا محمد ، لو كان أبو جعفر أحمد بن يحيى المكّيّ مملوكاً ، كم كان يساوي ؟ فقال : أخبرك عن ذلك .

انصرفت ليلة من دار الواثق ، فاجتزت بدار الحسن بن وهب ، فدخلت إليه ، فإذا أحمد عنده ، فلمّا قام لصلاة العشاء الآخرة ، قال لي الحسن بن وهب : كم يساوي أحمد لو كان مملوكاً ؟ قلت : يساوي عشرين ألف دينار . قال : ثم رجع فغنّى صوتاً ، فقال لي الحسن بن وهب : يا أبا محمد ، أضعفها . قال : ثم تغنّى صوتاً آخر ، فقلت للحسن : يا أبا عليّ أضعفها . ثم أردت الانصراف ، فقلت لأحمد : غنّني : [من البسيط]

صوت

لولا الحياءُ وأن السِّتْر من خُلُقي ... إذن قعدتُ إليكَ الدهرَ لم أَقُمِ
أليس عندك شُكر للتي جعلت ... ما ابيضَّ من قادمات الرأس كالحُمَمِ

الغناء فيه لمعبد ، خفيف ثقيل أوّل في مجرى البنصر ، عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أنّه لمالك ، وليس كما قال ، لحن مالك ثقيل أوّل ذكره الهشاميّ ودنانير وغيرهما .

قال : فغنّاه أحمد بن يحيى المكّيّ ، فأحسن فيه كلّ الإحسان . فلمّا قمت للانصراف قلت للحسن : يا أبا عليّ ، أضعف الجميع . فقال له أحمد : ما هذا الذي أسمعكما تقولانه ، ولست أدري ما معناه . قال : نحن نبيعك ونشتريك منذُ الليلة وأنت لا تدري .

وأخبرنا بهذا الخبر يحيى بن عليّ بن يحيى ، عن أخيه أحمد بن عليّ ، عن عافية بن شبيب ، عن أبي حاتم ، قال : كان إسحاق عندنا في منزل أبي عليّ الحسن بن وهب ، وعندنا ظبين بن المكيّ ، وذكر الحديث مثله ، وقال فيه : إنّه قوَّمه مِئةَ ألفِ درهم ، وذكر أنّ الصوت الذي غنّاه آخِراً : [من الوافر]

صوت

أمِـن دِمَـنٍ وخِيَمٍ بالياتِ ... وسُفْـعٍ كالحمائـم جاثماتِ

أرِقتَ لهنّ شطرَ الليـل حتّـى ... طلعن مـن المناقـبِ مُنجداتِ

وأنّ إسحاق لمّا سمعه قال : كم كنت قَوَّمته ؟ قال : مئة ألف درهم . قال : أضعفوا القيمة . قيمته مِئتا ألفِ درهم .

في هذين البيتين لحن من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل ، بالسبابة في مجرى الوسطى ، ينسب إلى ابن مِسجح ، وإلى ابن محرز . وفيه لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى ، عن عمرو . وللغريض خفيف ثقيل عن الهشاميّ .

[مناظرة في الغناء عند المعتصم]

أخبرني جحظة قال : حدَّثني محمد بن أحمد المكّيّ قال : ناظر أبي بعضَ المغنّين ذات ليلة بين يدي المعتصم ، وطال تلاحيهما في الغناء ، فقال أبي للمعتصم ، يا أمير المؤمنين ، مَن شاء منهم فليغنّ عشرة أصوات لا أعرف منها ثلاثة ، وأنا أغنّي عشرة وعشرة وعشرة ، لا يعرف أحد منهم صوتاً منها . فقال إسحاق : صدق يا أمير المؤمنين . واتبعه ابن بُسْخُنَّر وعَلُّويه ، فقالا : صدق يا أمير المؤمنين إسحاق فيما يقوله . فأمر له بعشرين ألف درهم .

قال محمد : ثم عاد ذلك الرجل إلى مماظّته يوماً ، فقال له : قد دعوتك إلى النَّصَفة ، فلم تقبل ، وأنا أدعوك وأبدأ بما دعوتك إليه ، فاندفع فغنّى عشرة أصوات ، فلم يعرف أحد منهم منها صوتاً واحداً ، كلّها من الغناء القديم ، والغناء اللاحق به من صنعة المكّيين الحُذّاق الخاملي الذكر ، فاستحسن المعتصم منها صوتاً ، وأسكت المغنّين له ، واستعاده مرّات عدّة ، ولم يزل يشرب عليه سحابة يومه ، وأمر ألاّ يراجعَ أحداً من المغنّين كلاماً ، ولا يعارضَه أحدٌ منهم ، إذ كان قد أبرَّ عليهم ، وأوضح الحجّة في انقطاعهم ، وإدحاض حُجَجهم .

وكان الصوت الذي اختاره المعتصم عليه ، وأمر له لمّا سمعه بألفي دينار : [من الخفيف]

صوت

لعنَ الله مَن يلوم محبّاً وحيّا الله مَن يُحَبُّ فيابى
رُبَّ إلفين أضمرا الحُبَّ دهراً فعفا الله عنهما حين تابا

الغناء ليحيى المكّيّ رَمَل .

قال محمد ، قال أبي : وكان المعتصم قد خلع علينا في ذلك اليوم مَماطر لها شأن من ألوان شتّى ، فسألني عبد الوهّاب بن عليّ أن أردّ عليه هذا الصوت ، وجعل لي مِمْطره ، فغنّيته إيّاه ، فلمّا خرجنا للانصراف إلى منازلنا ، أمر غلمانه بدفع الممطر إلى غلماني ، فسلّموه إليهم .

[إعجاب إسحاق الموصليّ به]

أخبرني عبد الله بن الربيع ، عن أبيه ، قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال : سألني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ يوماً : مَنْ بقِي من المُغنّين ؟ قلت : وجْه القَرْعة محمد بن عيسى ، مولى عيسى بن جعفر . فقال : صالح كَيِّس . ومَن أيضاً ؟ قلت : أحمد بن يحيى المكّيّ . قال بَخٍ بَخْ ! ذاك المحسن المُجمل الضارب المغنّي القائم بمجلسه ، لا يحوج أهل المجلس إلى غيره . ومَن بأبي أنت ؟ قلت : ابن مقامرة . قال : لا والله ما سمعت بهذا قَطُّ . فمن مُقامرة هذه ؟ زامرة أم نائحة أم مغنّية ؟ قلت : لا ، ولكنّها من الناس ، وليست من أهل صناعته . قال : ومَن أيضاً بأبي أنت ؟ قلت : يحيى بن القاسم ابن أخي سَلَمة . قال : الذي كان له أخ يغنّي مرتجِلاً ؟ قلت : نعم . قال : لم يحسن ذاك ولا أبوه شيئاً قَطُّ ، ولا أشكّ أنّ هذا كذلك ، لأنّهما مؤدِّباه .

[يغنّي الخليفة في شعر مدح به أحد رجاله]

وذكر ابن المكّيّ عن أبيه قال : قال المعتصم يوماً لجلسائه ونحن عنده : خلعتُ اليوم على فتى شريف ظريف نظيف ، حسن الوجه ، شجاع القلب ، ووليته المَصيصَة ونواحيها . فقلنا : مَن هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : خالد بن يزيد بن مَزْيد . فقال عَلويه : يا أحمد غنِّ أمير المؤمنين صوتك في مدح خالد ، فأمسكت عنه . فقال المعتصم : مالك لا تجيبه ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، ليس هو ممّا يغنّى بحضرة الخليفة . فقال : ما مَن أن تغنّيه بدّ . قال : فغنّيته صنعة لي في هذا الشعر : [من الخفيف]

صوت

عَلَّمَ النَّاسَ خالدُ بنُ يزيدِ كلَّ حِلم وكلّ بأسٍ وجُودِ
فترى الناسَ هيبةً حين يبدو مِن قيامٍ ورُكَّعٍ وسجودِ

فقال المعتصم : يا ثمامة ، خذ أحمد بإلقاء هذا الصوت على الجواري في غد ، وأمر لي بعشرة آلاف درهم .

[غناؤه الأمين]

قال : وغنّى أبي يوماً محمداً الأمين : [من الطويل]

صوت

فعش عُمرَ نوحٍ في سعود وغِبْطَةٍ ... وفي خفضِ عيش ليس في طوله إثمُ
تساعدُك الأقدارُ فيه وتنثني ... إليك وترعى فضلَك العُرْبُ والعُجْمُ

فأمر له بخمسمائة دينار .

[وفاته]

وتوفّي أحمد بن يحيى المكّيّ في خلافة المستعين في أوّلها .

أخبرني بذلك جحظة البرمكيّ ، عن محمد بن أحمد بن يحيى المكّيّ : أنّ أباه تُوفّي في هذا الوقت .

انقضت أخباره .

صوت[1]

[من الكامل]

إنّ الذين غَدَوا بلُبِّك غادروا ... وشَلا بعينك ما يزال مَعِينا
غَيَّضْن من عبراتهنّ وقلن لي : ... ماذا لقيتَ من الهوى ولقينا ؟

غادروا : تركوا . والوشَل : الماء القليل . والمَعين : الماء الصافي الجاري . وغَيَّضن من عبراتهن : أي كففنها ومسحنها حتى تغيض .

الشعر لجرير ، والغناء لإسحاق ، رَمَل بالوسطى ، عن عمرو . وهو من طريف أرمال إسحاق وعيونها . وفيه لابن سريج ثقيل أوّل بالبنصر ، عن الهشاميّ وعمرو . وذكر عليّ بن يحيى أنّ فيه لابن سريج رملاً آخر . وذكر عيسى أنّ الثقيل الأوّل لإبراهيم ، وأنّ فيه للهُذَليّ ثانيَ ثقيل بالوسطى ، ولإبراهيم أيضاً ماخوريّ بالبنصر .

1 ديوان جرير (صادر) : 476 .

332 ـ [طرائف تتعلق بغزل جرير]

[هل البيتان لجرير ؟]

وقد أخبرني إبراهيم بن محمد بن أيّوب الصائغ قال : حدَّثنا عبد الله بن مسلم بن قتيبة : أنّ هذين البيتين للمَعْلوط ، وأنّ جريراً سرقهما منه ، وأدخلهما في شعره .

[أبو السائب لا يردّ على أحد إلاّ ببيتَي جرير]

أخبرني الحِرْمِيّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني عمِّي وغيره قالوا : غدا عبد الله بن مسلم بن جُنْدَب الهُذَليّ على أبي السائب المخزوميّ في منزله ، فلمّا خرج إليه أبو السائب أنشده قول جرير : [من الكامل]

إنّ الذين غَدَوا بلبك غادَروا   وشَلاً بعينك لا يـزال مَعِينا

البيتين . فحلف أبو السائب ألاّ يَرُدّ على أحد سلاماً ، ولا يكلِّمه إلاّ بهذين البيتين ، حتى يرجع إلى منزله . فخرجا ، فلقيهما عبد العزيز بن المُطَّلِب وهو قاضٍ ، وكانا يُدْعَيان القرينين لملازمتهما ، فلمّا رآهما قال : كيف أصبح القرينان ؟ فغمز أبو السائب ابنَ جندُبَ : أن أخبره بالقصّة ، وابن جُندَب يتغافل ، فقال لابن جندب : ما لأبي السائب ؟ فجعل أبو السائب يغمزه ، أي أخبره بيميني . قال ابن جندب : أحمد الله إليك ، ما زلت منكراً لفعله منذ خرجنا . فانصرف ابن المطّلب إلى منزله والخصوم ينتظرونه ، فصرفهم ودخل منزله مغتمّاً . فلمّا أتى أبو السائب منزله ، وبَرَّت يمينه ، خرج إلى ابن جندب فقال : اذهب بنا إلى ابن المطّلب ، فإنّي أخاف أن يردّ شهادتي . فاستأذنا عليه ، فأذِن لهما فقال له أبو السائب : قد علمت ، أعزّك الله ، غرامي بالشعر ؛ وإنّ هذا الضالّ جاءَني حين خرجت من منزلي ، فأنشدني بيتين ، فحلفت ألاّ أردّ على أحد سلاماً ، ولا أُكلِّمه إلاّ بهما . حتى أرجع إلى منـزلي . فقال ابن المطّلب : اللهمّ غَفْراً ! ألا تترك المجون يا أبا السائب .

أخبرني : الحِرْمِيّ قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني عبد المطّلب بن عبد العزيز قال : أنشدت أبا السائب قول جرير : [من الكامل]

غَيَّضْنَ مِن عَبَراتهنّ وقُلْنَ لي   ماذا لقيتَ من الهوى ولقينا !

فقال : يا ابن أخي ، أتدري ما التغييض ؟ قلت : لا . قال : هكذا ، وأشار بأصبعه إلى جفنه ، كأنّه يأخذ الدمع ثم ينضحه .

[ابن أبي عتيق يعدل مَن يحفظ بيت جرير]

أخبرني الحِرْمِيّ قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثنا المدائنيّ . وأخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ ، عن أحمد بن زهير ، عن الزُّبير بن بكّار قال : عن المدائنيّ قال : شهد رجل عند قاضٍ بشهادة ، فقيل له : مَن يعرفك ؟ قال : ابن أبي عَتيق . فبعث إليه يسأله عنه . فقال : عدلٌ رِضاً . فقيل له : أكنت تعرفه قبل اليوم ؟ قال : لا . ولكنّي سمعته ينشد : [من الكامل]

غَيَّضْن من عَبَراتهن وقُلْن لي ماذا لقيتَ من الهوى ولقينا !

فعلمتُ أنّ هذا لا يرسَخ إلاّ في قلب مؤمن ، فشهدت له بالعدالة .

[أبو السائب يرمى نفسه في البئر]

أخبرني الحِرْمِيّ قال : حدَّثنا الزُّبير قال : حدَّثنا محمد بن الحسن ومحمد بن الضحّاك قالا : كان أبو السائب المخزوميّ واقفاً على رأس بئر ، فأنشده ابن جندب : [من الكامل]

إنّ الذين غدَوا بلبك غادروا وشَلاً بعينـك لا يزال مَعينا

فرمى بنفسه في البئر بثيابه ، فبعد لأيٍ ما أخرجوه .

[أشعب يطرب سالم بن عبد الله بن عمر]

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال : حدَّثنا محمد بن الحسن الزُّرَقيّ قال : حدَّثنا العلاء بن عمرو الزُّبيريّ ، من ولد عَمْرو بن الزُّبير ، قال : حدَّثنا يحيى بن أبي قُتيلة قال : حدَّثني إسماعيل بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسن بن عليّ عليهم السلام ، عن أشعب قال : جاءَني فِتية من قريش ، فقالوا لي : نحبّ أن تُسْمِع سالم بن عبد الله بن عمر صوتاً من الغناء ، وتُعلِمنا ما يقول لك ، وجعلوا لي في ذلك جُعْلاً . فدخلت عليه ، فقلت : يا أبا عَمْرو ، لي مجالسة وحرمة ومودّة وسِنّ ، وأنا مولع بالترنّم . قال : وما الترنّم ؟ قلت : الغناء . قال : وفي أيّ وقت ؟ قلت : في الخَلوة ، ومع الإخوان في الخارج . وأُحِبّ أن أسمعك ، فإن كرهته أمسكتُ عنه . ثم غنَّيته ، فقال : ما أرى بأساً . فخرجت إليهم ، فأعلمتهم ، فقالوا : وما غنَّيته ؟ فقلت : غنّيته : [من الخفيف]

قَرِّبـا مَرْبَـطَ النعامةِ مِنّي لقِحَتْ حربُ وائلٍ عن حيالِ

قالوا : هذا بارد لا حركة فيه ، ولسنا نرضى . فلمّا رأيت دفعهم إيّاي ، وخفت ذهاب ما جعلوا لي ، رجعت إليه ، فقلت : يا أبا عمرو ، آخَر . قال : ما لي ولك ؟ ولم املّكه أمره حتى غنَّيت ، فقال : ما أرى بأساً . فخرجت إليهم فأعلمتهم . قالوا : وما غنَّيته ؟ قلت : [من الخفيف]

لم يُطِيقوا أن ينزِلـوا ونزلْنا وأخو الحرب مَن أُطاق النزولا

قالوا : وليس هذا بشيء . فرجعت إليه ، فقلت : آخَر . فاستكفَّني ، فلم أُمَلِّكه القول حتى غنَّيته : [من الكامل]

غَيَّضْنَ من عَبَراتهنّ وقُلْن لي ماذا لقيتَ من الهوى ولقينا ؟

فقال : مَهْلاً مَهْلاً . قلت : لا والله إلاّ بذاك الذي فيه تمر عجوة من صدقة عمر . فقال : هو لك . فخرجت عليهم به ، وأنا أخطِر . فقالوا : مه . فقلت : أطربتُ الشيخ حتى أعطاني هـذا ، وقـال مرّة أُخرى : حتى فرض لي هذا . قال : ووالله ما فعل ، وإنّما كان فِدْية لأصمت ، وأخذت منهم الجُعْل .

[إبراهيم يحب إسحاق لقرابته وفنه]

أُخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى المنجِّم ، قال : حُدِّثت عن حمّاد بن إسحاق قال : حدَّثني علويه الأعسر قال : أتيت أباك في داره هذه يوماً وقد بنى إيوانَها وسائرها خراب ، فجلسنا على تلٍّ من تراب ، فغنّاني لحنه في : [من الكامل]

غَيَّضْن من عَبراتهنّ وقلن لي ماذا لقيت من الهوى ولقينا !

فسألته أن يعيده عليّ ، ففعل . وأتانا رسول أبيه بطبق رُطَب ، فقال للرسول : قل له : سأرسل إليـك برطب أطيب من الرطب الذي بعثتَ به إليّ ، فأبلغه الرسول ذلك ، فقـال لـه : ومَن عنده ؟ فأخبره أنّني عنده . فقال : ما أخلقه أن يكون قد أتانا بمائدة ، ثم أتانـا رسوله بعد ساعـة فقال : ما آن لرطبكم أن يأتينا ؟ فأرسلني إليه وقد أخذت الصوت ، فغنّيته إيّاه ، فقال : أجاد والله . أأُلام على هذا وحبّه ، والله لو لَم يكن بيني وبينه قرابة لأحببته ، فكيف وهو ابني ؟

صوت

[من الطويل]

ألست ترى يا ضبُّ بالله أنّني مصاحبة نحـــو المدينة أرْكُبا[1]

إذا قطعوا حَزْناً تَخُبُّ رِكابُهمْ كما حرَّكتْ ريحٌ يَراعـاً مُثَقَّبا

عروضه من الطويل . والشعر لنائلة بنت الفَرافِصة . والغناء لابن عائشة ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالوسطى . ووجدت في كتاب بخطّ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أنّه ممّا نحله يحيى المكّيّ لابن عائشة .

1 أركب : جمع ركب .

[333] ـ أخبار نائلة بنت الفَرافصة ونسبها

[نسبها]

هي نائلة بنت الفَرافَصة بن الأحوص بن عمرو ، وقيل : ابن عَفْر بن ثعلبة ، وقيل : عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حِصن بن ضمضم بن عديّ بن جَناب الكَلْبيّة ، زوجة عثمان بن عفّان رضي الله عنه ، تقوله لأخيها لمّا نقلها إلى عثمان .

[زواجها من عثمان]

أخبرني بخبره وخبرها أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا عمرو بن شبّة قال : حدَّثنا عبد الله بن محمد بن حكيم ، عن خالد بن سعيد ، عن أبيه قال : تزوّج سعيد بن العاص وهو على الكوفة هِندَ بنت الفَرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة ، فبلغ ذلك عثمان ، فكتب إليه .

«بسم الله الرحمن الرحيم .

أمّا بعد ، فإنّه قد بلغني أنّك تزوّجت امرأة من كَلْب ، فاكتب إليّ بنسبها وجمالها» .

فكتب إليه :

«أمّا بعد ، فإنّ نسبها أنّها بنت الفَرافصة بن الأحوص . وجمالُها أنّها بيضاء مديدة القامة» .

فكتب إليه : «إن كانت لها أُخت فزوِّجْنيها» .

فبعث سعيد إلى الفَرافصة ، يخطب إحدى بناته على عثمان . فأمر الفَرافصة ابنه ضبّاً ، فزوّجها إيّاه . وكان ضبّ مسلماً ، وكان الفَرافصة نصرانيًا ، فلمّا أرادوا حملها إليه ، قال لها أبوها : يا بنيّة ، إنّك تَقْدَمين على نساء من نساء قريش ، هنّ أقدر على الطيب منك ، فاحفظي عنّي خَصلتين : تكحَّلي وتطيَّبي بالماء ، حتى يكون ريحُك ريح شنّ[1] أصابه مطر .

فلمّا حُمِلَتْ كرهت الغربة ، وحزِنت لفراق أهلها ، فأنشأت تقول : [من الطويل]

ألستَ تَرى يـا ضبُّ باللهِ أنّني ... مصاحبـةٌ نحـو المدينـة أَركُبا

إذا قطعـوا حزنـاً تَخُبّ ركابهمْ ... كما زعزعـتْ رِيحٌ يراعـاً مُثَقَّبا

لقد كان في أبناء حِصْن بن ضَمْضَمٍ ... لكَ الويلُ مـا يغني الخِباءَ المطَنّبا

1 الشن : القربة الخلق .

[لقاء عثمان]

فلمّا قدمت على عثمان رضي الله عنه ، قعد على سريره ، ووضع لها سريراً حيالَه ؛ فجلست عليه ، فوضع عثمان قُلَنسِيّته ، فبدا الصلعَ ، فقال : يا ابنة الفَرافصة ، لا يهولنّك ما ترين من صَلَعي ، فإنّ وراءه ما تحبّين . فسكتت . فقال : إمّا أن تقومي إليّ ، وإمّا أن أقوم إليك . فقالت : أمّا ما ذكرت من الصلعَ ، فإنّي من نساء أُحبّ بعولتهنّ إليهنّ السادة الصُّلْع . وأمّا قولك : إمّا أن تقومي إليّ ، وإمّا أن أقوم إليك ، فوالله ما تجشّمت من جَنبات السماوة أبعدَ ممّا بيني وبينك ، بل أقوم إليك . فقامت ، فجلست إلى جنبه ، فمسح رأسها ، ودعا لها بالبركة ، ثم قال لها : اطرحي عنك رداءَك ، فطرحته ، ثم قال لها : اطرحي خمارك ، فطرحته ، ثم قال لها : انزعي دِرْعك ، فنزعته ؛ ثم قال : حُلِّي إزارك . فقالت : ذاك إليك . فحلَّ إزارها ، فكانت من أحظى نسائه عنده .

[يوم الدار]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثنا عليّ بن محمد بن عيسى بن يزيد ، عن عبد الواحد بن عمير ، عن أبي الجَرّاح مولى أُمّ حبيبة ، قال : كنت مع عثمان رضي الله عنه في الدار ، فما شَعَرْت وقد خرج محمد بن أبي بكر ، ونحن نقول : هم في الصلح ، إذ أنا بالناس قد دخلوا من الخَوْخة[1] ، ونزلوا بأمراس الحبال من سُور الدار . معهم السيوف . فرميت بسيفي ، وجلست عليه ، وسمعت صياحهم ، فكأنّي أنظر إلى مصحف في يدِ عثمان ، وإلى حمرة أديمه . فنشرتْ نائلة بنت الفَرافصة شعرها ، فقال لها عثمان : خذي خمارك ، فلعمري لدخولهم عليّ أعظم من حرمة شعرك . وأهوى رجل إليه رضي الله عنه بالسيف ، فاتقته نائلة بيدها ، فقطع إصبعين من أصابعها ، ثم قتلوه ، وخرجوا يكبِّرون ، ومرَّ بي محمد بن أبي بكر ، فقال : ما لكَ يا عبد أم حبيبة ؟ ومضى فخرجت .

[بكاؤها على عثمان]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عمرُ بن شَبَّة قال : حدَّثنا عبد الله بن حكيم الطائيّ ، عن خالد بن سعيد ، عن أبيه قال : لمّا قُتِل عثمان رحمة الله عليه ، قالت نائلة بنت الفَرافصة : [من الطويل]

أَلا إن خيرَ النّاس بعد ثلاثةٍ قَتيلُ التُّجِيبيّ الذي جاءَ مِن مِصرِ[2]

1 الخوخة : ممر بين دارين .

2 الثلاثة هم النبي وأبو بكر وعمر .

وما لي لا أبكـي وتبكي قَرابتي وقد غُيِّبت عنّا فضولُ أبي عمرِو

هكذا في هذه الرواية . وقد قيل إنّ هذين البيتين للوليد بن عُقْبة .

[كتابها إلى معاوية]

أخبرني أحمد قال : حدَّثني عمر قال : حدَّثنا عليّ بن محمد ، عن أبي مخنف ، عن نُمَير بن وَعْلة ، عن الشعبيّ ومَسلمة بن محارب ، عن حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية : أنّ نائلة بنت الفَرافصة كتبت إلى معاوية بن أبي سفيان ، وبعثت بقميص عثمان مع النّعمان بن بشير ، أو عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بَلْتعة :

«من نائلة بنت الفَرافصة إلى معاوية بن أبي سفيان .

أمّا بعد ، فإنّي أذكّركم بالله الذي أنعم عليكم ، وعلّمكم الإسلام ، وهداكم من الضلالة ، وأنقذكم من الكفر ، ونصركم على العدوّ ، وأسبغ النعمة ؛ وأنشُدكم بالله ، وأُذكّركم حقّه وحقّ خليفته الذي لم تنصروه ، وبعزمة الله عليكم ، فإنّه عزّ وجلّ يقول : ﴿وإنْ طائِفتَانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُما عَلَى الأُخرَى فَقَاتِلُوا التي تَبْغي حَتَّى تَفيءَ إلى أمْرِ اللهِ﴾ . وإنّ أمير المؤمنين بُغِيَ عليه ، ولو لَم يكن له عليكم حقّ إلاّ حق الوِلاية ، ثم أُتِـي إليه بما أُتِي ، لَحَقٌّ على كلّ مسلمٍ يرجو ثواب الله أن ينصره ، لقِدمِه في الإسلام ، وحُسن بلائه ، وأنّه أجاب داعِيَ الله ، وصدَّق كتابه وصدّق رسوله ، والله أعلم به إذا انتجبه ، فأعطاه شرف الدُّنيا وشرف الآخرة .

وإنّي أقصّ عليكم خبره ، لأنـّي كنت مشاهدة أمره كلّه ، حتى أُفْضِي إليه : وإنّ أهل المدينة حصروه في داره ، يحرسونه ليلهم ونهارهم . قيام على أبوابه بسلاحهم ، يمنعونه كلّ شيء قَدَروا عليه ، حتى منعوه الماء ، يُحْضِرونه الأذى ، ويقولون له الإفك . فمكث هو ومَن معه خمسين ليلة ، وأهل مصر قد أسندوا أمرهم إلى محمد بن أبي بكر وعمّار بن ياسر ، وكان عليّ مع المحرِّضين من أهل المدينة ، ولم يقاتل مع أمير المؤمنين ، ولم ينصره ، ولم يأمر بالعدل الذي أمر الله تبارك وتعالى به . فظلّت تقاتل خزاعة وسعد بن بكر وهُذيل ، وطوائف من مُزَينة وجُهَينة ، وأنباطِ يثرب ، ولا أرى سائرهم ، ولكنّي سمّيت لكم الذين كانوا أشدّ الناس عليه في أوّل أمره وآخره . ثم إنّه رُمِي بالنَّبل والحجارة ، فقُتِل ممّن كان في الدار ثلاثة نفر ، فأتوه يصرخون إليه ، ليأذن لهم في القتال ، فنهاهم عنه ، وأمرهم أن يردّوا عليهم نبلهم ، فردّوها إليهم ، فلم يزدهم ذلك على القتال إلاّ جَراءة ، وفي الأمر إلاّ إغراء . ثم أحرقوا باب الدار ، فجاءه ثلاثة نفر من أصحابه ، فقالوا : إنّ في المسجد ناساً يريدون أن يأخذوا أمر الناس بالعَدل ، فاخرج إلى المسجد حتى يأتوك ، فانطلق فجلس فيه ساعة ، وأسلحة القوم مُطلّة

عليه من كلّ ناحية ، وما أرى أحداً يعدل ، فدخل الدار . وقد كان نفر من قريش على عامّتهم السلاح ، فلبس درعه ، وقال لأصحابه : لولا أنتم ما لبست درعاً ، فوثب عليه القوم ، فكلّمهم ابن الزّبير ، وأخذ عليهم ميثاقاً في صحيفة ، بعث بها إلى عثمان : إن عليكم عهد الله وميثاقه ألاّ تَعُرُّوه بشيء ، فكلّموه وتحرّجوا ، فوضع السلاح . فلم يكن إلاّ وضْعه ، حتى دخل عليه القوم يقدُمهم ابن أبي بكر ، حتى أخذوا بلِحيته ، ودَعَوْه باللَّقَب . فقال : أنا عبد الله وخليفته ، فضربوه على رأسه ثلاث ضربات ، وطعنوه في صدره ثلاث طعنات ، وضربوه على مقدّم الجبين فوق الأنف ضربة أسرعت في العظم ، فسقطتُ عليه وقد أثْخنوه وبه حياة ، وهم يريدون قطع رأسه ، ليذهبوا به ، فأتتني بنت شيبة بن ربيعة ، فألقت نفسها معي عليه ، فوُطِئْنا وطْئاً شديداً ، وعُرِّينا من ثيابنا ، وحرمة أمير المؤمنين أعظم . فقتلوه رحمة الله عليه في بيته ، وعلى فراشه . وقد أرسلت إليكم بثوبه ، وعليه دمه ، وإنّه والله لئن كان أَثِمَ مَن قَتَله ، لَما يَسْلَم مَنْ خَذَله . فانظروا أين أنتم من الله جَلّ وعزّ ، فإنّا نشْكِي ما مَسَّنا إليه ، ونستنصر وليه وصالحَ عباده . ورحمة الله على عثمان ، ولعن الله مَن قتله ، وصرعهم في الدنيا مصارع الخزيّ والمذلّة ، وشَفى منهم الصدور» .

فحلف رجال من أهل الشام ألاّ يطأوا النساء حتى يقتلوا قَتَلته ، أو تذهَبَ أرواحهم .

صوت

[من الطويل]

فيـــا راكِباً إمّـــا عرضْت فبلِّغنْ	ندامايَ من نجـرانَ أَنْ لا تلاقيا
أبـا كـــرِبٍ والأَيْهَمين كليهما	وقيسا بأعــلى حضرموتَ الْيَمانِيا
وتضحكُ مِنِّــي شيخةٌ عَبْشَمِيّةٌ	كأن لَــم تَرَا قبــلي أسيراً يمانِيا
أقــول وقــد شَدُّوا لساني بنِسْعةٍ	أمعشَر تيْمٍ أطلِقوا عــن لِسانِيا[1]

الشعر لعبد يغوث بن صَلاءة الحارثيّ . والغناء لإسحاق ثقيل أوّل .

1 النسعة : قطعة من الجلد .

[334] ـ أخبار عبد يغوث ونسبه[1]

[نسبه]

هو عبد يغوث بن صَلاءة . وقيل : بل هو عبد يغوث بن الحارث بن وَقَّاص بن صلاءة ، وهو قول ابن الكلبيّ ، بن المَغَفَّل ، واسم المغفَّل : ربيعة بن كعب الأرَتّ بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن عُلَة بن خالد بن مالك بن أُدَدَ بن زيد بن يشجُب بن عَريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجُب بن يعرب بن قحطان .

قال ابن الكلبيّ : قَحطان بن عابر بن شالخَ بن أَرْفَخْشَذ بن سام بن نوح . قال : وكان يقال ليعرب : المرعَّف .

[منزلته في قومه]

وكان عبد يغوث بن صَلاءة شاعراً من شعراء الجاهليّة ، فارساً سيِّداً لقومه من بني الحارث بن كعب ، وهو كان قائدهم في يوم الكُلاب الثاني ، إلى بني تميم ، وفي ذلك اليوم أُسِر فقُتِل . وعبد يغوث من أهل بيت شعرٍ مُعرِق لهم في الجاهليّة والإسلام ، منهم اللَّجلاج الحارثيّ ، وهو طُفَيل بن يزيد بن عبد يغوث بن صلاءة ؛ وأخوه مُسْهِر فارس شاعر ، وهو الذي طعن عامر بن الطُّفيل في عينه يوم فَيْف الريح . ومنهم ممّن أدرك الإسلام جعفر بن عُلْبة بن ربيعة بن الحارث بن عبد يغوث بن الحارث بن معاوية بن صلاءة ، وكان فارساً شاعراً صُعلوكاً ، أُخِذ في دم ، فحُبِس بالمدينة ، ثم قتل صَبْراً . وخبره يذكر منفرداً ، لأنّ له شعراً فيه غناء .

والشعر المذكور في هذا الموضع لعبد يغوث بن صلاءة ، يقوله في يوم الكُلاب الثاني[2] ، وهو اليوم الذي جمع فيه قومه وغزا بني تميم ، فظفِرت به بنو تميم ، وأَسروه وقُتِل يومئذٍ .

[يوم الكلاب]

وكان من حديث هذا اليوم ، فيما ذكر أبو عبيدة ، عن أبي عمرو بن العلاء ، وهشام بن الكلبيّ عن أبيه ، والمفضل بن محمد الضبيّ ، وإسحاق بن الجَصَّاص عن العنبريّ ، قالوا : لمّا أوقع كسرى ببني تميم يوم الصّفا بالمشقَّر ، فقتل المقاتلة ، وبقيت الأموال والذراريّ ، بلغ ذلك مَذحِجاً ، فمشى بعضهم إلى بعض ، وقالوا : اغتنموا بني تميم ، ثم بعثوا الرسل في قبائل اليمن

---

1 لعبد يغوث ترجمة في المحبر : 251 وخزانة البغدادي 1 : 195–197 و202–203 وشرح الشواهد : 232 وقصيدته اليائية هي المفضلية الثلاثون في شرح ابن الأنباريّ .

2 في يوم الكلاب الثاني انظر النقائض 1 : 149 وما بعدها والعقد الفريد 5 : 224–233 .

وأحلافها من قضاعة ، فقالت مذحج للمأمور الحارثيّ ، وهو كاهن : ما ترى ؟ فقال لهم : لا تغزوا بني تميم ، فإنّهم يسيرون أغباباً[1] ، ويرِدون مياهاً جِباباً ، فتكون غنيمتكم تراباً . قال أبو عبيدة : فذكر أنّه اجتمع من مَذْحِج ولَفِّها اثنا عشر ألفاً . وكان رئيس مذحج عبد يغوث بن صلاءة ، ورئيس هَمْدان يقال له مُسَرِّح ، ورئيس كندة البَراء بن قيس بن الحارث . فأقبلوا إلى تميم ، فبلغ ذلك سعداً والرِّباب ، فانطلق ناس من أشرافهم إلى أكثم بن صيفيّ ، وهو قاضي العرب يومئذٍ ، فاستشاروه ، فقال لهم : أقلّوا الخِلاف على أمرائكم ، واعلموا أنّ كثرة الصّياح من الفَشَل ، والمرء يعجز لا محالة[2] يا قوم تثبّتوا ، فإنّ أحزم الفريقين الرَّكين ، وربّ عجلة تَهَب رَيثا[3] . واتّزِروا للحرب ، وادّرعوا الليل ، فإنّه أخفى للويل[4] ، ولا جماعةَ لَمِن اختلف .

فلمّا انصرفوا من عند أكثم تهيّئوا ، واستعدّوا للحرب . وأقبل أهل اليمن ، من بني الحارث من أشرافهم يزيد بن عبد المدان ويزيد بن مُخَرِّم ، ويزيد بن الطيثم بن المأمور ، ويزيد بن هَوْبر ، حتى إذا كانوا بتيمَن نزلوا قريباً من الكُلاب ، ورجل من بني زيد بن رياح بن يربوع ، يقال له مُشَمِّت بن زنباع في إبل له ، عند خال له من بني سعد ، يقال له زهير بن بوّ ، فلما أبصرهم المشمِّت قال لزهير : دونك الإبل ، وتنحّ عن طريقهم ، حتى آتيَ الحيّ فأنذرَهم . قال : فركب المشمِّت ناقة ، ثم سار حتى أتى سعداً والرِّباب وهم على الكُلاب ، فأنذرهم ، فأعدّوا للقوم ، وصبَّحوهم ، فأغاروا على النَعم فطردوها ، وجعل رجل من أهل اليمن يرتجز ويقول : [من الرجز]

في كلّ عــام نَعَمٌ نَنتابُـهُ ... على الكُلاب غُيَّبا أربابُهُ

قال : فأجابه غلام من بني سعد كان في النَّعَم ، على فرس له ، فقال : [من الرجز]

عمّـا قليـل سَتُرى أربابُهُ ... صُلْبَ القناةِ حازماً شبابُهُ

على جيـادٍ ضُمَّرٍ عِيابُـهُ

قال : فأقبلت سعد والرِّباب ، ورئيس الرِّباب النُّعمان بن جِساس ، ورئيس بني سعد قيس بن عاصم المِنقريّ . قال أبو عبيدة : اجتمع العلماء على أنّ الرئيس كان يومئذٍ قيسُ بن عاصم . فقال ضبّيٌّ حين دنا من القوم : [من الرجز]

1 أغباباً : يعني أنهم يسيرون منقلتين في منقلة واحدة . والمنقلة : المرحلة من مراحل السفر .

2 المثل «المرء يعجز لا محالة» في مجمع الميداني 2 : 309 وجمهرة العسكري 2 : 275 . وفصل المقال : 299 .

3 المثل «رب عجلة تهب ريثاً» في مجمع الميداني 1 : 294 وجمهرة العسكري 1 : 482 ومستقصى الزمخشري 2 : 97 وفصل المقال : 335 .

4 المثل «ادّرعوا الليل فإن الليل أخفى للويل» في جمهرة العسكري 1 : 88 وفصل المقال : 66 .

في كلِّ عـام نَعَمٌ تَحوُونَهْ يُلْقِحُـــهُ قـوم وتَنْتِجُونَهْ
أربابُه نوكَى فـلا يَحْمونَهْ ولا يلاقــون طِعاناً دونَهْ
أنَعَـمَ الأبنــاءِ تَحْسِبُونَهْ هيهاتَ هيهاتَ لما تَرْجُونَهْ

فقال ضَمرة بن لبيد الحِماسيّ[1] : انظروا إذا سقتم النَعم ، فإن أتتكم الخيل عُصَباً عُصَباً ، وثبتت الأولى للأُخرى ، حتى تَلْحَق ، فإنّ أمر القوم هيِّن . وإن لحق بكم القوم ، فلم ينظروا إليكم حتى يرُدُّوا وجوه النَعم ، ولا ينتظرُ بعضهم بعضاً ، فإنّ أمر القوم شديد . وتقدّمت سعدٌ والرِّباب ، فالتقوا في أوائل الناس ، فلم يلتفتوا إليهم ، واستقبلوا النَّعَم من قِبَل وجوهها ، فجعلوا يضربونها بأرماحهم . واختلط القوم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً يومهم ، حتى إذا كان من آخر النهار قُتِل النُّعمان بن جِساس ، قتَلَه رجلٌ من أهل اليمن ، كانت أُمّه من بني حنظلة ، يقال له عبد الله بن كعب ، وهو الذي رماه ، فقال للنعمان حين رماه : خذها وأنا ابن الحنظليّـة . فقال النُّعمان : ثَكِلتك أُمّك ، ربّ حنظليّة قد غاظتني[2] . فذهبت مثلاً وظنّ أهل اليمن أنّ بني تميم سَيُهدّهم قتل النُّعمان ، فلم يزدهم ذلك إلاّ جَراءة عليهم . فاقتتلوا حتى حجز بينهـم الليـل ، فباتـوا يحرس بعضهم بعضاً ، فلمّا أصبحوا غدَوا على القتال ، فنادى قيس بن عاصم : يالَ سعد ، ونادى عبد يغوث : يالَ سعد . قيس بن عاصم يدعو سعد بن زيد مناة بن تميم ، وعبد يغوث يدعو سعد العشيرة . فلمّا سمع ذلك قيس نادى : يالَ كعب ، فنادى عبد يغوث : يالَ كعب . قيس يدعو كعب بن سعد ، وعبد يغوث يدعو كعب بن عمرو . فلمّا رأى ذلك قيس من صنيع عبد يغوث ، قال : ما لهم أخزاهم الله ما ندعو بشعار إلاّ دَعَوا بمثله . فنادى قيس : يالَ مُقاعس ، يعني بني الحارث بن عمرو بن كعب ، وكان يلقّب مُقاعِساً ، فلمّا سمع وَعْلة بن عبد الله الجَرميّ الصوت ، وكان صاحب اللواء يومئذٍ ، طرحه ، وكان أوّل مَن انهزم من اليمن ، وحملت عليهم بنو سعد والرِّباب ، فهزموهم أفظع هزيمة ، وجعل رجل منهم يقول : [من الرجز]

يـا قومُ لا يُفْلِتْكُمُ اليزيدانْ مُخَرِّمـا أَعني بـه والدَّيّانْ

وجعل قيس بن عاصم ينادي : يالَ تميم : لا تقتلوا إلاّ فارساً ، فإنّ الرجّالة لكم . وجعل يرتجز ويقول : [من الرجز]

لَمّــا تَوَلَّوا عُصَبـا شَوازِبا أقسمت لا أُطعُن إلاّ راكبا[3]

---

1 في ل : ضمرة بن أسد الحارثيّ .
2 لم نعثر على هذا المثل في كتب الأمثال . وفي النقائض «رب ابن حنظلية قد غاظني» .
3 الشوازب : جمع شازب وهو الشاحب الضامر .

إنّي وجدت الطعنَ فيهم صائبا

وجعل يأخذ الأُسارى ، فإذا أخذ أسيراً قال له : ممّن أنت ؟ فيقول : من بني زَعْبل ، وهو زَعبل بن كعب ، أخو الحارث بن كعب ، وهم أنذال ، فكأنّ الأسارى يريدون بذلك رِخَص الفداء . فجعل قيس إذا أخذ أسيراً منهم ، دفعه إلى مَن يليه من بني تميم ، ويقول : أمسك حتى أصطاد لك زَعبلة أُخرى[1] ، فذهبت مثلاً . فما زالوا في آثارهم يقتلون ويأسِرون ، حتى أُسِر عبد يغوث ، أسره فتى من بني عُمير بن عبد شمس . وقُتِل يومئذٍ علقمة بن سَبّاع القُرَيْعيّ ، وهو فارس هَبُّود ، وهَبُّود فرس عمرو بن الجُعَيد المراديّ وكان علقمة قتل عَمْراً وأخذ فرسه من تحته ، وأسَرَ الأهتم ، واسمه سنان بن سُميّ بن خالد بن مِنْقر ، ويومئذٍ سُمِّي الأهتم ، رئيسَ كندة البراءَ بن قيس ، وقَتَلَتِ التّيم الأوبَر الحارثيّ ، وآخر من بني الحارث يقال له معاوية ، قتلهما النُّعمان بن جِساس ، وقَتَل يومئذٍ من أشرافهم خمسة ، وقتلت بنو ضَبّة ضَمرةَ بن لَبيد الحِماسيَّ الكاهن ، قتله قبيصة بن ضرار بن عمرو الضبيّ .

وأمّا عبد يغوث فانطلق به العَبْشَمِيّ إلى أهله . وكان العبشميّ أهوج ، فقالت له أُمّه ، ورأت عبد يغوث عظيماً جميلاً جسيماً : مَن أنت ؟ قال : أنا سيّد القوم . فضحكت ، وقالت : قَبَحك الله من سيّد قوم حين أسرك هذا الأهوَج . فقال عبد يغوث : [من الطويل]

وتَضْحَكُ منّي شيخةٌ عَبْشَمِيّة كأن لم تَـرَا قبلي أسيراً يمانيا

ثم قال لها : أيّتها الحرّة ، هل لك إلى خير ؟ قالت : وما ذاك ؟ قال : أعطي ابنك مِئةً من الإبل وينطلق بي إلى الأهتم ، فإنّي أتخوّف أن تنتزعني سعد والرِّباب منه ، فضمن له مئة من الإبل ، وأرسل إلى بني الحارث ، فوجّهوا بها إليه ، فقبضها العبشميّ ، فانطلق به إلى الأهتم ، وأنشأ عبد يغوث يقول : [من الطويل]

أأهتـمُ يـا خيرَ البريّـة والـدا ورَهْطاً إذا ما الناسُ عَدُّوا المساعيا
تـداركْ أسيراً عانيـاً في بلادكم ولا تثقفنّي التيـمُ أَلْقى الدواهيا[2]

فمشت سعد والرِّباب فيه . فقالت الرباب : يا بني سعد ، قُتِل فارسنا ولم يقتل لكم فارس مذكور . فدفعه الأهتمّ إليهم ، فأخذه عِصْمة بنُ أبير التيميّ ، فانطلق به إلى منزله ، فقال عبد يغوث : يا بني تميم ، اقتلوني قِتلة كريمة . فقال له عصمة : وما تلك القِتلة ؟ قال : اسقوني الخمر ، ودعوني أنحْ على نفسي ، فقال له عصمة : نَعَم . فسقاه الخمر ، ثم

1 لم نعثر على هذا المثل في كتب الأمثال .

2 تثقفني : تظفر بي .

قطع لـه عرقاً يقال له الأكحل ، وتركه يَنْزِف ، ومضى عنه عصمة ، وترك معه ابنين له ، فقالا : جمعت أهل اليمن وجئت لتصْطَلِمنا ، فكيف رأيت اللهَ صنع بك ؟ فقال عبد يغوث في ذلك[1] : [من الطويل]

ألا لا تلوماني كفى اللومَ ما بيا ... فما لكما في اللوم نفعٌ ولا لِيا

ألَم تعلما أنّ المَلامة نفعُها ... قليل وما لومي أخي مِن شِماليا[2]

فيا راكباً إمّا عرضت فبلِّغنْ ... ندامايَ من نَجْرانَ أنْ لا تلاقيا

أبا كَرِبٍ والأيهمين كليهما ... وقيْساً بأعلى حضرموتَ اليمانيا

جزى الله قومي بالكُلاب مَلامةً ... صريحَهم والآخرينَ المَواليا

ولو شئتُ نَجَّتْني من الخيل نَهْدةٌ ... ترى خَلْفَها الحُوَّ الجيادَ تواليا[3]

ولكنّني أحمي ذمار أبيكم ... وكان الرّماح يختطفن المحاميا

وتضحك منّي شيخة عبشميّة ... كأن لم ترَا قبلي أسيراً يمانيا

وقد علمتْ عرسي مُلَيْكَة أنّني ... أنا الليثُ معدوّاً عليه وعاديا

أقول وقد شدّوا لساني بنِسعةٍ ... أمعشر تيم أطلقوا لي لسانِيا

أمعشر تيم قد ملكتمْ فأسْجِحُوا ... فإن أخاكم لم يكن من بَوائيا[4]

فإن تقتلوني تقتلوا بِيَ سيّداً ... وإن تطلقوني تَحْرُبُوني بمالِيا[5]

أحقّاً عبادَ الله أنْ لست سامعاً ... نشيدَ الرِّعاء المُعْزِبين المَتالِيا

وقد كنت نحّار الجزور ومُعْمِلَ الْـ ... ـمَطيّ وأمضي حيث لا حيَّ ماضيا

وأنحر للشَّرْب الكرام مطيّتي ... وأصدع بين القَينتين ردائيا

وعاديةٍ سومَ الجراد وَزَعتها ... بكفّي وقد أنحوا إليّ العواليا[6]

كأنّيَ لم أركب جواداً ولَم أقل ... لخيليَ كُرّي نَفّسي عن رجاليا

---

1 هذه هي المفضلية الثلاثون في شرح ابن الأنباري . وقد أوردها أبو عبيدة في النقائض والعقد الفريد في يوم الكلاب الثاني (الصفقة) .

2 من شماليا : من شمائلي .

3 النهدة : الفرس العالية . والحو : التي تضرب إلى الخضرة .

4 لم يكن من بوائيا : لم يكن نظيراً لي فأبوء به .

5 تحربوني بماليا : تسلبوني مني مالي .

6 عادية : القوم يعدون . وسوم الجراد : منتشرون كالجراد . ووزعتها : كففتها ومنعتها .

ولم أَسْبأ الزِّقّ الرويّ ولم أَقُل لأيسار صدق أعظموا ضَوْءَ ناريا

قال : فضحكت العبشميّة ، وهم آسروه . وذلك أنّه لمّا أَسروه شدّوا لسانه بنسعة ، لئِلاّ يهجوهم ، وأَبوا إلاّ قتله ، فقتلوه بالنُّعمان بن جِساس .

[ما قيل من الشعر بعد الوقعة]

فقالت صفيّة بنت الخَرِع ترثي النُّعمان : [من البسيط]

نِطاقــــه هُنْــدُوانيٌّ وجُبّتُــــهُ فَضْفاضة كأَضاة النِّهْي مَوْضونَهْ[1]

لقد أَخذنا شفاء النفسِ لو شُفِيت ومــا قتلْنــا بــه إلاّ امــرءاً دونَهْ

وقال عَلقمة بن سَباع لعمرو بن الجُعيد : [من السريع]

لّمــا رأيــت الأمر مَخْلُوجــةً أكرهــت فيــه ذابلاً مارِنا[2]

قلــت لــه : خذها فإنّي امرؤ يعرِف رمحــي الرجلَ الكاهنا

قوله : «يعرف رمحي الرجل الكاهنا» يريد : أنّ عمرو بن الجعيد كان كاهناً . وهو أحد بني عامر بن الدِّيل بن شَنّ بن أفصى بن عبد القيس ، ولم يزل ذلك في ولده . ومنهم الرّباب بن البَراء ، كان يتكهّن ، ثم طلب خلاف أهل الجاهليّة ، فصار على دِين المسيح عليه السلام ، فذكر أبو اليقظان أنّ الناس سمعوا في زمانه منادياً ينادي في الليل ، وذلك قبل مَبعث النبيّ ﷺ : خير أهل الأرض رَبابٌ الشَّنّيّ ، وبحِيرا الراهب ، وآخر لم يأت بعد . قال : وكان لا يموت أحد من ولد الرّباب إلاّ رأوا على قبره طَشاً[3] . ومن ولده مَخْرَبة ، وهو أحد أجواد العرب ، وإنّما سُمِّي مَخْرَبة لأنّ السلاح خرَبه ، لكثرة لبسه إيّاه ؛ وقد أَدرك النبيّ ﷺ ، فأسلم ، فأرسله إلى ابن الجُلَنْدى العُمانيّ . وابنُه المُثنّى بن مَخْرَبة أحد وجوه أصحاب المختار ، وكان قد وجّهه إلى البصرة ليأخذها ، فحاربه عَبّاد بن الحُصَيْن فهزمه ، وكان ابنه بَلْجُ بن المُثنّى جواداً ، وفيه يقول بعض شعراء عبد القيس : [من الوافر]

أَلا يــا بَلْجُ بلــجَ بني المُثنّى وأنــت لكــلّ مَكرُمة كِفاءُ

ألومُك طائعاً مــا دمتُ حيّاً عــليّ إذَنْ مــن الله العفاءُ[4]

كفــى قومــاً مكارمَ ضَيّعوها وأَحسنَ حين أبصرَهم أَساءُوا

1 أضاءة النهي : مسيل الماء في الغدير . وموضونة : منثن بعضها على بعض لسعتها .

2 مخلوجة : مضطرب .

3 الطش : المطر الخفيف .

4 ألومك : لا ألومك .

رجع الخبر إلى سياقة حديث عبد يغوثَ والوقعة

قال : فأمّا وَعْلة بن عبد الله الجرميّ ، فإنّه لحقه رجل من بني سعد ، فعقَر به ، فنزل ؛ وجعل يُحضِر على رجليه ، فلحق رجلاً من بني نهد يقال له سَليط بن قَتَب ، من بني رفاعة ، فقال له لمّا لحقه : أَرْدِفني ، فأبى ، فطرحه ، عن فرسه ، وركب عليها ، وأدركت الخيلُ النهديَّ فقتلوه ، فقال وَعْلة في ذلك : [من الطويل]

ولمّـا سمعت الخيلَ تدعو مقاعساً ... علمتُ بـأنّ اليـوم أغبرُ فاجرُ

نجوتُ نجـاءً ليس فيـه وَتِيرة ... كأنّي عُقّاب دون تَيْمَـنَ كاسرُ

خُداريّـةٌ صَقْعاء لَبّـد رِيشها ... بِطَخفَةَ يـومٌ ذو أهاضيبَ ماطرُ[1]

وقد قلت للنهديّ : هل أنت مردِفي ... وكيف رداف الفَلِّ أُمـك عاثرُ[2]

فإن أستطع لا تَبْتَئِس بي مقاعِس ... ولا يـرني باديهـمُ والحواضِرُ

فِدًى لكمـا رِجليّ أُمّي وخالتي ... غـداة الكُلاب إذ تحـزّ الحناجرُ

فمَـن كان يرجو في تميم هوادة ... فليست لجَـرم في تميم أواصرُ

وقالت نائحة عمرو بن الجُعيد : [من الطويل]

أشابَ قَـذال الرأس مَصْرَعُ سيِّد ... وفارسُ هَبُّـودٍ أشاب النّواصيا

وقال محرِز بن مُكَعْبَر الضَّبّيّ : [من البسيط]

فِدًى لقومِيَ ما جمَّعت من نَشَبٍ ... إذ ساقت الحرب أقوامـاً لأقوامِ[3]

قد حَدَّثتْ مَذْحج عنّا وقد كَذَبتْ ... أن لا يُـوَرِّع عن نسواننا حامِ[4]

دارت رحاهمْ قَليلاً ثـم واجههمْ ... ضرب يصبّح منهم مَسْكَن الهامِ

ساروا إلينا وهـم صيد رؤوسهمُ ... فقـد جعلنا لهـمْ يومـاً كأيّامِ

ظلّـتْ ضبـاعُ مُجيراتٍ يَعُدْنَهُمُ ... وألحموهـنّ منهـمْ أيَّ إلْحامِ[5]

---

1 الخدارية : العقاب لسوادها . الصقعاء : التي في وسط رأسها بياض . وطخفة : موضع والأهاضيب : جمع أهضوبة ، وهي الدفعة من المطر .

2 الفل : المنهزم .

3 نشب في ل : سبد .

4 يورع : يكفّ ويمنع .

5 مجيرات : موضع .

ظلّت تدوس بني كعبٍ بكَلْكلها وهَمَّ يومُ بني نهدٍ بإظلامِ

وقال أوس بن مَغراء : [من الوافر]

وفي يومِ الكُلاب إذ اعترتنا قبائلُ أقبلوا متناسِبينا
قبائلُ مذحِجَ اجتمعتْ وجَرْمٍ وهَمْدانٍ وكِندةَ أجمعينا
وحِميَر ثم ساروا في لُهامٍ على جُرْدٍ جميعاً قادِرينا
فلمّا أن أتونا لم نُكَذِّب ولم نَسْألهمُ أن يُمهِلونا
قتلنا منهم قَتْلى ووَلّى شريدُهم شَعاعاً هاربينا[1]
وفاظتْ منهم فينا أُسارى لدينا منهمُ مُتَخَشِّعينا[2]

وقال ذو الرمّة غَيلان بن عُقْبة في ذلك[3] : [من الطويل]

وعمِّي الذي قاد الرِّباب جماعةً وسَعدُهُمُ الرأسُ الرئيسُ المؤَمَّرُ
عشيّةَ أعطتنا أزمَّةَ أمرها ضِرارٌ بنو القَرْم الأغرّ ومِنْقرُ
وعبدُ يغوثٍ تَحجِل الطيرُ حولَه قد احتزَّ عُرْشَيه الحسام المذكَّرُ

العُرْشان : عِرْقان في العنق :

عشيّةَ فرّ الحارثيّون بعدما قضى نَحْبَه في مَعْرَك الخيل هَوْبَرُ
وقال أخو جَرْمٍ ألا لا هوادةٌ ولا وَزَرٌ إلاّ النجاءُ المشمرُ
أبى اللهُ إلاّ أنّنا آل خِندِفٍ بنا يَسْمَع الصوتَ الأنام ويُبْصرُ
إذا ما تمضَّرنا فلا ناسَ غيرُنا ونُضْعِف أحياناً ولا نتمضَّرُ

وقال أيضاً[4] : [من الطويل]

فما شَهدت خيلُ امرىء القيس غارةً بثهلانَ تَحمي عن ثغورِ الحقائقِ
أثَرْنا بِهِ نَقْعَ الكُلاب وأنتمُ تُثيرونَ نقعَ الملتقى بالمعازِقِ
أدَرْنا على جَرْمٍ وأفناء مذحِجٍ رَحى الموت فوق العاملاتِ الخوافقِ

---

1 شعاعاً : متفرقين في جميع النواحي .
2 فاظت : هلكت .
3 ديوان ذي الرمة (مكارتني) : 222–239 مع بعض اختلاف .
4 ديوان ذي الرمة : 404–412 مع اختلاف كبير في اللفظ والترتيب .

صدمناهمُ دُونَ الأمانيّ صَدْمـةً عَماسا بأطـوادٍ طِـوالٍ شواهِقِ
إذا نطحـتْ شهباءُ شهباءَ بينها شُعـاع القَنـا والمشرفيّ البوارقِ

وقال البَراء بن قيس الكِندِيّ : [من الخفيف]

قَتَلَتْنـا تميـمُ يومـاً جديـداً قتـل عادٍ وذاكَ يومُ الكُلابِ
يـوم جئنا يَسوقنا الحَين سوقاً نحو قَـومٍ كأنّهم أُسدُ غابِ
سرتُ في الأزد والمذاحج طُرّاً وبكيـل وحـاشد الأنيابِ
وبنـي كِندة الملـوكِ ولخمٍ وجُـذامٍ وحِميَـرَ الأربابِ
ومُـرادٍ وخَثْعـم وزُبيـد وبني الحارث الطوالِ الرِّغابِ
وحشدنا الصميمَ نرجو نِهاباً فلقِينـا البَـوار دون النِّهابِ
لَقِيَتْنا أسودُ سَعـدٍ وسعـدٌ خُلِقت في الحروب سَوْط عذابِ
تركـوني مُسهَّداً في وَثـاق أرقب النّجم ما أُسيغُ شرابي
خائفـاً للردى ولولا دفاعي بمئينٍ عن مهجتي كالهضابِ
لسُقِيت الرّدى وكنت كقومي في ضريح مغيَّباً في الترابِ
تذرفُ الدّمع بالعويلِ نسائي كنساءٍ بكت قتيلَ الرِّبابِ
فلِعيني عـلى الألى فارقـوني دِرَر من دموعها بانسكابِ[1]
كيف أبغي الحياة بعد رجالٍ قُتلوا كالأسودِ قتل الكلابِ
منهم الحارثـيّ عبـدُ يغوثٍ ويزيدُ الفتيانِ وابـن شهابِ
في مِئـينٍ نعدّهـا ومئـينٍ بعد ألف مُنوا بقوم غِضابِ
برجـال مـن العرانـين شُمٌّ أُسْدِ حربٍ ممحوضةِ الأنسابِ

وقال وَعْلة بن عبد الله الجَرْمِيّ : [من الخفيف]

عَذَلتنـي نهـدٌ فقلـت لنهدٍ حين حاست على الكُلابِ أخاها
يـوم كنّـا عليهمُ طيرَ مـاء وتميـم صُقورَهـا وبُـزاها
لا تلومـوا على الفِرار فسعدٌ يال نَهْـدٍ يخافهـا مَن يراها
إنّما هَمُّها الطِّعـان إذا مـا كَرِه الطّعن والضراب سِواها

---

1 درر : جمع درة ، وهي الدفعة من المطر .

تركوا مَذْحِجاً حديثاً مشاعاً مثل طَسْم وحِمْيَرٍ وصُداها
يالَ قحطانَ وادِعوا حَيَّ سعدٍ وابتغوا سَلْمها وفضل نداها
إنّ سعد السعود أُسْدُ غِياض باسلٌ بأسها شديدٌ قُواها
فُضِحتْ بالكُلاب حارِ بنُ كعبٍ وبنو كندةَ الملوكُ أُباها
أسلموا للمنون عبدَ يغوثٍ ولعضّ الكبول حولا يَراها
بعد ألف سُقوا المَنِيّةَ صِرفاً فأصابت في ذاك سَعْدٌ مُناها
ليتَ نَهْداً وجَرْمها ومُراداً والمذاحيجَ ذو أُناة نَهاها
عن تميم فلم تكن فَقْع قاعٍ تبتدرْها رِبابُها ومَناها
قل لبكر العراق تَستُر عَمْراً عمرَو قيسٍ وأيّ عمرو يراها
عن تميم ولو غزتْها لكانت مثل قحطانَ مستباحاً حماها

صوت

[من البسيط]

ما بالُ شمس أَبي الخطّاب قد حُجِبَتْ أظُنّ يا صاحبيَّ الساعةَ اقتربتْ
أَوْلا فما بال ريحٍ كنت آنَسُها عادتْ عليَّ بصِرٍّ بعد ما جَنَبَتْ[1]
أشكو إليك أبا الخطّاب جارية غريرةً بفؤادي اليوم قد لَعِبتْ
وأنت قَيِّمها الأدنى وسيّدها يا ليتَ قد قَرَّبت منّي وما بَعُدَتْ

عروضه من البسيط . الشعر والغناء لإبراهيم الموصليّ ، رَمَل بالبنصر ، عن الهشاميّ وعلي بن يحيى . وذكر محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر أن فيه هَزَجاً بالبنصر لإبراهيم بن المهديّ . وذكر عمرو بن بانة أنّه لإبراهيم الموصليّ أيضاً .

وأبو الخطّاب الذي عناه إبراهيم الموصليّ في شعره هذا : رجل نَخَّاس يعرف بِقَرين ، مولى العباسة بنت المهديّ ، وكان إبراهيم يهوى جارية له ، يقال لها خُنْث ، وكانت من أجمل النساء وأكملهنّ ، وكان لها خالٌ فوق شفتها العليا ، وكانت تعرف بذات الخال ، وإبراهيم ولغيره فيها أشعار كثيرة . نذكر منها كلّ ما كان فيه غناء بعد خبرها إن شاء الله .

1 الصرّ : البرد . وجنبت : هبت جنوباً .

[335] ـ أخبار ذات الخال

[عشقها إبراهيم واشتراها الرشيد]

أخبرني بخبرها الحسين بن يحيى قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق قال : حدَّثني أبي : أنّ جدِّي كان يتعشّق جارية لِقَرِين ، المكنّى بأبي الخطّاب النخّاس ، وكان يقول فيها الشعر ويُغنِّي فيه ، فشَهَرها بشعره وغنائه ، وبلغ الرشيدَ خبرها ، فاشتراها بسبعين ألفَ درهم . فقال لها ذات يوم : أسألك عن شيء ، فإن صدَقْتني وإلاّ صدَقَني غيرُك وكذّبتُك . قالت له : بل أَصْدُقك . قال : هل كان بينك وبين إبراهيم الموصليّ شيء قَطّ ، وأنا أُحْلِفه أن يَصْدُقني . قال : فتلكّأت ساعة ، ثم قالت : نعم ، مرّة واحدة . فأبغضها وقال يوماً في مجلسه : أيّكم لا يبالي أن يكون كَشْخاناً ، حتى أهب له ذات الخال . فبدر حَمّويه الوصيف ، فقال : أنا . فوهبها له ، وفيها يقول إبراهيم : [من الطويل]

أتحسِب ذات الخالِ راجية رَبّاً ... وقد فَتَنَتْ قلباً يَهيم بها حُبّا
وما عُذْرها نفسي فِداها ولم تَدَع ... على أَعظمي لحماً ولم تُبْقِ لي لُبّا

الشعر والغناء لإبراهيم ، خفيف رمل بالسبّابة في مجرى الوسطى .

[تشوق الرشيد إليها]

وذكر أحمد بن أبي طاهر : أنّ الرشيد اشتراها بسبعين ألف درهم ، وذكر قصّة حَمّويه كما ذكرها حمّاد ، وقال في خبره : فاشتاقها الرشيد يوماً بعد ما وهَبها لِحَمّويه ، فقال له : ويْلَكَ يا حمّويه ، وهبنا لك الجارية على أن تسمع غناءها وحدك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، مرْ فيها بأمرك . قال : نحن عندك غداً . فمضى فاستعدّ لذلك ، واستأجر لها من بعض الجوهريّين بَدَنة[1] وعقوداً ثمنها اثنا عشر ألف دينار . فأخرجها إلى الرشيد وهو عليها ، فلمّا رآها أنكره ، وقال : ويلَك يا حَمّويه ! من أين لك هذا وما وليتك عملاً تكسب فيه مثله ، ولا وَصَل إليك منّي هذا القدر ! فصَدَقه عن أمره ، فبعث الرشيد إلى أصحاب الجوهر فأحضرهم ، واشترى الجوهر منهم ، ووهبه لها ، ثم حلف ألاّ تسأله يومه ذلك شيئاً إلاّ أعطاها ، ولا حاجة إلاّ قضاها ، فسألته أن يولّيَ حَمّويه الحرب والخراج بفارس سبع سنين ، ففعل ذلك ، وكتب له عهده به ، وشرط على وليّ العهد بعده أن يتمّها له إن لم تتمَّ في حياته .

---

1 البدنة : قميص بلا كمين للنساء .

[قصّها خالها وشعر العبّاس بن الأحنف فيها]

حدَّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال : حدَّثني محمد بن عبد الله العاصميّ قال : حدَّثني أَحمد بن عبد الله طَمّاس ، عن عبد الله وإبراهيم ابنَي العبّاس الصُّوليّ قالا : كانت للرشيد جارية تعرف بذات الخال ، فدعته يوماً ، فوعدها أن يصير إليها . وخرج يريدها ، فاعترضته جارية ، فسألته أن يدخل إليها ، فدخل وأقام عندها ، فشقَّ ذلك على ذات الخال ، وقالت : والله لأطلبنّ له شيئاً أغيظه به ، وكانت أحسن الناس وجهاً ، ولها خال على خدّها لم يَرَ الناس أحسن منه في موضعه ، فدعت بمِقْراض ، فقصّت الخال الذي كان في خدِّها ، وبلغ ذلك الرشيد ، فشق عليه ، وبلغ منه ، فخرج من موضعه ، وقال للفضل بن الربيع : انظُر مَن بالباب من الشعراء ، فقال : الساعةَ رأيت العبّاس بن الأحنف . فقال : أدخله . فأدخله ، فعرَّفه الرشيد القِصّة وقال : اعْمَل في هذا شيئاً ، على معنًى رسمه له ، فقال[1] : [من الطويل]

صوت

تخلَّصْتُ ممّن لم يكن ذا حَفِيظةٍ ... ومِلْـت إلى مَـن لا يغيِّره حالُ

فـإن كان قطعُ الخال لمّا تطلّعتْ ... إلى غيرها نفسي فقد ظُلِمَ الخالُ

غنّاه إبراهيم . فنهض الرشيد إلى ذات الخال مسرعاً مسترضياً لها ، وجعل هذين البيتين سبباً ، وأمر للعبّاس بألفَيْ دينار ، وأمر إبراهيم الموصليّ فغنّاه في هذا الشعر .

[إعجاب بالتقسيم في الشعر]

أَخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال : حدَّثني محمد بن الفضل قال : كان محمد بن موسى المنجِّم يعجبه التقسيم في الشعر ، ويُشغَف بجيد الأشعار ، فكان ممّا يعجبه قول نُصَيْب[2] : [من الطويل]

صوت

أَيا بعلَ لَيلى كيف تجمعُ سَلْمَها ... وحَرْبي وفيما بيننا شَبَّتِ الحربُ

لها مثلُ ذنبي اليومَ إن كنتُ مذنباً ... ولا ذنب لي إن كان ليس لها ذنبُ

عروضه من الطويل . والشعر لنُصَيْب ، ويروى للمجنون ، ويروى لكعب بن مالك الخَثعميّ . والغناء لمالك ، ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو .

1 ديوان العبّاس بن الأحنف : 249 وفيه «لما تعطفت على غيرها . . .» .

2 شعر نصيب : 65 .

قال : وكان محمد بن موسى ينشد كثيراً للعبّاس بن الأحنف[1] : [من الطويل]

صوت

أَلا ليتَ ذاتَ الخال تَلْقى من الهوى عَشِير الذي أَلْقى فيلتئمَ الشَّعْبُ
إذا رَضِيتْ لم يَهْنني ذلك الرِّضا لعلمي بـه أن سوف يتبعُه العَتْبُ
وأَبكي إذا ما أُذنبتْ خوفَ صَدِّها وأسألها مَرْضاتها ولها الذنْبُ
وصالُكـمُ صُـرْمٌ وحبُّكمُ قِلًى وعطفُكمُ صَدٌّ وسَلْمُكم حَرْبُ

ويقول : ما أَحسن ما قسّم ، حتى جعل بإزاء كلّ شيء ضدّه ، والله إنّ هذا لأَحسن من تقسيمات إقليدس .

الغناء في هذه الأبيات الأربعة لإبراهيم الموصليّ ، ثاني ثقيل بالوسطى ، عن الهشاميّ .

[ثلاث جوارٍ هويهنّ الرشيد]

وكانت ذات الخال إحدى الثلاث الجواري اللواتي كان الرشيد يَهواهنّ ، ويقول الشعر فيهنّ ، وهن سِحْر ، وضياء ، وخُنْث ؛ وفيهنّ يقول الرشيد : [من الرمل]

إنّ سِحْـراً وضيـاءً وخُنُـثْ هنَّ سحـر وضيـاءٌ وخُنُثْ
أَخَذَتْ سِحْـرٌ ولا ذنبَ لهـا ثُلُثَـيْ قلبـي وترْباهـا الثُّلُثْ

حدَّثني محمد بن يحيى الصوليّ قال : حدَّثنا أحمد بن محمد الأسديّ قال : حدّثنا أحمد بن عبد الله بن عليّ بن سُويد ين مَنْجوف السَّدُوسيّ قال : حدَّثني محمد بن إسماعيل بن صُبيح قال : وجّه الرشيد إلى جاريته سِحْر لتصير إليه ؛ فاعتلت عليه ذلك اليومَ بعلّة ، ثم جاءته من الغَدِ ، فقال الرشيد : [من الهزج]

أَيـا مَنْ رَدَّ وُدِّي أَمْـ ـسِ لا أُعْطيكَهُ اليوما
ولا والله لا أعطيـ ـك إلاّ الصدَّ واللّوْما
وإن كان بقلبـي منـ ـك حُبٌّ يمنع النَّوما
أَيا مـن سُمْتُه الوَصْلَ فأَغـلى المَهْـرَ والسَّوْما

قال : وفيهنّ يقول ، وقد قيل إنّ العبّاس بن الأَحنف قالها على لسانه[2] : [من الكامل]

1 ديوان العبّاس بن الأحنف : 34 .
2 ديوان العبّاس بن الأحنف : 312 .

صوت

مَلَكَ الثَّلاثُ الآنساتُ عِناني ... وحَلَلْن مـن قَلْبي بكلِّ مَكانِ
مـا لي تُطاوِعني البريّةُ كلّها ... وأطيعُهنّ وهـنّ في عصياني
مـا ذاك إلاّ أنّ سُلْطان الهوى ... وبـه عززن أعزّ من سلطاني[1]

غنّته عريب خفيف ثقيل الأوّل بالوسطى .

وروى أحمد بن أبي طاهر عن إسحاق قال : وجه الرشيد إلى ذات الخال ليلة وقد مضى شطر الليل ، فحضرت ، فأخرج إليّ جارية كأنّها المَهاة ، فأجلسها في حجره ، ثم قال : غنّي ، فغنّته : [من السريع]

جِئْـنَ مِـنَ الـرّوم وقالِيقَلا ... يرفُلْـن في المِـرْط ولِين المُلا
مُقَرْطَقَـاتٌ بصُنوف الحُـلى ... يـا حَبَّذا البِيْضُ وتلك الحُلى[2]

فاستحسنه وشرب عليه ، ثم استُؤْذن للفضل بن الربيع ، فأذن له ، فلمّا دخل قال : ما وراءك في هذا الوقت ؟ قال : كلّ خير يا أمير المؤمنين ، ولكن جرى الساعة لي سبب لم يجر لي كتمانُهُ أميرَ المؤمنين . قال : وما ذاك ؟ قال : أُخرج إليّ في هذا الوقت ثلاثُ جَوارٍ لي : مكّيّة ، ومَدينيّة ، وعراقيّة . فقَبَضَتِ المَدينيّة على ذَكري ، فلمّا أنعظْت وثبت المكّيّة فقعدت عليه ، فقالت لها المدينيّة : ما هذا التعدّي ؟ ألم تعلَمي أنّ مالكاً حدّثنا عن الزهريّ عن عبد الله بن ظالم ، عن سعيد بن زيد : أنّ النبيّ ﷺ قال : «مَن أحيا أرضاً مَيِّتة فهي له» ؟ فقالت الأُخرى : أوَ لَم تعلمي أنّ سفيان حدَّثنا ، عن أبي الزِّناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة : أنّ النبيّ ﷺ قال : «الصيدُ لَمن صاده لا لمن أثاره» . فدفعتهما العراقيّة عنه ، ووثبت عليه ، وقالت : هذا لي ، وفي يدي حتى تصطلحا . فضحك الرشيد ، وأمره بحملهنّ إليه ، ففعل ، وحَظِين عنده ، وفيهنّ يقول : [من الكامل]

ملكَ الثلاثُ الآنساتُ عِنانِي ... وحَلَلْن مـن قلبي بكلّ مكانِ

[إعجاب بشعر الرشيد في جواريه]

حدَّثنا محمد بن يحيى قال : حدَّثنا الغَلاّبيّ قال : حدَّثني مهديّ بن سابق قال : حججنا مع الرشيد آخر حِجَّة ، فكان الناس يتناشدون له في جواريه : [من الوافر]

ثلاث قد حَلَلْن حِمى فؤادي ... ويُعْطَين الرغائـب من وِدادي

1 عززن في ل والديوان : قوين .
2 البيض في ل : والله .

نظمت قلوبَهُــنّ بخيطِ قلْبي فهــنَّ قرابتــي حتى التنادِي
فمَن يكُ حلّ من قلب مَحَلاًّ فهنّ مــع النواظــر والسَّوادِ

وممّا قاله إبراهيم وغيره في ذات الخال وغَنَّى فيه : [من الهزج]

صوت

أذاتَ الخــالِ أَقصَيْتِ مُحبّــاً بكُــمُ صَبّا
فــلا أَنْسى حياتِيَ ما عَبدْتُ الدَّهرَ لي ربّا
وقــد قلــت أَنيليني فقــالت أَفْـرَقُ الذَّنْبا

الشعر والغناء لإبراهيم ، هزج بالوُسطى عن عمرو . ومنها : [من الهزج]

صوت

أذات الخال قــد طالَ بمَن أسقمتِهِ الوجَعُ
وليس إلى سِواكم في الْـ ـلَذِي يلقـى لـه فَزَعُ
أمــا يمنعُـك الإسلا مُ من قتلي ولا الوَرَعُ
ومــا ينفــكُّ لي فيكِ هــوًى تَغتَــرُّه خُدَعُ

الشعر والغناء لإبراهيم ، هزج بالوسطى ، عن عمرو . ومنها : [من الرجز]

صوت

ثَعلَبُ يــا هذا الكثيرُ العَبَثِ بالله لَمَّا قُلْتَ لي عــن خُنُثِ
عــن ظبيةٍ تميس في مِشيتِها أَحسنُ مَــن أبصرتُه في شَعَثِ
فقال : قالت قل له أنت امرؤ مُوَكَّــل فيمــا تــرى بالعَبثِ
والله لــولا خَصْلَــةٌ أرقبُهــا لقَلَّ في الدُّنيا لمــا بي لَبَثي

الشعر لإبراهيم ، وله فيه لحنان : أحدهما ثقيل الأوّل ، عن أبي العَنْبَس ، والآخر هزج بالبنصر عن عمرو . وفيه لعَريب ثقيل أوّل آخرُ . وذكر حَبَش أن فيه لابن جامع هزجاً آخر بالوسطى .

وذكر هارون بن الزيّات أن حمّاد بن إسحاق حدّثه عن أبيه : أنّ ثعلباً هذا ، كان مملوكاً لإبراهيم ، فقال هذه الأبيات في خُنْث جارية جَزْء بن مِغْول الموْصليّ ، وكانت مغنّية محسنة ، وخاطب ثعلباً فيها مستخبراً له .

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك أَنّ حمّاد بن إسحاق حدّثه عن أَبيه : أنّه قال في خُنْث جارية جَزْء بن مِغْول المَوْصلي ، وخاطب في شعره غلاماً يقال له ثعلب ، وكانت خُنْث مغنّية محسنة ، وكانت تعرف بذات الخال .

صوت

[من الرجز]

ثعلبُ يا هذا الكثيرَ الخُبُث   باللهِ إلاّ قلت لي عن خُنُث

وذكر الأبيات .

قال : وقال له أيضاً : [من السريع]

صوت

أبــدِ لــذات الخال يـا ثعلبُ   قولَ امرىء في الحبّ لا يكذبُ

إنّــي أقــول الحــقّ فاستيقِني   كلّ امــرىء في حُبِّــه يلعبُ

الشعر والغناء لإبراهيم ، لـه فيـه لحنـان : رمل وخفيف ثقيل ، عن ابن المكّيّ .

ومنهـا : [من الطويل]

صوت

جــزى الله خيراً من كلِفت بحبِّهِ   وليس بــه إلاّ المموّهُ من حُبّي

وقالــوا : قلوب العاشقين رقيقة   فما بال ذات الخالِ قاسيةَ القلبِ ؟

وقالوا لهــا : هــذا محبّك مُعرضاً   فقالت : أُرى إعراضه أيسرَ الخطبِ

فمـا هــو إلاّ نظــرة بتبسُّم   فتنشَب رجلاه ويسقُطَ للجَنبِ

ومنها : [من البسيط]

صوت

إن لم يكن حبّ ذات الخال عَنّاني   إذنْ فَحُوِّلْتُ في مَسْكِ ابن زَيدانِ[1]

فإنَّ هذي يمين مـا حلفت بها   إلاّ على الحقّ في سرى وإعلاني

الشعر والغناء لإبراهيم ، هزج بالبنصر .

ومنها : [من الهزج]

صوت

لقــد أخلو بذات الخا   لِ والحراسُ قــد هَجَعُوا

فمن يُبْصِرْ أبـا الخطّا   ب يطلُبُهــا ويتّبِــعُ

---

1 المسك : الجلد .

أَلا لَـم تَـرَ محزونـاً تَسَنَّـم صبْرَهُ الجَـزَعُ
وقارَعَنـي ففزْت بهـا وحازتهـا لي القُـرَعُ

غنّاه إبراهيم ، من رواية بَذْل عنه ، ولم تذكر طريقته .

قال عليّ بن محمد الهشاميّ : حدَّثني جدِّي ، يعني ابن حمدون ، قال : حدَّثني مخارق قال : كنت عند إبراهيم الموصليّ ومعي ابن زَيدان صاحب البرامكة ، وإبراهيم يلاعبه بالشِّطْرَنْج ، فدخل علينا إسحاق ، فقال له أبوه : ما أفدت اليوم ؟ فقال : أعظم فائـدة . سألنـي رجـل ما أفخم كلمة في الفم ؟ فقلت : لا إله إلاّ الله . فقال له أبوه إبراهيم : أخطأت . هلا قلت : دُنْيا ودينا . فأخذ ابن زيدان الشاه ، فضرب به رأس إبراهيم ، وقال له : يا زنديق ، أتكفر بحضرتي ؟ فأمر إبراهيم غلمانه فضربوا ابن زَيدان ضرباً شديداً ، فانصرف من ساعته إلى جعفر بن يحيى ، فحدّثه بخبره . قال : وعلِم إبراهيم أنّه قد أخطأ وجنى ، فركب إلى الفضل بن يحيى ، فاستجار به ، فاستوهبه الفضلُ من جعفر ، فوهبه له ، فانصرف وهو يقول : [من البسيط]

صوت

إن لم يكن حبّ ذات الخال عَنّاني إذا فَحُوِّلتُ في مَسْك ابن زَيْدانِ
فإن هذي يمـين مـا حلَفْت بها إلاّ على الصدق في سرى وإعلاني

قال : وله في هذين البيتين صنعة ، وهي هَزَج .

منها : [من الهزج]

صوت

مَـنْ يرحـمُ محزونـا بـذات الخـالِ مَفْتونا
أبـى فيهـا فما يسلو وكلّ النّـاس يَسْلُونا
فقـد أُودى بـه السُّقْمُ وقـد أُصبـح مَجنونا
فـإن دام على هــذا ثَوى في اللحد مدفونا

الشعر والغناء لإبراهيم ، خفيف ثقيل ، عن الهشاميّ .

ومنها : [من الهزج]

صوت

لذات الخــال أَرَّقني خيـالٌ بـات يَلْثَمني
بكـى وجرى له دمع لمـا بالقلب من حَزَنِ

فـلا أُنساه أَو أُنسى إذا أُدْرِجْت في كَفَني

الشعر والغناء لإبراهيم ، خفيف رمل بالوسطى ، عن الهشاميّ .

ومنها : [من مجزوء الرمل]

صوت

هل علمتَ اليومَ يا عا صمُ يــا خيرَ خَدِينِ
أَنّ ذات الخــال تأتيـ ـنِـي على رَغـمِ قَرينِ
لا تلُمْني إنّ ذات الـ ـخالِ دنيــايَ ودِيني[1]
وإلى حفــصٍ خليــلٍ ووَزيـــري وأَمينـــي
بُحْت لا أَكتمُـه شيــ ـئاً مـن الداء الدفينِ[2]
إنّ بي من حبّ ذات الـ ـخال شيئــاً كالجنونِ

فيه لإبراهيم هزج بالوسطى ، عن ابن المكّيّ .

ومنها : [من مجزوء الرجز]

صوت

تقـول ذات الخـــالِ لي : يــا خَلِيّ البالِ
فقلتُ : حاشاكِ من أَنْ يكــونَ حالُك حالي
أعرَضْتِ عَنِّــيَ لَمّــا أوقعتنـــي في الحبـالِ
إن الخـليّ هـــو الغا فِــلُ الذي لا يُبالي

لإبراهيم من كتابه عن حَبَش فيه لحن . وذكر ابن المكّيّ أنّه رمل .

ومنها : [من الهزج]

صوت

أَمـا تعلمُ ذات الخا لِ فوقَ الشفة العليا
بأنّي لست أَهوى غيـ ـرها شيئاً مـن الدنيا
وأنّي عـن جميع النـ ـاس إلاّ عنهمُ أَعمى
وأنّي لو سُقِيت الدّهـ ـرَ من ريقك لا أُرْوى

---

1 إلى هذا أشار في قوله لإسحاق : «دنيا وديناً» .

2 الداء في ل : السر .

الشعر والغناء لإبراهيم ، رمل بالوسطى ، عن عمرو وابن المكّيّ وغيرهما . وقد روى «أما تعلم يا ذا الخال» . وهذا هو الصحيح .

ومنها : [من الكامل]

صوت

يا ليت شِعريَ كيفَ ذاتُ الخالِ ... أمْ أينَ تَحسِبُ حالَها من حالي
هـل أنْسَيَنْ منهـا وضَمَّتْ مرّةً ... رأسي إليها ثـم قالـت : مالي
ألِزَلَّــة أقصيتَني نفسي الفـدا ... لــك أم أطعـت مَقالةَ العذالِ
والله مـا استحسنتُ شيئاً مُونِقاً ... ألتــذُّه إلاّ خَطَـرْتِ بيــالي

الشعر والغناء لإبراهيم ، وله فيه لحنان : هزج بالأصابع كلّها ، عن ابن المكّيّ ، وثقيل أوّل بالوسطى ، عن حبش .

ومنها : [من الكامل]

صوت

يا ليتَ شِعريَ والنساءُ غوادِرٌ ... خُلْـفُ العِداتِ وَفاؤُهُـن قليلُ
هل وصلُ ذاتِ الخال يوماً عائدٌ ... فتزولَ لَوْعاتــي وحَرُّ غليلي
أم قــد تناستْ عهدَنا وأحالَها ... عن ذاك مَلْكٌ حـال دون خليلِ

الشعر والغناء لإبراهيم من كتابه ، ثقيل أوّل بالبنصر ، عن إسحاق بن إبراهيم ، وابن المكّيّ والهشاميّ . انقضت أخبارها .

[حجر بن عمرو]

صوت

[من الخفيف]

إن من غَـرَّهُ النساءُ بشيء ... بعـد هنـدٍ لجاهـلٌ مغرورُ
حُلْوة القول واللسان ومُـرٌّ ... كلّ شيء أجَنَّ منها الضميرُ
كلّ أنثى وإن بـدا لك منها ... آيــةُ الحــبّ حبُّها خَيْتَعُورُ[1]

الشعر لحُجْر بن عمرو آكل المُرار . والغناء لحُنين ، ثاني ثقيل بالبنصر ، عن الهشاميّ . وفيه لنُبَيه ثقيل أوّل بالوسطى ، عن حَبَش . وفيه رمل له .

---

1 خيتعور : باطل لا يدوم على حال .

[336] ـ نسب حُجر بن عمرو والسبب الذي من أجله قال هذا الشعر

[نسبه]

هو حُجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرْتِع ، واسمه عمرو بن ثور ، وقيل : ابن معاوية بن ثور ، وهو كِندة بن عُفَير بن عديّ بن الحارث بن مرّة بن أُدَد بن زيد بن يَشْجُب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سَبَأ بن يشجب بن يعرُب بن قَحْطان .

[القتال بينه وبين ابن الهبولة]

أخبرني بخبره محمد بن الحسن بن دُريد إجازة ، قال : حدَّثني عمِّي ، عن ابن الكلبيّ ، عن أبيه ، عن الشَّرْقيّ بن القُطاميّ قال[1] : أقبل تُبَّع أيّام سار إلى العراق ، فنزل بأرض معدّ ، فاستعمل عليهم حُجْر بن عمرو ، وهو آكِل المرار ، فلم يزل ملكاً حتى خَرِف ، وله من الولد عمرو ومعاوية وهو الجَوْن . ثم إنّ زياد* بن الهَبولة بن عمرو بن عوف بن ضَجْعَم بن حماطة بن سعد بن سَليح القضاعيّ ، أغار عليه وهو ملك في ربيعة بن نزار ، ومنزله بغَمر ذي كندة ، وكان قد غزا بربيعة البحرين . فبلغ زياداً غزاتُه ، فأقبل حتى أغار في مملكة حُجْر ، فأخذ مالاً كثيراً ، وسبى امرأة حُجْر ، وهي هند ابنة ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية ، وأخذ نسوة من نساء بكر بن وائل .

فلمّا بلغ حجراً وبكر بن وائل مغارُه وما أخذ أقبلوا معه ، ومعه يومئذٍ أشرافُ بكر بن وائل ، منهم عوف بن محلِّم بن ذُهْل بن شَيبان ، وصُلَيعْ بن عبد غَنْم بن ذهل بن شيبان ، وسَدُوس بن شيبان بن ذُهل ، وضُبَيعة بن قيس بن ثعلبة ، وعامر بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة . فتعجل عمرو بن معاوية وعوف بن محلِّم ، قالا لحجر : إنّا متعجِّلان إلى الرجل ، لعلّنا نأخذ منه بعض ما أصاب منّا . فلقياه دون عين أُباغ ، فكلّمه عوف بن ملحم ، وقال : يا خير الفتيان ، اردد عليّ ما أخذته منّي . فأعطاه إيّاه . وكلّمه عمرو بن معاوية في فحل إبله ، فقال : خذه ، فأخذه عمرو ؛ وكان قويّاً . فجعل الفحل ينزع إلى الإبل ، فاعتقله عمرو ، فصرعه . فقال له ابن الهبولة : أما والله يا بني شيبان ، لو كنتم تعتقلون الرجال كما تعتقلون الإبل لكنتم أنتم أنتم . فقال عمرو : أما والله لقد وهبتَ قليلاً ، وشتمت جليلاً . ولقد جررت على نفسك

---

1 أورد صاحب التذكرة الحمدونيّة هذا الخبر 7 : 384–386 .

شرّاً ، ولتجدني عند ما ساءك . ثم ركض حتى صار إلى حجر ، فأخبره الخبر .

فأقبل حُجْر في أصحابه ، حتى إذا كان بمكان يقال له «الحفير» بالبرّ ، وهو دون عين أُباغ ، بعث سَدوساً وصُلَيعاً يتجسّسان له الخبر ، ويعلمان له عِلم العسكر . فخرجا حتى هجما على عسكره ، وقد أوقد ناراً ، ونادى منادٍ له : مَن جاء بحزمة من حطب فله فِدْرة[1] من تمر . وكان ابن الهَبولة قد أصاب في عسكر حُجْر تمراً كثيراً . فضَرب قِبابه ، وأجّج ناره ، ونثر التمر بين يديه ، فمن جاء بحطب أعطاه تمراً . فاحتطب سَدوس وصُلَيع ، ثم أتيا به ابن الهَبولة ، فطرحاه بين يديه ، فناولهما من التمر ، وجلسا قريباً من القُبة . فأمّا صُلَيع فقال : هذه آية وعلم ما يريد ، فانصرف إلى حُجْر ، فأعلمه بعسكره ، وأراه التمر . وأمّا سدوس فقال : لا أبرح حتى آتيه بأمر جَليّ . فلمّا ذهب هزيع من الليل أقبل ناس من أصحابه يحرسونه ، وقد تفرّق أهل العسكر في كلّ ناحية ، فضرب سَدُوس بيده إلى جَليس له ، فقال له : مَن أنت ؟ مخافة أن يستنكر . فقال : أنا فلان ابن فلان . قال : نعم . ودنا سَدوس من القُبّة ، فكان حيث يسمع الكلام . فدنا ابن الهبولة من هند امرأة حجر ، فقبّلها وداعبها ، ثم قال لها فيما يقول : ما ظنّك الآن بحُجر لو علِم بمكاني منك ؟ قالت : ظنّي به والله أنّه لن يدع طلبك حتى يطالع القصور الحُمْر ، وكأنّي أنظر إليه في فوارس من بني شيبان يُذَمِّرهم ويذمِّرونه ، وهو شديد الكَلَب ، سريع الطلَب ، يزبد شدقاه كأنّه بعيرٌ آكِلُ مُرار . فسمّى حُجْر آكلَ المُرار يومئذٍ . قال : فرفع يده فلطمها . ثم قال : ما قلتِ هذا إلاّ من عُجْبك به ، وحبّك له . فقالت : والله ما أبغضتُ ذا نَسَمة قطّ بغضي له ، ولا رأيت رجلاً قطّ أحزم منه نائماً ومستيقظاً ، إن كان لتنام عيناه وبعض أعضائه حيٌّ لا ينام . وكان إذا أراد النوم أمرني أن أجعل عنده عُسّاً مملوءاً لبناً ، فبينا هو ذات ليلة نائم وأنا قريبة منه أنظر إليه ، إذ أقبل أسود سالخ إلى رأسه ، فنحى رأسه ، فمال إلى يديه ، وإحداهما مقبوضة ، والأخرى مبسوطة ، فأهوى إليها فقبضها ، فمال إلى رجليه وقد قبض واحدة ، وبسط الأخرى ، فأهوى إليها ، فقبضها ، فمال إلى العُسّ : شربه ثم مجّه ، فقلت : يستيقظ فيشرب فيموت ، فأستريح منه . فانتبه من نومه ، فقال : عليّ بالإناء ، فناولته ، فشمّه فاضطربت يداه ، حتى سقط الإناء فأهَريق . وذلك كلّه بأذن سَدُوس . فلمّا نامت الأحراس خرج يسري ليلته ، حتى صَبَّحَ ؛ حُجراً . فقال : [من الوافر]

أتاك المرجفون برجم غيبٍ ... على دَهَش وجئتك باليقينِ
فمن يَكُ قد أتاك بأمر لَبْس ... فقد آتي بأمر مُستبينِ

---

1 فدرة : قطعة .

ثم قصّ عليه جميع ما سمع .

فأسف ونادى في الناس : الرحيل . فساروا حتى انتهوا إلى عسكر ابن الهَبولة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم أصحاب ابن الهَبولة . وعرفه سدوس ، فحمل عليه ، فاعتنقه وصرعه فقتله . وبصُر به عمرو بن معاوية ، فشدّ عليه ، فأخذ رأسه منه ، وأخذ سدوس سَلَبه ، وأخذ حُجْر هنداً فربطها بين فرسين ، ثم ركضا بها حتى قَطَّعاها قطعاً .

هذه رواية ابن الكلبيّ .

وأمّا أبو عبيدة فإنّه ذكر أنّ ابن الهَبولة لمّا غنم عسكر حُجر ، غنم مع ذلك زوجته هند بنت ظالم ، وأُمّ أُناس بنت عوف بن محلِّم الشيبانيّ ، وهي أُمّ الحارث بن حُجر وهند بنت حُجر ، ولابنها الحارث ابن يقال له عمرو ، وله يقول بشر بن أبي خازم[1] : [من الكامل]

فإلى ابـــن أُمّ أُناسَ أُعْمِل ناقتـي عمرٍو فتنجَحُ حاجتي أم تُرْجَفُ

مَلِك إذا نـــزل الوفـودُ ببابـه غَرَفوا غواربَ مُزْبـد مـا يُنزَفُ

قال : وبنتها هند هي التي تزوّجها المنذر بن ماء السماء اللخميّ . قال : وكان ابن الهبولة بعد أن غنم يسوق ما معه من السبايا والنَّعم ، ويتصيّد في المسير ، ولا يمرّ بوادٍ فيعجبه إلاّ أقام به يوماً أو يومين ، حتى أتى على ضَرِيَّة ، فوجدها مُعْشِبة ، فأعجبته ، فأقام بها أيّاماً . وقالت له أُمّ أُناس : إنّي لأرى ذات وَدَك[2] ، وسوء دَرَك ، كأنّي قد نظرت إلى رجل أسود أدلم ، كأنّ مشافره مشافر بعير آكِل مُرار قد أخذ برقبته ؛ فسُمِّي حُجْر آكلَ المُرار بذلك . وذكر باقي القصّة نحو ما مضى .

وقال في خبر ابن الهَبولة : إنّ سَدوساً أَسَرَه ، وإنّ عمرو بن معاوية لمّا رآه معه حسده ، فطعنه فقتله : فغضب سَدوس لذلك ، وقال : قتلت أسيري وديتُه دية الملوك . وتحاكما إلى حُجْر ، فحكم لسدوس على عمرو وقومه بدية ملك ؛ وأعانهم في ذلك بماله . وقال سَدُوس في ذلك يعاتب بني شيبان : [من الكامل]

مـا بعدُكم عيشٌ ولا مَعكُمْ عيشٌ لذي أَنَف ولا حَسَبِ

لـولا بنو ذهل وجَمْعُ بني قيسٍ وما جَمَّعْتُ من نَشَبِ

مـا سُمْتُموني خُطَّة غَبَنـاً وعلى ضَرِيَّـة رمتمُ غَلَبي

قال : وقد رُوِي أنّ حُجْراً ليس بآكل المُرار ، وإنّما أبوه الحارث آكل المُرار . ورُوِي أيضاً

---

1 ديوان بشر بن أبي خازم : 155 وفيه «أو ترحف» .

2 الودك : الدسم من اللحم أو الشحم .

أنّه إنّما سُمّي آكلَ المُرار لأنّ سَدوساً لمّا أتاه بخبر ابن الهَبولة ومداعبته لهند ، وأنّ رأسَه كان في حجرها ، وحدَّثه بقولها وقوله ، فجعل يسمع ذلك وهو يعبث بالمُرار ، وهو نبت شديد المرارة ، وكان جالساً في موضع فيه منه شيء كثير . فجعل يأكل من ذلك المُرار غَضَباً وهو يسمع من سدوس ولا يعلم أنّه يأكله من شدّة الغضب ، حتى انتهى سدوس إلى آخر الحديث ، فعلِم حينئذٍ بذلك ، ووجد طعمه ، فسُمّي يومئذٍ آكلَ المُرار .

قال ابن الكلبيّ : وقال حُجْر في هند : [من الخفيف]

لِمَن النارُ أُوقِدَتْ بحَفيرِ ... لم تَنَمْ عند مُصْطَلٍ مَقْرورِ
أوقدتْها إحدى الهنود وقالت ... أنت ذا مُوثَقٌ وَثاق الأسيرِ
إنّ من غَرّه النساء بشيء ... بعدَ هند لجاهلٌ مغرورُ

وبعده باقي الأبيات المذكورة متقدّماً وفيها الغناء .

صوت

[من الكامل]

طَرِبَ الفؤادُ وعاودتْ أحزانُه ... وتفرّقت فِرَقاً به أشجانُهُ
وبدا له من بعد ما اندمل الهَوى ... برقٌ تألّقَ مَوْهناً لَمَعانُهُ
يبدو كحاشية الرِداءِ ودونه ... صعبُ الذّرى متمنّعٌ أركانُهُ
فالنار ما اشتملت عليه ضُلوعه ... والماء ما جادت به أجفانُهُ[1]

الشعر لمحمد بن صالح العَلَويّ . والغناء لرذاذ ، ويقال إنّه لبنان . خفيف ثقيل . وفيه ثقيل أوّل ، يقال إنّه لأبي العَنْبَس ، ويقال إنّه للقاسم بن زُرزور . وفيه لعمرو الميدانيّ رمل طُنبوريّ ، وهو لحن مشهور .

1 جادت به في ل : سمحت .

[337] ـ أخبار محمد بن صالح العلويّ ونسبه[1]

هو محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب . ويكنى أبا عبد الله ، شاعر حجازيّ ظريف ، صالح الشعر ، من شعراء أهل بيته المتقدّمين . وكان جدّه موسى بن عبد الله أخا محمد وإبراهيم ابنَي عبد الله بن حسن بن حسن الحِجازيين الخارجيين في أيّام المنصور ، أُمّهم جميعاً هند بنت أبي عُبيدة .

أَخبرني الحِرْمِيّ بن أبي العلاء والطوسيّ قالا : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، وأَخبرني أحمد بن محمد بن سعيد الهمدانيّ قال : حدَّثنا يحيى بن الحسن العَلوِيّ قال : حدَّثني الزبير بن بكّار : أنّ هنداً حملت بموسى بن عبد الله ولها ستّون سنة . قال : ولا تحمل لستّين إلاّ قرشيّة ، ولا تحمل لخمسين إلاّ عربيّة . قال : وكان موسى آدم شديد الأُدْمَة ، وله تقول أُمّه هند : [من الرجز]

إنّـك أَنْ تكـونَ جَوْناً أَنزعا ... أجـدرُ أَن تضرَّهُـمْ وتنفَعا

وتسلكَ العيش طريقـاً مَهْيعا ... فرْداً من الأصحاب أَو مُشَيَّعا

وكان موسى استتر بعد قتل أخويه زماناً ، ثم ظَفر به أبو جعفر ، فضربه بالسوط ، وحبسه مدّة ، ثم عفا عنه وأَطلقه .

وله أخبار كثيرة ليس هذا موضعها .

[خرج على المتوكّل]

وكان محمد بن صالح خرج على المتوكّل مع مَن بَيَّض في تلك السنة ، فظفر به وبجماعة من أهل بيته أبو السَّاج ، فأَخذهم وقيَّدهم ، وقتل بعضهم ، وأَخرب سُوَيقة ، وهي منزل للحسَنِيِّين ، ومن جملة صدقات أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه ، وقَعَر بها نَخلاً كثيراً ، وحَرَّق منازل لهم بها ، وأثر فيهم وفيها آثاراً قبيحة ، وحُمِل محمد بن صالح فيمن حُمِل منهم إلى سرَّ مَنْ رأى . فحُبِس ثلاث سنين ، ثم مدح المتوكّل ، فأنشده الفتحُ قصيدته بعد أن غُنِّي في شعره المذكور ، فطرب ، وسأل عن قائله فعرفه ، وتلا ذلك إنشادُ الفتح قصيدته ، فأمر بإطلاقه .

---

1 ترجمة محمد بن صالح العلوي في مقاتل الطالبيِّين : 600-614 ومعجم المرزبانيّ : 380 والوافي 3 : 154 والفوات 3 : 392 والنجوم الزاهرة 2 : 256 وانظر أعلام الزركليّ .

[حبسه ووفاته]

وأخبرني محمد بن خلف وكِيع قال : حدَّثني أحمد بن أبي خَيثمة قال : أنكر موسى بن عبد الله بن موسى على ابن أخيه محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى ، بعض ما ينكره العمومة على بني أخيهم ، في شيء من أمور السلطان . وكان محمد بن صالح قد خرج بسُوَيقة ، فصار أبو السَّاج إلى سُوَيقة ، فأسلمه عمّه موسى وبنوه بعد أن أعطاه أبو السَّاج الأمان ، فطرح سلاحه ، ونزل إليه فقيّده ، وحمله إلى سُرّ مَنْ رأى ، فلم يزل محبوساً بها ثلاث سنين ، ثم أُطلق ، وأقام بها إلى أن مات . وكان سبب موته أنّه جُدِر ، فمات في الجُدَرِيّ ، وهو الذي يقول في الحبس : [من الكامل]

طَـرِبَ الفـؤادُ وعاودتْ أحزانه ... وتشعّبتْ شُعَبـاً بـه أشجانُهُ

وبدا لـه من بعد ما اندملَ الهوى ... بَـرْقٌ تألَّـق مَوْهِنـاً لَمَعـانُهُ

يبـدو كحاشية الرِّداء ودونَـهُ ... صعْـب الذُّرا متمنِّـعٌ أركانُهُ

فدنـا لينظر كيف لاح فلم يُطِقْ ... نظـراً إليـه وردّه سَجّـانُهُ

فالنار مـا اشتملت عليه ضُلوعه ... والمـاءُ مـا سَحَّت بـه أجفانُهُ[1]

ثـم استعاذ مـن القبيـح وردَّهُ ... نحـوَ العـزاء عـن الصِّبا إيقانُهُ

وبـدا لـه أنّ الذي قـد نالـه ... مـا كان قـدَّره لـه دَيَّانُهُ

حتـى اطمـأنّ ضميرُه وكأنّما ... هتـكَ العلائـقَ عامـلٌ وسنانُهُ[2]

يـا قلبُ لا يذهبْ بحلمك باخلٌ ... بالنَّيْـل بـاذِلُ تافـهٍ مَنّانُهُ

يَعِـدُ القضاءَ وليس ينجز مَوْعِداً ... ويكـونُ قبـل قضائـه لَيّانُهُ[3]

خَدِلُ الشَّوى حَسَن القَوام مُخَصَّرٌ ... عـذبٌ لَمَـاهُ طيِّـبٌ أردانُهُ

فاقنع بمـا قسم الإلـه فأَمـرُهُ ... مـا لا يـزال على الفتى إتيانُهُ

والبؤس ماضٍ مـا يدوم كما مضى ... عصرُ النَّعيـمِ وزال عنك أوانُهُ

[شجاعته]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني أحمد بن أبي طاهر قال : كنت مع أبي عبد الله محمد بن صالح في منزل بعض إخواننا ، فأقمنا إلى أن انتصف الليل ، وأنا أرى أنّه يبيت . فإذا هو قد قام ،

1 سحت في ل : سمحت .
2 عامل الرمح : صدره .
3 ليان : مخلف الوعد .

فتقلّد سيفه ، وخرج ، فأشفقت عليه من خروجه في ذلك الوقت ، وسألته المُقام والمبيت ، وأعلمته خوفي عليه ، فالتفت إليّ مبتسماً وقال : [من الطويل]

إذا ما اشتملتُ السيفَ والليلَ لم أَهَلْ ... لِشيءٍ ولَم تَقْرَع فؤادي القوارِعُ

[الجواري الباكيات]

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال : حدَّثني أحمد بن أبي طاهر قال : مرَّ محمد بن صالح بقبر لبعض ولد المتوكّل ، فرأى الجواري يلطمن عنده ، فأنشدني لنفسه : [من الطويل]

رأيت بسامَرّا صَبيحةَ جمعة ... عيوناً يروق الناظرين فُتورُها
تزور العِظام البالياتِ لدى الثَّرى ... تَجاوزَ عن تلك العظام غَفُورُها
فلولا قضاءُ الله أن تَعْمُرَ الثرى ... إلى أن يُنادى يوم يُنْفَخُ صُورُها
لقلتُ عساها أن تَعيش وأنّها ... ستُنْشَرُ من جَرّا عيونٍ تزورُها
أسيلاتِ مجرى الدمع إمّا تهلّلتْ ... شُؤون المآقي ثم سَحّ مَطيرها
بوبْلٍ كأتْوام الجمان يُفيضُه ... على نحرها أنفاسُها وزفيرها
فيا رحمةً ما قد رحمتِ بَواكِياً ... ثقالاً تواليها لِطافاً خُصورها

[يخطب فيرد ثم يعاود فيجاب]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدَّثني إبراهيم بن المدبِّر قال ، جاءني محمد بن صالح الحسَني ، فسألني أن أخطب عليه بنت عيسى بن موسى بن أبي خالد الحَرِّيّ ، أو أخته حَمدونة . ففعلت ذلك ، وصرت إلى عيسى ، فسألته أن يجيبه ، فأبى ، وقال لي : لا أكذبك ، والله ما أرده لأنّي لا أعرف أشرف وأشهر منه لَمن يصاهره ، ولكنّي أخاف المتوكّل وولده بعده على نعمتي ونفسي ، فرجعت إليه ، فأخبرته بذلك ، فأضرب عن ذلك مدّة ، ثم عاودني بعد ذلك ، وسألني معاودته ، فعاودته ورَفَقْت به ، حتى أجاب ، فزوّجه أخته ، فأنشدني بعد ذلك محمد : [من الطويل]

خطبتُ إلى عيسى بن موسى فردَّني ... فلِلّهِ والي حُرَّة وعَليقُها
لقد ردَّني عيسى ويعلم أنّني ... سليلُ بنات المصطفى وعريقها
وإن لنا بعد الولادة نبعةً ... نبيُّ الإلـه صِنوُها وشقيقُها
فلمّا أبى بُخلاً بها وتمنُّعاً ... وصيَّرني ذا خُلَّة لا يُطيقها
تداركني المرءُ الذي لم يزل له ... من المكرُمات رحبُها وطليقُها

سَمِيُّ خليلِ اللهِ وابنُ وليه ... وحَمّالُ أَعباء العُلا وطريقُها
وزوَّجَها والمنُّ عندي لغيره ... فيا بيعةً وفَّتنيَ الربح سوقُها
ويا نعمةً لابن المدبِّر عندنا ... يجِدّ على كرِّ الزّمان أنيقها

[مغرم في زوجته]

قال ابن مهرويه : قال لي إبراهيم بن المدبر : فلمّا نُقِلت حمدونة إليه شُغف بها ، وكانت امرأة جميلة عاقلة ، فأنشدني لنفسه فيها : [من السريع]

لعمرُ حمدونةَ إنّي بها ... لمغرمُ القلبِ طويلُ السَّقامْ
مجاوز للقدرِ في حُبِّها ... مباينٌ فيها لأَهل الملامْ
مُطَّرِحٌ للعذل ماضٍ على ... حماقة النفس وهولِ المَقامْ
مُشايعي قلب يخاف الخَنا ... وصارمٌ يقطع صُمّ العظامْ
جَشَّمني ذلك وَجْدي بها ... وفضلُها بين النساء الوِسامْ
ممكورة الساقِ رُدَيْنِيَّةٌ ... مع الشَّوى الخَدْلِ وحسن القَوامْ
صامتة الحِجْل خَفوق الحَشا ... مائرة الساق ثَقالُ القِيامْ
ساجية الطَّرْف نئوم الضُّحى ... منيرة الوجه كبَرْقِ الغَمامْ
زيّنها اللهُ وما شانَها ... وأُعطيت مُنيتَها من تَمامْ
تلك التي لولا غرامي بها ... كنتُ بسامرًّا قليلَ المُقامْ

هكذا روى ابن مهرويه عن ابن المدبّر ، في خبر محمد بن صالح وتزويجه حمدونة .

[قصّته مع حمدونة قبل زواجه منها]

وحدَّثني عمِّي عن أَبي جعفر بن الدِّهقانة النديم قال : حدَّثني إبراهيم بن المدبّر قال : جاءَني يوماً محمد بن صالح الحسَنيّ العلويّ بعد أن أُطلِق من الحبس ، فقال لي : إنّي أُريد المُقام عندك اليوم على خلوة ، لأبُثّك من أمري شيئاً لا يصلح أن يسمعه غيرنا . فقلت : أفعل . فصرفت مَن كان بحضرتي ، وخلوت معه ، وأمرت بردّ دابّته ، وأخذ ثيابه ؛ فلمّا اطمأنّ وأكلنا واضطجعنا ، قال لي : أُعلمك أنّي خرجت في سنة كذا وكذا ومعي أصحابي على القافلة الفُلانية ، فقاتلنا مَن كان فيها ، فهزمناهم وملكنا القافلة ، فبينا أنا أحوزُها وأُنيخ الجمال ، إذ طلعت عليّ امرأة من العَماريّة ، ما رأيت قطّ أحسن منها وجهاً ، ولا أحلى منطقاً ، فقالت : يا فتى ، إن رأيتَ أن تدعوَ لي بالشريف المتولّي أمر هذا الجيش . فقلت : وقد رأيتِه وسمِع كلامك . فقالت : سألتك بحقّ الله وحقّ رسوله ﷺ أنت هو ؟ فقلت : نعم

وحقّ الله وحقّ رسوله إنّي لهو . فقالت : أنا حمدونة بنت عيسى بن موسى بن أبي خالد الحَرّي ، ولأبي محلٌّ من سُلْطانه ، ولنا نِعمة ، إن كنت ممّن سمع بها فقد كفاك ما سمعت ، وإن كنت لم تسمع بها فسل عنها غيري ، ووالله لا استأثرت عنك بشيء أملكه ، ولك بذلك عهد الله وميثاقه عليّ ، وما أسألك إلاّ أن تصونني وتسترني ، وهذه ألف دينار معي لنفقتي ، فخذها حلالاً ، وهذا حَلْيٌ عليّ من خمس مئة دينار ، فخذه وضَمِّنّي ما شئت بعده ، آخذه لك من تجار المدينة أو مكّة أو أهل الموسم ، فليس منهم أحد يمنعني شيئاً أطلبه ، وادفع عنّي ، واحمني من أصحابك ، ومن عار يلحقني . فوقع قولها من قلبي موقعاً عظيماً ؛ فقلت لها : قد وهب الله لك مالك وجاهك وحالك ، ووهب لك القافلة بجميع ما فيها . ثم خرجت فناديت في أُصحابي ، فاجتمعوا فناديتُ فيهم : إنّي قد أجرت هذه القافلة وأهلها ، وخَفَرتها وحميتُها ، ولها ذمّة الله وذمّة رسوله وذمّتي ، فمَن أخذ منها خيطاً أو عقالاً[1] فقد آذنته بحرب . فانصرفوا معي ، وانصرفت .

فلمّا أُخِذت وحُبِست ، بينا أنا ذات يوم في مَحبِسي إذ جاءني السَّجّان وقال لي : إن بالباب امرأتين تزعمان أنّهما من أهلك ، وقد حُظِر عليّ أن يدخل عليك أحد ، إلاّ إنّهما أعطتاني دُمْلُج ذَهب ، وجعلتاه لي إن أوصلتهما إليك ، وقد أذِنت لهما ، وهما في الدّهليز ، فاخرج إليهما إن شئت . ففكّرت فيمن يجيئني في هذا البلد وأنا به غريب ، لا أعرف أحداً ، ثم قلت : لعلّهما من ولد أبي أو بعض نساء أهلي ، فخرجت إليهما ، فإذا بصاحبتي ، فلمّا رأتني بكت لما رأت من تغيّر خَلْقي ، وثقل حديدي ، فأقبلت عليها الأُخرى فقالت : أهو هو ؟ فقالت : إيْ والله ، إنّه لهو هو ، ثم أقبلت عليّ فقالت : فِداك أبي وأُمّي ، والله لو استطعت أن أَقِيكَ ممّا أنت فيه بنفسي وأهلي لفعلت ، وكنتَ بذلك منّي حقيقاً ، ووالله لا تركتُ المعاونة لك ، والسعي في حاجتك ، وخلاصك بكلّ حيلة ومال وشفاعة ، وهذه دنانير وثياب وطِيب ، فاستعن بها على موضعك ، ورسولي يأتيك في كلّ يوم بما يصلحك ، حتى يفرّج الله عنك . ثم أخرجت إليّ كِسوة وطيباً ومائتي دينار ، وكان رسولها يأتيني في كلّ يوم بطعام نظيف ، وتُواصل برّها بالسَّجّان ، فلا يمتنع من كلّ شيء أريده .

فمنّ الله بخلاصي ، ثم راسلتها فخطبتها ، فقالت : أَمّا من جهتي فأنا لك متابعة[2] مطيعة ، والأمر إلى أبي ، فأتيته ، فخطبتها إليه ، فردّني ، وقال : ما كنت لأحقّق عليها ما

1 ل : مخيطاً .

2 ل : سامعة .

قد شاع في الناس عنك في أمرها ، وقد صيرتَها فضيحة . فقمت من عنده منكّساً[1] مسْتَحِياً ، وقلت له في ذلك : [من الطويل]

رَمَوْني وإيّاها بشنعاءَ هُمْ بها أحـقّ أدال اللهُ منهمْ فعجَّلا
بأمــر تركنـاه وربِّ محمـد عِيانـا فإمّـا عِفَّة أو تجمُّلا

فقلت له : إنّ عيسى صنيعة أخي ، وهو لي مطيع ، وأنا أكفيك أمره .

فلمّا كان من الغد لقيتُ عيسى في منزله ، وقلت له : قد جئتك في حاجة لي ؛ فقال : مَقْضِيّة ، ولو كنتَ استعملتَ ما أُحبّه لأمرتني فجئتك ، وكان أسرَّ إليّ . فقلت له : قد جئتك خاطباً إليك ابنتك . فقال : هي لك أَمَة ، وأنا لك عبد ، وقد أجبتك . فقلت : إنّي خطبتها على مَن هو خير منّي أباً وأمّاً ، وأشرف لك صهراً ومُتَّصلاً ، محمد بن صالح العَلوِيّ . فقال لي : يا سيّدي ، هذا رجل قد لحقتنا بسببه ظِنّة ، وقيلت فينا أقوال . فقلت : أفليست باطلة ؟ قال : بلى ، والحمد لله . قلت : فكأنّها لم تقل ، وإذا وقع النّكاح زال كلّ قول وتشنيع ، ولم أزل أرفُق به حتى أجاب ، وبعثت إلى محمد بن صالح فأحضرته ، وما برحتُ حتى زوّجته ، وسُقْت الصَّداق عنه .

[مديح صديق]

قال أبو الفرج الأصفهانيّ : وقد مدح محمد بن صالح إبراهيم بن المدبِّر مدائح كثيرة ، لمّا أولاه من هذا الفعل ، ولصداقة كانت بينهما ، فمن جيد ما قاله فيه قوله : [من الوافر]

أتخبِر عنهـم الدِّمَـنُ الدُّثور وقـد يُنبـي إذا سُئل الخبيرُ
وكيـف تُبيِّنُ الأنبـاءَ دارٌ تعاقَبَهـا الشمائـلُ والدَّبُورُ

يقول فيها في مدحه :

فهـلاّ في الذي أَولاكَ عُرْفاً تُسَدِّي من مقالك مـا تُنِيرُ[2]
ثنـاءٌ غيرَ مختلَـق ومَدْحـاً مـع الركبان يَنْجـد أو يَغُورُ
أخ واساك في كَلَب الليـالي وقـد خذَل الأقاربُ والنصيرُ
حِفاظـاً حـين أسلمك الموالي وضَنّ بنفسه الرجـلُ الصبورُ
فإن تشكر فقـد أَولى جميلاً وإن تكفـر فإنّـك لَلْكَفورُ

1 ل : منكسراً .
2 تسدي وتنير من ألفاظ نسج السدى واللحمة .

وما في آل خاقان اعتصامٌ … إذا ما عُمِّم الخَطْبُ الكبيرُ
لئام الناس إثراءً وفقراً … وأعجزُهم إذا حمي القَتيرُ
قُوَيْم لا يزوّجهمْ كريمٌ … ولا تُسْنى لنسوتهم مُهورُ

وإنّما ذكر آل خاقان ههنا لأنّ عبيد الله بن يحيى قَصَّر به وتحامل عليه، وكان يقول ما يكره، ويؤكّد ما يوجب حَبْسه، وكان فيه وفي ولده نَصْب[1] شديد.

ولمحمد بن صالح في آل المدبّر مدائح كثيرة، لا معنى لذكرها في هذا الكتاب.

[صداقة بين شاعرين]

أخبرني عليّ بن العبّاس بن أبي طلحة الكاتب قال: حدَّثني عبد الله بن طالب الكاتب قال: كان محمد بن صالح العلويّ حُلْو اللسان، ظريفاً أديباً، فكان بسُرَّ من رأى مخالطاً[2] لسَراة الناس، ووجوه أهل البلد، وكان لا يكاد يفارق سعيد بن حُمَيد، وكانا يتقارضان الأشعار، ويتكاتبان بها. وفي سعيد يقول محمد بن صالح العلويّ: [من الطويل]

أصاحِبُ من صاحبتَ ثُمَّتَ أنثني … إليك أبا عثمانَ عطشانَ صاديا
أبى القلبُ أن يُرْوى بهمْ وهو حائمٌ … إليك وإن كانوا الفروعَ العواليا
ولكن إذا جئناكَ لم نبغ مَشرَباً … سِواك ورَوَّيْنا العظامَ الصَّواديا

قال عبد الله بن طالب: وكان بعض بني هاشم دعاه، فمضى إليه، وكتب سعيد إليه يسأله المصير إليه، فأُخبِر بموضعه عند الهاشميّ، فلمّا عاد عرف خبر سعيد وإرساله إليه، فكتب إليه بهذه الأبيات.

قال عبد الله: وشرب يوماً هو وسعيد بن حُميد، فسكر محمد بن صالح قبله، فقام لينصرف، والتفت إلى سعيد وقال له: [من الوافر]

لعمرُك إنّني لّما افترقنا … أخو ضِنّ بخُلْصاني سعيدِ
تبقَّته المدامُ وأزعجتني … إلى رحلي بتعجيل الورودِ

[سعيد بن حميد يرثيه]

قال: وتوفّي محمد بن صالح بسُرّ من رأى، وكان يَجْهد في أن يُؤْذن له في الرجوع إلى الحجاز، فلا يجاب إلى ذلك، فقال سعيد يرثيه: [من الطويل]

1 النصب: كره لآل علي وعداوة.
2 ل: مألفة.

بأيّ يـد أسطو على الدهرِ بعدما … أبان يدي عضْبُ الذُّبابين قاضبُ
وهاضَ جَناحي حادثٌ جَلَّ خطبُه … وسُدَّت عن الصبر الجميل المذاهبُ
ومـن عـادة الأيّام أَنَّ صُروفها … إذا سَرَّ منها جانبٌ ساءَ جانبُ
لعمري لقـد غـال التجلدَ أنّنا … فقدناك فقد الغيث والعامُ جادبُ
فمـا أعـرفُ الأيّامَ إلاّ ذميمةً … ولا الدَّهرَ إلاّ وهو بالثأرِ طالبُ
ولا لي من الإخوان إلاّ مكاشِرٌ … فوجّه لـه راضٍ ووجّه مُغاضِب
فقدتُ فتًى قد كان للأرض زِينة … كما زَيَّنَتْ وجهَ السماء الكواكبُ
لعمري لئن كان الردَى بك فاتني … وكلُّ امرىءٍ يوماً إلى الله ذاهبُ[1]
لقد أخذتْ منّي النوائبُ حكمَها … فما تركتْ حَقّاً علَيَّ النوائبُ
ولا تركتني أرهبُ الدهـرَ بعدَه … لقـد كلَّ عنّـي نابـُه والمخالبُ
سقى جَدَثاً أمسى الكريمُ ابنُ صالح … يَحُلّ به ، دانٍ من المُزن ساكبُ
إذا بشَّرَ الرُّوادَ بـالغيث برقـه … مَرَتْه الصَّبا واستحْلبته الجنائبُ
فغادر باقـي الدَّهـر تأثيرُ صَوْبه … رَبيعاً زَهَت منه الرُّبـا والمَذانبُ[2]

[المتوكّل يطلقه من الحبس لشعره]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظة قال : حدَّثني المبرّد قال : لم يزل محمد بن صالح محبوساً حتى تَوَصّل بُنان له ، بأن غنَّى بين يدي المتوكّل في شعره : [من الكامل]

وبدا لـه من بعد مـا اندمل الهوى … بـرق تألّـق مَوْهِنـاً لمعانُـهُ

فاستحسن المتوكّل الشعرَ واللحن ، وسأل عن قائله ، فأُخبر به ، وكُلِّم في أمره ، وأحسنتِ الجماعة رِفْدَه ، وقام الفتح بأمره قياماً تامّاً . فأمر بإطلاقه من حبسه ، على أن يكون عند الفتح وفي يده ، حتى يقيم كفيلاً بنفسه ألاّ يبرح من سُرَّ مَنْ رأى ، فأُطلِق ، وأخَذ عليه الفتحُ الأيمان المَوَثّقة ألاّ يبرح من سُرَّ مَن رأى إلاّ بإذنه ، ثم أطلقه .

[شكره المتوكّل على إطلاق سراحه]

ولمحمد بن صالح في المتوكّل والمنتصر مدائح جِياد كثيرة ، منها قوله في المتوكّل : [من الكامل]

أَلِـفَ التُّقى ووفى بنـذر الناذِرِ … وأبى الوقـوفَ على المحـلّ الداثرِ

1 امرىء في ل : فتى .
2 فغادر باقي في ل : فغا وربا في الدهر

ولقدْ تَهيج لــه الديــارُ صبابةً حيناً وتَكْلَــف بالخليط السائرِ
فــرأى الهدايــةَ أن أناب وأنّهُ قصرَ المــديحَ على الإمامِ العاشرِ
يـا ابن الخلائف والذين بهَديهمْ ظهــرَ الوفــاء وبانَ غــدرُ الغادرِ
وابنَ الذين حَــوَوْا تُراث محمدٍ دون الأقــارب بالنصيب الوافرِ
نَطَـق الكتابُ لكم بذاكَ مُصدِّقاً ومضتْ بــه سُنَنُ النبيّ الطاهرِ
ووصلتَ أسبابَ الخلافة بالهُدى إذ نِلْتهــا وأنمــتَ عــين الساهرِ
أحييتَ سنة مَن مضى فتجدّدتْ وأبنتَ بدعة ذي الضلالِ الخاسرِ
فافْخــر بنفسك أو بجَــدِّك مُعْلِناً أودعْ فقد جاوزتَ فخرَ الفاخرِ
مــا للمكارم غيرُكُم مـــن أولٍ بعــدَ النبيِّ ومــا لَها مــن آخــرِ
إنّي دعوتُك فاستجبتَ لدعوتي والمــوتُ منّــي قِيدُ شِبْر الشابرِ
فانتَشتَني مــن قَعْر مَوْرِدة الردى أمْنا ولم تسمع مقالــةَ زاجرِ[1]
وفككتَ أسري والبــلاءُ مُوَكَّل وجبرتَ كَسْراً ما لــه من جابرِ
وعطفتَ بالرَّحِم التي ترجُو بها قربَ المَحَــلِّ مــن المليكِ القادرِ
وأنا أعوذ بفضل عفوك أن أرى غَرَضاً ببابــك للمُلــمِّ الفاقرِ[2]
أو أن أُضيَّــع بعدمــا أنقذتَني مــن رَيب مُهْلِكة وجَــدٍّ عاثرِ
ولقد مننتَ فكنــتَ غيرَ مكدِّرٍ ولقد نهضتُ بها نهوضَ الشاكرِ

[هجاؤه أبا السّاج]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار، ومحمد بن خلف وكيع قالا: حدَّثنا الفضل بن سعيد بن أبي حَرْب قال: حدَّثني أبو عبد الله الجُهَنيّ قال: دخلت على محمد بن صالح الحَسَني في حبس المتوكّل، فأنشدني لنفسه يهجو أبا السَّاج[3]: [من الوافر]

ألَـم يحزنْــكِ يا ذلفاءُ أنّي سكنتُ مساكن الأموات حيّا
وأنَّ حمائــلي ونجــادَ سَيفي علــونَ مُجَدَّعــاً أشْرُوسَنيّا
فقصَّرهنّ لَمّــا طُلْنَ حتى اسـ ـتوين عليــه لا أمْسى سَوِيّا

1 أمنا في ل: منّاً.

2 الملم الفاقر: الحادث الذي يكسر فقار الظهر.

3 أبو السّاج الأشروسني: أحد قواد المعتمد.

أمّا والراقصاتِ بذات عرقٍ ... تريدُ البيت تحسبها قِسِيا
لَوَ امكنني غداتئذٍ جِلاد ... لألفوني به سَمْحاً سَخِيّا

[غزل وحنين]

قال ابن عمّار : وأنشدني عُبيد الله بن طاهر أبو محمد لمحمّد بن صالح أيضاً : [من الطويل]

نظرتُ ودوني ماءُ دجلة مَوْهِناً ... بمطروفة الإنسان محسورة جدّا
لتُؤنِس لي ناراً بليلٍ توقَّدَتْ ... وتالله ما كلفتها نظراً قَصْدا[1]
فلو أنّها منها لقلتُ كأنّني ... أرى النارَ قد أمست تضيء لنا هِنْدا
تضيء لنا منها جَبيناً ومَحْجِراً ... ومبتسَماً عَذْباً وذا غُدَر جَعْدا

انقضت أخباره .

صوت

[من الخفيف]

يا عديّا لقلبكَ المهتاجِ ... أن عفا رسمُ منزلٍ بالنّباجِ[2]
غيرته الصَّبا وكُلُّ مُلِثٍّ ... دائم الودقِ ذي أهاضيبَ داجِ[3]
وحملنا غلامَنا ثم قُلْنا ... هاجِرُ العِيس ليس منك بناجِ
فانتحى مثل ما انتحى بازُ دَجْنٍ ... جَوَّعته القُنّاص للدُّرّاجِ

الشعر لأبي دُواد الإياديّ . والغناء لحنين ، ثاني ثقيل بالبنصر في مجراها ، عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أنّه لابن عائشة . وفيه لعَريب هزج . وفيه ثقيل أوّل ، ينسب إلى يزيدَ الحَذّاء[4] ، وإلى أحمد النَّصيبيّ .

---

1 بليل توقدت في ل : بقلبك أوقدت .

2 النباج : مكان .

3 الملث : المطر . الودق : لمعان البرق . والأهاضيب : دفعات المطر .

4 الحذاء في ل : الحوراء .

[338] ـ ذكر أخبار أبي دواد الإياديّ ونسبه[1]

[نسبه]

هو فيما ذكر يعقوب بن السكّيت : جارِيَة بن الحجّاج . وكان الحجّاج يلقّب حُمْران بن بحر بن عصام بن منبه بن حُذاقة بن زهير بن إياد بن نزار بن معدّ . وقال ابن حبيب هو جارِيَة بن الحجّاج أحد بني بُرْد بن دُعْميّ بن إياد بن نزار . شاعر قديم من شعراء الجاهليّة ، وكان وصّافاً للخيل ، وأكثر أشعاره في وصفها ، وله في غير وصفها تصرُّف بين مدح وفخر وغير ذلك ، إلاّ أنّ شعره في وصف الفَرَس أكثر وأشهر .

[جار أبي دواد]

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أبيه ، قال : حدَّثني الهيثم بن عديّ وابن الكلبيّ ، عن أبيه ، والشَّرْقيّ : أنّ أبا دُواد الإياديّ مدح الحارث بن همّام بن مرّة بن ذُهل بن شيبان ، فأعطاه عطايا كثيرة ، ثم مات ابن لأبي دُواد وهو في جواره فوَدَاه ، فمدحه أبو دُواد ، فحلف له الحارث أنّه لا يموت له ولد إلاّ وَدَاه ، ولا يذهب له مال إلاّ أخلفه ، فضربت العرب المثل بجار أبي دُواد ، وفيه يقول قيس بن زهير : [من الوافر]

أُطوِّف مـا أُطوّفُ ثم آوي ... إلى جـار كجـار أبي دُوادِ[2]

هذه رواية هؤلاء ؛ وأبو عبيدة يخالف ذلك .

أخبرني ابن دريد قال : أخبرني أبو حاتم ، عن أبي عبيدة قال : جاور أبو دُواد الإيادي كعب بن مامة الإياديّ ، فكان إذا هلك له بعير وَدَاه وإذا هلك له شاة أخلفها ، وفيه يقول طَرَفة يمدح عمرو بن هند :

جارٌ كجار الحُذاقيّ الذي انتصفا[3]

وكان لأبي دواد ابن يقال له دُواد شاعر ، وهو الذي يقول يرثي أباه : [من البسيط]

فبات فينـا وأمسى تحتَ هائرة ... ما بعد يومك مَن مُمْسًى وإصباحِ[4]

---

1 لأبي دواد الإيادي ترجمة في الشعر والشعراء : 161–163 وخزانة البغدادي 9 : 590–592 والعيني 2 : 391 وشرح شواهد المغني : 124 وبروكلمان 1 : 118 وقد جمع ديوانه وترجم له غرنباوم في «دراسات في الأدب العربي» : 243–353 تحقيق إحسان عبّاس .

2 المثل «جار كجار أبي دواد» في مجمع الميداني 1 : 163 والدرة الفاخرة 1 : 130 .

3 صدر البيت : «إني كفاني من همّ هممت به» . والحذاقي : أبو دواد نسبة إلى حذاق قبيلته .

4 هائرة في ل : هاوية ، والهائرة : الحفرة .

لا يدفع السُّقْمَ إلاّ أَنْ نُفَدِّيَهُ ... ولو ملكنا مسكنا السُّقْم بالرّاحِ

[زوجته تحرّضه على إبعاد ابنه]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني عليّ بن الصباح قال : أخبرنا أبو المنذر ، عن أبيه قال : تزوّج أبو دُواد امرأة من قومه ، فولدت له دُواداً ثم ماتت ، ثم تزوّج أخرى ، فأولعت بدُواد ، وأمرت أباه أن يجفوَه ويبعده ، وكان يحبّها ، فلمّا أكثرت عليه قالت : أخرجه عنّي ، فخرج به وقد أردفه خلفه ، إلى أن انتهى إلى أرض جَرْداء ليس فيها شيء ، فألقى سوطه متعمداً ، وقال : أيْ دُواد ، انزل فناولني سَوْطي . فنزل ، فدفع بعيره وناداه : [من الكامل]

أدوادُ إن الأمر أصبح ما ترى ... فانظر دوادُ لأيّ أرض تَعْمِدُ ؟

فقال له دُواد : على رِسْلك . فوقف له فناداه : [من الكامل]

وبأيّ ظنّك أن أُقيمَ ببلدةٍ ... جرداءَ ليس بغيرها مُتَلَدَّدُ[1]

فرجع إليه وقال له : أنت والله ابني حقّاً ، ثم ردّه إلى منزله ، وطلّق امرأته .

[زوجه تلومه على تبديد المال]

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أبيه ، عن أبي عمرو الشيبانيّ قال : كانت لأبي دُواد امرأة يقال لها أُمّ حَبْتر ، وفيها يقول : [من الخفيف]

في ثلاثين ذعْذَعتها حقوقٌ ... أصبحت أُمّ حَبترٍ تشكوني[2]

زعمت لي بأنّني أُفسد المـا ... لَ وأزويه عن قضاء ديوني

أمَّلت أن أكون عبداً لمالي ... وتَهَنَّا بنافع المال دوني

وهي طويلة . قال : ولها يقول وقد عاتبته على سماحته بماله فلم يُعْتبها ، فصرمته : [من مجزوء الكامل]

حاولتُ حين صَرَمْتِني ... والمرءُ يعجز لا مَحالَهْ[3]

والدهر يلعب بالفتى ... والدّهر أروغُ من ثُعالَهْ[4]

---

1 تلدد : تلبث .

2 ذعذعتها : بددتها .

3 المثل «المرء يعجز لا محالة» في مجمع الميداني 2 : 309 وجمهرة العسكري 2 : 275 وفصل المقال : 299 ومستقصى الزمخشري 1 : 346 .

4 المثل «أروغ من ثعالة» في مجمع الميداني 1 : 317 والدرة الفاخرة 1 : 209 وجمهرة العسكري 1 : 473 ومستقصى الزمخشري 1 : 248 .

والمــرء يكسِب مالَــهُ والشُّحّ يُورِثُــهُ الكَلالَهْ
والعبـدُ يُقْــرع بـالعصا والحـرُّ تكفيـه المقالَهْ[1]
والسَّكْـت خير للفتــى فالحَيْنُ مـن بعض المقالَهْ

[وصّافو الخيل]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال : حدَّثني أبي عن إسحاق ، عن الأصمعيّ قال : ثلاثة كانوا يصفون الخيل ، لا يقاربهم أحد : طُفَيل ، وأبو دواد ، والجَعديّ . فأمّا أبو دُواد فإنّه كان على خيل المنذر بن النُّعمان بن المنذر . وأمّا طُفَيل فإنّه كان يركبها وهو أغرَل[2] إلى أن كبر . وأمّا الجعديّ فإنّه سمع ذكرها من أشعار الشعراء ، فأخذ عنهم .

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال : حدَّثني أبو حاتم ، عن أبي عبيدة قال : أبو دُواد أوصف الناس للفرس في الجاهليّة والإسلام ، وبعده طُفَيل الغنويّ والنابغة الجعديّ .

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث الخراز ، عن ابن الأعرابيّ قال : لم يصف أحد قَطُّ الخيل إلاّ احتاج إلى أبي دُواد ، ولا وصف الحمر إلاّ احتاج إلى أوس بن حَجَر ، ولا وصف أحد نعامة إلاّ احتاج إلى علقمة بن عَبَدة ، ولا اعتذر أحد في شعره إلاّ احتاج إلى النابغة الذبيانيّ .

[رأي في أشعر الناس]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني جعفر بن محمد العاصميّ قال : حدَّثنا عُيينة بن المنهال قال : حدَّثنا شدّاد بن عبيد الله قال : حدَّثني عبيد الله بن الحرّ العَنَزيّ القاضي ، عن أبي عَرادة قال : كان عليّ صلوات الله عليه يُفْطِر الناسَ في شهر رمضان ، فإذا فرغ من العَشاء تكلّم ، فأقلّ وأوجز ، فأبلغ . فاختصم الناس ليلة حتى ارتفعت أصواتهم في أشعر الناس ، فقال عليّ عليه السلام لأبي الأسود الدُّؤَلي : قل يا أبا الأسود . فقال أبو الأسود ، وكان يتعصّب لأبي دُواد الإياديّ : أشعرهم الذي يقول : [من الخفيف]

ولقـد أغتـدِي يدافـعُ رُكني أَحْوَذِيٌّ ذو مَيْعــة إضْريجُ[3]

1 المثل «العبد يقرع بالعصا . والحر تكفيه الإشارة» في مجمع الميداني 2 : 19 .
2 أغرل : صبي لم يختن .
3 الأحوذي : الذي يسوق الإبل بسرعة . وفي الديوان أجولي ، وهو الفرس الجوال السريع . الميعة : النشاط والسرعة . والاضريج : السريع .

مِخْلطٌ مِزْيَـلٌ مِكَـرٌّ مِفَـرّ   مِنْفَح مِطْرَح سَبوحٌ خَروجُ[1]
سَلْهَـبٌ شَرْجَبٌ كأنَّ رِماحاً   حَمَلَتْـه وفي السَّراة دُمـوجُ[2]

وكان لأبـي الأسود رأي في أبي دُواد ، فأقبل عليّ على النّاس ، فقال : كلّ شعرائكم محسن ، ولو جمعهم زمان واحد ، وغاية واحدة ، ومذهب واحد في القول ، لعلمنا أيُّهم أسبق إلى ذلك ، وكلّهم قد أصاب الذي أراد ، وأحسن فيه ، وإن يكن أحد فَضَلَهم ، فالذي لم يقل رَغبة ولا رهبة امرؤ القيس بن حُجْر ، فإنّه كان أصحّهم بادرة ، وأجودهم نادرة .

[إحجام الرواة عن رواية شعره]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى ، عن أبيه ، عن إسحاق ، عن الأصمعيّ قال : كانت الرواة لا تروِي شعر أبي دواد ولا عديّ بن زيد ، لمخالفتهما مذاهب الشعراء[3] ، قال : وكان أبو داود على خيل المنذر بن ماء السماء ، فأكثر وصفه للخيل .

[تبرك الإياديين بناقته الزباء]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني ابن أبي الهَيذام قال : اسم أبي دواد الإياديّ جُوَيريّة بن الحجّاج . وكانت له ناقة يقال لها الزَّبّـاء ، فكانت بنو إياد يتبرّكون بها . فلمّا أصابتهم السنة تفرّقوا ثلاث فرق ، فرقة سلكت في البحر فهلكت ، وفرقة قصدت اليمن فسلِمت ، وفرقة قصدت أرض بكر بن وائل ، فنزلوا على الحارث بن هَمّام .

وكان السبب في ذلك أنّـهم أرسلوا الزَّبّـاء ، وقالوا إنّها ناقة ميمونة ، فخلُّوها ، فحيث توجّهت فاتّبعوها . وكذلك كانوا يفعلون إذا أرادوا نُجْعة . فخرجت تخوض العرب ، حتى بَرَكت بفناء الحارث بن هَمّام ، وكان أكرم الناس جواراً ، وهو جار أبي دواد المضروب به المثل . فقال أبو دواد يمدح الحارث ، ويذكر ناقته الزَّبّاء : [من الكامل]

---

1 المثل «مخلط مزيل» في مجمع الميداني 1 : 75 يضرب للذي يخالط الأمور ويزايلها . وفي وصف الفرس أنه يحسن الجري ويأتي بفنون منه . ورواية البيت في الديوان :
مِخلَـطٌ مِزيَـلٌ معـنّ مغـنّ   مِطرحٌ مِضْرَجٌ جموحٌ خروج
والخروج : الذي يسبق الخيل فيخرج من بينها . والمعن : الذي لا يرى شيئاً إلاّ عارضه .

2 السلهب : الطويل من الخيل . والشرجب : الطويل القوائم أو الفرس الكريم الجواد . والسراة : الظهر . والدموج : الإحكام والملاسة .

3 انظر الشعر والشعراء : 154 وموشح المرزباني : 103 والحجة في ذلك أنّ ألفاظهما حيرية وليست بنجدية . ثم يورد ابن قتيبة لعدي «أربع قصائد غرر» . وواضح من السياق أنّ هذا الإهمال مردّه عدم استشهاد علماء اللغة بألفاظهما .

فإلى ابن هَمّامِ بن مُـرّة أصعدتْ ظُعـنُ الخليط بهـم فقـلّ زِيالُها
أنعمـتَ نِعمـةَ ماجـد ذي مِنة نُصِبَت عليـه مـن العُـلا أظلالُها
وجعلتنا دون الـوليّ فأصبحت زبّـاءُ منقطعـاً إليـك عِقالُها

[مفاخر إياد]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ قال : حدَّثنا يحيى بن سعيد قال : كانت إيادُ تفخر على العرب ، تقول : منّا أجود الناس كعب بن مامة ، ومنّا أشعر النّاس أبو دواد ، ومنّا أنكح النّاس ابن ألْغَز .

[ابن ألغز]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال : حدَّثني القَحْذميّ قال : كان ابن ألْغَزَ أيِّرا ، فكان إذا أنعظ احتكّت الفِصال بأيره ، قال : وكان في إياد امرأة تستصغر أيور الرجال ، فجامعها ابن ألْغَزَ ، فقالت : يا معشر إياد ، أبالرُّكَب تجامعون النساء ؟ قال : فضرب بيده على أليتها وقال : ما هذا ؟ فقالت وهي لا تعقل ما تقول : هذا القمر . فضرب العربُ بها المثل : «أريها اسْتَها وتريني القَمَر»[1] . وأنشد ، وقد كان الحجّاج مَنَع من لحوم البقر خوفاً من قِلّة العِمارة في السواد ، فقيل فيه : [من المتقارب]

شكونا إليـه خـرابَ السوادِ فحـرَّم فينـا لُحـومَ البَقَرْ
فكنّا كمَـن قـال مِنْ قبلنا أُريهـا اسْتَهـا وتريني القَمَرْ

[رأى الحطيئة في أشعر الشعراء]

أخبرني عمِّي عن الكرانيّ ، عن العُمَريّ ، عن الهيثم بن عديّ بنحوه .

وأخبرني عمِّي قال : حدَّثنا محمد بن سعد الكرانيّ قال : حدَّثني العُمَريّ عن لقيط قال : أخبرني التّوزيّ عن أبي عبيدة قال : كان الحطيئة عند سعيد بن العاص ليلة ، فتذاكروا الشعراء ، وفضلوا بعضهم على بعض وهو ساكت ، فقال له : يا أبا مُلَيكة ما تقول ؟ فقال : ما ذكرتم والله أشعر الشعراء ، ولا أنشدتم أجود الشعر . فقالوا : فمَن أشعر الناس ؟ فقال الذي يقول : [من الخفيف]

لا أعدُّ الإقتار عُدمـا ولكن فقدُ مَـن قـد رُزِئته الإعْدامُ[2]

---

1 المثل «أريها استها وتريني القمر» في مجمع الميداني 1 : 291 وقرب منه «أريها السها وتريني القمر» في جمهرة العسكري 1 : 142–143 . ومستقصى الزمخشري 1 : 147 .

2 هكذا رواية الديوان ، وبداية الشطر الأول في ل «ليس عدم الأموال عدماً . . .» .

والشعر لأبي دواد الإياديّ . قالوا : ثم مَن ؟ قال : ثم عَبيد بن الأبرص . قالوا : ثم مَن ؟ قال : كفاكم والله بي إذا أخذَتْني رغبة أو رهبة ، ثم عَوَيْت في إثْر القوافي عُواء الفصيل في إثر أمِّه .

[مباراة في وصف ثور]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال : حدَّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ ، قال : حدَّثني عمِّي ، وأخبرنا أبو حاتم قال : أخبرنا الأصمعيّ ، عن أبي عمرو بن العلاء ، عن هَجّاس بن مَرير الإياديّ ، عن أبيه ، وكان قد أدرك الجاهليّة ، قال : بينا أبو دُواد وزوجته وابنه وابنته على رَبوة ، وإيّاد إذ ذاك بالسواد ، إذ خرج ثور من أجمة ، فقال أبو دواد : [من مجزوء الكامل]

وبَدَتْ لـه أُذُن توجَّـ ـسُ حُـرَّةٌ وأَحمٌ وارِدْ[1]
وقوائـمٌ عُـوجٌ لهـا من خلفها زَمَع زوائِدْ[2]
كمقاعـد الرُّقَبـاء للضُّـ ـرَباء أيديهـمْ نواهِدْ[3]

ثم قال : أنفِذِي يا أُمَّ دُواد ، فقالت : [من مجزوء الكامل]

وبَدَتْ لـه أُذُن تَوَجَّـ ـسُ حُرَّة وأَحمُّ مُولَقْ[4]
وقوائـمٌ عُـوج لهـا مـن خلفها زَمَع مُعَلَّقْ
كمقاعـد الرقبـاء للضُّـ ـرَبـاء أَيديهـمْ تألَّقْ

ثم قال : أنفذْ يا دُواد . فقال : [من مجزوء الكامل]

وبـدت لـه أُذن تَوَجَّـ ـس حـرّة وأحمّ مرهَفْ
وقوائـم عـوج لهـا مـن خلفها زمع ملفَّفْ
كمقاعـد الرقبـاء للضَّـ ـرباء أيديهـمْ تَلَقَّفْ

ثم قال : أنفذي يا دوادة[5] . قالت : وما أَقول مع مَن أخطأ . قالوا : ومن أين أخطأناه ؟ قالت : جعلتم له قرناً واحداً ، وله قرنان . قالوا : فقولي . قالت : [من مجزوء الكامل]

وبـدت لـه أُذن تَوَجَّـ ـسُ حـرّة وأَحَمّتانْ

1 توجس : تستمع إلى الصوت الخفي . وحرة : مرهفة السمع . والأحم : القرن الأسود .
2 الزمع : الشعر الذي في مؤخرة رجلَي الحيوان ، الواحدة زمعة .
3 الرقباء : الذين يرقبون القداح . والضرباء : الذين يضربونها .
4 مولق في ل : مذلق .
5 ل : دبادبة .

وقوائـــمٌ عُـــوجٌ لهـــا ‏ مـــن خلفهـــا زَمَعٌ ثَمانْ
كمقاعـــد الرقبـــاء للضّـ ‏ ـــرباء أيديهـــمْ دَوانْ

[قتل رقبة البهراني أولاد أبي دواد الثلاثة]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال : أخبرني عمّي عن العبّاس بن هشام ، عن أبيه قال : كان أبو دُواد الإياديّ الشاعر جاراً للمنذر بن ماء السماء . وإنّ أبا دواد نازع رجلاً بالحِيرة من بهْراء ، يقال له رَقَبة بن عامر بن كعب بن عمرو ، فقال له رقبة : صالحني وحالفني[1] . فقال أبو دواد : فمن أين تعيش إياد إذاً ، فوالله لولا ما تصيب من بَهْراء لهلكت ، وانصرفا على تلك الحال .

ثم إنّ أبا دواد أخرج بنين له ثلاثة في تجارة إلى الشام ، فبلغ ذلك رَقَبة البَهْرانيّ ، فبعث إلى قومه فأخبرهم بما قال له أبو دواد عند المنذر ، وأخبرهم أنّ القوم ولدُ أبي دواد ، فخرجوا إلى الشام ، فلَقُوهم فقتلوهم . وبعثوا برؤوسهم إلى رقبة ، فلمّا أتته الرؤوس صنع طعاماً كثيراً ، ثم أتى المنذر ، فقال له : قد اصطنعت لك طعاماً كثيراً ، فأنا أُحبّ أن تتغدّى عندي ، فأتاه المنذر وأبو دواد معه ، فبينا الجِفان تُرفع وتوضع ، إذ جاءته جفنة عليها بعض[2] رؤوس بني أبي دُواد ، فوثب وقال : أبيت اللعن ! إنّي جارك ، وقد ترى ما صُنع بي ، وكان رقبة أيضاً جاراً للمنذر . فوقع المنذر منهما في سَوْأة ، وأمر برقبة فحبس ، وقال لأبي دواد : أما يرضيك توجيهي بكتيبتيّ الشهباء والدَّوسر إليهم ؟ قال : بلى . قال : قد فعلت . فوجّه إليهم بالكتيبتين .

فلمّا بلغ ذلك رقَبة قال لامرأته : ويْحَك ! الحقي بقومك فأنذريهم . فعمدت إلى بعض إبل زوجها فركبته ، ثم خرجت حتى أتت قومها ، فلمّا قربت منهم تعرّت من ثيابها ، وصاحت وقالت : أنا النذيرُ العُرْيان[3] . فأرسلتها مثلاً . فعرف القوم ما تريد ، فصعدوا إلى أعالي الشام ، وأقبلت الكتيبتان فلم تصيبا منهم أحداً ، فقال المنذر لأبي دُواد : قد رأيتَ ما كان منهم ، وأنا أدِي كلّ ابن لك بمئتي بعير ، فأمر له بستّ مئة بعير ، فرضي بذلك ، فقال فيه قيس بن زهير العبسيّ : [من الوافر]

سأفعل مـــا بـــدا لِيَ ثـــم آوي ‏ إلى جـــارٍ كجـــار أبي دُوادِ

---

1 ل : خالصني .
2 ل : أحد .
3 المثل «أنا النذير العريان» في مجمع الميداني 1 : 48 والفاخر : 84 .

صوت

[من الطويل]

ورَكْب كأطـراف الأسنّة عرّسوا على مثلهـا والليلُ داج غياهبُـهْ[1]
لأَمْـرٍ عليهـم أَن تتـمّ صدورُه وليس عليهـم أَن تتـمّ عواقبُـهْ

الشعر لأبي تمام الطائي . والغناء للقاسم بن زُرْزور ، ثاني ثقيل بالوسطى في مجرى البنصر . وفيه لجعفر بن رفعة خفيف ثقيل .

أخبرني : إبراهيم بن القاسم بن زرزور عن أبيه ، وحدَّثني المظفر بن كَيَغْلَغَ عن القاسم أيضاً : أنّ المكتفي بالله أخرج إليهم هذين البيتين بالرقّة في رقعة ، وهو أمير ، وأمر أن يصنع فيهما لحن . فصنع القاسم هذا اللحن ، وصنع جعفر خفيف الثقيل .

1 داج في ل وديوان أبي تمام : تسطو .

[339] ـ أخبار أبي تمام ونسبه[1]

[مذهبه في الشعر]

أبو تمام حبيب بن أوس الطائيّ ، من نفس طَيِّىء صَلِيبة . مولده ومنشؤه مَنْبج ، بقرية منها يقال لها جاسِم . شاعر مطبوع ، لطيف الفطنة ، دقيق المعاني ، غَوَّاص على ما يُستصعب منها ، ويعسُر مُتناوله على غيره . وله مذهب في المطابَق ، هو كالسابق إليه جميع الشعراء ، وإن كانوا قد فتحوه قبله ، وقالوا القليل منه ، فإن له فضل الإكثار فيه ، والسوك في جميع طرقه . والسليمُ من شعره النادر شيء لا يتعلّق به أحد . وله أشياء متوسطة ، ورديئة رَذْلة جداً .

[المتعالمون الذامون لشعره]

وفي عصرنا هذا مَن يتعصّب له فيفرِط ، حتى يفضلَه على كلّ سالف وخالف ، وأقوام يتعمَّدون الرديء من شعره فينشرونه ، ويطوون محاسنه ، ويستعملون القِحَة والمكابرة في ذلك ، ليقول الجاهل بهم : إنّهم لم يبلغوا علم هذا وتمييزَه إلاّ بأدب فاضل ، وعلم ثاقب . وهذا مّما يتكسّب به كثير من أهل هذا الدهر ، ويجعلونه وما جرى مجراه من ثَلْب الناس ، وطلب معايبهم ، سبباً للترفّع ، وطلباً للرياسة . وليست إساءة من أساء في القليل ، وأحسن في الكثير ، مُسْقطةً إحسانه ؛ ولو كَثُرَت إساءته أيضاً ثم أحسن ، لم يُقَلْ له عند الإحسان أسأت ، ولا عند الصواب أخطأت ، والتوسّط في كلّ شيء أجمل ، والحقّ أحقّ أن يتّبع .

[شعر الرجل بمنزلة أولاده]

وقد رُوِي عن بعض الشعراء أنّ أبا تمام أنشده قصيدة له أحسن في جميعها ، إلاّ في بيت واحد ، فقال له : يا أبا تمام ، لو ألقيت هذا البيت ما كان في قصيدتك عيب . فقال له : أنا والله أعلم منه مثلَ ما تعلم ، ولكن مَثَل شعر الرجل عنده مَثَلُ أولاده ، فيهم الجميل والقبيح ، والرشيد والساقط ، وكلّهم حلو في نفسه ، فهو وإن أحبّ الفاضل ، لم يبغض الناقص ، وإن هَوِيَ بقاء المتقدّم ، لم يهوَ موت المتأخّر .

1 ترجمة أبي تمام في «أخبار أبي تمام» للصوليّ وطبقات ابن المعتز : 282–286 ووفيات الأعيان 2 : 11–26 وتاريخ بغداد 8 : 248 وتهذيب ابن عساكر 4 : 18 وقد كتب فيه الآمدي كتاب «الموازنة» بينه وبين البحتري ، وفي التذكرة الحمدونية جانب كبير من أخباره وشعره (انظر الفهرس) . وقد طبع ديوانه عدة مرات ، ونشير إلى طبعة مكتبة الطلاب وشركة الكتاب اللبناني (بيروت) .

واعتذاره بهذا ضِدٌّ لما وصف به نفسه في مدحه الواثق ، حيث يقول[1] : [من الكامل]

جاءتكَ مـن نظم اللسان قِلادَةٌ سِمطانِ فيهـا اللؤلـؤُ المكنونُ
أحْذَاكَهـا صَنَـعُ اللّسان يُمـدُّه جَفْـرٌ إذا نَضَـبَ الكلامُ مَعِينُ[2]
ويُسيءُ بالإحسان ظَنّـاً لا كمَن هـو بابنـه وبشعـره مفتـونُ

[المفضلون له أعلم من الطاعنين عليه]

فلو كان يسيء بالإساءة ظنّاً ولا يفتتن بشعره ، كنّا في غِنًى عن الاعتذار له .

وقد فضّل أبا تمام من الرؤساء والكُبراء والشعراء ، مَن لا يَشُقُّ الطاعنون عليه غُبارَه ، ولا يدركون ، وإن جَدُّوا ، آثاره ، وما رأى الناس بعده إلى حيث انتهوا له في جيِّده نظيراً ولا شكلاً ؛ ولولا أنّ الرواة قد أكثروا في الاحتجاج له وعليه ، وأكثر متعصّبوه الشرح لجيد شعره ، وأفرط معادوه في التسطير لرديئه ، والتنبيه على رَذْله ودنيئه ، لذكرت منه طَرَفاً ، ولكن قد أتى من ذلك ما لا مزيد عليه .

[من المعجبين بشعره]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني أبي قال : سمعت محمد بن عبد الملك الزيّات يقول : أشعر النّاس طُرّاً الذي يقول[3] : [من البسيط]

ومـا أُبـالي وخيرُ القـولِ أصدقُهُ حقنتَ لي ماء وجهي أو حقَنتَ دمي

فأحببت أن أستثبت إبراهيم بن العبّاس[4] ، وكان في نفسي أعلم من محمد وآدب ، فجلست إليه ، وكنت أجري عنده مَجْرى الوَلد ، فقلت له : مَنْ أشعر أهل زماننا هـذا ؟ فقـال : الذي يقول[5] : [من الكامل]

مطـر أبـوك أبـو أهلةً وائلٍ مـلأ البسيطـةَ عُـدَّةً وعَديدا
نسبٌ كأنَّ عليه من شمس الضُّحى نُـوراً ومـن فَلَق الصباح عَمُودا
ورثـوا الأُبوَّة والحظوظَ فأصبحوا جمعوا جُدودا في العلا وجُدودا

فاتفقا على أن أبا تمّام أشعر أهل زمانه .

---

1 من قصيدة طويلة في ديوانه : 292 .

2 اللسان في ل والديوان : الضمير .

3 ديوانه : 256 .

4 هو إبراهيم بن العبّاس الصولي من كبار الكتّاب والشعراء في الدولة . وقد أورد أبو الفرج ترجمة له في الأغاني 10 : 36 .

5 ديوانه : 80 .

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ ، وعليّ بن سليمان الأخفش قالا : حدَّثنا محمد بن يزيدَ النحويّ قال : قدِم عُمارة بن عَقيل بغداد ، فاجتمع الناس إليه ، فكتبوا شعره وشعر أبيه ، وعرضوا عليه الأشعار . فقال بعضهم : هاهنا شاعر يزعم قوم أنّه أشعر الناس طُرّاً ، ويزعم غيرهم ضدّ ذلك . فقال : أنشدوني قوله . فأنشدوه[1] : [من الطويل]

غدَتْ تستجيرُ الدمعَ خوفَ نَوى غَدِ ... وعادَ قَتاداً عندها كلُّ مَرقَدِ

وأنفذها من غَمرة الموت أنَّهُ ... صُدودُ فِراقٍ لا صدودُ تَعَمُّدِ

فأجرى لها الإشفاقُ دمعاً مُوَرَّدا ... من الدّمِ يجري فوق خدّ مُوَرَّدِ

هِيَ البدرُ يغنيها تودُّدُ وجهِها ... إلى كلِّ مَن لاقتْ وإن لَم تَوَدَّدِ

ثم قطع المنشد . فقال له عُمارة : زِدنا من هذا . فوصل نشيدَه وقال :

ولكنّني لم أحوِ وَفْراً مُجَمَّعا ... ففزْتُ به إلاّ بشَمْلٍ مُبَدَّدِ

ولم تُعْطني الأيّام نوماً مُسَكَّنا ... أَلَذُّ به إلاّ بنوم مُشَرَّدِ

فقال عمارة : لله دَرُّه ! لقد تقدّم في هذا المعنى مَن سبقه إليه ، على كثرة القول فيه ، حتى لقد حَبَّب إليّ الاغتراب ، هِيه . فأنشده :

وطولُ مُقام المرء في الحيّ مُخْلِقٌ ... لديباجتيه فاغتربْ تتجدَّدِ

فإنّي رأيتُ الشمسَ زيدت محبّةً ... إلى الناسِ أنْ ليستْ عليهمْ بسرْمَدِ

فقال عُمارة : كَمَلَ والله ، لئن كان الشعر بجودة اللفظ ، وحسن المعاني ، واطراد المراد ، واتّساق الكلام ، فإن صاحبكم هذا أشعر الناس .

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال : حدَّثني محمد بن موسى بن حمّاد قال : سمعت عليّ بن الجّهْم يصِف أبا تمّام ويفضله ، فقال له رجل : والله لو كان أبو تمام أخاك ما زدت على مدحك هذا . فقال : إن لم يكن أخا بالنسب ، فإنّه أخ بالأدب والمودّة ؛ أما سمعت ما خاطبني به حيث يقول[2] : [من الكامل]

إنْ يُكْدِ مُطَّرَفُ الإخاء فإنّنا ... نغدو ونسري في إخاء تالدِ

أو يختلفْ ماء الوِصال فماؤنا ... عذبٌ تحدَّرَ من غمام واحدِ

---

1 ديوانه : 90 .

2 ديوانه : 78 .

أو يفترقْ نسبٌ يؤلفْ بيننا أدبٌ أقمناه مَقامَ الوالدِ

[دعبل يدّعي سرقة معانيه]

أخبرني محمد قال : حدَّثني هارون بن عبد الله المهلّبيّ قال : كنّا في حَلْقة دِعْبل ، فجرى ذكر أبي تمّام ، فقال دعبل : كان يتتبّع معانيّ فيأخُذها . فقال له رجل في مجلسه : وأيّ شيء من ذلك ، أعزّك الله ؟ قال : قولي[1] : [من الطويل]

وإن امرءاً أسْدى إليّ بشافع إليه ويرجو الشكرَ منّي لأحمقُ
شفيعَك فاشكر في الحوائج إنّه يصونُك عن مكروهِها وهو يَخْلُقُ

فقال الرجل : فكيف قال أبو تمّام ؟ فقال : قال[2] : [من الكامل]

فلقيتُ بين يديك حُلْوَ عَطائِهِ ولقيت بين يديَّ مُرَّ سُؤالِهِ
وإذا امْرؤ أسدى إليكَ صَنيعةً من جاهه فكأنّها من مالِهِ

فقال له الرجل : أحسن والله . فقال : كذبتَ قَبحكَ الله . فقال : والله لئن كان أخذه منك . لقد أجاد ، فصار أولى به منك . وإن كنت أخذتَه منه فما بلغتَ مَبلَغه . فغضب دِعبل وانصرف .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني ابن مهرويه قال : حدَّثني عبد الله بن محمد بن جرير قال : سمعت محمد بن حازم الباهليّ يقدّم أبا تمام ويفضّله ، ويقول : لو لم يقل إلاّ مَرْثيّته التي أوّلها :

أصمَّ بك الناعي وإن كان أسمعا

وقوله[3] : [من الكامل]

لو يقدرون مَشَوْا على وَجَناتهم وجباهِهم فضلاً عن الأقدامِ

لكفتاه .

[إعجاب عمارة بن عقيل بشعره]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : كان عُمارة بن عَقيل عندنا يوماً ، فسمع مؤدِّباً كان لولد أخي يُرَوِّيهم قصيدة أبي تمام :

الحق أبلج والسيوف عَوارِ

---

1 ديوان دعبل (نجم) : 112 .
2 ديوان أبي تمام (عزام) 3 : 60 .
3 ديوانه : 245 وفيه «وعيونهم» بدلاً من «وجباههم» .

فلمّا بلغ إلى قوله[1] : [من الكامل]

سُودُ اللباسِ كأنّما نَسَجَت لهم أيدي السَّموم مَدارِعا من قارِ
بَكَروا وأَسْرَوا في مُتون ضوامرِ قِيدَت لهم من مَرْبط النَّجارِ
لا يَبرحون ومَن رآهم خالهم أَبداً على سَفَرٍ من الأَسفارِ

فقال عمارة : لله درّه ! ما يعتمد معنى إلاّ أصاب أحسنه ، كأنّه موقوف عليه .

أُخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال : حدَّثني أبو ذكوان قال : قال لي إبراهيم بن العبّاس : ما اتّكلتُ في مكاتبتي قطُّ إلاّ على ما جاش به صدري ، وجلبه[2] خاطري ، إلاّ أنّي قد استحسنت قول أبي تمام[3] : [من الطويل]

فإن باشَرَ الإصحارَ فالبِيضُ والقنا قِراهُ وأَحواضُ المنايا مَناهلُهْ[4]
وإن يَبنِ حِيطاناً عليهِ فإنّما أولئك عُقَّالاتُهُ لا مَعاقلُهْ[5]
وإلاّ فأعلمه بأنّك ساخطٌ عليه ، فإنّ الخوف لا شكّ قاتِلُهْ

فأخذت هذا المعنى في بعض رسائلي ، فقلت : «فصار ما كان يُحرزهم يُبرزهم ، وما كان يَعقلهم يعتقلهم» . قال : ثم قال لي إبراهيم : إنّ أَبا تمّام اخترِم وما استمتع بخاطره ، ولا نزحَ رَكِيَّ[6] فكره ، حتى انقطع رِشاءُ عمره .

أخبرني محمد قال : حدَّثني أبو الحسين بن السخيّ قال : حدَّثني الحسين بن عبد الله قال : سمعت عمِّي إبراهيم بن العبّاس يقول لأبي تمّام ، وقد أنشد شعراً له في المعتصم : يا أبا تمام ، أمراء الكلام رَعِيّة لإحسانك .

أخبرني محمد قال : حدَّثني هارون بن عبد الله قال : قال لي محمد بن جابر الأزديّ ، وكان يتعصّب لأبي تمّام : أنشدت دِعبلَ بن عليّ شعراً لأبي تمّام ولم أعلمه أنّه له ، ثم قلت له : كيف تراه ؟ قال : أحسنُ من عافيةٍ بعد يأس . فقلت : إنّه لأبي تمام . فقال : لعلّه سرقه !

[اقتسام الشعراء الجوائز بعد موته]

أُخبرني محمد قال : حدَّثني أَحمد بن يزيد المهلّبيّ عن أَبيه قال : ما كان أَحد من الشعراء

---

1 ديوانه : 136–137 .
2 ل : واجتلبه .
3 ديوانه : 204 .
4 الإصحار : البروز إلى الصحراء .
5 العقالات : الحبوس والقيود . والمعاقل : جمع معقل وهو الملجأ .
6 الركي : البئر .

يقدر على أن يأخذ درهماً بالشعر في حياة أبي تمام ، فلمّا مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه .

[شعراء خراسان يعجبون به]

أخبرني عمّي والحسن بن عليّ ومحمد بن يحيى وجماعة من أصحابنا ، وأظنّ أيضاً جَحظة حدَّثنا به ، قالوا : حدَّثنا عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : لمّا قدِم أبو تمّام إلى خراسان اجتمع الشعراء إليه ، وسألوه أن ينشدهم ، فقال : قد وعدني الأمير أن أنشده غداً ، وستسمعوني . فلمّا دخل على عبد الله أنشده[1] : [من الطويل]

أهــنَّ عوادي يوسفٍ وصواحبُهْ فعزماً فقِدمــاً أدرك السُّؤلَ طالبُهْ

فلمّا بلغ إلى قوله :

وقلقلَ نــأيٌ من خراسان جأْشَها فقلت اطمئنّي أنضرُ الروض عازبُهْ[2]

وركب كأطراف الأسنّــة عَرَّسُوا على مثلهــا والليــل تسطو غياهِبُهْ

لأمــر عليهـــم أن تتــمّ صُدورُه وليس عليهـــم أن تتــمّ عواقبُهْ

فصاح الشعراء بالأمير أبي العبّاس : ما يستحقّ مثلَ هذا الشعر غيرُ الأمير أعزّه الله ! وقال شاعر منهم يُعرف بالرياحيّ : لي عند الأمير أعزّه الله جائزة وعدني بها ، وقد جعلتها لهذا الرجل جزاء عن قوله للأمير . فقال له : بل نضعفها لك ، ونقوم له بما يجب له علينا . فلمّا فرغ من القصيدة نثر عليه ألف دينار ، فلقطها الغِلمان ، ولم يمسَّ منها شيئاً ، فوجَد عليه عبد الله وقال : يترفّع عن برِّي ، ويتهاون بما أكرمته به . فلم يبلغ ما أراده منه بعد ذلك .

[إعجاب أبي دلف به]

أخبرني أبو مسلم محمد بن بحر الكاتب وعمّي ، عن الحَزَنْبَل ، عن سعيد بن جابر الكرخيّ ، عن أبيه : أنّه حضر أبا دلَف القاسمَ بن عيسى وعنده أبو تمّام الطائيّ ، وقد أنشده قصيدته[3] : [من الطويل]

عـلى مثلهـــا مـن أربُعٍ وملاعبِ أُذيلَتْ مصُونات الدموع السواكبِ

فلمّا بلغ إلى قوله :

إذا افتخرتْ يوماً تميــم بقوسِها وزادت على ما وطَّدت من مَناقِبِ[4]

1 ديوانه : 43 .

2 العازب : الكلأ البعيد المطلب .

3 ديوانه : 41–42 .

4 ل : ما أنبتت .

فأنتم بذي قارٍ أمالتْ سُيوفُكم عُروش الذين اسْتُرْهِنوا قوسَ حاجبِ
محاسنُ من مجدٍ متى تَقْرُنوا بها محاسن أقوامٍ تكن كالمعايبِ

فقال أبو دُلَف : يا معشَر ربيعة ، ما مدحتم بمثل هذا الشعر قطّ ، فما عندكم لقائله ؟ فبادروه بمطارِفهم يَرْمون بها إليه . فقال أبو دُلَف : قد قبلَها وأعاركم لبْسها ، وسأنوب عنكم في ثوابه . تمِّم القصيدة يا أبا تمام . فتمّمها ، فأمر له بخمسين ألف درهم . وقال : والله ما هي بإزاء استحقاقك وقدرك . فاعذرنا ، فشكره وقام ليقبِّل يده ، فحلف ألاّ يفعل ، ثم قال له : أنشدني قولك في محمد بن حُميد[1] : [من الطويل]

وما مات حتى ماتَ مَضْرِب سيفهِ من الضربِ واعتلت عليه القنا السُّمْرُ
وقد كان فوتُ الموت سهلاً فردّه إليه الحفاظ المرُّ والخُلُقُ الوعْرُ
فأثبت في مستنقَع الموت رجلَه وقال لها من تحت أخْمُصِك الحشْرُ
غدا غَدوةً والحمد نَسْجُ ردائِهِ فلم ينصرف إلاّ وأكفانه الأجْرُ
كأن بني نَبهانَ يوم مُصابِهِ نجومُ سماء خرَّ من بينها البدْرُ
يُعَزَّوْن عن ثاوٍ يُعزَّى به العُلى ويبكي عليه البأسُ والجود والشعْرُ

فأنشده إيّاها ، فقال : والله لوددت أنّها فيّ . فقال : بل أُفدِّي الأميرَ بنفسي وأهلي ، وأكونُ المقدم قبله ، فقال : إنّه لم يمت مَن رُثي بهذا الشعر ، أو مثله .

[مدحه الواثق بن أبي دواد]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال : حدَّثنا الحسن بن عُليل العَنَزيّ قال : حدَّثني إسحاق بن يحيى الكاتب قال : قال الواثق لأحمد بن أبي دُواد : بلغني أنّك أعطيتَ أبا تمام الطائيّ في قصيدة مدحك بها ألفَ دينار . قال : لم أفعل ذلك يا أمير المؤمنين ، ولكنّي أعطيته خمسمائة دينار رعاية للذي قاله للمعتصم[2] : [من الكامل]

فاشدُدْ بهارونَ الخلافةَ إنّه سَكَنٌ لوَحشتها ودارُ قَرارِ
ولقد علمت بأنّ ذلك مِعْصمٌ ما كنتَ تتركه بغير سوارِ

فابتسم وقال : إنّه لحقيق بذلك .

[مدحه خالد بن يزيد الشيباني]

أخبرني علي بن سليمان قال : حدَّثنا محمد بن يزيدَ النحويّ قال : خرج أبو تمام إلى

1 ديوانه : 328–329 .
2 ديوانه : 137 .

خالد بن يزيد بن مَزْيَد وهو بأَرْمِينية ، فامتدحه ، فأعطاه عشرة آلاف درهم ونفقةً لسفره ، وقال : تكون العشرة الآلافِ موفورة ، فإن أردت الشخوص فاعجل ، وإن أردت المُقام عندنا فلك الحِباء والبرّ . قال : بل أشخص . فودّعه ؛ ومضت أيّام ، وركب خالد يتصيّد ، فرآه تحت شجرة ، وبين يديه زُكرة[1] فيها شَراب ، وغلام يغنّيه بالطُّنبور . فقال : أبو تمّام ؟ قال : خادمك وعبدك . قال : ما فعل المال ؟ فقال[2] : [من المنسرح]

عَلَّمنـي جـودُكَ السماحَ فمـا ... أبقيت شيئاً لـديّ مـن صِلَتِكْ

مـا مـرَّ شهر حتـى سمحتُ به ... كـأنّ لي قـدرةً كمقـدُرتِكْ

تُنفق في اليـوم بالهبات وفي السـ ... ـاعـة مـا تجتنِيه في سَنَتِكْ

فلستُ أدري مـن أين تنفق لـو ... لا أنّ ربّـي يَمُـدُّ في هبتكْ[3]

فأمر له بعشرة أخرى ، فأخذها وخرج .

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال : حدَّثنا عون بن محمد الكنديّ قال : حدَّثنا محمد بن سعد أبو عبد الله الرقيّ ، وكان يكتب للحسن بن رجاء ؛ قال : قَدِم أبو تمّام مادحاً للحسن بن رجاء ، فرأيت منه رجلاً عقله وعلمه فوق شعره ، فاستنشده الحسن ونحن على نبيذ قصيدته اللاميّة التي امتدحه بها ، فلمّا انتهى إلى قوله[4] : [من الكامل]

أَنا مَن عَرَفْتَ فإن عرتكَ جَهالة ... فأَنـا المقيـمُ قِيامَـة العُذَّالِ[5]

عـادتْ لـه أيّامـه مُسْودَّة ... حتـى توهّـم أنّهـنّ ليالِ

فقال الحسن : والله لا تسْوَدُّ عليك بعد اليوم . فلمّا قال : [من الكامل]

لا تنكري عَطَل الكريمِ من الغِنى ... فالسيـل حـربٌ للمكان العالي

وتنظَّـري خَبَـبَ الركابُ ينصُّها ... محيـي القريض إلى مميـت المالِ

فقام الحسن بن رجاء على رجليه ، وقال : والله لا أتممتَها إلاّ وأنا قائم . فقام أبو تمّام لقيامه ، وقال : [من الكامل]

---

1 زكرة : وعاء من جلد للخمر .

2 لم نعثر على هذه الأبيات في أي من طبعات ديوانه .

3 يمد في ل : يزيد .

4 ديوانه : 217-218 .

5 الديوان : أنا ذو عرفت . . . وهي بمعنى الذي في لغة طيىء .

لمّا بلغنا ساحةَ الحَسَن انقضى عنّا تملُّكُ دولةِ الإمحالِ[1]
بسَطَ الرجاءَ لنا برغْم نوائبٍ كَثُرَتْ بهنّ مصارعُ الآمالِ[2]
أغلى عذارى الشعر إنّ مُهورَها عند الكرام وإن رَخُصْن غَوالِ
تَرِدُ الظُّنونُ بنا على تصديقها ويُحَكِّم الآمالَ في الأموالِ
أضحى سميُّ أبيك فيك مصدَّقاً بأجلّ فائدة وأيمن فالِ
ورأيتَني فسألتَ نفسك سَيْبَها لي ثم جُدْتَ وما انتظرتَ سؤالي
كالغيث ليس له ، أُريد غمامه أو لم يرد ، بُدٌّ من التَّهطالِ[3]

فتعانقا وجلسا . فقال له الحسن : ما أحسن ما جَلَوت هذه العروس ! فقال : والله لو كانت من الحُورِ العِين لكان قيامك لها أوفى مُهورها .

قال محمد بن سعد : وأقام شهرين ، فأخذ على يدِي عشرة آلاف درهم ، وأخذ غير ذلك ممّا لم أعلم به ؛ على بخل كان في الحسن بن رجاء .

[اعتذار دعبل]

أخبرني الصُّوليّ قال : حدَّثني عون بن محمد قال : شهدت دِعبِلاً عند الحسن بن رجاء وهو يضع من أبي تمام ، فاعترضه عِصابةُ الجَرْجَرائيّ ، فقال : يا أبا عليّ ، اسمع منّي ما قاله ، فإن أنت رضيته فذاك ؛ وإلاّ وافقتك على ما تذمُّه منه ، وأعوذ بالله فيك من ألاّ ترضاه ، ثم أنشده قوله[4] : [من الطويل]

أمّا إنّه لولا الخليطُ المودِّعُ ومغنًى عفا منه مَصيفٌ ومَرْبَعُ

فلمّا بلغ إلى قوله :

هو السيلُ إن واجهته انقدْتَ طَوْعَه وتقتادُه من جانبيه فيَتبَعُ
ولم أرَ نفعاً عند مَن ليس ضائراً ولم أَرَ ضُرّاً عند مَن ليس ينفعُ
مَعادُ الورى بعد المماتِ وسيبُه معادٌ لنا قبل المماتِ ومَرجعُ

فقال له دِعبل : لم ندفع فضلَ هذا الرجل ، ولكنّكم ترفعونه فوق قدره ، وتقدمونه على مَن يتقدّمه ، وتنسُبون إليه ما قد سرقه . فقال له عصابة : إحسانه صيرك له عائباً ، وعليه عاتباً .

1 بلغنا في الديوان : وردنا .
2 بسط في الديوان : أحيا .
3 غمامه في الديوان : نواله .
4 ديوانه : 167–169 .

أخبرني الصُّوليّ قال : حدَّثنا الحسن بن وَداع كاتب الحسن بن رَجاء قال : حضرت أبا الحسين محمد بن الهيثم بالجبل وأبو تمام ينشده[1] : [من الكامل]

أَسْقى ديارَهُـمُ أجشُّ هَزيـمُ وغـدتْ عليهمْ نضرةٌ ونعيمُ[2]

قال : فلمّا فرغَ أمر له بألفِ دينار ، وخَلَع عليه خِلعة حسنة ، وأقمنا عنده يومنا ، فلمّا كان من غَد كتب إليه أبو تمّام[3] : [من الخفيف]

قد كسانا من كُسوةِ الصيف خِرْقٌ مكتسٍ مـن مَكـارم ومَساعِ[4]
حُلَّـةً سابريَّـة ورِداءً كسَحا القِيض أو رداء الشُّجاعِ[5]
كالسَّراب الرَّقْراق في الحسن إلاّ أنّه ليس مثلَـه في الخِـداعِ[6]
قَصَبِيّـاً تسترجِـفُ الريحُ مَتنيـ ـه بأمـرٍ مـن الهُبوبِ مطاعِ
رَجَفانـاً كأنّه الدّهـرَ منـه كبِـدُ الضَّبِّ أو حشا المُرْتاعِ
لازمـا مـا يليـه تحسِبه جُزْ ءاً مـن المَتْنَيْـنِ والأضلاعِ
يَطردُ اليـومَ ذا الهَجير ولو شُبِّـ ـهَ في حـرِّه بيـوم الوَداعِ
خِلعةً مـن أغرَّ أرْوَعَ رَحْب الصَّـ ـدر رحب الفؤاد رحْب الذراعِ
سوف أكسوك مـا يُعَفّي عليها من ثَنـاء كالبُرد بُرْدِ الصَّناعِ[7]
حسن هاتيكَ في العيـون وهذا حسنـه في القلـوب والأسماعِ

فقال محمد بن الهيثم : ومَن لا يُعْطِي على هذا مُلكه ؟ والله لا بقي في داري ثوب إلاّ دفعتُه إلى أبي تمام ، فأمر له بكلّ ثوب كان يملكه في ذلك الوقت .

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثني عمِّي الفضل قال : لمّا شَخَص أبو تمّام إلى عبد الله بن طاهر وهو بخراسان ، أقبل الشتاء وهو هناك ، فاستثقل البلدَ ، وقد كان عبد الله وجَد عليه ، وأبطأ بجائزته ، لأنّه نثر عليه ألف دينار فلم يَمْسَسها بيده ، ترفّعاً عنها ، فأغضبه

1 ديوانه : 264 .
2 ديارهم في الديوان : طلولهم .
3 ديوانه : 172 .
4 الخرق : السخي .
5 السابرية من الثياب : الجيدة الرقيقة النسج .
6 الحسن في الديوان : في النعت .
7 يعفي عليها : يفوقها في القيمة .

وقال : يحتقر فِعلي ، ويترفّع عليّ . فكان يبعث إليه بالشيء بعد الشيء كالقوت ، فقال أبو تمّام[1] : [من البسيط]

لم يبقَ للصيف لا رسمٌ ولا طَلَلُ ولا قشيبٌ فَيُسْتَكْسى ولا سَمَلُ[2]
عدلٌ من الدّمع أن يُبْكى المَصيفُ كما يُبْكى الشبابُ ، ويُبْكى اللهوُ والغزلُ
يُمْنى الزمانِ انقضى معروفُها وغَدَتْ يُسْراه وهْي لنا من بعدها بَدَلُ

فبلغت الأبيات أبا العَمَيْثل شاعرَ آل عبد الله بن طاهر ، فأتى أبا تمّام ، واعتذر إليه لعبد الله بن طاهر ، وعاتبه على ما عَتَب عليه من أجله ، وتضمَّن له ما يُحِبّه . ثم دخل إلى عبد الله ، فقال : أيّها الأمير ، أتتهاون بمثل أبي تمّام وتجفوه ؟ فوالله لو لَم يكن له ما له من النباهة في قدره ، والإحسان في شعره ، والشائع من ذكره ، لكان الخوف من شرّه ، والتوقّي لذمّه ، يوجب على مثلك رعايته ومراقبته ، فكيف وله بنزوعه إليك من الوطن ، وفراقه السَّكَن ، وقد قصدك عاقداً بك أمَلَه ، مُعملاً إليك ركابه ، متعباً فيك فكره وجسمه ، وفي ذلك ما يُلزِمُك قضاء حقّه ، حتى ينصرف راضياً ؛ ولو لم يأت بفائدة ، ولا سُمِع فيك منه ما سُمِع إلاّ قوله[3] : [من البسيط]

تقولُ في قُومَسٍ صحبي وقد أخذتْ منّا السُّرى وخُطا المهريّة القُودِ[4]
أَمَطْلِعَ الشمس تبغي أن تؤمَّ بنا فقلت كَلاّ ولكن مَطْلِع الجودِ

فقال له عبد الله : لقد نَبَّهْتَ فأحسنت ، وشفعت فَلَطُفْت ، وعاتبت فأَوْجَعت ، ولك ولأبي تمام العُتْبيّ ، ادعُه يا غلام . فدعاه ، فنادمه يومه ، وأمر له بألفَي دينار ، وما يحمله من الظَّهْر ، وخلَع عليه خِلْعة تامّة من ثيابه ، وأمر ببذْرَقَته[5] إلى آخر عمله .

[التقاطه المعاني]

أُخبرني جَحْظة قال : حدَّثني ميمون بن هارون قال : مرَّ أبو تمّام بمخنَّث يقول لآخر : جئتك أمسِ فاحتجبت عنّي ، فقال له : السماء إذا احتجبت بالغيم رُجّي خيرُها . فتبيّنتُ في وجه أبي تمّام أنّه قد أخذ المعنى ، ليضمنه في شعره ، فما لبثنا إلاّ أيّاماً

---

1 ديوانه : 377 .
2 القشيب : الجديد . وفيستكسى في ل : فيسلبني . والسمل : البالي .
3 ديوانه (عزام) 2 : 132 .
4 السرى في ل : الفلا .
5 بذرقته : حراسته .

حتى أُنْشِدت قوله[1] : [من البسيط]

ليس الحجابُ بمقصٍ عنكَ لي أملاً إنّ السماءَ تُرَجَّى حين تَحْتَجِبُ

[دعبل يتّهمه بسرقة قصيدة]

أخبرني أبو العبّاس أحمد بن وصيف ، وأبو عبد الله أحمد بن الحسن بن محمد الأصبهانيّ ابن عمّي ، قال : حدَّثنا محمد بن موسى بن حمّاد قال : كنّا عند دِعْبل أنا والقاسم ، في سنة خمس وثلاثين ومئتين ، بعد قدومه من الشام ، فذكرنا أبا تمام ، فثلبه ، وقال : هو سَروق للشعر . ثم قال لغلامه : يا ثقيف ، هات تلك[2] المِخلاة . فجاء بمخلاة فيها دفاتر ، فجعل يُمِرُّها على يده ، حتى أخرج منها دَفتراً ، فقال : اقرءوا هذا . فنظرنا فيه ، فإذا فيه : قال مُكْنِف أبو سُلْمى ، من ولد زهير بن أبي سُلْمى ، وكان هجا ذُفافة العَبْسيّ بأبيات منها : [من البسيط]

إنّ الضُّراطَ به تصاعَد جَدُّكم فتعاظموا ضَرْطاً بني القَعقاعِ

قال ثم مات ذُفافة بعد ذلك ، فرثاه فقال : [من الطويل]

أبعدَ أبي العبّاس يُسْتعذَبُ الدّهرُ فما بعده للدّهر حسنٌ ولا عُذْرُ
ألا أيُّها الناعي ذُفافةَ والنّدى تَعِسْت وشَلَّت من أناملك العشرُ
أتنعى لنا مِنْ قيس عيلانَ صَخرة تفلَّق عنها من جبال العِدا الصخرُ
إذا ما أبو العبّاس خَلَّى مكانه فلا حَمَلَتْ أنثى ولا نالَها طُهْرُ
ولا أُمطرتْ أرضاً سماءٌ ولا جرتْ نجومٌ ولا لَذَّتْ لشاربها الخمرُ
كأنّ بني القعقاع يوم مُصابِهِ نجومُ سماءٍ خَرَّ من بينها البدرُ
تُوُفِّيتِ الآمالُ يومَ وفاتِهِ وأصبح في شُغْلٍ عن السَّفْر السفْرُ

ثم قال : سرق أبو تمّام أكثر هذه القصيدة ، فأدخلها في قصيدته : [من الطويل]

كذا فليجِلَّ الخطبُ ولْيفدَحِ الأمرُ وليسَ لعين لم يَفضْ ماؤُها عُذْرُ

[مداعبة بينه وبين الحسن بن وهب]

أخبرني الصُّوليّ قال : حدَّثني محمد بن موسى قال : كان أبو تمّام يعشق غلاماً خَزَريّاً للحسن بن وهب ، وكان الحسن يتعشّق غلاماً روميّاً لأبي تمّام . فرآه أبو تمّام يوماً يعبث

1 ديوانه : 26 .

2 ل : ويلك .

بغلامه ، فقال له : والله لئن أعنقتَ[1] إلى الروم ، لنركُضَنَّ إلى الخزَر . فقال له الحسن : لو شئتَ حكَّمتنا واحتكمت . فقال أبو تمّام : أنا أشبهك بداود عليه السلام ، وأشبه نفسي بخصمه ، فقال الحسن : لو كان هذا منظوماً خفناه ، فأمّا وهو منثور فلا ، لأنّه عارِض لا حقيقة له ، فقال أبو تمّام[2] : [من البسيط]

أبا علِيٌّ لصرفِ الدَّهرِ والغِيَرِ ... وللحوادث والأيّامِ والعِبَرِ

أذكرتني أمر داود وكنتُ فتًى ... مُصَرَّف القلب في الأهواء والفِكَرِ

أعندك الشمس لم يَحظَ المغيبُ بها ... وأنت مضطربُ الأحشاء للقمَرِ

إن أنت لم تترك السير الحثيث إلى ... جآذر الرومِ أعنقنا إلى الخزَرِ

إنّ القُطُوبَ لـه منّي محلُّ هوًى ... يَحِلّ منّي محلَّ السمع والبصرِ[3]

وربّ أُمنعَ منه جانباً وحِمًى ... أمسى وتِكّتُهُ منّي على خَطِرِ

جَرَّدتُ فيه جنودَ العزم فانكشفتْ ... منه غَيابتُها عن نَيكة هَدَرِ[4]

سبحانَ مَن سَبَّحتْهُ كلُّ جارحةٍ ... ما فيك من طَمَحان الأَير والنظرِ[5]

أنت المقيمُ فما تغدو رواحلُهُ ... وأَيرُه أبداً منه على سَفَرِ[6]

[حسد دعبل له]

أخبرني الصُّوليّ قال : حدَّثني عبد الله بن الحسين قال : حدَّثني وهب بن سعيد قال : جاء دعبل إلى الحسن بن وهب في حاجة بعد موت أبي تمام ، فقال له رجل في المجلس : يا أبا عليّ ، أنت الذي تطعُن على مَن يقول[7] : [من الطويل]

شَهِدتُ لقد أقوتْ مغانيكُمُ بعدِي ... ومَحّتْ كما محت وشائعُ من بُرْدِ[8]

---

1 أعنق : سار سيراً سريعاً .

2 ديوانه : 356–357 .

3 القطوب في الديوان : النفور .

4 عن نيكة هدر في الديوان : عن فجرة هدر .

5 الأير والنظر في الديوان : العين بالنظر .

6 وأيره في الديوان : وفعله .

7 ديوانه : 112 .

8 أقوت : خلت . ومحت : درست . والوشائع : جمع وشيعة ، وهي الغزل الملفوف من اللحمة التي يداخلها الناسج بين السدى .

وأُنجدتم مـن بعـد إتْهامِ داركُمْ فيا دمعُ أنجدني على ساكني نجدِ

فصاح دعبل : أحسنَ والله ! وجعل يردد «فيا دمع أنجدني على ساكني نجد» ثم قال : رحمه الله ! لو كان ترك لي شيئاً من شعره لقلت إنّه أشعر النّاس .

[رثاؤه ابنَي عبد الله بن طاهر]

أخبرني عليّ بن سليمان ومحمد بن يحيى قالا : حدَّثنا محمد بن يزيد قال : مات لعبد الله بن طاهر ابنان صغيران في يوم واحد ، فدخل عليه أبو تمّام فأنشده[1] : [من الكامل]

مـا زالت الأيّـامُ تخبرُ سائـلاً أَن سَوفَ تفجعُ مُسْهِلاً أو عاقلا[2]

مجـدٌ تأوَّبَ طارقـاً حتـى إذا قلنـا أَقام الدهـرَ أَصبحَ راحلا

نجمـان شاء الله أَلاّ يَطْلُعـا إلاّ ارتـدادَ الطَّرف حتـى يأفِلا

إن الفجيعـة بـالرياض نواضراً لأَجـلّ منهـا بالرياض ذَوابلا

لـو يُنْسبان لكـان هذا غارباً للمكرُمـات وكان هـذا كاهلا[3]

لَهْفـي على تـلك المخايلِ منهما لـو أُمْهلَت حتى تكـون شمائِلا

لغـدا سكونُهما حِجًى وصِباهُما حِلْمـاً وتلك الأريحيّـةُ نائِلا

إنّ الهـلالَ إذا رأيـت نمـوَّهُ أيقنتَ أنْ سيكونُ بـدراً كاملا[4]

صوت[5]

[من مجزوء الرجز]

بالله قـلْ يـا طَلَلُ أهلُـك مـاذا فعلُوا

فـإن قلبـي حَـذِرٌ مـن أن يَبينوا وَجِلُ

عروضه من الرجز . الشعر لأبي الشّيص . والغناء لأحمد بن يحيى المكّيّ . خفيف ثقيل بالوسطى من نسخة عمرو بن بانة الثانية . ومن رواية الهِشاميّ .

1 ديوانه : 338 .
2 المسهل : النازل في السهل . والعاقل : الممتنع في الجبل .
3 ينسبان في الديوان : ينسآن .
4 سيكون في الديوان سيعود .
5 شعر أبي الشّيص : 89 .

[340] ـ أخبار أبي الشِّيص ونسبه[1]

[نسبه]

اسمه محمد بن رَزِين بن سليمان بن تميم بن نهشل ، وقيل : ابن بُهَيْش ، بن خِراش بن خالد بن عبد بن دِعبِل بن أَنَس بن خُزَيمة بن سَلامان بن أسلَم بن أفصى بن حارثة بن عمرو مُزَيْقِيا بن عامر بن ثعلبة .

وكان أبو الشِّيص لقباً غلب عليه . وكنيته أبو جعفر ، وهو ابن عمّ دِعبل بن عليّ بن رَزين لَحّاً . وكان أبو الشِّيص من شعراء عصره ، متوسِّط المحلّ فيهم ، غير نبيه الذكر ، لوقوعه بين مسلم بن الوليد وأشجع وأبي نواس ، فخمل وانقطع إلى عُقْبَةَ بن جعفر بن الأشعث الخُزاعيّ ، وكان أميراً على الرَّقّة ، فمدحه بأكثر شعره ، فقلّما يُرْوى له في غيره . وكان عُقْبة جواداً فأغناه عن غيره .

ولأبي الشِّيص ابن يقال له عبد الله شاعر أيضاً ، صالح الشعر ، وكان منقطعاً إلى محمد بن طالب ، فأخذ منه جامع شعر أبيه ، ومن جهته خرج إلى الناس .

[رثاء عينيه]

وعَمِيَ أبو الشِّيص في آخر عمره ، وله مَراثٍ في عينيه قبل ذهابهما وبعده ، نذكر منها مختارها مع أخباره .

[ابن المعتزّ يفضله]

وكان سريع الهاجس جدّاً ، فيما ذُكر عنه . فحكى عبد الله بن المعتزّ أنّ أبا خالد العامريّ قال له : مَن أخبرك أنّه كان في الدنيا أشعرُ من أبي الشِّيص فكذّبه . والله لكان الشعرُ عليه أهون من شرب الماء على العطشان . وكان من أوصف الناس للشراب ، وأمدحهم للملوك .

وهكذا ذكر ابن المعتزّ ، وليس توجد هذه الصفات كما ذَكَر في ديوان شعره ، ولا هو بساقط ، ولكن هذا سَرَف شديد .

1 ترجمة أبي الشِّيص في الشعر والشعراء : 721–726 وطبقات ابن المعتز : 72–86 وتاريخ بغداد 5 : 401 ومعاهد التنصيص 4 : 87 والسمط : 506 وفوات الوفيات 3 : 402 ونكت الهميان : 257 وانظر بروكلمان 2 : 69 والوافي 3 : 302 . وقد جمع شعره د . عبد الله الجبوري (بغداد 1967) . واسمه فيها جميعاً محمد بن عبد الله بن رزين .

[مكافأة عتبة بن جعفر له]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا الكرانيّ عن النضر بن عمر قال : قال لي أبو الشّيص : لمّا مدحت عُقْبة بن جعفر بقصيدتي التي أوّلها : [من الكامل]

لا تُنكري صَدّي ولا إعراضي ليس المقلُّ عن الزمــان براضِ

أمر بأن تُعَدّ ، وأعطاني لكلّ بيت ألف درهم .

[شاعران يرثيان عينيهما]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : أنشدت إبراهيم بن المهديّ أبيات أبي يعقوب الخُرَيميّ التي يرثي بها عينه ، يقول فيها : [من الوافر]

إذا مـا مات بعضُك فابكِ بعضاً فــإنّ البعض مــن بعض قريبُ[1]

فأنشدني لأبي الشّيص يبكي عينيه[2] : [من المنسرح]

يــا نفسُ بكّــي بأدمع هُتُنِ وواكــفٍ كالجُمــان في سَنَنِ

على دليــلي وقائدي ويــدي ونــور وجهي وسائِس البدنِ

أبكي عليهــا بهــا مخافــةَ أن تَقْرُنَني والظــلامَ في قَــرنِ

وقال أبو هِفّان : حدَّثني دِعبل أنّ امرأة لقيت أبا الشّيص ، فقالت : يا أبا الشّيص : عَمِيتَ بعدِي . فقال : قَبَحَكِ الله ، دعوتني باللقَب ، وعيَّرْتني بالضَّرر !

[مجلس شعر]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال : حدَّثني أبي ، عن أحمد بن عبيد قال : اجتمع مسلم بن الوليد وأبو نواس وأبو الشّيص ودِعبل في مجلس ، فقالوا : ليُنشِد كلّ واحد منكم أجود ما قاله من الشعر . فاندفع رجل كان معهم فقال : اسمعوا منّي أخبركم بما يُنشِدُ كلّ واحد منكم قبل أن يُنشد . قالوا : هات . فقال لمسلم : أمّا أنت يا أبا الوليد فكأنّي بك قد أنشدت[3] : [من الطويل]

إذا مــا علَــتْ منّــا ذؤابةُ واحدٍ وإن كان ذا حلم دعته إلى الجهلِ

هل العيشُ إلاّ أن تروح مع الصِّبا وتغدو صريعَ الكأسِ والأعين النُّجْلِ

قال : وبهذا البيت لُقِّب «صريع الغواني» ، لقبه به الرشيد ، فقال له مسلم : صدقت .

---

1 فإن البعض في ل : فبعض الشيء .

2 شعره : 103 .

3 ديوان مسلم بن الوليد : 42 مع بعض اختلاف .

ثم أقبل على أبي نواس فقال له : كأنّي بك يا أبا عليّ قد أنشدت[1] : [من البسيط]

لا تبكِ ليلى ولا تطرب إلى هندِ واشربْ على الوَرْدِ من حمراءَ كالوردِ
تَسقيك من عينها خمراً ومن يدها خمراً فما لك من سُكرين من بُدٍّ

فقال له : صدقت .

ثم أقبل على دعبل فقال له : وأنت يا أبا عليّ ، فكأنّي بك تنشد قولك[2] : [من الكامل]

أيـن الشبابُ وأيّـةً سَلَكا لا أينَ يُطلَب ضلّ بـلْ هَلَكا
لا تعجبي يـا سَلْمَ من رجُل ضحكَ المشيبُ برأسه فبكى

فقال : صدقت . ثم أقبل على أبي الشِّيص ، فقال له : وأنت يا أبا جعفر ، فكأنّي بك وقد أنشدتَ قولك : [من الكامل]

لا تنكري صدِّي ولا إعراضي ليس المقلُّ عن الزمـان براضِ

فقال له : لا . ما هذا أردت أن أنشد ، ولا هذا بأجود شيء قلته . قالوا فأنشدنا ما بدا لك . فأنشدهم قوله[3] : [من الكامل]

صوت

وقف الهوى بي حيثُ أنتِ فليسَ لي متأخَّـرٌ عنـهُ ولا متقـدَّمُ
أجِـدُ الملامَـة في هواكِ لذيذةً حُبـا لذكـرك فليلُمْني اللُّوَّمُ
أشبهتِ أعدائـي فصرتُ أُحبُّهـمْ إذ كان حظِّي منكِ حظِّـي منهمُ
وأَهَنْتِنـي فأهنـتُ نفسيَ صاغراً مـا مَـنْ يهون عليك ممّن يُكْرَمُ

لِعَريب في هذا الشعر لحنان : ثقيل أوّل ، ورمل .

قال : فقال أبو نواس ، أحسنتَ والله وجودت ! وحياتِك لأسرقنّ هذا المعنى منك ، ثم لأغلبنّك عليه ، فيشتهرُ ما أقول ، ويموت ما قلت . قال : فسرق قوله : [من الكامل]

وقَف الهوى بي حيث أنتِ فليس لي متأخَّـرٌ عنـه ولا متقـدَّمُ

سَرَقاً خَفِيّاً ، فقال في الخصيب[4] : [من الطويل]

1 ديوان أبي نواس (الغزالي) : 27 .
2 ديوان دعبل (نجم) : 117 .
3 شعر أبي الشِّيص : 92–93 مع اختلاف في الترتيب .
4 ديوان أبي نواس : 481 . وفيه «يصير الجود حيث يصير» .

فما جـازه جـودٌ ولا حل دُونَهُ ولكـن يسير الجودُ حيث يسيرُ

فسار بيت أبي نواس ، وسقط بيْت أبي الشِّيص .

[مجلس شعري آخر]

نسخت من كتاب جدّي لأُمِّي يحيى بن محمد بن ثوابة بخطِّه : حدَّثني الحسن بن سعد قال : حدَّثني رَزِين بن عليّ الخزاعيّ أخو دعبل قال ، كنّا عند أبي نواس أنا ودعبل وأبو الشِّيص ومُسلم بن الوليد الأنصاريّ ، فقال أبو نواس لأبي الشِّيص : أنشدني قصيدتك المُخزية . قال : وما هي ؟ قال : الضادية . فما خطر بخَلَدي قولك : [من الكامل]

ليس المقلُّ عن الزمـان براضِ

إلاّ أخزيتُك استحساناً لها ، فإنَّ الأعشى كان إذا قال القصيدة عرضها على ابنته ، وقد كان ثقَّفها وعلّمها ما بلغت به استحقاق التحكيم والاختيارِ لجيد الكلام ، ثم يقول لها : عُدِّي لِيَ المُخزِيات ، فتعدُّ قوله[1] : [من البسيط]

أغَـرُّ أَرْوَعُ يُستسقى الغمام به لو قارعَ الناسَ عن أحسابهم قَرَعا

وما أشبَهها من شعره . قال أبو الشِّيص : لا أفعل . إنّها ليست عندي عِقْدَ دُرٍّ مفصَّل ، ولكنّي أكاثر بغيرها ، ثم أنشده قوله : [من الكامل]

وقَفَ الهوى بي حيثُ أنت فليسَ لي متأخَّـر عنـه ولا متقـدَّمُ

الأبيات المذكورة ، فقال له أبو نواس : قد أردت صرفَك عنها ، فأَبيتَ أن تَخَلَّى عن سَلَبِك ، أو تُدْرَك في هَرِبك . قال : بل أقولُ في طلبي ، فكيف رأيت هذا الطراز ؟ قال : أرى نَمَطاً خُسْرُوانياً مُذْهَباً حسناً ، فكيف تركت[2] : [من الخفيف]

في رِداء مـن الصَّفيح صَقِيـلٍ وقميصٍ مـن الحديـدِ مُـذالِ

قال : تركته كما ترك مختار الدُّرّتين إحداهما ، بما سبق في ألحاظه ، وزُيِّن في ناظره .

[أبو نواس يفضله]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني ابن مهرويه قال : حدَّثني أبي قال : حدَّثني مَن قال لأبي نُواس : مَن أشعر طبقات المُحْدَثين ؟ قال : الذي يقول[3] : [من المتقارب]

---

1 ديوان الأعشى (صادر) : 109 وروايته :

أغـر أبلـج يستسقـى الغمام بـه لو صارع الناس عن أحلامهم صرعا

2 شعر أبي الشِّيص : 86 .

3 شعر أبي الشِّيص : 100 .

يطـوفُ علينـا بهـا أحْـورٌ يـداه مـن الكأسِ مخضوبتان

والشعر لأبي الشِّيص .

[خادم يخشى العين على صدره]

أُخبرني الحسين بن القاسم الكَوكبيّ قال : حدَّثني الفضل بن موسى بن معروف الأصبهانيّ قال : حدَّثني أبي قال : دخل أبو الشِّيص على أبي دُلَف وهو يلاعب خادماً له بالشِّطْرَنج ، فقيل له : يا أبا الشِّيص ، سَل هذا الخادم أن يَحُلّ أزرار قميصه . فقال أبو الشِّيص : الأمير أعزّه الله أحقّ بمسألته . قال : قد سألته ، فزعم أنّه يخاف العين على صدره . فقل فيه شيئاً . فقال[1] : [من السريع]

وشادنٍ كالبدرِ يجلو الدُّجى في الفرقِ منـه المسكُ مَذرورُ

يُحـاذر العـينَ على صَـدْره فالجيبُ منـه الدهـرَ مزرورُ

فقال أبو دُلَف : وحياتي لقد أحسنت ! وأمر له بخمسة آلاف درهم . فقال الخادم : قد والله أُحسن كما قلت ، ولكنّك أنت ما أحسنت ! فضحك ، وأمر له بخمسة آلاف أخرى .

[منعه صاحب القينة من زيارتهما بعد العمى]

أُخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ قال : حدَّثنا الحسن بن عُليل العَنَزيّ قال : حدَّثني علي بن سعد بن إياس الشيبانيّ قال : تعشّق أبو الشِّيص محمد بن رَزين قينةً لرجل من أهل بغداد ، فكان يختلف إليها ، وينفق عليها في منزل الرجل ، حتى أتلف مالاً كثيراً . فلمّا كُفّ بصره ، وأُخفق ، جعل إذا جاء إلى مولى الجارية حَجَبه ، ومنعه من الدخول . فجاءني أبو الشِّيص ، فشكا إليّ وجدَه بالجارية ، واستخفاف مولاها به ، وسألني المُضيّ معه إليه ، فمضيت معه ، فاستوُذن لنا عليه ، فأذِن ، فدخلت أنا وأبو الشِّيص . فعاتبته في أمره ، وعَظَّمت عليه حقّه ، وخوفته من لسانه ومن إخوانه ، فجعل له يوماً في الجمعة يزورها فيه ، فكان يأكل في بيته ، ويحمل معه نبيذه ونُقْلَه ، فمضيت معه ذات يوم إليها . فلمّا وقفنا على بابهم ، سمعنا صُراخاً شديداً من الدار ، فقال لي : ما لها تصرخ ؟ أتراه قد مات لعنه الله ! فما زلنا ندقّ الباب حتى فُتِح لنا ، فإذا هو قد حَسَر كمّيه وبيده سوط ، وقال لنا : ادخلا ، فدخلنا ، وإنّما حمله على الإذن لنا الفَرَق منّي ، فدخلنا وعاد الرجل إلى داخلٍ يضربها ، فاستمعنا عليه واطلعنا ، فإذا هي مشدودة على سُلّم وهو يضربها أشدّ ضرب ، وهي تصرخ ، وهو يقول : وأنت أيضاً فاسرِقي الخبز . فاندفع أبو الشِّيص على المكان يقول في ذلك[2] : [من السريع]

---

1 شعر أبي الشِّيص : 57 .

2 شعر أبي الشِّيص : 62 .

يقـولُ والسوط على كفّـه　　قـد حَـزّ في جلدتهـا حَزّا
وهْـي على السُّلَّـم مشدودة　　«وأنتِ أيضاً فاسرقي الخُبْزا»

قال : وجعل أبو الشِّيص يُردِّدها ، فسمعهما الرجل ، فخرج إلينا مبادراً ، وقال له : أنشدني البيتين اللذين قلتهما ، فدافعه ، فحلف أنّه لا بدّ من إنشادهما ، فأنشده إيّاهما ، فقال لي : يا أبا الحسن ، أنت كنت شفيع هذا ، وقد أسعفتك بما تحبّ ، فإن شاع هذان البيتان فضحتَني ، فقل له يقطع هذا ، ولا يُسمِعْهما[1] ، وله عليَّ يومان في الجمعة . ففعلت ذلك ، ووافقته عليه ، فلم يزل يتردّد إليه يومين في الجمعة حتى مات .

[عشقه لجاريته تبر]

أُخبرني محمد بن خَلَف بن المرزُبان قال : حدَّثني أُحمد بن عبد الرحمن الكاتب ، عن أُبيه قال : كانت لأبي الشِّيص جارية سوداء اسمها تِبْر ، وكان يتعشّقها ، وفيها يقول[2] : [من المنسرح]

لم تُنْصِفي يـا سَمِيّـة الذَّهَبِ　　تتلـفُ نفسي وأنـتِ في لَعِبِ
يا ابنـة عمّ المِسكِ الذكيّ ومَن　　لـولاك لم يُتَّخَـذ ولم يَطِبِ
ناسَبَك المسكُ في السوادِ وفي الرِّ　　يح فأكـرم بـذاك من نسبِ

[صديق تغيّر بعد أن غني]

أُخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدَّثنا عليّ بن محمد النوفليّ ، عن عمّه قال : كان أبو الشِّيص صديقاً لمحمد بن إسحاق بن سليمان الهاشميّ ، وهما حينئذٍ مُملقان ، فنال محمد بن إسحاق مرتبة عند سلطانه ، واستغنى ، فجفا أبا الشِّيص ، وتغير له ، فكتب إليه[3] : [من البسيط]

الحمـدُ لله ربّ العالَمـين علـى　　قُربي وبعدِكَ منّي يا ابن إسحاقِ
يا ليتَ شعري متى تُجْدِي عليّ وقد　　أصبحتَ ربّ دنـانير وأوْراقِ
تُجْدي عليَّ إذا ما قيلَ مَنْ راقِ　　والتفت الساقُ عند الموت بالساقِ
يومٌ لَعمري تَهُمُّ النـاسَ أنفسُهمْ　　وليس ينفـع فيـه رُقيـة الراقي

حدَّثني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا أبو العبّاس بن الفرات قال : كنت أسيرُ مع عبيد الله بن سليمان ، فاستقبله جعفر بن حَفْص على دابّة هزيل ، وخلفه غلام له ، وشيخ على

1 ل : ولا يشعهما .
2 شعره : 26 .
3 شعره : 80 .

بغل له هَرِم ، وما فيهم إلاّ نِضْو ، فأقبل عليَّ عبيد الله بن سليمان فقال : كأنّهم والله صِفة أبي الشِّيص حيث يقول[1] : [من الكامل]

أَكلَ الوجيفُ لحومَهــا ولحومَهمْ فأَتــوكَ أنقاضــاً عــلى أنقاضِ[2]

[مقتله]

وقال عبد الله بن المعتزّ : حدَّثني أبو مالك عبد الله قال : قال لي عبد الله بن الأعمش، كان أبو الشِّيص عند عُقبةَ بن جعفر بن الأشعث الخُزاعيّ يشرب ، فلمّا ثَمِل نام عنده ، ثم انتبه في بعض الليل ، فذهب يَدبّ إلى خادم له ، فوجأه بسكين ، فقال له : ويحك ! قتلتني والله ! وما أُحبّ والله أن أفتضح أنّي قُتِلت في مثل هذا ، ولا تُفْضَح أنت بي ، ولكن خذ دَسْتيجة[3] فاكسِرْها ولوثها بدمي ، واجعل زجاجها في الجُرْح ، فإذا سئِلت عن خبري ، فقل : إنّي سقطت في سكري على الدَسْتيجة فانكسرت ، فقتلتني ، ومات من ساعته . ففعل الخادم ما أمره به ، ودُفِن أبو الشِّيص ، وجزع عُقْبة عليه جزعاً شديداً . فلمّا كان بعد أيّام سكِر الخادم ، فصدق عقبةَ عن خبره ، وأنّه هو قتله ، فلم يُلْبثه أن قام إليه بسيفه ، فلم يزل يضربه حتى قتله .

صوت[4]

[من الكامل]

هَــلاّ سألــتَ معــالمَ الأطــلالِ والرسمَ بعــد تقــادم الأحوالِ
دِمَنــاً تَهيجُ رسومُهــا بعــد البلى طَرَبــاً وكيف سؤالُ أعجمَ بالِ
يمشين مشى قَطـا البِطاح تأوُّداً قُــبَّ البطــون رواجح الأكفالِ
مــن كلّ آنسة الحديــث حَيِيَّــةٍ ليست بفــاحشةٍ ولا مِتْفــالِ
أقصــى مذاهبِهــا إذا لاقيتُهــا في الشهر بــين أسِرَّةٍ وحِجالِ
وتكــونُ رِيقتُهــا إذا نبهتُهــا كالشهــدِ أو كَسُلافــة الجريالِ

المتفال : المنتنة الريح . والجريال فيما قيل : اسم للون الخمر . وقيل : بل هو من أسمائها . والدليل على أنّه لونها قول الأعشى : [من الكامل]

وسُلافــةٍ ممّــا تعتــق بابــل كدمِ الذبيح سلبتُهــا جِرْيالَها

1 شعر أبي الشِّيص من قصيدة طويلة : 71–74 .
2 الوجيف : السير السريع .
3 دستيجة : إناء كبير من الزجاج .
4 شعر الكميت (سلوم) 2 : 52–54 .

قال سِماك بن حَرْب : حدَّثني يُحَنَّسُ بن متَّى الحِيريّ راوية الأعشى : أنّه سأله عن هذا البيت فقال : سلبتها لونها : شربتها حمراء ، وبُلْتها بيضاء .

الشعر في هذا الغناء المذكور للكُميت بن زيد ، والغناء لابن سُرَيج ، ثقيل أوّل بالبنصر ، عن عمرو بن بانة ، وذكر المكيّ أنّه لابن مُحرز . وفيه لعَطَرَّد خفيف ثقيل . وهذا الشعر من قصيدة للكميت ، يمدح بها مَخْلَد بن يزيدَ بن المهلّب ، يقول فيها : [من الكامل]

قادَ الجيوشَ لخمسَ عَشْرَةَ حِجَّةً ولِداتُـــهُ عـــن ذاك في أَشغالِ
قَعَدتْ بهـم هِمّاتُهُمْ وسَمَتْ به هـمُ الملـوك وسَوْرَة الأبطـالِ
فكأنّما عـاشَ المهلَّـبُ بينهمْ بأغـرَّ قـاسَ مثالَـه بمثـالِ
في كَفِّـه قَصَبـات كلّ مُقَلَّدٍ يـومَ الرّهـان وفـوزُ كلِّ نِصالِ
ومتـى أزِنْـك بمعشر وأُزنهمُ بـك أُلْفِ وزنك أرجحَ الأثقالِ

* * * *

الفهرس